مجموعة نقشجم العلمية

جواذب القلوب

لذكر علام الغيوب

وفواتح الأسرار بأذكار الليل والنهار

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

إصدارة رقم (٣٠)

جواذب القلوب

لذكر علام الغيوب

وفواتح الأسرار بأذكار الليل والنهار

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ - يناير ٢٠٢٢م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com

أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِهِ الإِعَانَةُ بَدْءاً وَخَتْماً، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتاً وَوَصْفاً وَاسْمَا

تَصْدِيرٌ

قَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، وَبَعْد تَوْجِيهٍ شَرِيفٍ مِنْ مَوْلَانَا السَّيِّد أَحْمَد بْنِ السَّيِّد مُحَمَّد عُثْمَانَ الْمِيرْغَنِيّ، كَانَ اللَّهُ لَهُ، وَفَسَّحَ فِي أَيَّامِهِ أَنْ أَنْسَخَ مَخْطُوطَةً لِجَدِّهِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى، سَيِّدِي السَّيِّد عَبْد اللهِ الْمِيرْغَنِّي الْمَحْجُوب، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَهِيَ: [جَوَاذِبُ الْقُلُوبِ لِذِكْرِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ]. فَوَجَدْتُهُ كِتَابًا فَرِيدًا فِي بَابِهِ، وَإِضَافَةً عُظْمَى لِلْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا رَأَيْتُ أَنَّ عُنْوَانَهُ: [جَوَاذِبُ الْقُلُوبِ لِذِكْرِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَفَوَاتِحُ الْأَسْرَارِ بِأَذْكَارِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]، يُغْنِي عَنِ التَّعْرِيفِ بِهِ لِمَنْ تَبَصَّرَ.

وَكَانَ الْمُؤَلِّفُ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فِي مَعْرِضِ الاسْتِشْهَادِ كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ طَرَفًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَوِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ فِي مُقَدَّمَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَشَارَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ فِي زَمَانٍ لَا يُطْلَبُ فِيهِ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ، وَلِثِقَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي عُلَمَائِهِمْ، وَلَمَّا كُنَّا فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ الْإِنْكَارُ وَالطَّعْنُ فِي كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَصَارَ الْكُلُّ يُطْلَبُ الدَّلِيلَ، وَلِحَالَةِ الْبَيَانِ، وَمُجَارَاةٌ لِأَهْلِ الْعَصْرِ، عَرَضْتُ الْأَمْرَ عَلَى سَيِّدِي أَحْمَد، بِأَنْ أُكْمِلَ الْآيَاتَ الْكَرِيمَةَ، وَالْأَحَادِيثَ الشَّرِيفَةَ، فَأَشَارَ بِذَلِكَ.

فَكَانَ عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَابِ، بَعْدَ تَنْسِيقِهِ، كَمَا يَلِي: ضَبْطُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِالشَّكْلِ، وِفْقًا لِلرَّسْمِ الْعُثْمَانِيّ، وَوَضْعُهَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ هَكَذَا ﴿ ﴾ لِلتَّمْيِيزِ، وَوَضْعُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، فِي عَلَامَاتٍ كَهَذِهِ ( ). وَتَخْرِيج الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَار. وَعَمَلُ الْعَنَاوِينِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالْفَرْعِيَّةِ لِلْكِتَابِ. وَعَمَلُ فِهْرِسٍ لِلْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْكِتَابِ. وَعَمَلُ فِهْرِسٍ لِلْمَصَادِرِ الَّتِي اعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا فِي التَّخْرِيج. وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

خَادِمُ الطَّرِيقَةِ الْخَتْمِيَّةِ، الْعَبْدُ الْفَقِيرُ لِرَحْمَةِ مَوْلَاهُ الْمَجِيد إِدْرِيس أَحْمَد دَفع السَّيِّد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِهِ الإِعَانَةُ بَدْءًا وَخَتْمًا، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتًا وَوَصْفًا وَاسْمًا

تَرجَمَةُ الْمُؤَلِّفِ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ الْمِيرْغَنِيّ

هُوَ الْعَلَّامَةُ الْمُحقِّقُ، الْحُجَّةُ الْمُدَقِّقُ، وَالْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ الْأُصُولِيُّ الْأَدِيبُ، أَبُو السِّيَادَةِ، عَفِيفُ الدِّينِ، السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ أَمِينِ بْنُ السَّيِّد عَلِيّ مِيرغَنِيّ، الْحُسَيْنِيُّ الْمَكِيُّ الْحَنَفِيُّ. يَنْتَهِي نَسَبُهُ الشَّرِيفُ إِلَى سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَبِضْعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدَتنَا السَّيِّدَة فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء بِنْتَ سَيِّدنَا مُحَمَّد رَسُول اللَّهِ.

وُلِدَ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة، عَام ١١١٩هـ، وَبِهَا نَشَأَ وَتَرَبَّى فِي كَنَفِ أُسْرَتِهِ الْكَرِيمَة، الَّتِي عُرِفَتْ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ، فَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي حَالِ صِبَاه، وَعَكَفَ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، مُنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَخَذَ عَنْ وَالِدِهِ السَّيِّد إِبْرَاهِيمَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجدِّهِ السَّيِّد حَسَن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَبَادِئَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّة، كَمَا أَخَذَ عَنْ عَمِّهِ السَّيِّد مُحَمَّد أَمِين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ، فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٦١هـ.

بَعْضُ شُيُوخِهِ:

وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة: الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَد بْن مُحَمَّد النَّخْلِيّ الشَّافِعِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٣٠هـ. وَالْمُحَقِّقُ الْمُحَدِّثُ عَبْد اللهِ بْن سَالِمِ بْنِ مُحَمَّد بْن سَالِمِ الْبَصْرِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٣٤هـ. كَمَا أَخَذَ عَنِ الْعَلَّامَةِ عَبْد الْكَرِيمِ بْن خَضرٍ الْهِنْدِيّ الْحَنَفِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٤٣هـ. كَمَا أَخَذ عَنِ

العَلاَّمَةِ مُفْتِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، الْقَاضِي تَاج الدِّينِ بْن عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْن سَالِمٍ الْقَلَعِيِّ، الَّذِي دَرَسَ الْكُتُبَ السِّتَّةَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٥٤هـ. ثُمَّ أَخَذَ عَنِ الْفَقِيهِ الْمَالِكِيِّ العَلاَّمَة أَبِي عَبْدِ اللَّه مُحَمَّد صَلَاح الدِّينِ الْبِرْسَلِيِّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٥٤هـ. كَمَا أَخَذَ عَنِ العَلاَّمَةِ الْفَقِيهِ تَاج الدِّينِ الدَّهَّان، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٦٦هـ.

ثُمَّ اجْتَمَعَ بِقُطْبِ زَمَانِهِ، السَّيِّد يُوسُف الْمَهْدَلِيّ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي الْمَعَارِفِ، فَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَلَازَمَهُ حَتَّى رَقَّاه، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ جَذَبَتْهُ عِنَايَةُ الْحَقِّ، وَأَرَتْهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَحِينَئِذٍ انْقَطَعَتِ الْوَسَائِطُ، وَسَقَطَتْ الْوَسَائِلُ، فَكَانَ أُوَيْسِيًّا، تَلَقِّيهِ مِنْ حَضْرَةِ جَدِّهِ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا أَشَارَ إِلَيَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَظَهَرَتْ كَرَامَاتُهُ، وَبَهَرَتْ إِشَارَاتُهُ، وَطَارَ صِيتُهُ فِي الْآفَاقِ، وَصَارَ كَلِمَةُ اتِّفَاقٍ، وَوَفَدَ إِلَيْهِ الْعَارِفُونَ فَوْجًا فَوْجًا، وَصَارَ يَتَرَقَّى إِلَى مَصَاعِدِ الْمَجْدِ الْأَعْلَى أَوْجًا أَوْجًا. وَقَدْ أَشَارَ فِي بَعْضِ قَصَائِدِهِ لِشَيْخِهِ يُوسُف بْن عَلِيٍّ الْمَهْدَلِيّ، فَقَالَ:

أَنَا شَيْخِي الشَّرِيف الْأَهْدَلِيّ ... وَأُسْتَاذِي عَلِيّ الْمَهْدَلِيّ

وَمَاذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ إِلَّا ... كَلَام اللَّهِ وَشَيْخِي وَالنَّبِيّ

وَقَدْ عَاشَ السَّيِّدُ الْمَحْجُوبُ بَاكِر حَيَاتِهِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة، بَيْنَ التَّدْرِيسِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الطَّائِفِ، وَنَزَلَ بِقَرْيَةِ السَّلَامَةِ، وَذَلِكَ إِثْر فِتْنَةٍ جَرَتْ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة، فَآثَرَ الابْتِعَاد. وَعَكَفَ السَّيِّدُ الْمَحْجُوبُ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَتَرْبِيَةِ الْمُرِيدِينَ، وَحَمْلِ لِوَاء السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ، فَعَاشَ مُهَابًا عَزِيزًا فِي ذَاتِهِ، مُوَقِّرًا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ. قَالَ عَنْهُ تِلْمِيذُهُ مُرْتَضَى

الزُّبَيْدِيّ فِي كِتَابِهِ [الْمُعْجَمِ الْمُخْتَصِّ]: (وَوَفَدَ إِلَيْهِ الْعَارِفُونَ فَوْجًا فَوْجًا، وَصَارَ يَتَرَقَّى إِلَى مَصَاعِدِ الْمَجْدِ الْأَعْلَى أَوْجًا أَوْجًا). اهـ.

بَعْضُ تَلَامِيذِهِ:

مِنْ أَبْرَزِ تَلَامِيذِهِ ابْنَاهُ السَّيِّد مُحَمَّد أَبِي بَكْرٍ الْمِيرْغَنِيّ، وَالسَّيِّد مُحَمَّد يس الْمِيرْغَنِي، الْمُتَوَفَّى عَام ١٢٥٥هـ، الَّذِي عُرِضَ عَلَيْهِ مَنْصِب إِفْتَاءِ مَكَّةَ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَرَعًا وَزُهْدًا. وَمِنْهُمْ الْحَافِظُ السَّيِّدُ مُحَمَّد مُرْتَضَى بْن مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيّ، الشَّهِيرُ بِمُرْتَضَى الزُّبَيْدِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٩٦هـ. وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْن مُحَمَّد بْن عَبْد السَّلَامِ الزَّمْزَمِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٩٥هـ. وَالشَّيْخُ مُحَمَّد بْن زَيْن بَالحْسَن التَّرِيمِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١١٩٦هـ. وَالشَّيْخُ مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن حَسَن بْن عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَالِدِيّ الشَّافِعِيّ، الشَّهِيرُ بِابْنِ الْجَوْهَرِيّ، الْمُتَوَفَّى عَام ١٢٠٥هـ، وَهُوَ الَّذِي شَرَحَ كِتَاب [الْبَدْرِ الْمُنِيرِ] لِلسَّيِّدِ الْمَحْجُوبِ. وَالشَّيْخُ تَاج الدِّين بْن مُحَمَّد سِرَاج، الَّذِي لَازَمَ شَيْخَهُ كَثِيرًا، وَنَسَخَ مَخْطُوطَاتَهُ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ كَتَبَ لَهُ مَنَاقِبًا، سَمَّاهَا [مَوَاهِبُ الْغُيُوبِ فِي مَنَاقِبِ السَّيِّدِ الْمَحْجُوبِ]، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ خَلْقٌ كَثِيرُونَ.

تَسْمِيَتُهُ بِالْمَحْجُوبِ:

لِأَنَّهُ احْتَجَبَ بِدَارِهِ ثَلَاثِينَ سَنَة، وَقَدْ كَانَتْ الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ مِفْتَاحًا لِلْمَعْرِفَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَالاطِّلَاعِ وَالتَّأْلِيف، وَهُوَ الَّذِي نَصَحَ أَهْل زَمَانِهِ بِقَوْلِهِ الْحَكِيمِ:

زَمَانٌ كُلُّهُ نَقْصُ   وَأَهْلُهُ كُلُّهُمْ غُصَصُ
فَكُنْ بِالبَيْتِ مُعْتَزِلاً   كَأَنَّكَ أَعْمَهٌ خَرِصُ

وَإِنْ لَا بُـدَّ مِـنْ خِـلٍّ   فَيَكْفِـي العِلْـمُ وَالقَصَـصُ

وَقَدْ أَثْمَرَتْ فَتْرَة الْعُزْلَةِ، بَيْنَ الْعِلْمِ وَضُرُوبِهِ، نَتَاجًا عَظِيمًا مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْجَامِعَةِ الْمُفِيدَةِ، الَّتِي نَافَتْ عَنِ الثَّمَانِينَ مُؤَلَّفًا، اهْتَمَّ فِي جُلِّهَا بِتَرْبِيَةِ الْمُرِيدِينَ عَلَى النَّهْجِ الصُّوفِيِّ، كَمَا هَدَفَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ إِلَى إِرْشَادِ الْعَامَّةِ، وَتَعْرِيفِهِمْ بِأُصُولِ الْعَقَائِدِ وَالْفِقْهِ، وَأَسَاسِ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، لَا سِيَّمَا وَلَهُ طَرِيقَةٌ مُوصِلَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمِيرْغَنِيَّةُ.

قَالَ عَنْهُ حَفِيدُهُ، الْإِمَامُ السَّيِّدُ مُحَمَّد عُثْمَان الْخَتْمِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي شَرْحِهِ الْكَبِيرِ لِلرَّاتِبِ، الْمُسَمَّى [فُيُوض الْبُحُورِ الْمُتَلَاطِمَةِ]: (كَانَ هَذَا الْأُسْتَاذُ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْعُظَمَاءِ الْمُقَرَّبِينَ، تَصَرَّفَ فِي عَصْرِهِ، وَتَحَكَّمَ وَظَهَرَ بِالسَّطْوَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَكَلَّمَ، وَلَهُ لِسَانٌ فِي الْحَقَائِقِ عَظِيمٌ، وَلَهُ صَوْلَةٌ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْأُمَرَاءِ، وَغَيْرِهِمْ، ذُو تَحْكِيمٍ. وَلَهُ التَّآلِيفُ الْعَدِيدَةُ، مِنْهَا فِي النَّظْمِ نَحْوَ خَمْسَة دَوَاوِينٍ، وَمِنْهَا تَأْلِيفٌ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ، جَمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، يَا فَطِين، وَلَهُ إِغَاثَاتٌ لِلْمُسْتَغِيثِينَ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ، وَإِعَانَاتٌ فِي وَاقِعَةٍ وَمُدْلَهِمَةٍ. وَلَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ، لَمْ يُحْصَ لَهَا عِدَّةٌ). اهـ.

بَعْضُ مُؤَلَّفَاتِهِ:

وَتَمْتَازُ مُؤَلَّفَاتُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالْأُسْلُوبِ السَّلَسِ فِي اِيصَالِ الْمَعْلُومَةِ، وَذَلِكَ بِأَلْفَاظٍ سَهْلَة التَّعْبِيرِ، لِذَلِكَ عَمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى اخْتِصَارِ الْمُطَوَّلَاتِ، تَعْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ، كَمَا فَعَلَ فِي كِتَابِهِ [الْمُعْجَمِ الْوَجِيزِ]، وَشَرْحِهِ [الْمُوجَز الْعَزِيز]،

الَّذِي انْتَخَبَهُ مِنَ [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]، وَذَيْلِهِ، لِلْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَهَذِه بَعْضُ مُؤَلَّفَاتِه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١. الْإِيضَاحُ الْمُبِينُ بِشَرْحِ فَرَائِضِ الدِّينِ.
٢. عِدَّةُ الْإِنَابَةِ فِي أَمَاكِنِ الْإِجَابَةِ.
٣. مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ.
٤. كَنْزُ الْفَوَائِدِ شَرْح بَحْرِ الْعَقَائِدِ.
٥. الْمُعْجَمُ الْوَجِيز مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ الْعَزِيزِ.
٦. الْعَقْدُ الْمُنَظَّمُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.
٧. عِقْدُ الْجَوَاهِرِ فِي نَظْمِ الْمَفَاخِرِ.
٨. الْمُوجَزُ الْعَزِيزِ عَلَى الْمُعْجَمِ الْعَزِيزِ.
٩. النَّفَحَاتُ الْقُدْسِيَّةُ مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي شَرْحِ الصَّلَاةِ الْمَشِيشِيَّةِ.
١٠. الْأَسْئِلَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالْأَجْوِبَةُ الْقُدْسِيَّةُ.
١١. النَّفَحَاتُ الْعَنْبَرِيَّةُ فِي آدَابِ الْمَعِيَّةِ.
١٢. الْأَنْفَاسُ الْقُدْسِيَّةُ فِي بَعْضِ مَنَاقِبِ الْحَضْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.
١٣. الْبَدْرُ الْمُنِيرُ.
١٤. الْجَوْهَرَةُ اللُّمْعَةُ فِي فَضَائِلِ الْجُمُعَةِ.
١٥. سَوَادُ الْعَيْنَيْنِ وَشَرَفُ النَّسَبَيْنِ.
١٦. الْبَشَائِرُ الْخَاتِمَةُ فِي حُسْنِ الْخَاتِمَةِ.
١٧. النَّسَمَاتُ الْأُنْسِيَّةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ.

١٨. مَرَاقِي الْوُصُولِ إِلَى مَعَالِي الرَّسُولِ.

١٩. مَنَاقِبُ سَيِدّنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

٢٠. الْكَوْكَبُ الثَّاقِبُ.

٢١. رَفْعُ الْحَاجِبِ عَنِ الْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ.

٢٢. الْمَقَاصِدُ الْفُخْرَى فِي بَعْضِ مَنَاقِبِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى.

٢٣. الدُّرَّةُ الْيَتِيمَةُ فِي بَعْضِ مَنَاقِبِ السَّيِّدَةِ الْعَظِيمَة.

٢٤. إِتْحَافُ السُّعَدَاءِ بِمَنَاقِبِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.

٢٥. تَحْرِيضُ الْأَغْبِيَاءِ فِي الاسْتِغَاثَةِ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ.

٢٦. جَوَاذِبُ الْقُلُوبِ لِذِكْرِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ.

٢٧. فَرَائِضُ الدِّينِ وَوَاجِبَاتُ الْإِسْلَامِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

٢٨. الْفُرُوعُ الْجَوْهَرِيَّةُ فِي الْأَئِمَّةِ الِاثْنَى عَشَرِيَّة.

٢٩. مِنْهَاجُ الْمُلُوكِ إِلَى مِعْرَاجِ مَلِكِ الْمُلُوكِ.

٣٠. التُّحْفَةُ الظَّرِيفَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ.

٣١. كَشْفُ الْغِطَا عَنْ زَمَنِ أَهْلِ الْخَطَأ.

٣٢. اللَّآلِئُ الْمُفْرَدَاتُ فِي أَذْكَارِ عَرَفَاتِ. وَغَيْرُهَا.

وَفَاتُهُ:

تُوُفِّيَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ الْمَحْجُوب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلَّبَهُ وَمَثْوَاهُ، بِالطَّائِفِ، سَنَةَ ١١٩٣هـ، كَمَا ذَكَرَهُ تِلْمِيذُهُ الشَّيْخ تَاج الدِّينِ بْن مُحَمَّد سِرَاج، وَالَّذِي كَانَ مُلَازِمًا لَه، بَلْ السَّيِّد الْمَحْجُوب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ كَلَّفَهُ بِنَسْخِ كُلّ مَخْطُوطَاتهُ، فَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلَفَّهُ، فِي مَنَاقِب شَيْخِهِ: (أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تُوُفِّي لَيْلَة الْجُمُعَةِ، لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ عَاشُورَاء، عَام ١١٩٣هـ، وَدُفِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَسْجِدِهِ الْمُلْحَقِ بِدَارِهِ، بَعْدَ أَنْ حَفَرَ قَبْرَهُ، وَهَيَّأَهُ بِنَفْسِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَخَتَمَ فِيهِ الْقُرْآنَ سَبْعَة آلَافِ خَتْمَة، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ، وَنَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ وَبِعُلُومِهِ.

التَّمْهِيدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ، الَّذِي تَفَضَّلَ بِكَمَالِ إِنْعَامِهِ، فَجَعَلَ ذِكْرَهُ مِفْتَاحًا لِأَقْفَالِ اللُّبُوبِ، وَامْتَنَّ بِتَمَامِ إِحْسَانِهِ، فَقَالَ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وَزَادَ فِي الامْتِنَانِ، فَصَيَّرَ ذِكْرَهُ لَنَا نَتِيجَة لَذِكْرِنَا إِيَّاهُ، فَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فَمَا لَنَا نَذْكُرُ مَا عَدَاهُ، وَأَفَاضَ بِبَيَانِ شَرَفِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَأَظْهَرَ، فَقَالَ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْإِلَهُ الْأَكْبَرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْحَبِيبُ الْأَفْخَرُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْقَائِلِ: (إِنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَحْبَابِ اللَّهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَلَمَّا كَانَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَحَيَاةٌ لِلْأَشْبَاحِ، وَجَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ، وَشِفَاءٌ لِجِنَانِ الْمُحِبِّينَ، وَطُمَأْنِينَةٌ لِأَسْرَارِ الْعَارِفِينَ، وَمِفْتَاحٌ لِلْعِلَاجِ، وَصَفَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَتَحْصِيلٌ لِلْعِنَايَةِ، وَمَنْشُورٌ لِلْوِلَايَةِ؛ دَعَانِي ذَلِكَ أَنْ أَجْمَعَ فِي بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّاكِرِ، نُبْذَة لِأَنْتَفِعَ بِهَا أَنَا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ نَفْعَهُ، رَجَاءَ لِلثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ بِاللَّهِ، وَلِلدُّعَاءِ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ بِاللَّهِ، وَسَمَّيْتُهَا:

[جَوَاذِبُ الْقُلُوبِ لِذِكْرِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَفَوَاتِحُ الْأَسْرَارِ بِأَذْكَارِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]. وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا عِبَادَهُ، وَيُدِيمَ بِهَا الْإِفَادَةَ، فَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

فَأَقُولُ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، وَمُسْتَمِدًا مِنْ فَيْضِ فَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُبَوِّبًا ذَلِكَ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ:

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الذِّكْرِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ تَرْكِهِ.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي فَضْلِ أَهْلِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: فِي فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِي آدَابِهِ وَمُحَرَّمَاتِهِ وَمَكْرُوهَاتِهِ.

الْبَابُ الْخَامِسُ: فِي فَوَائِدٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِهِ.

الْبَابُ السَّادِسُ: فِي فَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ.

الْبَابُ السَّابِعُ: فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

الْبَابُ الثَّامِنُ: فِي الدُّعَاءِ وَمَا يَنُوطُ بِهِ.

وَقَدْ حَذَفْتُ الْأَسَانِيدَ وَالرُّوَاةَ غَالِبًا، بَلْ وَلَمْ أَعْزِ الْأَكْثَرَ اكْتِفَاءً بِذِكْرِ عُمْدَةِ مَا نَقَلْتُ مِنْهُ الْأَذْكَار وَشَرْحهَا، [الْجَامِع الصَّغِيرِ]، وَ[أَذْكَار ابْنِ رَسْلَانَ]، وَ[تَذْكِرَة الْقُرْطُبِيِّ]، وَبَعْض كُتُبِ الْفِقْهِ، وَشَرْح الْحِكَمِ، وَغَيْر ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِيهِ أَحْيَانًا، فَمَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَرْجِعْ لِمَا هُنَالِكَ، وَأَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مُعَبِّرٌ وَسَفِيرٌ، وَاللَّهُ بِمَا أَقُولُ خَبِيرٌ، وَقَالِي غَيْر خَافٍ، عَلَى اللَّبِيبِ الْبَصِيرِ.

الْمُقَدِّمَةُ

حَقِيقَةُ الذِّكْرِ: فِي اللُّغَةِ بِالْكَسْرِ: الْحِفْظُ لِلشَّيْءِ، كَالتِّذْكَارِ وَالثَّنَاءِ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ: هُوَ التَّخَلُّصُ مِنَ الْغَفْلَةِ، بِدَوَامِ حُضُورِ الْقَلْبِ مَعَ الْحَقِّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى، بِاللِّسَانِ وَالْجِنَانِ وَالْأَرْكَانِ، بِأَيِّ عِبَارَةٍ كَانَتْ. فَكُلُّ طَائِعٍ للهِ تَعَالَى فَهُوَ ذَاكِرٌ، كَالْمُشْتَغِلِ بِالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَالْكَلَامِ، وَالْوَعْظِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ، وَجَلَالِهِ وَمُلْكِهِ وَمَلَكُوتِهِ. وَكُلُّ مُمْتَثِلٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ نَهَى عَنْهُ، فَهُوَ ذَاكِرٌ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ، وَإِنْ قَلَّتْ صَلَاتُهُ، وَصِيَامُهُ، وَتِلَاوَتُهُ الْقُرْآنَ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ نَسِيَ اللَّهَ، وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ، وَصِيَامُهُ، وَتِلَاوَتُهُ الْقُرْآنَ).

وَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لِلذِّكْرِ حَقِيقَةٌ، وَهُوَ اسْتِيلَاءُ الْمَذْكُورِ عَلَى الْقَلْبِ، وَانْمِحَاءُ الذَّاكِرِ وَخَفَاهُ، وَلِلْعَارِفِينَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ، بِحَسَبِ مَا فُتِحَ لَهُمْ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ فِي ثَمَرَاتِهِ لَا فِي حَقِيقَتِهِ، إِذْ هِيَ مَا ذَكَرْتُ بِلَا مُنَازِعٍ، وَالذِّكْرُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَبِالْقَلْبِ، وَبِالرُّوحِ وَبِالسِّرِ، وَبِالْجُمْلَةِ، وَأَدْنَاهُ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَأَمَّا ذِكْرُ اللِّسَانِ، فَهُوَ ذِكْرُ الْحُرُوفِ، بِلَا حُضُورَ قَلْبٍ، وَلَه فَضْلٌ عَظِيمٌ، تَشْهَدُ بِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ. وَأَمَّا ذِكْرُ الْقَلْبِ فَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ، مَعَ اللهِ تَعَالَى وَمَعَ الْخَلْقِ، عَلَى السَّوَاءِ سَوَاء، قَارَنَهُ غَيْرهُ مِنَ الْأَذْكَارِ أَمْ لَا. وَأَمَّا ذِكْرُ الرُّوحِ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْحُضُورُ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، غَالِبًا عَلَى الْحُضُورِ مَعَ الْخَلْقِ. وَأَمَّا ذِكْرُ السِّرِّ، فَهُوَ يَكُونُ لَهُ حُضُورٌ مَعَ الْحَقِّ، وَلَا يَكُونُ لَهُ خَبَرٌ

عَنِ الْكَوْنِ جُمْلَة؛ كَذَا قَالَ السَّادَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ، وَقَال غَيْرُهُمْ: ذِكْرُ السِّرِ الْغَيْبَةُ عَنِ الحُضُورِ فِي الْمَذْكُورِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ. وَأَمَّا ذِكْرُ الْجُمْلَةِ فَهُوَ أَنْ يَذْكُرَهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِه.

وَاعْلَمْ أَنَّ الذِّكْرَ رِزْقُ الْأَرْوَاحِ، لِأَنَّ الرِّزْقَ قِسْمَانِ: ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ؛ فَرِزْقُ الظَّاهِرِ بِحَرَكَاتِ الْأَجْسَادِ، وَرِزْقُ الْبَاطِنِ بِحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ، وَرِزْقُ الْأَسْرَارِ بِالسُّكُوتِ، وَرِزْقُ الْعُقُولِ بِالْفِنَاءِ عَنِ السُّكُونِ، حَتَّى يَكُونُ الْعَبْدُ سَاكِنًا للهِ مَعَ اللَّهِ، وَلَيْسَ فِي الْأَغْذِيَةِ قُوتٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَإِنَّمَا هِيَ غِذَاءٌ لِلأَشْبَاحِ، وَقُوتُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى، ذَكَرَ مَعَكَ كُلّ مَنْ يَسْمَعُكَ، لِأَنَّكَ تَذْكُرُ بِلِسَانِكَ، ثُمَّ بِقَلْبِكَ، ثُمَّ بِنَفْسِكَ، ثُمّ بِرُوحِكَ، ثُمَّ بِعَقْلِكَ، ثُمَّ بِسِرِّكَ، ذَلِكَ فِي الذِّكْرِ الْوَاحِدِ. فَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِلِسَانِكَ، ذَكَرَ مَعَ ذِكْرِكَ الْجَمَادَات كُلّهَا. وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ بِقَلْبِكَ، ذَكَرَ مَعَ ذِكْرِ قَلْبِكَ الْكَوْن، وَمَنْ فِيهِ مِنْ عَوَالِمِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَإِذَا ذَكَرْتَ بِنَفْسِكَ، ذَكَرَتْ مَعَكَ السَّمَاوَات وَمَنْ فِيهَا. وَإِذَا ذَكَرْتَ اللهَ بِرُوحِكَ، ذَكَرَ مَعَكَ الْكُرْسِيّ، وَمَنْ فِيهِ مِنْ عَوَالِمِهِ. وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ بِقَلْبِكَ، ذَكَرَ مَعَكَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَمَنْ طَافَ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكُرُوبِيِّينَ، وَالْأَرْوَاحِ الْمُقَرَّبِينَ. وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ بِسِرِّكَ، ذَكَرَ مَعَكَ الْعَرْش بِجَمِيعِ عَوَالِمِهِ، إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ الذِّكْرُ بِالذَّاتِ، كَذَا فِي [مِفْتَاحِ الْفَلَاحِ]، لِسَيِّدِي ابْن عَطَاءِ اللهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ فِي [تُحْفَةِ الْأَصْفِيَاءِ]: ثُمَّ الذِّكْرُ إِمَّا مُطْلَقٌ أَوْ مُقَيَّدٌ، وَالثَّانِي إِمَّا مُقَيَّدٌ بِالزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ، كَالذِّكْرِ فِي الصَّلَاةِ وَعَقِبهَا، وَفِي الْحَجِّ. وَالْمُطْلَقُ مِنْهُ مَا هُوَ

ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، كَمَا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ: (كَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ). وَمِنْهُ مَا هُوَ ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ وُمَنَاجَاةٌ، جَاءَتْ مِثْلَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] الْآيَة. وَكَذَلِكَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَهُوَ أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي قَلْبِ الْمُبْتَدِئِ مِنَ الذِّكْرِ، الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ الْمُنَاجَاة، لِأَنَّ الْمُنَاجِيَ يُشْعِر قَلْبهُ قُرْب مُنَاجِيهِ، وَهُوَ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِهِ، وَيُلْبِسُهُ الْخَشْيَة، وَمِنْهُ فِيهِ رِعَايَةٌ أَوْ طَلَبٌ دُنْيَوِيٍّ أَوْ أُخْرَوِيٍّ، فَالرِّعَايَة نَحو قَوْلك: مَعِي نَاظِرِي يَرَانِي. فَإِنَّ فِيهِ رِعَايَةً لِمَصْلَحَةِ الْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ لِتَقْوِيَةِ الْحُضُورِ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَحِفْظِ الْأَدَبِ مَعَهُ وَلِلْاعْتِصَامِ بِهِ.

وَقَالَ فِي [تُحْفَةِ الْأَصْفِيَاءِ]: ثُمَّ الذَّاكِرُ إِمَّا لِلتَّعَبُّدِ أَوِ التَّوَسُّلِ أَوْ لِطَلَبِ الْخَاصِّيَّةِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ: شَرْطٌ وَوِجْهَةٌ وَمَادَّةٌ، وَأَنْوَاعُ الذِّكْرِ خَمْسَةٌ:

تَقْضِي بِمُرَادِهِ وَوُجُوهِهِ: لِأَنَّهَا إِمَّا نُكْتَةٌ تَنْطَبِعُ بِهَا الْحَقِيقَة، فَتَحُوزَ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ. وَإِمَّا نُقْطَةٌ يُثْلِجُ لَهَا الْقَلْبُ، فَتَنْبَسِطُ فِي عَوَالِمِهِ، فَيَقَعُ التَّصَرُّفُ عَلَى وَفْقِهِ. وَإِمَّا هَيْئَةٌ تُشْغِلُ الظَّاهرَ بِمَاهِيَّتِهَا، وَتُوَجِّهَ الْبَاطِنَ لِمَعَانِيهَا، فَيَقَعُ التَّأْثِيرُ عَلَى أَثَرِهِ. وَإِمَّا رَسْمٌ يُعْمِرُ الْوَقْتَ وَيَحْصُلُ التَّعَبُّدَ. وَإِمَّا عَادَةٌ لَا يُفِيدُ، وَهُوَ الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَوَامّ بِلَا قَصْدٍ، أَوْ بِقَصْدٍ غَيْرِ جَازِمٍ، أَوْ بِجَازِمٍ، لَا يَسْتَشْعِرُ بِهِ الذِّكْرَ وَلَا الْمَذْكُورَ وَلَا الْمَعْنَى.

أَمَّا الْأَوَّلُ لِلْعَارِفِينَ، وَالثَّانِي لِلْوَاجِدِينَ، وَالثَّالِثُ لِلْمُرِيدِينَ، وَالرَّابِعُ لِلْمُبْتَدِئِينَ، وَالْخَامِسُ لِعَامَّةِ الْمُتَوَجِّهِينَ، وَلَا عِبْرَةَ بِهِ، إِذْ لَيْسَ بِذِكْرٍ حَقِيقَةً. ا.هـ . كَلَامُ الشَّيْخِ أَحْمَد زَرُّوقٍ.

الْبَابُ الأَوَّلُ

فِي فَضْلِ الذِّكْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ تَرْكِهِ

فَصْلٌ: فِي فَضْلِ الذِّكْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ

أَمَّا فَضْلُهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، فَثَابِتَانِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَثَرِ. وَأَمَّا الْكِتَابُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ لَكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ. وَالآخَرُ: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِ عِبَادَةٍ سِوَاهُ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ

إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا يَذْكُرُنِي عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ، إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ مِنْ مَلَائِكَتِي، وَلَا يَذْكُرُنِي فِي مَلَأٍ، إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ؟، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى).

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ، فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟. قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ، وَلَا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِكُلِّهَا، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَى). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ، فَأْمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَى. قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةً، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقَلْبِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟. قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ. قَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ ذَكَرَهَا رُزَيْنٌ، قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعِبَادَةِ أَفْضَلُ دَرَجَةً، عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

وَعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]. قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَتْ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ؟. فَقَالَ: أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ، تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذِكْرُ اللَّهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِعْطَاءِ الْمَالِ سَحًّا). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ذِكْرُ اللَّهِ شِفَاءُ الْقُلُوبِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ، حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا، يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّكُمْ تُرَاءُونَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟. قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ. -وَفِي رِوَايَةٍ: الْمَسَاجِدُ-، قُلْتُ: وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، مَا اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ، وَشَجَرٍ، وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ، فَأَحْدِثْ لِلَّهِ فِيهِ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللَّهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يُصِيبَ الْأَرْضَ مِنْ دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةٌ، وغَايَةُ ابْنِ آدَمَ الْمَوْتُ، فَعَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُسَهِّلُكُمْ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ، لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَلِقَلْبِهِ بَيْتَانِ، فِي أَحَدِهِمَا الْمَلَكُ، وَفِي الْآخَرِ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ، وَضَعَ الشَّيْطَانُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ، وَوَسْوَسَ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا، يَذْكُرُ اللَّهَ، حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ مِنَ لَيْلَتِهِ، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً خَامِلاً. قِيلَ: وَمَا الذِّكْرُ الْخَامِلُ؟. قالَ: الذِّكْرُ الخفِيُّ). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصْبِحْ وَأَمْسِي، وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ، تُصْبِح وَتُمْسِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الفَجْرِ في جَماعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ، حتَّى تَطْلُعَ الشَمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ، وَعُمْرَةٍ تامَّةٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً، أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا). وَقَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ).

أَمَّا الْأَثَرُ: فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ذِكْرُ اللهِ عَلَامَةُ الْإِيمَانِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَحِصْنٌ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). وَقَالَ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، كَثْرَةُ ذِكْرِهِ). وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَلْيَكُنْ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى). وَقَالَ: (ما وَجَدْتُ عِبَادَةً أَشْفَى لِلصُّدُورِ، وَلَا أَفْضَل مِنْ مُجَالَسَةِ الذِّكْرِ).

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ لِلذِّكْرِ دَوِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ، كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يَذْكُرُ صَاحِبَهُ). وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: (مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِّمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ). وَقَالَ فِي التَّوْرَاةِ: (أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ تَنَعَّمُوا بِذِكْرِي، فَإِنَّهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ، وَفِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ).

وَقَالَ السَّرِيُّ: (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُد، بِي فَافْرَحُوا، وَبِذِكْرِي فَتَنَعَّمُوا). وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (يَقُولُ اللَّهُ: أَيُّمَا عَبْدٍ اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِهِ، فَرَأَيْتُ الغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّك بِذِكْرِي، تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ، وَكُنْتُ جَلِيسَهُ، وَمُحَادِثَهُ، وَأَنِيسَهُ).

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالْجَلِيلُ سُبْحَانَهُ، يُنَادِي: عَبْدِي مَا أَنْصَفْتَنِي، أَذْكُرُكَ وَتَنْسَانِي، وَأَدْعُوكَ إِلَيَّ، وَتَذْهَبُ إِلَى غَيْرِي، وأُذْهِبُ عَنْكَ الْبَلَايَا، وَأَنْتَ مُعْتَكِفٌ عَلَى الْخَطَايَا، يَا ابْنَ آدَمَ: مَاذَا تَقُولُ إِذَا جِئْتَنِي). (وَقِيلَ لَهُ: مَا الْقُوتُ؟، قَالَ: ذِكْرُ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ). وَقَالَ أَيْضاً: (أَوَّلُ دَلَائِلِ الْمَحَبَّةِ، دَوَامُ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ).

وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنِّي لَأَعْلَمُ مَتَى يَذْكُرُنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَفَزِعُوا مِنْهُ. وَقَالُوا: كَيْفَ تَعْلَمُ ذَلِكَ؟، فَقَالَ: إِذَا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي). وَقَالَ:

(مَنْ قَامَ لِلَّهِ بِحَقِيقَةِ الذِّكْرِ، وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، سَخَّرَ لَهُ الْأَكْوَان، وَالْعَالِم جَمِيعه).

وَقَالَ: (ذِكْرُ اللَّهِ سَيْفُ الْمُرِيدِينَ، بِهِ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَبِهِ يَدْفَعُونَ الْآفَاتَ، الَّتِي تَقْصُدُهُمْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ إِذَا أَظَلَّ الْعَبْدَ، فَإِذَا فَزِعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، تَحَوَّلَ عَنْهُ فِي الْحَالِ، كُلُّ مَا يَكْرَهُهُ).

وَقِيلَ: (إِذَا تَمَكَّنَ الذِّكْرِ مِنَ الْقَلْبِ، فَإِنْ دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ صُرِعَ، كَمَا يُصْرَعُ الْإِنْسَانُ، فَتَجْتَمِعَ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُونَ: مَا بِهَذَا؟، فَيُقَالُ: قَدْ مَسَّهُ الْإِنْسُ).

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (الذِّكْرُ رُكْنٌ قَوِيٌّ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، بَلْ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَلَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ). وَقَالَ أَيْضًا: (سَمِعْتُ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاق، يَقُولُ: الذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ، فَمَنْ وُفِّقَ لِلذِّكْرِ، فَقَدْ أُعْطِيَ الْمَنْشُورَ، وَمَنْ سُلِبَ الذِّكْرَ، فَقَدْ عُزِلَ). وَقَالُوا: (لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الْآخِرَةِ، سِوَى الذِّكْر، وَمِنْهُ الْقُرْآن).

فَصْلٌ: فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَرْكِ الذِّكْرِ

أَمَّا التَّحْذِيرُ مِنْ تَرْكِ الذِّكْرِ، فَثَابِتٌ أَيْضًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَثَرِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]. وَقَالَ فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

أَمَّا السُّنَّةُ: (فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْإِيمَانِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي، وَإِنْ نَسِيتَنِي كَفَرْتَنِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ، لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهَا، إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى، لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا أَوَى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ). وَأَصْلُ (التِّرَةِ): النَّقْصُ، وَمَعْنَاهَا هَهُنَا: التَّبِعَةُ. يُقَالُ: وَتَرْتُ الرَّجُلَ، تِرَةً عَلَى وَزْنِ وَعَدْتُهُ عِدَةً. (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَمْ يَتَحَسَّرْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، إِلَّا عَلَى

سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَتَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

أَمَّا الْأَثَرُ: فَقَدْ قَالَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَيْسَ يَحْزَنُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ، إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا). وَقَالَ سَهْلٌ: (مَا أَعْلَمُ مَعْصِيَةً أَعْظَمَ مِنْ تَرْكِ ذِكْرِ الرَّبِّ). وَقَالَ: (إِنَّمَا مَنَعَ اللَّهُ الْغَافِلِينَ لَذَّةَ مُنَاجَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ عُقُولَهُمْ لِمَعْرِفَتِهِ، وَلَا أَبْدَانَهُمْ لِخِدْمَتِهِ، فَأَذَلَّهُمْ وَجَعَلَهُمْ عَبِيدَ الدُّنْيَا).

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: (لِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ، وَعُقُوبَةُ الْعَارِفِ انْقِطَاعُهُ عَنِ الذِّكْرِ). وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: (مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِحَدِيثِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ حَدِيثِ الْخَلْقِ، فَقَدْ قَلَّ عَمَلُهُ، وَعَمِيَ قَلْبُهُ، وَضَاعَ عُمْرُهُ).

وَقَالَ الْحَسَنُ: (تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ). وَقَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ بَعْدَ نَقْلِهِ لِذَلِكَ، فِي [مِفْتَاحِ الْفَلَاحِ]: (لِأَنَّ كُلَّ قَلْبٍ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ، لَا يَأْنَسُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ).

وَقَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ، الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: (الْغَفْلَةُ عَنِ اللَّهِ، أَشَدُّ مِنْ دُخُولِ النَّارِ). وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا عُقُوبَةَ أَشَدُّ مِنَ الْغَفْلَةِ، لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَشَدُّ مِنَ النَّارِ). وَقَالَ الْجُنَيْدُ: (لَوْ أَقْبَلَ صَادِقٌ عَلَى اللَّهِ، أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ لَحْظَةً، كَانَ مَا فَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَهُ). وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا، فِي تَرْجَمَتِهِ، مِنْ كِتَابِي [كَنْزِ الْفَوَائِدِ] شَرْحِي لِنَظْمِ [بَحْرِ الْعَقَائِدِ].

وَقَالَ الشِّبْلِيُّ، لِتِلْمِيذِه الْحُصرِيّ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى: (إِنْ خطَرَ بِبَالِكَ، مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، غَيْر اللَّهِ، فَلَا تَعُدْ ثَانِيًا. وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً).

وَقِيلَ: (إِنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، يَنْزِلُ كُلّ يَوْمٍ سربًا، وَيَحْمِلُ مَعَهُ حُزْمَةً مِنَ الْقُضْبَانِ، وَكَانَ إِذَا دَخلَ قَلْبَهُ غَفْلَةً، ضَرَبَ نَفْسَهُ بِتِلْكَ الْخَشَبَةِ، حَتَّى يَكْسِرَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ الحُزْمَةُ تَفْنَى قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَكَانَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ عَلَى الْحَائِطِ). وِلِلَّهِ دَرُّهُ حَيْثُ قَالَ:

الصَّبْرُ يَجْمُلُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا   إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْمُلُ

وَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَبْدِ الْفَقِيرِ، أَنْ يَصْبِرَ عَنْ مَوْلَاهُ الْكَبِيرِ، أَمْ كَيْفَ يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ مَنْ أَبْرَزَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَغَذَّاهُ فِي رَحِمِهِ بِدَمٍ. أَمْ كَيْفَ لَا يَذْكُرُهُ، وَهُوَ ذَاكِرٌ لَهُ فِي كُلِّ أَنْفَاسِهِ، وَمُرَبِّيهِ، وَمُقْبِلٌ عَلَيْهِ بِجَلِي لُطْفِهِ وَخَافِيهِ، مَا ذَاكَ إِلَّا جُنُونٌ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا فُتُونٌ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ قَوْلِ الْعَارِفِ الْمُحِبّ الصَّادِقِ، أَبِي بَكْرٍ الشِّبْلِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسِيتُكَ لَحظَةً   وَأَيْسَرَ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْر لِسَانِي
وَكُنْتُ بِلَا وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى   وَهَامَ مِنِّي الْقَلْبُ بِالْخَفَقَانِ
فَلَمَّا رَآنِي الْوَجْد أَنْكَرَ حَاضِرِي   شَهِدْتُكَ مَوْجُود بِكُلِّ مَكَانِ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكَلُّمِ   وَلَاحَظْتُ مَعْلَومًا بِغَيْرِ عِيَانِ

(تَتِمَّةٌ): قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمِنْ خَصَائِصِ الذِّكْرِ أَنَّهُ غَيْرُ مُؤَقَّتٍ، بَلْ مَا مِنْ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، إِلَّا وَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِذِكْرِ اللهِ فِيهِ، أَمَّا فَرْضًا أَوْ نَفْلًا أَوْ نَدْبًا، وَالصَّلَاة وَإِنْ كَانَتْ أَشْرَفَ الْعِبَادَاتِ، فَقَدْ لَا

تَجُوزُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالذِّكْرُ بِالْقَلْبِ مُسْتَدَامٌ فِي عُمُومِ الْحَالَاتِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩١].

سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ بْن فُورَكٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: (قِيَامًا بِحَقِّ الذِّكْرِ، وَقُعُودًا عَنِ الدَّعْوَى). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَيْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالسَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالْمَرَضِ وَالصِّحَّةِ، وَالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ).

وَقَدْ تَقَدَّمَ (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ).

قَالَ عَلِيٌّ مُلَّا الْقَارِئ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي شَرْحِ [الْحِصْنِ الْحَصِينِ]: (وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَشْغُولاً بِاللَّهِ، ذَاكِرًا لَهُ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ، أَمَّا فِي حَالَةِ التَّخَلِّي فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُشَاهِدُهُ، لَكِنْ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ قَبْلَ التَّخَلِّي وَبَعْدَهُ، مَا يَدُلُّ عَلَى الاعْتِنَاءِ بِالذِّكْرِ، وَكَذَلِكَ عَيَّنَ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْجِمَاعِ، فَالذِّكْر عِنْدَ نَفْسِ قَضَاء الْحَاجَةِ، وَنَفْس الْجِمَاعِ، لَا يُكْرَهُ بِالْقَلْبِ بِالْإِجْمَاعِ، أَمَّا الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ حَالَته، فَلَيْسَ مِمَّا شُرِعَ لَنَا، وَلَا نَدَبَنَا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُقِلَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ يَكْفِي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْحَيَاء وَالْمُرَاقَبَة، وَذِكْر نِعْمَةِ اللهِ فِي إِخْرَاجِه، هَذَا الْمُؤْذِي الَّذِي لَوْ لَمْ يَخْرُجْ لَقَتَلَ صَاحِبَهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الذِّكْرِ، وَلَمْ يَقُلْ بِاللِّسَانِ).

الْبَابُ الثَّانِي
فِي فَضْلِ أَهْلِ الذِّكْرِ وَمَجْلِسِهِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ
فَصْلٌ: فِي فَضْلِ أَهْلِ الذِّكْرِ

أَمَّا فَضْلُ أَهْلِهِ، فَثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَثَرِ.

وَأَمَّا الْكِتَابُ: فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤- ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

أَمَّا السُّنَّةُ: (فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟، قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَوْنِي؟، قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ:

يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ؟، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟، قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ؟، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُمُ الْجُلَسَاءُ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ. -مِنْ جُمْلَتِهِمْ-: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ، الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَالْأَظِلَّةَ، لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ). وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ، فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سُئِلَ: أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً، عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟. قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنَ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْكَسِرَ، وَيَخْتَضِبَ دَمًا، لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ، فَقَالَ: فَأَيُّ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟، قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ذِكْرًا، ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلَاةَ، وَالزَّكَاةَ، وَالْحَجَّ، وَالصَّدَقَةَ، كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ذِكْرًا).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجَلْ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي الْفَارِّينَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، مِثْلُ الَّذِي يُقَاتِلُ عَنِ الْفَارِّينَ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، كَالْمِصْبَاحِ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، كَمِثْلِ الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ، فِي وَسَطِ الشَّجَرِ، الَّذِي تَحَاتَّ مِنَ الصَّرِيرِ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، يُعَرِّفُهُ اللَّهُ مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ، لَهُ مِنَ الْأَجْرِ، بِعَدَدِ كُلِّ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ثَلَاثَةٌ لَا يُرَدُّ دُعَاءُهُمُ: الذَّاكِرُ اللَّهَ كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْإِمَامُ الْمُقْسِطُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْجَبَلَ يُنَادِي الْجَبَلَ بِاسْمِهِ: يَا فُلَانُ، هَلْ مَرَّ بِكَ الْيَوْمَ، لِلَّهِ ذَاكِرٌ، اسْتِبْشَارًا بِذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ. اسْتَبْشَرَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَيَذْكُرَنَّ اللَّهَ قَوْمًا فِي الدُّنْيَا، عَلَى الْفُرُشِ الْمُمَهَّدَةِ ، يَدْخُلُهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ، مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ. فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي حِجْرِهِ دَرَاهِمُ يُقَسِّمُهَا، وَآخَرُ يُذْكَرُ اللَّهَ، كَانَ الذَّاكِرُ لِلَّهِ أَفْضَلُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ، يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَاكِرُ اللَّهِ خَالِياً، كَمُبَارَزَةٍ إِلَى الكُفَّارِ، مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَاكِرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ، وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ).

وَفِي خَبَرٍ: (أَنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: أَعْطَيْتُ أُمَّتَكَ، مَا لَمْ أُعْطِهِ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا جِبْرِيلُ؟. قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَلَمْ يَقُلْ هَذَا لِأَحَدٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ).

أَمَّا الْأَثَرُ: فَيُرْوَى (أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ تَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا عَطْشَانَةٌ، إِلَّا نَفْس الذَّاكِرِ لِلَّهِ تَعَالَى). وَيُرْوَى مَوْقُوفًا: (إِنَّ الَّذِينَ لَا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ). وَقِيلَ: (إِنَّ المَلَكَ يَسْتَأْمِرُ الذَّاكِرَ فِي قَبْضِ رُوحِهِ).

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: (أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَيْنَ تَسْكُنُ؟، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فِي قَلْبِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ). (وَمَعْنَاهُ: سُكُونُ الذِّكْرِ فِي الْقَلْبِ، فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ سُكُونٍ وَحَرَكَةٍ وَحُلُولٍ، وَإِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ ذِكْرٍ وَتَحْصِيلٍ). كَذَا قَالَ الْقُشَيْرِيُّ.

قَالَ الْجُنَيْدُ: (سَمِعْتُ السَّرِيَّ، يَقُولُ: مَكْتُوبٌ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ، الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى عَبْدِي ذِكْرِي، عَشِقْتُهُ وَعَشَقَنِي). وقَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ، ذِكْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ، نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ، حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عِوَضًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ).

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قِيعَانًا، فَإِذَا أَخَذَ الذَّاكِرُونَ فِي الذِّكْرِ، أَخَذَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي غَرْسِ الْأَشْجَارِ، فَرُبَّمَا يَقِفُ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ، فيُقَالُ لَهُمْ: لِمَ وَقَفْتَ، فَيَقُولُ فَتَرَ صَاحِبِي).

وَقَالَ عَطَاءُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كَانَ مِنْ أَصْحَابِنَا رَجُلٌ، يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ اللَّهُ، فَوَقَعَ عَلَى رَأْسِهِ جِذْعٌ، فَانْشَقَّ رَأْسُهُ، وَسَقَطَ الدَّمُ عَلَى الْأَرْضِ، فَاكْتَتَبَ الدَّمُ عَلَى الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ).

قَالَ حَامِدُ الْأَسْوَدِ: (كُنْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ، فَجِئْنَا إِلَى مَوْضِعٍ بِهِ حَيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، فَوَضَعَ رَكْوَتَهُ، وَجَلَسَ وَجَلَسْتُ، فَلَمَّا بَرَدَ اللَّيْلُ، وَبَرَدَ الْهَوَاءُ، خَرَجَتِ الْحَيَّاتُ، فَصِحْتُ بِالشَّيْخِ، فَقَالَ: أَذْكُرِ اللَّهَ، فَذَكَرْتُ فَرَجَعْتُ، ثُمَّ عَادَتْ، فَصِحْتُ بِهِ. فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ أَزَلْ إِلَى الصَّبَاحِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، قَامَ وَمَشَى وَمَشَيْتُ مَعَهُ، فَسَقَطَتْ مِنْ وَطَئِهِ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، قَدْ تَطَوَّقَتْ بِهِ. فَقُلْتُ: مَا أَحْسَسْتَ بِهَا؟، فَقَالَ: لَا، مُنْذُ زَمَانٍ مَا بِتُّ لَيْلَةً أَطْيَبَ مِنْ لَيْلَةِ الْبَارِحَةِ).

فَالذِّكْرُ وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

فَصْلٌ: فِي فَضْلِ مَجْلِسِ الذِّكْرِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ

فَثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَثَرِ. فَالْكِتَابُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

وَالسُّنَّةُ، (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: البَيْتُ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، لَيُضِيءُ لأَهْلِ السَّماءِ، كَمَا تُضِيءُ النُّجومُ لأَهْلِ الأَرْضِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟. قَالَ: غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، الْجَنَّةُ الْجَنَّةُ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟، قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَفْضَلُ الرِّبَاطِ الصَّلَاةُ، وَلُزُومُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ، يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ، أَلْفَيْ أَلْفِ مَجْلِسٍ، مِنْ مَجَالِسِ السُّوءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ بُقْعَةٍ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ فِيهَا، إِلَاَّ اسْتَبْشَرَتْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَى مُنْتَهَاهَا مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ، وَإِلَاّ فَخُرَتْ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنْ بِقَاعِ الأَرْضِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ مِنَ الأَرْضِ، تَزَخْرَفَتْ لَهُ الأَرْضُ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟، قَالُوا: آللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا غَيْرُهُ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَقَلَّ حَدِيثًا مِنِّي،

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟. قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا مِنَ الْإِسْلَامِ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟. قَالُوا: آللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرَائِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَزَادَ رُزَيْنٌ، فَقَالَ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ، مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ).

وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَغَرِّ، قَالَ: (أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، إِلَاّ غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَئِنْ أَقْعُدْ مَعَ قَوْمٍ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَئِنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً).

هَذَا فَضْلُ الْمَجْلِسِ، وَالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا الْأَثَرُ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَيَتَرَاءَوْنَ بُيُوتَ أَهْلِ الْأَرْضِ، الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ). وَقَالَ دَاوُدُ، عَلَى نَبِيِّنَا، وعَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِلَهِي، إِذَا رَأَيْتَنِي أُجَاوِزُ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، إِلَى مَجَالِسِ الْغَافِلِينَ، فَاكْسِرْ رِجْلَيَّ دُونَهُمْ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَنعَّمَ بِهَا عليَّ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: أَرَاكُمْ هَهُنَا، وَمِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُقَسَّمُ فِي الْمَسْجِدِ، فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَتَرَكُوا السُّوقَ، فَلَمْ يَرَوْا مِيرَاثًا. فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا رَأَيْنَا مِيرَاثًا يُقَسَّمُ. قَالَ: فَمَاذَا رَأَيْتُمْ؟. فَقَالُوا: رَأَيْنَا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَذَلِكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ طَافَ بِأَهْلِ مَجْلِسٍ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَأَتَى حَلْقَةً يَذْكُرُونَ الدُّنْيَا، فَأَغْرَى بَيْنَهُمْ حَتَّى اقْتَتَلُوا، فَقَامَ أَهْلُ الذِّكْرِ، يَحْجِزُونَ بَيْنَهُمْ، فَتَفَرَّقُوا).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِذَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ وَالدُّنْيَا، فَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لِلدُّنْيَا: أَلَا تَرَيْنَ مَا يَصْنَعُونَ، فَتَقُولُ: دَعْهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا تَفَرَّقُوا، أَخَذْتُ بِأَعْنَاقِهِمْ إِلَيْكَ).

الْبَابُ الثَّالِثُ

فَضْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَأَسْمَائِهَا وَأَهْلِهَا

أَمَّا فَضْلُهَا فَقَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَثَر.

أَمَّا ثُبُوتُ ذَلِك بِالْكِتَابِ: فَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ، فِي سَبْعَةٍ وَثَلَاثِين مَوْضِعًا، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وَقَوْلُهُ: لَا إِلَهَ ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١- ٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا ثُبُوتُهُ بِالسُّنَّةِ: (فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَخَلتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ، مَكْتُوبًا ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ، بِالذَّهَبِ، السَّطرُ الأَوَّلُ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَّفْنَاهُ خَسِرْنَا، وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُذنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عُرَى الْإِسْلَامِ، وَقَوَاعِدُ الدِّينِ، ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ، مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ، حَلَالُ الدَّمِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: كَلِمَتَانِ إِحْدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ، دُونَ الْعَرْشِ، وَالْأُخْرَى تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي، عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا، تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا لَا تُوضَعُ فِي مِيزَانٍ، لِأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي مِيزَانٍ، من قَالَهَا صَادِقاً، وَوُضِعَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبعُ، وَمَا فِيهِنَّ، كَانَ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ، أَرْجَح مِنْ ذَلِكَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَقِّنِ الْمَوْتَى شَهَادَةَ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْمًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلْمَوتَى، فَكَيْفَ لِلْأَحْيَاءِ؟، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ، إِلَّا مَنْ أَبَى، وَشَرَدَ عَلَى اللَّهِ، كَشِرَادِ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ الَّذِي يَأْبَى؟. قَالَ: مَنْ لَمْ يَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا. إِنَّهَا كَلِمَةُ التَوْحِيدِ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فِي يَوْمِهِ، كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، أَصَابَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَضَرَ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلًا، فَنَظَرَ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ حَسَنَةً، ثُمَّ شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، ثُمَّ فَكَّ لِحْيَيْهِ، فَوَجَدَ طَرْفَ لِسَانِهِ لَاصِقًا بِحَنَكِهِ. يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ: وَجَبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، بِقَوْلِكَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا احْتُضِرَ الْمَيِّتُ فَلَقِّنُوهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ يُخْتَمُ لَهُ بِهَا عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلَّا كَانَتْ زَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: مَا قَالَ عَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلاّ اللّهُ، مُخْلِصاً، إِلاّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، حتى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِائَةَ مَرَّةٍ، إِلَّا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَلَمْ يُرْفَعْ لِأَحَدٍ يَوْمَئِذٍ، عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ، إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، أَوْ زَادَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَهُ وَبينَ اللهِ حجَابٌ، إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه، وَدُعَاءَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَدِّدُوا إِيمَانكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟. قَالَ: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالاسْتِغْفَارِ، فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ أَهْلَكَ النَّاس بِالذُّنُوبِ، فأهلكوه بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيَّ، أَلَّا يَأْتِيَنِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا يَخْلِطُ بِهَا شَيْئًا، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الَّذِي يُخْلَطُ بِهَا؟. قَالَ: حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَجَمْعًا لَهَا، وَمَنْعًا لَهَا، يَقُولُونَ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْجَبَابِرَةِ).

وَيُرْوَى عَنِ الْمَأْمُونِ، (لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ مَرْوَ، وَيُرِيدُ الْعِرَاقَ، وَاجْتَازَ بِنِيسَابُورَ، وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَقَالُوا: نَسْأَلُك بِحَقِّ قَرَابَتِك، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

أَنْ تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثٍ يَنْفَعُنَا، فَرَوَى عَنْ آبَائِهِ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي، أَمِنَ عَذَابِي).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

أَمَّا ثُبُوتُهُ بِالْأَثَرِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ، مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ).

وَرُوِيَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ: (أَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ، بِعَدَدِ كُلِّ كَافِرٍ وَكَافِرَةٍ، يُثْبِتُ لِلَّهِ ضِدًّا أَو نِدًّا أَوْ شَرِيكاً).

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْقُرْطُبِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (سَمِعتُ فِي بَعْضِ اَلْآثَارِ، أَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ فِدَاءٌ مِنَ النَّارِ، فَعَمِلَتْ عَلَى ذَلِكَ رَجَاء بَرَكَةِ اَلْوَعْدِ، فَعَمَلْتُ مِنْهَا لِأَهْلِي، وَعَمَلْتُ مِنْهَا أَعْمَالاً ادَّخَرتهَا لِنَفْسِي، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ يَبِيتُ مَعَنَا شَابٌّ، يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُكَاشِفُ، فِي بَعْضِ اَلْأَوْقَاتِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَكَانَتْ اَلْجَمَاعَةُ تَرَى لَهُ فَضْلاً، عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ، وَكَانَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ، فَكَانَ اتَّفَقَ أَنْ اسْتَدْعَانَا بَعْضَ اَلْإِخْوَانِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَنَحْنُ نَتَنَاوَلُ اَلطَّعَامُ، وَالشَّابُّ مَعَنَا إِذْ صَاحَ صَيْحَةً مُنْكَرَةً، وَاجْتَمَعَ فِي نَفْسِيّ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا عَمُّ، هَذِهِ أُمِّي فِي النَّارِ، وَهُوَ يَصِيحُ بِصِيَاحٍ عَظِيمٍ، لَا يَشُكُّ مَنْ سَمِعَهُ إِنَّهُ عَلَى أَمْرٍ، فَلَمَّا رَأَيْتَ مَا بِهِ مِنْ الانْزِعَاجِ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلْيَوْمُ أُجَرِّبُ صِدْقه، فَأَلْهَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى السَّبْعِينَ أَلْف، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلْأَثَرُ حَقًّا، وَالَّذِينَ رَوُوهُ لَنَا صَادِقُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّ اَلسَّبْعِينَ الْأَلْف فِدَاءُ هَذِهِ الْمَرْأَة، أُمّ هَذَا اَلشَّابّ، فَمَا اسْتَتَمَّتُ اَلْخَاطِر فِي نَفْسِي؛ إِلَّا أَنْ قَالَ: يَا عَمّ، هَا هِيَ أُخْرِجَتْ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَصَلَتْ لِي فَائِدَتَانِ، إِيمَانِي بِصِدْقِ اَلْأَثَرِ، وَسَلَامَتِي مِنَ الشَّابِّ، وَعِلْمِي بِصِدْقِهِ).

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ، عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، قَالَ: (إِذَا دَخَلَ أَهْلَ اَلْجَنَّةِ اَلْجَنَّةَ، سَمِعُوا أَشْجَارَهَا وَأَنْهَارَهَا، وَجَمِيع مَا فِيهَا، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كَلِمَةٌ كُنَّا نَغْفُلُ عَنْهَا فِي دَارِ اَلدُّنْيَا).

وَعَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، وَمَدَّهَا بِالتَّعْظِيمِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعَةِ آلَاف ذَنْبٍ مِنَ الْكَبَائِرِ، قِيلَ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ هَذِهِ اَلذُّنُوبِ؟. قَالَ: غَفَرَ لَهُ ذُنُوب أَبَوَيْهِ، وَأَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ).

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ اَلدَّقَّاقُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا فِي مَقَالَتِهِ، دَخَلَ اَلْجَنَّةَ فِي حَالَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، جَنَّةٌ فِي اَلْوَقْتِ، وَهِيَ جَنَّةُ اَلْمَعْرِفَةِ، وَجَنَّةٌ فِي الْعُقْبَى، وَهِيَ جَنَّةُ اَلْآخِرَةِ).

يَقُولُ اَلْفَقِيرُ، كَانَ اَللَّهُ لَهُ: والْأُولَى هِيَ اَلْمَقْصُودَةُ بِالذَّاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُلْطَانُ اَلْعَارِفِينَ، أَبُو يَزِيدٍ اَلْبَسْطَامِيُّ، رَحِمَهُ اَللَّهُ اَلْمَلِك اَلْمَجِيد: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا، لَوْ حَجَبَهُمْ فِي الْجَنَّةِ عَنْ رُؤْيَتِهِ، لَاسْتَغَاثُوا مِنَ الْجَنَّةِ، كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ). فَيَا لَهَا مِنْ جَنَّةٍ، مَا أَجْمَلهَا، وَهِيَ الَّتِي تُدَنْدِنُ حَوْلهَا، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقَوْلِهِ: (حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ).

وَهِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، عَلَى لِسَانِ نَبِيّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ).

وَقِيلَ: (إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَضْلٌ، كَفَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّ صَلَاتَهُمْ وَصِيَامَهُمْ يَشُوبهَا الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَة، وَصَدَقَاتَهُمْ يَشُوبهَا الْحَرَامُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، ذِكْر اَلْمُؤْمِنِ، لَا يَذْكُرُ اللَّه إِلَّا عَنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ).

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي [مِفْتَاحِ الْفَلَاحِ]: (كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ بِنَفْسِهَا، وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّاعَاتِ يَصْعَدُ بِهَا الْمَلَكُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]). قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْ الْعَمَلُ الصَّالِحُ تَرْفَعُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَجَمِيعُ الطَّاعَاتِ تَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَطَاعَةُ التَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ لَا تَزُولَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، حِكَايَةً عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

وَذَكَرَ عِيَاضٌ فِي [الْمَدَارِسِ]، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، (أَنَّهُ أَصَابَهُ شَيْءٌ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ، قَائِلاً يَقُولُ: قُلْ اسْمِ اللَّهِ اَلْأَكْبَرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَهَا، وَمَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَصْبَحَ مُعَافًى).

وَذَكَرَ ابْنُ الْفَاكِهَانِيّ: (إِنَّ مُلَازَمَةَ ذِكْرِهَا، عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، يَنْفِي اَلْفَقْر).

وَقَالَ بَعْضُ اَلْعُلَمَاءِ: (اسْمُ اللَّهِ اَلْأَعْظَمِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ فَضْلَ هَذِهِ الْكَلِمَة لَا يُحْصَى، وَفَضَائِلَهَا لَا تُسْتَقْصَى، وَلِذَلِكَ فَزِعَ إِلَيْهَا الْوَلِيّ وَالْعَدُوّ، وَعِنْدَ الْمِحْنَةِ وَالْمُصِيبَةِ. قَالَ تَعَالَى، حَاكِيًا عَنْ يُونُسَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا، وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ

آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]. وَلِهَذَا اخْتَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَارِفِينَ مُلَازَمَتها، فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَا يَفْتُرُ عَنْ ذَلِكَ لَيْلاً وَلَا نَهَارًا، وَبَعْضُهُمْ يَذْكُرهَا بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، سَبْعِينَ أَلْف مَرَّةٍ.

وَمِنَ الْجُمْلَةِ، فَفَضْلُهَا كَثْرَةُ أَسْمَائِهَا، إِذْ كَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى، وَقَدْ عَدَّ لَهَا ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ، تِسْعَة عَشَرَ اسْمًا، فَأَذْكُرُهَا مُلَخَّصَةٌ، فَأَقُولُ:

فَصْلٌ: فِي أَسْمَاءِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

الْأَوَّلُ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ: لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الشَّرِيكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ كَذَلِكَ.

وَالثَّانِي: كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ: لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا عَمَل الْقَلْبِ، وَهُوَ كَوْن الْإِنْسَان عَارِفًا بِقَلْبِهِ وَحْدَانِيَّة اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا الْإِنْسَان لِغَرَضٍ آخر، سِوَى طَاعَةِ اللَّهِ وَحُبِّهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَكَانَتْ إِخْلَاصًا لَا لِغَرَضٍ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، فَقَدْ يُؤْتَى بِهَا لِغَرَضٍ، كَالرِّيَاءِ لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَغَيْر ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: كَلِمَةُ الْإِحْسَانِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. قِيلَ: الْإِحْسَانُ فِي الدُّنْيَا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: هَلْ جَزَاء مَنْ أَتَى بِقَوْلِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، اجْعَلْهُ فِي حِمَايَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَحْسَنُوا﴾، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، لِأَنَّهُ إِنْ قَالَ ذَلِكَ وَمَاتَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]. اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي فَضِيلَةِ الْآذَانِ، لاشْتِمَالِهَا عَلَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]. وَأَحْسَنُ الْقَوْلِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. قِيلَ: الْعَدْلُ الإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، وَالإِحْسَانُ الإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَالَ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]. وَالْإِحْسَانُ قَوْلُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الرَّابِعُ: دَعْوَةُ الْحَقِّ: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]. وَالدَّعْوَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِهَا وَإِلَيْهَا، لَفْظاً أَوْ مَعْنًى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَإِضَافَةُ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى لِشَرَفِهَا، أَوْ لِلْحصْرِ، لِأَنَّهُ الدَّاعِيّ الْحَقِيقِي.

الْخَامِسُ: كَلِمَةُ الْعَدْلِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الْعَدْلُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِحْسَانُ الْقِيَامُ بِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ). وَقِيلَ: (الْعَدْلُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِحْسَانُ الْإِخْلَاصُ فِيهِ). وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

السَّادِسُ: الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]، أَيْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلاسْتِغْرَاقِ وَالْحَصْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ هَذَا هُوَ الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ لَا غَيْر، إِذْ طَيِّبُ الْغَيْرِ بِالشَّبهِ إِلَيْهِ كَلَا طَيِّب. وَمِنْ هُنَا قَالَ

بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (التَّصوُّفُ تَعْظِيمُ اللهِ تَعَالَى، وَاحْتِقَارُ مَا سِوَاهُ، أَيْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَنَابِ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ).

السَّابِعُ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا طَاهِرَةٌ مِنَ التَّشْبِيهِ وِالتَّعْطِيلِ.

الثَّامِنُ: الْقَوْلُ الثَّابِتُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَذْكُورَ وَالْمَعْلُومَ ثَابِتٌ، وَاجِبُ الثُّبُوتِ لِذَاتِهِ، مُمْتَنِعُ الْعَدَمِ لِذَاتِهِ، فَالْقَوْلُ كَذَلِكَ.

التَّاسِعُ: كَلِمَةُ التَّقْوَى: قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]. سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قَائِلَهَا اتَّقَى الْكُفْرَ، وَلِأَنَّهَا وَاقِيَةٌ لِلْبَدَنِ مِنَ السَّيْفِ، وَلِلْمَالِ مِنَ الْغَنْمِ، وَلِلْوَلَدِ عَنِ الْأَسْرِ، وَإِنْ انْضَافَ إِلَى الْقَوْلِ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ، وَقَتَهُ مِنَ الْكُفْرِ، فَإِنْ رُزِقَ التَّوْفِيقَ، كَانَتْ وَاقِيَةً لِجَوَارِحِهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَلِذَاتِهِ مِنَ النَّارِ).

الْعَاشِرُ: كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ: قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أَنَّهَا قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، لِقَوْلِهِ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. نَفَى الْإِلَهِيَّةَ عَنِ الْأَشْيَاءِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧]، فَكَانَ فِيهِ إِثْبَاتُ الْإِلَهِيَّةِ، لِلَّذِي فَطَرَهُ، وَمَجْمَعُ ذَلِكَ فِي (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الْحَادِي عَشَرَ: الاسْتِقَامَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وَهُوَ قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَقَوْلُهُمْ رَبُّنَا اللَّهُ،

إِقْرَارٌ بِوُجُودِ الرَّبّ تَعَالَى، ثُمَّ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ مَنْ أَثْبَتَ لَهُ نِدًّا وَشَرِيكًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَفَى ذَلِكَ، وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

الثَّانِي عَشَرَ: الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مُسْتَعْلِيَةٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ، وَمُسْتَعْلِيَةٌ عَلَى جَمِيعِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهَا تُزِيلُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ وَلَا يُزِيلُهَا ذَنْبٌ، وَتُرَجِّحُ الْكُلَّ، وَلَا يُرَجِّحُهَا شَيْءٌ، وَتُرَقِّي صَاحِبَهَا إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَتُورِثُ مُدَاوَمَتُهَا عِزَّةً وَرِفْعَةً، حَتَّى يَسْتَحْقِرَ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَبْقَى مَحْبُوبُهُ وَمَطْلُوبُهُ إِلَّا هُوَ، وَلَا خَوْفُهُ وَرَجَاهُ إِلَّا مِنْهُ، بَلْ لَا يَرَى سِوَاهُ، وَلَا يَشْهَدُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَأَعْظِمْ بِهَا كَلِمَةً، أَعْلَتْ وَاعْتَلَتْ وَأَرْقَتْ وَارْتَقَتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ.

الثَّالِثُ عَشَرَ: الْمَثَلُ الْأَعْلَى: مَعْنَاهُ قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَمَعْنَى الْمَثَلِ هُنَا الصِّفَةُ، كَذَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، أَيْ صِفَتُهَا.

الرَّابِعُ عَشَرَ: الْعَهْدُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الْخَامِسُ عَشَرَ: مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (هُوَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّ الشِّرْكَ سَبَبٌ لِفَسَادِ الْعَالَمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠- ٩١]، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ التَّوْحِيدُ عِمَارَةً، وَلَا تُفْتَحُ

أَبْوَابَ السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ، إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبْدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَبْوَاب الْجَنَّةِ لَا تُفْتَحُ إِلَّا بِهَذَا الْقَوْلِ، وَأَبْوَاب النِّيرَانِ لَا تُغْلَقُ إِلَّا بِهَذَا الْقَوْل، وَأَبْوَاب الْقَلْبِ لَا تُفْتَحُ إِلَّا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَنْوَاع الْوَسَاوِس لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِهَذَا الْقَوْلِ، فَهِيَ أَشْرَف مَقَالِيد اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَعَزّ مَفَاتِيح اَلْأَرْوَاحِ، وَالنُّفُوسِ وَالْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ).

السَّادِسُ عَشَرَ: كَلِمَةُ الْحَقِّ: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أَيْ قَوْلُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

السَّابِعُ عَشَرَ: الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يَعْنِي: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الثَّامِنُ عَشَر: كَلِمَةُ الصِّدْقِ: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣].

التَّاسِع عَشَر: كَلِمَةٌ سَوَاءٌ: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: هِيَ كَلِمَةُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وَهَذَا مُلَخَّصُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ ابْن عَطَاءِ اللَّهِ فِي أَسْمَائِهَا، وَلَا مَانِعَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِك.

فَصْلٌ: فِي فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفَضْلِ أَهْلِهَا

رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، أَيْ الَّذِينَ قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ). (قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْشَةٌ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَا فِي قُبُورِهِمْ، وَلا فِي مَنْشَرِهِمْ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ جَاءَ قَائِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، صَادِقًا، بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا، لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ كَفَّرَ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَهُوَ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَنْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ) الْحَدِيث.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَفْتَحُ اللهُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تَحتِ الْعَرْشِ: أَيَّتُهَا الْجَنَّةُ، وَكُلُّ مَا فِيكِ مِنَ النِّعَمِ، أَنْتِ لِمَنْ؟، فَتُنَادِي الْجَنَّة وَمَا فِيهَا: نَحنُ لِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَنَشْتَاقُ لِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا غلبنَا إِلَّا أَهْل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَنَحنُ مُحَرَّمُونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللهُ، وَعِنْدَ هَذَا تَقُولُ النَّارُ، وَكُلُّ مَا

فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ: لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَنْ كَذَّبَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَا حَرَامٌ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا أَمْتَلِئُ إِلَّا بِمَنْ جَحَدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ غَيْظِي إِلَّا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: فَتَجِيءُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَيَقُولَانِ: إِنَّا لِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَاصِرَانِ لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمُحِبَّانِ لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمُتَفَضِّلَانِ عَلَى مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَقُولَ اللَّهُ: أَبَحْتُ الْجَنَّةَ، لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَرَّمْتُ النَّارَ، عَلَى مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاغْفِرْ كُلَّ ذَنْبٍ، لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا أَحْجِبُ رَحْمَةَ وَلَا مَغْفِرَة، عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ، إِلَّا لِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تُخَالِطُوا أَهْل لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِلَّا بِمَا يُوَافِقُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ، وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَهُ الْجَنَّةُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟. -وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا-، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، رَغِمَ أَنْفَ أَبِي ذَرٍّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بِهَا رُوحُهُ، مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، إِلَّا فُتِقَتْ لَهَا السَّمَوَاتُ فَتْقًا، حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا).

وَفِي الْخَبَرِ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ: إِذَا سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَخِّرْ النَّفْخَةَ أَرْبَعِينَ سَنَة، إِكْرَامًا لِقَائِلِهَا). وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، قَالَ: (أَوْحَى اللَّهُ

إِلَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي التَّوْرَاةِ: لَوْلَا مَنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا».

وَفِي [كِتَابِ عَبْدِ الغَفُورِ]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ لِلَّهِ وَتَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ، بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اهْتَزَّ ذَلِكَ الْعَمُودُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ».

وَقَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَرَبِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِيَّاكَ وَمُعَادَاةِ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ الْوِلَايَةُ الْعَامَّةُ، فَهُمُ الْأَوْلِيَاءُ وَإِنْ أَخْطَؤُوا، وَجَاءُوا بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، لَقِيَهُمْ اللَّهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً، وَمِنْ ثَبَتَتْ وِلَايَتُهُ حَرُمَتْ مُحَارَبَتُهُ، وَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ جَزَاءهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُطْلِعْكَ اللَّهُ عَلَى عَدَاوَتِهِ لِلَّهِ، فَلَا تَتَّخِذهُ عَدُوًّا، فَأَقَلّ أَحْوَالك إِذَا جَهِلْتَهُ، أَنْ تُهْمِلَ أَمْرَهُ، فَإِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ، وَلَيْسَ إِلَّا الشِّرْك، فَتَبَرَّأَ مِنْهُ، كَمَا فَعَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيل، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي حَقِّ أَبِيهِ آزر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. هَذَا مِيزَانُكَ».

وَهَذَا بَعْضُ فَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمِنْ فَضْلِهَا أَيْضًا، مَا يُحْكَى: «أَنَّ رَجُلاً كَانَ وَاقِفًا بِعَرَفَاتٍ، وَكَانَ بِيَدِهِ سَبْعَة أَحْجَارٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَحْجَار السَّبْعَة، أَشْهَدُوا لِي، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّهِ، فَنَامَ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ: أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَحُوسِبَ ذَلِكَ الرَّجُل، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّار، فَلَمَّا سَاقُوا بِهِ إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، جَاءَ حَجَرٌ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَار السَّبْعَةِ، وَأَلْقَتْ نَفْسهَا عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ، وَاجْتَمَعَتْ مَلَائِكَة الْعَذَابِ عَلَى رَفْعِهَا، فَلَمْ

يَقْدرُوا، ثُمَّ سِيقَ إِلَى الْبَابِ الثَّانِي، فكَانَ الْأَمْرُ كَمَا فِي الْأَوَّلِ، وَكَذَا الْأَبْوَاب السَّبْعَة، فَسِيقَ بِهِ إِلَى الْعَرْشِ، فقَال اللَّهُ سُبْحَانهُ وَتعَالَى: عَبْدِي أَشْهَدَتْ الْأَحْجَار فَلَا يَضِيعُ حَقّكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى شَهَادَتِك عَلَى تَوْحِيدِي، وَفَتَحتْ أَبْوَاب الْجَنَّةِ، فَلَمَّا قَرُبَ الرَّجُل مِنْ بَابِ الْجنَانِ، فَإِذَا أَبْوَاب الْجَنَّة مُغْلَقَةٌ، فَجَاءَتْ شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفَتَحتْ الْأَبْوَابُ، وَدَخَلَ الرَّجُلُ).

وَذُكِرَ (أَنَّ الْمَاءَ زَادَ فِي بَغْدَادَ، حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَى الْغَرَقِ، فَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: رَأَيْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، كَأَنِّي وَاقِفٌ عَلَى طَرَفِ الدِّجْلَةِ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، غَرِقَتْ بَغْدَاد، فَجَاءَ إِنْسَانٌ حَسَنِ الصُّورَةِ، وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ مَلَكٌ، وَجَاءَ مَلَكٌ آخَرَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى. فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلْآخَرِ: مَا الَّذِي أُمِرْتَ بِهِ؟، قَالَ: أُمِرْتُ بِتَغْرِيقِ بَغْدَاد، ثُمَّ نُهِيتُ عَنْهَا، قَالَ: وَلِمَ؟، قَالَ: رَفَعَتْ مَلَائِكَة اللَّيْلِ الْبَارِحَة: افْتُضَّ فِي بَغْدَادَ سَبْعمِائَة فَرْج حَرَام، فَغَضِبَ اللَّهُ، وَأَمَرَنِي بِتَغْرِيقهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ مَلَائِكَة النَّهَارِ فِي صَبِيحَةِ هَذَا الْيَوْم، بِسَبْعمِائَةِ آذَان وَإِقَامَة، فَغَفَرَ اللَّهُ لِهَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ. قَالَ صَاحِبُ الرُّؤْيَا: فَانْتَبَهْتُ وَجِئْتُ إِلَى دِجْلَةَ، فَإِذَا الْمَاء قَدْ نَقَصَ، وَذَاكَ لِمَا فِي الْآذَانِ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ). اهـ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اثْنَي عَشَرَ حَرْفًا، فَلَا جَرَمَ وَجَبَ بِهِ اثْنَي عَشر فَرِيضَة، سِتَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَسِتَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَالْفَرَائِضُ الظَّاهِرَةُ: الطَّهَارَةُ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصِّيَام، وَالْحَجُّ، وَالْجِهَادُ. وَالْفَرَائِضُ الْبَاطِنَةُ: التَّوَكُّلُ، وَالتَّفْوِيضُ، وَالصَّبْرُ، وَالرِّضَا، وَالزُّهْدُ، وَالتَّوْبَةُ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُول اللَّهِ، أَرْبَعَة وَعِشْرُون حَرْفًا، وَسَاعَات اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَذَلِك، فَكَأَنَّهُ قِيلَ كُلّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ مِنَ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ،

وَالسِّرّ وَالْعَلَانِيَة، وَالْخطَأ وَالْعَمْدِ، وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَهُوَ مَغْفُورٌ، فَهَذِهِ الْحُرُوف وَالْكَلِمَات).

وَأَيْضًا (قَوْل لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، سَبْعُ كَلِمَاتٍ، وَلِلْعَبْدِ سَبْعَةُ أَعْضَاءٍ، وَلِلنَّارِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، فَكُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ السَّبْعَةِ، تُغْلِقُ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ، عَنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ).

قَالَ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَأَيْضًا أَنْفَاسُ الشَّخْصِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَفَسٍ، فَإِذَا قَالَهَا مَرَّةً، عَادَتْ بَرَكَةُ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا، عَلَى أَلْفِ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ، فَصَارَتْ كُلُّهَا مُبَارَكَةٌ، كَأَنَّ اَلتَّوْحِيد مُتَجَدِّدٌ فِي كُلِّ نَفَسٍ مِنْهَا، وَهَكَذَا لِتَسْتَغْرِقَ الْعُمْر، إِذْ لَا يَخْلُو عَادَةً كُلّ فَرْدٍ مِنْهَا، مِنْ مَرَّةٍ فِيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

(تَتِمَّةٌ): حَدِيثُ ذِكْرِ فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَأَهْلِها:

فَلَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا، لِيَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْفَضْل السَّابِق، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْمَعْنَى لَا اللَّفْظَ، إِذْ الْأَلْفَاظُ أَصْدَافٌ، وَالْمَعَانِي جَوَاهِرُهَا، وَالْحُرُوف وَسَائِلُ، وَالْمَعَانِيَ مَقَاصِدُهَا.

فَأَقُولُ: ذَكَرَ الْعَارِفُونَ لَهَا مَعَانٍ كَثِيرَةٌ. فَمِنْهَا: قَوْلُ سَيِّدُنَا عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا نَافِعَ، وَلَا ضَارَّ، وَلَا مُعِزَّ وَلَا مُذِلَّ، وَلَا مُعْطِيَ وَلَا مَانِعَ، إِلَّا اَللَّهُ).

وَمِنْهَا: لَا إِلَهَ يُرْجَى فَضْلَهُ، وَيُخَافُ عَذَابَهُ، وَيُؤْمَنُ جَوْرَهُ، وَيُؤْكَلُ رِزْقَهُ، وَيُنْزَلُ أَمْرَهُ، وَيُسْأَلُ عَفْوَهُ، وَيُرْتَكَبُ نَهْيَهُ، وَلَا يُحْرَمُ فَضْلَهُ، إِلَّا اللَّهُ).

وَمِنْهَا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ، بِلِسَانِ الْحَمْدِ وَالتَّشْهِيدِ، إِلَى الْمَلِكِ الْمَجِيدِ. وَمِنْهَا: لَا إِلَهَ لِلْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْبَقَاءِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالثَّنَاءِ، وَالسَّخَطِ، وَالرِّضَا، إِلَّا اللَّهُ، اَلَّذِي هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَخَالِقُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَدَيَّانُ يَوْمِ الدِّينِ.

وَمِنْهَا: قَوْلُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): أَيْ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ. وَمِنْهَا: قَوْلُ الْمُحِبِّينَ فِي ذَلِكَ: أَيْ لَا مَحْبُوبَ وَمَقْصُودَ إِلَّا اللَّهُ. وَمِنْهَا: قَوْلُ بَعْضِ كُمَّلِ الْعَارِفِينَ: أَيْ لَا مَشْهُودَ، وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ.

وَالَّذِي أَلْهَمَهُ اللَّهُ لِلْفَقِيرِ الْحَقِيرِ، أَنَّ مَعْنَاهَا يَتَفَاوَتُ حَالَ قَارِئِهَا، فَإِنْ كَانَ مُبْتَدِئًا، فَمَعْنَاهَا لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ، قَدِيمٌ، بَاقِيٌّ، قَيُّومٌ، وَاحِدٌ، مُنَزَّهٌ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمُحْدَثَاتِ، إِلَّا الْحَيُّ، الْعَلِيمُ، الْقَادِرُ، الْمُرِيدُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْمُتَكَلِّمُ، الَّذِي يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ضِدّ هَذِهِ الصِّفَات، وَيَجُوزُ مِنْ جَانِبِهِ مَا أَمْكَنَ بِإِعْدَامٍ وَإِثْبَاتٍ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: أَيْ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنْ كَانَ مُتَوَسِّطًا، فَمَعْنَاهَا فِي حَقِّهِ لَا مَحْبُوبَ، وَلَا مَرْغُوبَ، وَلَا مَطْلُوبَ، إِلَّا اللَّهُ، الرَّحِيمُ، الْكَرِيمُ، اللَّطِيفُ، الرَّءُوفُ، الْعَفْو، الْحَلِيمُ، وَإِنْ كَانَ مُنْتَهِيًا، فَمَعْنَاهَا فِي حَقِّهِ لَا مَشْهُودَ، وَلَا مَوْجُودَ، إِلَّا الْعَظِيمُ، الْمَقْصُودُ الْكَبِيرُ، الْمَعْبُودُ.

(تَنْبِيهٌ): إِذَا عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ فَضْلَ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعِظَمَ فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَعَلَيْكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، سِيَّمَا بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَكَيْفَ لَا تُكْثِرُ بِذَلِكَ، بِمَا عَلَّمَكَ بِمَا وَرَدَ هُنَالِكَ، وَأَيُّ شَخْصٍ يَسْمَعُ هَذِهِ الْفَضَائِلَ وَالْخَيْرَاتَ، وَيَتْرُكُهَا مَيْلاً لِلشَّهَوَاتِ الْخَسِيسَةِ وَاللَّذَاتِ، أُنْسًا بِالْخَيَالَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالنُّزْهَاتِ، مَا ذَاكَ إِلَّا مِنَ الْمَحْرُومِينَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنَ الْمَقْطُوعِينَ، إِذْ لَوْ فَتَحَ

اللَّهُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ، لَجَعَلَ ذِكْرَهُ دَيْدَنًا لَهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَلَوْ رُزِقَ حُبَّهُ وَمَوَدَّتَهُ، لَآثَرَ ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَمَنْ وَدَّ شَيْئًا أَدَامَ لِطَاعَتِهِ، فَكَيْفَ يَا مَغْرُورُ، هَلْ لَا يُحَبُّ الْغَفُورَ، أَمْ لَا يُطَاعُ الشَّكُورَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا نُفُورًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا جُسُورًا وَتَغَافُلاً أَوْ قُصُورًا، قَدْ عَمِيَتْ عَيْنُكَ عِنْدَ رُؤْيَةِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، وَصُمَّتْ أُذُنُكَ عَنْ سَمَاعِ هَذِهِ الْفَوَاضِلِ، وَضَلَّتْ بَصِيرَتُكَ عَنْ مَعْرِفَةِ تِلْكَ اَلكَوَامِلِ، فَتَيَقَّظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَهَوَاكَ، وَلَازِمْ ذِكْرَ مَوْلَاكَ، لِتَحْظَى بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّجَاةِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَتَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَتَكُونُ أَنِيسُهُ وَجَلِيسُهُ وَهَوَاهُ، وَلَكِنْ لِذَلِكَ آدَابٌ نَذْكُرُهَا فِي ذَا الْبَابِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ
فِي آدَابِ الذِّكْرِ وَمُحَرَّمَاتِهِ وَمَكْرُوهَاتِهِ
فَصْلٌ: فِي آدَابِ الذِّكْرِ

أَمَّا آدَابُهُ: فَقَالَ الشَّيْخُ الْعَارِفُ، عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي رِسَالَةِ [الْأَنْوَارِ الْقُدُسِيَّة]: (وَلِقَوَاعِدِ الْأَشْيَاخِ لِلذِّكْرِ أَلْف أَدَبٍ، ثُمَّ قَالُوا: وَيَجْمَعُ هَذِهِ الْآدَابَ عِشْرُون أَدَبًا، مَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِهَا، فَبَعِيدٌ عَلَيْهِ الفَتْحُ، خَمْسَةٌ مِنْهَا سَابِقَةٌ عَلَى الذِّكْرِ، وَاثْنَا عَشَرَ حَالَ الذِّكْرِ، وَثَلَاثَةٌ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الذِّكْرِ.

فَأَمَّا السَّابِقَةُ: فَأَوَّلُهَا: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: وَهِيَ أَنْ يَتُوبَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَعْنِيهِ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ إِرَادَةٍ. وَكَانَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيّ، يَقُولُ: (مَنْ ادَّعَى التَّوْبَةَ، وَهُوَ يَمِيلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّة، فَهُوَ كَاذِبٌ.

الثَّانِي: الْغُسْلُ وَالْوُضُوءُ: كُلَّمَا أَرَادَ الذِّكْرَ، وَعَطَّرَ ثِيَابَهُ وَفَمَهُ بِالْبَخُورِ وَالْمَاوَرْدِ.

الثَّالِثُ: السُّكُوتُ وَالسُّكُونُ: لِيَحْصُلَ لَهُ الصِّدْق فِي الذِّكْرِ، وَذَلِك بِأَنْ يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ لِلَّهِ، بِالْفِكْرِ دُونَ اللَّفْظِ، حَتَّى لَا يَبْقَى خَاطِرٌ مَعَ اللَّهِ، ثُمّ يُوَافِقَ اللِّسَانُ الْقَلْب، بِقَوْلِهِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، يَفْعَلُ ذَلِك كُلَّمَا أَرَادَ الذِّكْرَ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَسْتَمِدَّ الذِّكْر بِهِمَّةٍ: أَنْ يَسْتَمِدَّ عِنْدَ شُرُوعِهِ فِي الذِّكْرِ بِهِمَّةِ شَيْخِهِ، بِأَنْ يُشْخِصَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَيَسْتَمِدَّ مِنْهُ هِمَّتهُ، لِيَكُونَ رَفِيقُهُ فِي السَّيْرِ.

الْخَامِسُ: الاسْتِمْدادُ مِنَ الشَّيْخِ: أَنْ يَرَى اسْتِمْدَادهُ مِنْ شَيْخِهِ، هُوَ اسْتِمْدَادُهُ حَقِيقَةً مِنْ حَضرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ.

أَمَّا الِاثْنَى عَشر الَّتِي حَالَ الذِّكْرِ، فَهِيَ:

الْأَوَّل: الْجُلُوسُ عَلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ، كَجُلُوسِهِ فِي الصَّلَاةِ، فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ.

الثَّانِي: أَنْ يَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَاسْتَحَبُّوا جُلُوسَهُ لِلْقِبْلَةِ، إِنْ كَانَ يَذْكُرُ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً تَحَلَّقُوا.

الثَّالِثُ: تَطْيِيبُ مَجْلِسِ الذِّكْرِ بِالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ مَلْبَسُهُ حَلَالاً.

الْخَامِسُ: اخْتِيَارُ الْمُظْلِمِ مِنَ الْخَلْوَةِ.

السَّادِسُ: تَغْمِيضُ العَيْنَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ الذَّاكِرَ إِذَا غَمَّضَ عَيْنَيْهِ، تَنْسَدُّ عَلَيْهِ طُرُقُ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، شَيْئا فَشَيْئًا، وَسَدُّهَا يَكُونُ سَبَباً لِفَتْحِ حَوَاسِّ الْقَلْبِ.

السَّابِعُ: أَنْ يَتَخَيَّلَ الشَّخْصُ شَيْخَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، مَا دَامَ فِي الذِّكْرِ، وَهَذِهِ عِنْدَهُمْ مِنْ أَوْكَدِ الْآدَابِ، لِأَنَّ الْمُرِيدَ يَرْقَى مِنْهُ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ، وَالْمُرَاقَبَةِ لَهُ.

الثَّامِنُ: الصِّدْقُ فِي الذِّكْرِ، بِأَنْ يَسْتَوِي عِنْدهُ السِّرّ وَالْعَلَانِيَة فِيهِ.

التَّاسِعُ: الصِّدْقُ فِي الذِّكْرِ، وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، وَبِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ.

الْعَاشِرُ: أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الذِّكْرِ لَفْظَةَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَإِنَّ لَهَا أَثَراً عَظِيمًا عِنْدَ الْقَوْمِ، لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْأَذْكَارِ، فَإِنْ فَنِيَتْ شَهَوَاتُهُ وَهُوِيَّتُهُ، فَحِينَئِذٍ يَصْلِحُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ فَقَطْ، مِنْ غَيْرِ نَفْيٍ، مَا دَامَ يَشْهَدُ شَيْئاً مِنَ الْأَكْوَانِ، فَذِكْرُ اللَّهِ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِم فِي اصْطِلَاحِهِمْ.

الْحَادِي عَشَرَ: إِحْضَارُ مَعْنَى الذِّكْرِ بِقَلْبِهِ، عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَةِ الْمُشَاهِدِ فِي الذَّاكِرِينَ، بِشَرْطِ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى شَيْخِهِ كُلِّ شَيْءٍ، يَتَرَقَّى عَلَيْهِ مِنَ الْأَذْوَاقِ، لِيُعَلِّمَهُ طَرِيقَ الْأَدَبِ فِيهِ.

الثَّانِي عَشَر: تَفَرُّغُ الْقَلْبِ عَنْ كُلِّ مَوْجُودٍ حَالَ الذِّكْرِ، سِوَى بِقَلْبِهِ، (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه)، فَإِنَّ الْحَقَّ غَيُورٌ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى فِي قَلْبِ الذَّاكِرِ غَيْرهُ، إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلشَّيْخِ مَدْخَلاً عَظِيمًا فِي تَأْدِيبِ الْمُرِيدِ، مَا صَاغَ لِلْمُرِيدِ أَنْ يُخَيِّلَ شَيْخَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فِي قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا شَرَطُوا نَفْي كُلِّ مَوْجُودٍ فِي الْكَوْنِ مِنَ الْقَلْبِ، لِيَتَمَكَّنَ لَهُمْ تَأْثِير (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه)، بِالْقَلْبِ، فَصَادَفَ قَلْبَاً فَارِغًا فَتَمَكَّنَ.

وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُرِيدِ الْجَهْرَ بِالذِّكْرِ، بِقُوَّةٍ تَامَّةٍ، وَإِنْ ذَكَرَ السِّرَّ وَالْهُوَيْنَةَ لَا يُفِيدُهُ رُقِيًّا، وَقَالُوا: وَيَجِبُ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِ سُرْعَةِ الْفَتْحِ، أَنْ يُصْعِدَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، مِنْ فَوْقِ السُّرَّةِ مِنَ النَّفسِ، الَّتِي بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ، وَيُوصِلُ إِلَى (اللَّه) بِالْقَلْبِ اللَّحْمِي، الْكَائِنِ بَيْنَ عَظْمِ الصَّدْرِ وَالْمَعِدَةِ، وَيُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ الْمَعْنَوِيّ فِيهِ.

قَالُوا: وَيَكُونُ الْجَهْرُ فِي الذِّكْرِ بِرِفْقٍ، خَوْفاً أَنْ يَسْرِي لَهُ فِتَاقٌ فِي بَطْنِهِ، فَيُعَطِّلَ جَهْرهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقَالُوا: وَلْيَحْذَرْ الذَّاكِرُ مِنَ اللَّحْنِ، بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَإِنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَمُدُّ عَلَى اللَّامِ النَّفْي مِقْدَار الْحَاجَةِ، وَيُحَقِّقُ الْهَمْزَةَ الْمَكْسُورَةَ بَعْدَهَا، وَلَا يَمُدُّ عَلَيْهَا أَصْلاً، وَيَمُدُّ عَلَى اللَّامِ الَّتِي بَعْدهَا مَدًّاً طَبِيعِياً، وَيَنْطِق بِالْهَاءِ بَعْدهَا مَفْتُوحَةً، بِغَيْر مَدٍّ بِالْكُلِّيَّةِ، ثُمَّ يَنْطِقُ بِالْهَمْزَةِ فِي حَرْفِ الاسْتِثْنَاءِ، مَكْسُورَة

مُحقَّقة بِغيْرِ مَدٍّ، وَلا يَمُدُّ عَلى اللامِ الألف بَعدها مَدّاً، ثُمَّ يَنْطِق بِالْجَلَالَةِ، فَيَمُدُّ عَلَى اللَّامِ، وَيَقِف عَلَى حَرْفِ الْهَاءِ، بِالسُّكُونِ إِنْ وَقَف.

قَالَ سَيِّدِي يُوسُفُ الْعَجَمِيُّ: مَا ذَكَرهُ مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ، مَحَلّهُ فِي الذِّكْرِ الْوَاعِي الْمُخْتَار، وَأَمَّا الْمَسْلُوبُ الاخْتِيَار، فَهُوَ مَعَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ، فَقَدْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ: (اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ)، أَوْ (هُوَ هُوَ هُوَ)، أَوْ (لَا لَا لَا)، أَوْ (آهْ آهْ آهْ)، أَوْ (عَأْ عَأْ عَأْ)، أَوْ (ا ا ا)، أَوْ (هـ هـ هـ)، أَوْ (لَا لَا لَا)، أَوْ (هَا هَا هَا)، أَوْ صَوْتُ بِغَيْرِ حَرْفٍ، أَوْ تَخْبِيطٍ، وَأَدَبُهُ عِنْدَ ذَلِكَ التَّسْلِيمُ لِلْوَارِدِ، فَإِذَا انْقَضَى الْوَارِدُ، فَأَدَبُهُ السُّكُونُ مِنْ غَيْرِ تَفَعُّلٍ.

قَالُوا: وَهَذِهِ الْآدَابُ تَلْزَمُ الذَّاكِرَ بِاللِّسَانِ، أَمَّا الذَّاكِرُ بِقَلْبِهِ فَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أَقُولُ: هَذَا مَنْ طَرِيقِهِ الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ السَّادَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَنَحوِهِمْ، فَيَلْزَمُ أَكْثَرُهَا.

أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي بَعْدَ الذِّكْرِ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يَسْكُتَ بَعْدَ سُكُوتِهِ، وَيَخْشَعَ وَيَحْضُرَ مَعَ قَلْبِهِ، مُتَرَقِّبًا لِوَارِدِ الذِّكْرِ، فَلَعَلَّهُ يَرِدُ عَلَيْهِ وَارِدٌ، فَيُعَمِّرَ وُجُودَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَكْثَر مِمَّا تُعَمِّرُهُ الْمُجَاهَدَةُ، وَالرِّيَاضَةُ، مُدَّة ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَرُبَّمَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدُ الزُّهْدِ، فَيَصِيرَ زَاهِدًا، أَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ تَحَمُّلُ الْأَذَى فَيَصِيرَ صَابِرًا، أَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، فَيَصِيرَ خَائِفًا. وَهَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَلِهَذِهِ السَّكْتَةُ آدَابٌ: أَحَدُهَا اسْتِحْضَارُ الْعَبْدِ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثَانِيهَا: جَمْعُ الْحَوَاسِّ، بِحَيْثُ لَا تَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَعْرَةٌ، كَحَالِ الْحرَّة اصْطِيَاد الْفَأْرِ، وَإِجْرَاءُ مَعْنَى اللهِ اللَّهَ عَلَى الْقَلْبِ. قَالَ: وَهَذِهِ الْآدَابُ لَا يُثْمِرُ لِلذِّكْرِ الْمُرَاقَبَة إِلَّا بِهَا.

ثَانِيهَا: أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ وَنَفَسَهُ مِرَارًا، بِقَدْرِ ثَلَاثَة أَنْفَاسٍ إِلَى سَبْعَةِ أَنْفَاسٍ وَأَكْثَر، حَتَّى يَدُورَ الْوَارِدُ فِي جَمِيعِ عَوَالِمِهِ، فَيُنَوِّرَ بَصِيرَتَهُ، وَيَقْطَعُ عَنْهُ خَوَاطِرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَيُكْشَفَ عَنْهُ الْحُجُبَ، وَهَذَا كَالْجَمْعِ عَلَى وُجُوبِهِ عِنْدَهُمْ.

ثَالِثُهَا: مَنْعُ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ، عَقِبَ الذِّكْرِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ يُورِثُ حُرْقَةً وَهَيْجَانًا، وَشَوْقًا إِلَى الْمَذْكُورِ، الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ الْأَعْظَمُ مِنَ الذِّكْرِ، وَشُرْبُ الْمَاءِ يُطْفِئ تِلْكَ الْحَرَارَةَ.

فَلْيَحرِصِ الذَّاكِرُ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ آدَابٍ، فَإِنَّ نَتِيجَةَ الذِّكْرِ إِنَّمَا تَظْهَرُ بِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). اهـ. كَلَامُ الشَّعْرَانِيِّ.

وَقَالَ سَيِّدِي مُحَمَّدُ السَّنُوسِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلْيَتَحَرَّى الْخَلْوَةَ، وَالانْفِرَادَ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ، وَيَقْصِدُ الْأَزْمِنَةَ الْمُشَرَّفَةَ، كَمَا بَيْنَ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِهَا، أَوْ مَا يَتَمَكَّنَ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالسَّحَرِ، وَيَفْتَحُ وِرْدَهُ بِالاسْتِغْفَارِ، وَلَوْ مَرَّةً، لِيَغْسِلَ بَاطِنَهُ مِنْ أَدْرَانِ الْمَعَاصِي، لِيَتَهَيَّأ لِحلْيَتِهِ، بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ أَنْوَارِ بَقِيَّةِ أَوْرَادِهِ.

ثُمَّ يَتْبَعُ إِثْرَ ذَلِكَ صَلَاة عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ خَمْسَمِائَةِ مَرَّةٍ، لِيَسْتَنِيرَ بِهَا بَاطِنَهُ، وَيَتَهَيَّأ لِحَمْلِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّ التَّهْلِيلِ، وَلْيَقْصِدَ بِذَلِكَ كُلِّهِ امْتِثَالَ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَطَلَبَ رِضَاهُ، وَالَّذِي يُعِينُهُ عَلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ،

وَقصدِ الْقُرْبَةِ بِهذِهِ الأَذْكَار، مِنْهَا أَنْ يَذْكُرَ عَلَى قَلْبِهِ أَمرَ مَوْلَانَا جَلَّ وعَلَا، بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، يَسْتَشْعِرُ قَلْبَهُ هَيْبَةَ الْأَمْرِ، بِمَعْرِفَةِ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ.

وَكَيْفِيَّة ذَلِك عَلَى الْقَلْبِ، أَنْ يَتَعَوَّذَ أَوّلاً بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، قَاصِدًا لِتِلَاوَتِه، لِقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. ثُمَّ لِيَتْلُو إِثْر ذَلِكَ التَّعَوُّذ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ تِلَاوَةِ هَذِهِ الآيَةِ، اسْتَشْعَرَ الْقَلْبُ عِنْدَ ذَلِك خِطَابَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، جَلَّ جَلَالُهُ، فَطَلَبَهُ مِنَ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْحَقِيرِ، الاسْتِغْفَار، وَالْمَلْجَأ إِلَى مَوْلَانَا الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، فَذَاب عِنْدَ ذَلِك مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، وَاحْتَقَرَ نَفْسَهُ إِذْ لَمْ يَرَهَا أَهْلاً لِخِطَابِ لِمَنْ أَوْجَدَ الْكَائِنَات، وَافْتَقَرَ جَمِيعُهَا إِلَيْه، وَهُوَ الْغَنِيُّ بِالْإِطْلَاقِ، ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَعِنْدَ ذَلِك يُبَادِرُ بِلِسَانِه، وَهُوَ يَرْعَدُ مِنْ شِدَّةِ الْهَيْبَةِ وَالخَجَلِ وَالتَّعْظِيمِ، قَائِلاً: لَبَّيْك وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْك، وَهَذَا عَبْدُكَ الذَّلِيلُ الضَّعِيفُ الْحَقِيرُ، عَلَيْك مُعَوّلٌ، فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِه، يَقُولُ بِتَوْفِيقِك، امْتِثَالاً لِأَمْرِك، مُسْتَعِينًا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ يَا مَوْلَايَ، وَأَتُوبُ إِلَيْك مِنْ جَمِيعِ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، وَهَفَوَاتِ الْخَوَاطِرِ)، وَنَحْو ذَلِك مِنْ عِبَارَاتِ الاسْتِغْفَارِ، وَلْيَخْتَرْ مِنْهَا مَا يَرَاهُ، فَهُوَ قَوِيُّ التَّأْثِير فِي بَاطِنِه.

ثُمَّ يَتَمَادَى حَتَّى يُتِمَّ وِرْدَهُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، فَإِذَا أَتَمَّهُ حمِدَ اللَّهَ ثَلَاثاً، أَوْ سَبْعًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِك، مُسْتَحْضِرًا قَدْرَ النِّعْمَةِ، عَلَى مَا وَفَّقَهُ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ لِبَدْئِهَا

وَتَمَامِهَا، حَتَّى غَسَلَ مِنَ الْقَلْبِ أَدْرَانَهُ، وَكَشَفَ عَنْهُ دُخَانَ الذَّنْبِ وَرَانَهُ، الَّذِي يَقُولُ فِي هَيْئَةِ ذَلِكَ: (الْحَمْدُ للهِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ مِنَ اللهِ، أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، وَالْحَمْدُ للهِ، الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ).

ثُمَّ يَشْرَعُ إِثْرَ ذَلِكَ فِي التَّعَوُّذِ عَلَى مَا سَبَقَ، وَلِيَتْلُو عَلَى إِثْرِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَحْضِرُ الْقَلْبُ عَظِيمَ شَرَفِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ حَازَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً لَا يُمْكِنُ أَنْ تُلْحَقَ، إِذْ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَلَالِ، يُخْبِرُ أَنَّهُ يُصَلِّي بِنَفْسِهِ عَلَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَا مَلَائِكَتُهُ الْكِرَامِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالشَّرَفِ، يَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَفْرَحُ عِنْدَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْفَقِيرُ، إِذَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، بِأَنْ أَدْخَلَهُ بِهَذَا الْخِطَابِ الْجَسِيمِ، وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فِي رَوْضَةِ التَّقْرِيبِ؛ عَلَى حَبِيبِهِ وَأَفْضَلِ خَلْقِهِ عِنْدَهُ، عَلَيْهِ مِنْ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا، أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ.

فَحِينَئِذٍ يُبَادِرُ بِلِسَانِهِ، وَهُوَ يَبْتَهِجُ فَرَحًا، لِعَظِيمِ فَضْلِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ، إِذْ فَتَحَ لَهُ بَابَ التَّوَصُّلِ إِلَى عَظِيمِ الْوَسَائِلِ عِنْدَهُ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ مُجِيبًا لِهَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ: (لَبَّيْكَ مَوْلَانَا وَسَعْدَيْك، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ)، وَهَا هُوَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ، رَاكِنٌ لِمَنِيعِ جَنَابِكَ، مُتَوَسِّلاً إِلَيْكَ بِأَفْضَلِ أَحْبَابِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ مُمْتَثِلاً لِأَمْرِكَ، مُسْتَعِينًا بِكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، رَسُولِكَ وَخَلِيلِكَ، صَلَاةً أَرْقَى بِهَا مَرَاقِي الْإِخْلَاصِ، وَأَنَالُ بِهَا غَايَةَ الِاخْتِصَاصِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ)، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَيْفِيَّاتِ التَّصْلِيَةِ، الَّتِي تَلِيقُ بِحَالِهِ.

ثُمّ يَتَمَادَى عَلَى ذَلِكَ، مُسْتَحْضِرًا لِصُورَتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي لَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِثْلاً لَهَا فِي الْجَمَالِ، مُسْتَشْعِرًا عَظِيمَ حُرْمَتِهِ عِنْدَ الْعَلِيِّ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، ذَاكِرًا عَظِيمَ شَفَقَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَشِدَّةَ اهْتِمَامِهِ بِهِمْ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّعْيِ فِي مَرَاشِدِهِمْ وَإِنْقَاذِهِم مِنْ كُلِّ هَمٍّ دُنْيَا وَأُخْرَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، تَتَرَبَّى بِذَلِكَ عَظِيمُ مَحَبَّتِهِ فِي قَلْبِهِ، وَتَتَشَعْشَعُ أَنْوَارُ حُسْنِ الاتِّبَاعِ فِي ظَاهِرِهِ وَلُبِّهِ.

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ وِرْدِهِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَمِدَ اللَّهَ أَيْضًا عَلَى التَّوْفِيقِ لِبَدْءِ ذَلِكَ وَتَمَامِهِ، لِيُقَيِّدَ بِالشُّكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةَ العُظْمَى، خَشْيَةَ السَّلْبِ عَلَيْهَا، وَأَقَلُّ ذَلِكَ ثَلَاثٌ أَوْ سَبْعٌ.

ثُمَّ يَشْرَعُ إِثْرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي التَّعَوُّذِ، قَاصِدًا لِتِلَاوَةٍ، ثُمَّ يَتْلُو إِثْرَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ثُمَّ لِيُجِيبَ أَمرَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ، بِقَوْلِهِ: (لَبَّيْكَ مَوْلَايَ وَسَعْدَيْكَ)، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَهَا هُوَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ، يُوَحِّدُكَ بِالتَّهْلِيلِ، مُنْخَلِعًا مِنْ كُلِّ شَرِيكٍ، وَمِنْ

كُلِّ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ، يَقُولُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، ذَاكِراً لِرَبِّهِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إِلَى آخِرٍ، ثُمَّ دَوَّرَ سُبْحَتَهُ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَلْيُعَاوِدَ التَّعَوُّذَ وَالتِّلَاوَةَ، أَوْ كُلَّ دَوْرٍ مِنْهَا.

وَإِنْ اجْتَزَى بِالْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَا بَأْسَ، وَلْيُحَافِظَ الذَّاكِرُ عَلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ، لِمَعْنَى التَّهْلِيلِ، لِيَفُوزَ بِثَمَرَاتِهِ، وَيَسْتَضِيءَ قَلْبُهُ بِعَظِيمِ أَنْوَارِهِ، وَلْيَسْتَعِدَّ لِنُزُولِ الْغَيْثِ الْإِلَهِيِّ عَلَيْهِ، وَلِوُلُوجِ شَرِيفِ أَسْرَارِهِ، وَتَحْصِيل لَهُ الْحُرِّيَّة الْعُظْمَى، مِنْ رِقَّةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ، وَيَتَجَلَّى بِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا، وَالشَّرَفِ الْإِلَهِيّ بِأُسْتَاذِهِ، عِلْمًا وَحَالاً، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، إِلَى مَوْلَاهُ الْمُنْفَرِدِ بِالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ، الَّذِي لَا نَافِعَ وَلَا ضَارَّ سِوَاهُ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ، عَلَى الْعُمُومِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. اهـ. كَلَامُ السَّنُوسِيُّ.

وَهُوَ كَيْفِيَّةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الذِّكْرِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الطَّرِيقِ، إِذْ هِيَ عَلَى عَدَدِ أَنْفَاسِ الْخَلَائِقِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةَ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْكَمَالِ، الَّذِي لَا يُحِيطُ بِغَايَتِهِ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ، وَلَا حَصْرٌ فِي ذَلِكَ، إِذْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الذَّاكِرِينَ الْمُخْلِصِينَ، يُلْهِمُهُمْ اللَّهُ مِنَ الْآدَابِ وَالْكَيْفِيَّاتِ، بِقَدْرِ صِدْقِهِ وَمَقَامِهِ.

فَصْلٌ: فِي مُحَرَّمَاتِ الذِّكْرِ

فَالذِّكْرُ عَلَى الْحَرَامِ: كَالتَّسْمِيَةِ عِنْدَ الزِّنَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالذِّكْرُ بِالتَّلَاعُبِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَمَعَ مُحَرَّمٍ كَالْمَعَازِفِ وَآلَاتِ اللَّهْوِ، وَالتَّمْطِيطِ بِهِ، وَالتَّغَنِّي بِهِ، وَرَفْع الصَّوْتِ بِهِ، إِنْ أَدَّى إِلَى الْإِيذَاءِ، أَوْ التَّشْوِيش عَلَى الْغَيْرِ، وَكَثْرَتهُ لِمَنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ، بِخَلَلٍ فِي الْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، وَالرِّيَاء فِيهِ، وَالْعُجْب بِهِ.

فَصْلٌ: فِي مَكْرُوهَاتِ الذِّكْرِ

فَاللَّحْنُ فِيهِ، وَفِعْلُهُ وَقْتَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، بِاللِّسَانِ لَا بِالْقَلْبِ، وَحَالَ الْجِمَاعِ كَذَلِكَ، وَوَقْتَ الْخُطْبَةِ، وَفِي الْقِيَامِ لِصَلَاةِ الْفَرِيضَةِ، وَحَالَ الْآذَانِ، وَقِرَاءَة الْقُرْآنِ، وَمَعَ الْمَلَلِ وَالنُّعَاسِ، وَمَعَ فَعْلِ مَكْرُوهٍ، كَكَثْرَةِ ضَحِكٍ وَمُزَاحٍ، وَإِخْرَاجِهِ فِي مَعْرِضِ كَلَامِ النَّاسِ، وَمَعَ عَدَمِ الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ، وَرَفْع الصَّوْتِ فِي الْجِنَازَةِ، بَلْ قِيلَ مُطْلَقًا، وَهُوَ بَعِيدٌ.

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي فَوَائِدِ الذِّكْرِ وَثَمَرَاتِه

فَصْلٌ: فِي فَوَائِدِ الذِّكْرِ

قَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: بَابٌ فِي فَوَائِدِ الذِّكْرِ عَلَى الْإِجْمَالِ: مَنْ رَامَ فَوَائِدَهُ فَلْيُتَابِعْ اَلنُّصُوصَ اَلْوَارِدَةُ فِي فَوَائِدِهِ، فَلَيْسَتْ بِالْقَلِيلِ، وَلَيْسَ إِلَى حَصْرِهَا سَبِيل، وَذكَرَ الْأَئِمَّةُ، رَحِمَهُمْ اللَّه تَعَالَى: أَنَّ لَهُ فَوَائِدٌ جُمْلَةٌ، فَلِلذِّكْرِ الْحَاضِرِ.

فَنَقُولُ: الذِّكْرُ الَّذِي يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيَغُمُّهُ وَيُكْسِرُهُ وَيَمْنَعُهُ، وَيُرْضِي الرَّحْمَنَ، وَيُسْخِطُ الشَّيْطَانَ، وَيُزِيلُ الْهَمَّ عَنِ الْقَلْبِ وَالْغَمّ، وَيَجْلِبُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ، ويُذْهِبَ التَّرَحَ وَالشُّرُورَ، وَيُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَيُصْلِحُ السِّرَّ وَالْعَلَنَ، وَيَفْتَحُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ، وَيُنَوِّرُهُ، وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيُيَسِّرُهُ، وَيَكْسِي الذَّاكِرَ مَهَابَةً، وَيُلْهِمُ بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ صَوَابَهُ.

وَدَوَامُهُ لِلْمَحَبَّةِ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ لَهَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَبْوَابِ، وَيُورِثُ الْمُرَاقَبَةَ الْمُوصِلَةَ لِمَقَامِ الْإِحْسَانِ، الَّذِي يُفِيدُ فِيهِ اللَّهُ الْعَبْدَ، كَأَنَّهُ يَرَاهُ بِالْعِيَانِ، وَيُورِثُ الْإِنَابَةَ، فَمَنْ أَكْثَرَ الرُّجُوع بِذِكْرِهِ، أَوْرَثَهُ الرُّجُوع إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أَمرِهِ، وَيُورِثُ الْقُرْبَ مِنَ الرَّبِّ، وَيَفْتَحُ بَابَ الْمَعْرِفَةِ فِي الْقَلْبِ، وَيُورِثُ إِجْلَالاً وَهَيْبَةً لِرَبِّهِ. وَالْغَافِلُ حِجَابُ الْغَفْلَةِ، رَقِيقٌ عَلَى قَلْبِهِ.

وَيُورِثُ ذِكْرَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، وَهُوَ أَعَزُّ شَرَفٍ وَأَعْلَا مَجْدٍ، وَبِهِ يَحْيَا قَلْبُ الْبَشَرِ، كَمَا يَحْيَى الزَّرْعُ بِوَابِلِ الْمَطَرِ، وَهُوَ قُوتُ الْأَرْوَاحِ، كَمَا أَنَّ الْغِذَاءَ قُوتُ الْأَشْبَاحِ، وَجَلَاءُ الْقَلْبِ مِنْ صَدَاهُ، الَّذِي هُوَ الْغَفْلَةُ أَوْ اتِّبَاعُهُ هَوَاهُ، وَهُوَ لِلْفِكْرِ

كَالسِّرَاجِ الْهَادِي فِي الظُّلْمَةِ إِلَى الْمِنْهَاجِ، ويُحْبِطُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَيُزِيلُ الاسْتِيحَاشَ، الْحَاصِل بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ الْغَافِلِ.

وَمَا يَذْكُرُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَحْوِ تَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَمْجِيدٍ، وَرَدَ: يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ. وَالْعِبَادَاتُ كُلُّهَا فِي يَوْمِ الْحَشْرِ تَزُولُ عَنِ الْعَبْدِ، إِلَّا ذِكْر اللَّهِ، وَالتَّوْحِيد، وَالْحَمْد، وَمَنْ تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، تَعَرَّفَ إِلَيْهِ فِي الشِّدَّةِ بِبِرِّهِ.

وَفِي الْأَثَرِ: (أَنَّ الْعَبْدَ الْمُطِيعَ الذَّاكِرَ لِلَّهِ تَعَالَى، إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ، أَوْ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، صَوْتٌ مَعْرُوفٌ مِنْ عَبْدٍ مَعْرُوفٍ، وَالْغَافِلُ الْمُعْرِضُ عَنِ اللهِ، إِذَا دَعَا أَوْ سَأَلَهُ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، صَوْتٌ مُنْكَرٌ، مِنْ عَبْدٍ مُنْكَرٍ).

وَلَا عَمَلَ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مِنْ ذِكْرِ اللهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَهُوَ لِلْعَبْدِ سَبَبٌ لِنُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ، وَحُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ نُزُولُهَا لَدَيْهِ، وَغَشَيَانُ الرَّحْمَةِ، وَمَا أَجَلَّ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةٍ، وَهُوَ لِلْإِنْسَانِ شَاغِلٌ عَنِ الْغِيبَةِ وَالْكَذِبِ، وَكُلِّ بَاطِلٍ.

وَالذِّكْرُ لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسُهُ، وَيَسْعَدُ بِهِ أَنِيسُهُ، وَمَجْلِسُهُ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ تِرَةً، وَلَا نَدَامَةً.

وَالذِّكْرُ مَعَ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، سَبَبٌ لِنَيْلِ ظِلّ الْعَرْشِ الظَّلِيلِ، يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ، وَالْوُقُوفِ الطَّوِيلِ، وَمَنْ كَانَ ذِكْرُ اللَّهِ لَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ شَاغِلٌ، أُعْطِيَ

أَفْضَل مَا أَعْطَى كُلّ سَائِلٍ، وَيَتَيَسَّرُ عَلَى الْعَبْدِ فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ، وَأَكْثَر الْحَالَاتِ. وَحرَكَة الذِّكْرِ عَلَى اللِّسَانِ، أَيْسَرَ حَرَكَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ.

وَهُوَ غِرَاسُ الْجَنَّةِ، (أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)، كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْحِسَانِ.

وَهُوَ سَبَبٌ لِلْعِتْقِ مِنَ النِّيرَانِ، وَالْأَمَانُ مِنَ النِّسْيَانِ، فِي الدُّنْيَا دَار الْهَوَانِ، وَشَاهِدُهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَنِسْيَانُ اللَّهِ لِلْعِبَادِ يُنْسِيهِمْ أَنْفُسهُمْ، وَذَلِكَ غَايَة الْفَسَادِ، وَهُوَ نُورٌ لِلْعَبْدِ فِي دُنْيَاه وَقَبْرِهِ وَنَشْرِهِ وَحَشْرِهِ، وَهُوَ رَأْسُ الْأُصُولِ، وَمَنْشُورُ الْوِلَايَةِ، الَّذِي بِهِ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى يَصُولُ، وَإِذَا رَسَخَ فِي الْقَلْبِ وَوَقَعَ، صَارَ اللِّسَانُ لَهُ كَالتَّبَعِ، وَاسْتَغْنَى الذَّاكِرُ وَارْتَقَى وَارْتَفَع.

وَالْغَافِلُ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ فَهُوَ فَقِيرٌ، أَوْ ذَا سُلْطَانٍ فَهُوَ حَقِيرٌ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى الذَّاكِرِ قَلْبَهُ الْمُتَفرِّقِ، وَشَمْلُ إِرَادَتِهِ، وَعَزْمُهُ الْمُتَمزِّقِ، وَيُفَرِّقُ حُزْنَهُ وَذَنْبَهُ، وَجُنْدَ الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ، وَيُقَرِّبُ مِنْ قَلْبِهِ الْآخِرَة، وَيُبْعِدُ مِنْ قَلْبِهِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَتْ حَاضِرَةٌ، وَيُنَبِّهُ الْقَلْبَ الْغَافِلَ بِتَرْكِ اللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ، وَيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ وَيَسْتَعِدَّ لِمَا هُوَ آتٍ.

كَمَا هُوَ شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا الْمَعَارِفِ، وَرَأْسُ مَالِ كُلِّ عَارِفٍ، وَاللَّهُ مَعَ الذَّاكِرِ بِالْقُرْبِ وَالْوِلَايَةِ، وَالْمَحبَّةِ، وَالتَّوْفِيقِ، وَالْحِمَايَةِ، وَيَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ، وَالْجِهَادَ وَمَشَقَّاتَهُ الصِّعَابِ، وَالْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْعطْبَ، وَإِنْفَاقَ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ.

وَهُوَ مِنَ الشُّكْرِ رَأْسُهُ وَأَصْلُهُ وَأَسَاسُهُ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، أَوْجَبَ لَهُ دُخُولَ جَنَّةِ الْأَحْبَابِ، وِالاقْتِرَابَ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَبْتَسِمُ، وَيَتَقَلَّبُ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُ، وَيَذْهَبُ عَنِ الْقَلْبِ الْقَسَاوَةَ، وَيُورِثُهُ اللِّينَ وَالطَّرَاوَةَ. وَالْغَفْلَةُ لِلْقَلْبِ دَاءٌ وَمَرَضٌ، وَالذِّكْر شِفَاءٌ لَهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَمَرَضٍ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمْ   فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

وَهُوَ أَصْلُ مُوَالَاةِ اللَّهِ وَرَأْسِهَا، وَالْغَفْلَةُ رِدَّةٌ، وَهُوَ دَافِعٌ لِلنِّقَمِ، وَجَالِبٌ لِلنِّعَمِ، وَكُلُّ نَافِعٍ وَمُوجِبٌ لِصَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْك، وَالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، فَيَخْرُجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيَدْخُلُ دَارِ السَّلَامِ.

وَمَجَالِسُ الذِّكْرِ رِيَاضُ الْجِنَانِ، وَالرَّتْعُ فِيهَا يُرْضِي لِلرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَاهِي بِالذَّاكِرِ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ، فَمَنْزِلَتُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ ارْفَعْ وَأَسْمَى وَأَبَرَّ، وَأَفْضَلُ الْعُمَّالِ أَكْثَرُهُمْ للهِ تَعَالَى ذِكْرًا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

وَهُوَ يَنُوبُ عَنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، سَوَاءٌ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَالٍ أَوْ غَيْرِ مَالٍ، وَيُقَوِّي الْجَوَارِحَ، وَيُسَهِّلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَيُيَسِّرُ الْأُمُورَ الصِّعَابَ، وَيَفْتَحُ الْمُغْلَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَيُخَفِّفُ الْمَشَقَّةَ وَيُقَصِّرُ الشُّقَّةَ، وَهُوَ أَمْنٌ لِلْخَائِفِ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْمَتَالِفِ.

وَالذَّاكِرُ مِنَ الْعُمَّالِ فِي مَيْدَانِ السِّبَاقِ، إِلَى حِيَازَةِ قَصَبِ السَّبْقِ، سَوْفَ تَرَى إِذْ ارْتَفَعَ الْغُبَارُ، أَفَرَسًا رَكِبْتَ أَمْ حِمَارًا، وَهُوَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، لِأَنَّهُ مُخْبِرٌ عَنْ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَحَمْدِهِ. وَدُورُ الْجَنَّةِ بِالذِّكْرِ تُبْنَى، فَالْغَافِلُ لَا يُبْنَى لَهُ

فِي الْجَنَّةِ مَعْنًى، وَالْأَذْكَارُ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالنَّارِ، فَإِنْ كَانَ الذِّكْرُ مُسْتَمِرًا دَائِمًا، كَانَ السَّدُّ جَبْرًا مُحْكَمًا، وَإِلَّا كَانَ وَاهِيًا مُنْخَرِمًا.

الذِّكْرُ نَارٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، فَإِذَا دَخَلَ بَيْتًا لَا يَتْرُكُ فِيهِ عَيْنًا وَلَا أَثَرَ، وَيُذْهِبُ الْأَجْزَاءَ النَّابِتَةَ مِنَ الطَّعَامِ الزَّائِدِ، عَلَى الشَّبَعِ أَوِ الْحَرَامِ، وَيُذْهِبُ الظُّلُمَاتَ، وَيُثْبِتُ الْأَنْوَارَ السَّاطِعَاتَ. وَالْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لِلْعَبْدِ، إِذَا لَازَمَ الذِّكْرَ وَالْحَمْدَ. وَالْبِقَاعُ وَالْجِبَالُ تُبَاهِي بِمَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ عَلَيْهَا مِنَ الرِّجَالِ، وَهُو شِيمَةُ الْمُؤْمِنِ الشَّاكِرِ. وَالْمُنَافِقُ قَلِيلاً مَا يُوجَدُ ذَاكِرًا.

وَمَنْ أَلْهَاهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ عَنِ الذِّكْرِ، فَهُوَ خَاسِرٌ. وَلِلذِّكْرِ لَذَّاتٌ أَجَلُّ مِنْ لَذَّةِ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ. وَوَجْهُ الذَّاكِرِ وَقَلْبُهُ يُكْسَى فِي الدُّنْيَا نَضْرَةً وَسُرورًا، وَفِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الْقَمَرِ وَنُورًا، وَتَشْهَدُ لَهُ الْبِقَاعُ، كَمَا تَشْهَدُ لِكُلِّ عَامِلٍ عَصَا عَلَيْهَا أَوْ أَطَاعَ، وَهُوَ يَرْفَعُ الْعَامِلُ إِلَى أَعَلَا الدَّرَجَاتِ، وَيُوصِلُهُ إِلَى أَعَلَا الْمَقَامَاتِ.

وَالذَّاكِرُ حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ، وَالْغَافِلُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَيُورِثُ الذِّكْرُ أَيْضاً الرِّيَّ مِنَ الْعَطَشِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَمْنَ مِنْ الْمَخَاوِفِ عَنْ خَوْفِ الْفَوَاتِ. وَالذَّاكِرُ فِي الْغَافِلِينَ كَبَيْتٍ مُظْلِمٍ، وَالْغَافِلُونَ كَلَيْلٍ مُظْلِمٍ، لَيْسَ لَهُ مِصْبَاحٌ.

وَالذَّاكِرُ إِنْ شَغَلَهُ عَنِ الذِّكْرِ شَاغِلٌ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْعُقُوبَةِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ غَافِلٌ، فَمَنْ جَلَسَ مَعَ الْمَلِكِ بِغَيْرِ أَدَبٍ، أَسْلَمَهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَطْبِ. وَالْحُضُورُ فِي الذِّكْرِ سَاعَةً، حَمِيَّةٌ مِنْ تَخْلِيطِ الْمَعَاصِي بِالطَّاعَةِ؛ وَالْحَمِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً، فَلَهَا مَنْفَعَةٌ جَلِيلَةٌ. اهـ. كَلَامُ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ فَوَائِدَ الذِّكْرِ وَثَمَرَاتَهُ لَا تُعَدُّ، وَأَنَّ خَصَائِصَهُ وَأَسْرَارَهُ لَا يُحِيطُ بِهَا حَدٌّ، وَهِي دُنْيَوِيَّةٌ أَوْ دِينِيَّةٌ أَوْ إِلَهِيَّةٌ. وَتَقَدَّم شَيْءٌ مِنْ ذَلِك.

فَمِنْ الدُّنْيَوِيَّةِ: تَسْهِيلُ الرِّزْقِ، وَطِيبُ الْمَعِيشَةِ، وَصِحَّةُ الْبَدَنِ، وَنُفُوذُ الْقَوْلِ، وَصَلَاحُ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَاسْتِقَامَةُ الْأُمُورِ، وَكِفَايَةُ اللهِ لَهُ.

وَمِنْ الدِّينِيَّةِ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَتْ بِأَسْرِهَا لَهُ وَفِي يَدِهِ. فَإِنَّ قَلْبَ الذَّاكِرِ فَارِغٌ عَنْهَا، وَمُجْتَنِبٌ لَهَا. وَالصَّبْرُ عَلَى الْقَدَرِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ. وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَلَوْ تَسَبَّبَ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ. وَالْحَيَاءُ مِنَ اللهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ. وَدَوَامُ ذِكْرِهِ. وَالْتِزَامُ نَهْيُهُ وَأَمْرُهُ. وَالْإِمْسَاكُ عَنْ شَكْوَاهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَالْغِنَى بِاللهِ بِقِنَاعَةِ قَلْبٍ، وَرِضَاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ الرَّبُّ، فَلَا يَعْتَرِضُ بِلَوْ وَلِمَ وَلَا وَلَعَلَّ، لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَاكَ حُكْمَ مَوْلَاهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْفَقْرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، لَا إِلَى سِوَاهُ، فَلَا يَطْلُبُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَسْتَغِيثُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَلْجَأُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْهِ. وَالْإِيثَارُ عَلَى النَّفْسِ، بِمَا لَيْسَ فِيهِ مَذَمَّةٌ أَوْ بَخْسٍ. وَالْفُتُوَّةُ بِالتَّجَافِي عَنْ إِحْسَانِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَلَو أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الفَعَّالَ هُوَ اللَّهُ، فَلَا يَرْجُو أَحَدًا سِوَاهُ. وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، وَسَائِرِ مِنَحِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، وَالنُّعُوتِ الْمَجِيدَةِ، وَالْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمَعُونَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ.

وَمِنْ الْإِلَهِيَّةِ: وُرُودُ الْأَنْوَارِ، وَالْحِكَمِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ. وَالْأُنْسُ بِاللهِ وَالْقُرْبُ مِنْهُ. وَتَجَلِّيُّهُ تَعَالَى بِالْجَلَالِ، وَالْجَمَالِ، وَالْكَمَالِ، وَالْقَبْضِ، وَالْبَسْطِ،، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَرُ، وَمَا عِنْدَ اللهِ أَكْبَرُ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي

الصَّالِحِينَ: مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ). وَلَمْ يُقَيِّدْ ذَلِكَ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، فَهُوَ كَائِنٌ لَهُمْ فِي الْوَقْتِ.

فَيَا أَيُّهَا الْحَرِيصُ عَلَى طَلَبِ الْعُلَا، وَالرَّاغِبُ فِي مَحَبَّةِ الْمَوْلَى، وَالطَّالِبُ لَهُ وَلِوَجْهِهِ، بَادِرْ إِلَى طَاعَتِهِ وَذِكْرِهِ، فَطَاعَتُهُ هِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَذِكْرُهُ هُوَ الرُّكْنُ الْعَظِيمُ، فَلَازِمْهُ لِتَحْظَى بِقُرْبِ مَوْلَاكَ، وَدَاوِامْهُ لِتَغْنَى بِهِ عَنْكَ وَعَنْ مَنْ سِوَاكَ، وَتُكْتَبُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَحْبَابِ، وَتَحُوز سِرًّا يَقْصُرُ فِي دَرْكِ بَعْضِهِ الْإِطْنَاب.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تُدْرِكُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ الْعَارِفِينَ ذَوِي الاقْتِنَاصِ. وَجُمْلَةُ طَرِيقِهِمْ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ، أَرْبَعَة أَشْيَاءَ:

الْأَوَّلُ: فَرَاغُ الْقَلْبِ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الثَّانِي: الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ، بِالْقَصْدِ، وَالْمَحَبَّةِ الْمُنَزَّهَةِ عَنِ الْعِلَلِ، وَلَا الْتِفَاتَ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ وَلَا مَلَلٍ، وَلَا طَلَبَ عِوَضٍ.

الثَّالِثُ: دَوَامُ الْمُخَالَفَاتِ لِلنَّفْسِ، فِي كُلِّ مَا تَطْلُبُهُ مِنَ الْأُمُورِ، الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَصَالِحِهَا دُنْيَا وَأُخْرَى، وَأَعْظَمُ الْمُخَالَفَاتِ لِلنَّفْسِ تَرْكُ مَا سِوَى اللَّهِ تعالى، خَطَرًا وَاعْتِقَادًا وَعِلْمًا.

الرَّابِعُ: دَوَامُ الذِّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى، بِالنَّظَرِ إِلَى جَمَالِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ، سَوَاء كَانَ ذِكْرُ الرُّوحِ، أَوْ ذِكْرُ السِّرِّ، أَوْ ذِكْرُ الْجُمْلَةِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ الْعَارِفُ، سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بُنِيَتْ أُصُولُنَا عَلَى سِتَّةِ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثَانِيهَا: أَكْلُ الْحَلَالِ. ثَالِثُهَا: كَفُّ الْأَذَى. رَابِعُهَا: اجْتِنَابُ الْآثَامِ. خَامِسُهَا: التَّوْبَةُ. سَادِسُهَا: أَدَاءُ الْحُقُوقِ).

وَقَالَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ، سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أُصُولُ طَرِيقَتِنَا خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. ثَانِيهَا: اتِّبَاعُ السُّنَّةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. ثَالِثُهَا: الْإِعْرَاضُ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ. رَابِعُهَا: الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. خَامِسُهَا: الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

فَتَحْقِيقُ الْوَرَعِ بِالتَّقْوَى وَالاسْتِقَامَةِ. وَتَحْقِيقُ السُّنَّةِ بِالتَّحَفُّظِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ. وَتَحْقِيقُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَلْقِ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ. وَتَحْقِيقُ الرِّضَا بِالْقَنَاعَةِ وَالتَّفْوِيضِ، وَتَحْقِيقُ الرُّجُوعِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فِي السَّرَّاءِ، وَاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ فِي الضَّرَّاءِ.

وَأُصُولُ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: عُلُوُّ الْهِمَّةِ، وَحِفْظُ الْحُرْمَةِ، وَحُسْنُ الْخِدْمَةِ، وَنُفُوذُ الْعَزْمَةِ، وَتَعْظِيمُ الْمِنَّةِ. فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ ارْتَفَعَتْ رُتْبَتُهُ. وَمَنْ حَفِظَ حُرْمَةَ اللَّهِ حُفِظَتْ حُرْمَتُهُ. وَمَنْ حَسُنَتْ خِدْمَتُهُ وَجَبَتْ كَرَامَتُهُ. وَمَنْ أَنْفَذَ عَزْمَهُ دَامَتْ هِدَايَتُهُ. وَمَنْ عَظَّمَ النِّعْمَةَ فِي عَيْنٍ يَشْكُرُهَا، وَمَنْ شَكَرَهَا اسْتَوْجَبَ الْمَزِيدَ مِنَ النِّعَمِ بِهِ، حَسَبَ وَعْدَهُ الصَّادِقِ). اهـ.

وَإِنْ أَرَدْتَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ، فَعَلَيْكَ بِكُتُبِ الْقَوْمِ، الَّذِينَ مِنْ أَجَلِّهِمْ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَا سِيَّمَا [الْإِحْيَاء]، وَ[مِنْهَاج الْعَابِدِينَ]، وَ[عَوَارِف الْمَعَارِفِ] لِلسَّهْرَوَرْدِيّ، وَ[الرِّسَالَة الْقُشَيْرِيَّةِ]، وَأَشْبَاه ذَلِكَ.

الْبَابُ السَّادِسُ
فِي فَوَائِدٍ مُتَعَلِّقَة بِالذِّكْرِ

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هَلْ أَفْضَلُ الذِّكْرِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمْ بِالْجَلَالَةِ؟.

اخْتَلَفَ السَّادَةُ الصُّوفِيَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: فَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ، مَعَ كَافَّةِ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، وَالْفُقَهَاءِ: (الذِّكْرُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَفْضَلُ ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً). وَظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ الْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ تَرْجِيحهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (الذِّكْرُ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ أَفْضَل).

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ بِالتَّفْصِيلِ: (بِأَنَّ الْأَفْضَلَ فِي الِابْتِدَاءِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الِانْتِهَاءِ اللَّهُ اللَّهُ). وَعُزِيَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، فِي [أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ] لِلْأَكْثَرِ.

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: احْتَجَّ أَهْلُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، بِوُجُوهٍ:

مِنْهَا: مَا تَقَدَّمَ فِي فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، عَلَى غَيْرِهَا. مِنْهَا: أَنَّ لَفْظَ الذَّاتِ فَقَطْ، لَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ، لِأَنَّهُ يُذْكَرُ مَعَ الشَّرِيكِ، الزَّوْجَةِ، وَالْوَلَدِ، عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْكَفَرَةِ، وَكَذَلِكَ يَذْكُرُهُ الْفَلَاسِفَةُ مَعَ أَغْلَبِ الصِّفَاتِ، وَكَثِيرٌ مَعَ لَا يَنْبَغِي. وَلَمَّا كَانَ يُذْكَرُ مَعَ التَّعْظِيمِ وَعَدَمِهِ، لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ مُجَرَّدًا دَالًّا إِلَّا عَلَى التَّعْظِيمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْقَلْبَ مَشْحُونٌ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَابُدَّ مِنْ كَلِمَةِ النَّفْيِ، لِنَفْيِ الْأَغْيَارِ، فَإِذَا صَارَ خَالِيًا، يُوضَعُ فِيهِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ سُلْطَانُ الْمَعْرِفَةِ، وَمَا وُضِعَ عَلَى الْعُمُومِ، لَأَفْضَلَ الْأَشْيَاء وَأَعَمَّهَا نَفْعًا، وَأَثْقَلَهَا وَزْنًا.

وَمِنْهَا: وَهُوَ أَحْسَنُهَا سِرُّ الْمَسْأَلَةِ، مَا قَالَ بَعْضُهُمْ: (إِنَّمَا الْأَحْوَالُ السُّنِّيَّةُ تَحْصُلُ عِنْدَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجَمَالِ، الَّتِي بِهَا يُفْهَمُ مَقَاصِدَ الْكَمَالِ، وَتُشْعِرُ

مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ، وَسَلْب كُلّ نَقِيصَةٍ، وَإِثْبَات كُلّ صِفَةٍ جَمِيلَةٍ، لَائِقَة بِمَقَامِ التَّوْحِيد.

وَيُسْتَفَادُ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَيُبْنَى عَلَى كُلِّ مَعْنًى مَا يُنَاسِبُهُ، مِنَ الْمَحَبَّةِ لِلْجَمَالِ، وَالْجَلَالِ لِلْجَلَالِ، وَالْخُضُوعِ لِلْعَظَمَةِ، وَالذُّلِّ لِلْعِزِّ، وَالْإِذْعَانِ لِلْقَهْرِ، وَالْخَوْفِ لِلسَّطْوَةِ، وَالرَّجَاءِ لِلْكَرَمِ، بِخِلَافِ ذِكْر اسْمٍ مُجَرَّدٍ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرُوهُ).

الْقَوْلُ الثَّانِي: وَاحْتَجَّ أَهْلُ الْقَوْلِ الثَّانِي بِأَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ نَفْيَ الْعَيْبِ عَنْ مَنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَيْبَ عَيْبٌ. وَثَانِيهَا: مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، حِينَ يَذْكُرُ كَلِمَةَ النَّفْي، قَدْ لَا يَجِدُ مِنَ الْمُهْلَةِ، مَا يَصِلُ بِهِ إِلَى الْإِثْبَاتِ، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ فِي النَّفْي، غَيْر مُنْتَقِلٍ إِلَى الْإِثْبَاتِ، وَفِي الْجُحُودِ غَيْر مُنْتَقِلٍ إِلَى الْإِفْرَادِ.

فَأَرَادَ ثَالِثُهَا: أَنَّ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، يَا عَظِيمُ الْخَلْقِ، مُشْعِرٌ بِتَعْظِيمِ الْحَقِّ، يَنْفِي الْأَغْيَارُ عَنْهُ تَعَالَى. وَنَفْيُ الْأَغْيَار مِنْ بَابِ الاشْتِغَالِ بِهَا، وَذَلِكَ يَمْنَعُ مِنَ الاسْتِغْرَاقِ فِي نُورِ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِغَيْرِ الْحَقّ، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهِ، وَأَيْنَ أَحَدُ الْمَقَامَيْنِ مِنَ الْآخَرِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ نَفْيَ الشَّيْءِ إِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ خُطُورِهِ بِالْبَالِ، وَخُطُورُ شَرِيكِ الْبَارِئ سُبْحَانَهُ بِالْبَالِ، إِنَّمَا يَكُونُ لِنَاقِصِ الْحَالِ. أَمَّا أَهْلُ الْكَمَالِ فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ ذَلِكَ، بَلْ يَمْتَنِعُ أَنْ يُكَلَّفُوا نَفْيَهُ، لِكَوْنِهِمْ غَيْرَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ، فَيَكْفِهِمْ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُ اللَّهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ نَبِيَّهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وَمَنَعَهُ مِنَ الْخَوْضِ فِي أَبَاطِيلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَالْقَوْلُ بِالشَّرِيكِ فِي الْأَبَاطِيلِ، فَكَانَ الاخْتِصَارُ عَلَى الْجَلَالَة أَوْلَى.

وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِالتَّفْصِيلِ، بِأَنَّ عَالَمَ الْقَلْبِ مَشْحُونٌ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَابُدَّ مِنْ كَلِمَةِ النَّفْيِ فِي الابْتِدَاءِ، لِمَحْقِ تِلْكَ الآثَارِ، فَإِذَا انْمَحَتْ وَزَالَتْ كَلِمَةُ الْجَلَالَةِ أَوْلَى، إِذْ لَا فَائِدَةَ لِلنَّفْيِ حِينَئِذٍ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ مِنْ كَلَامِ الْأَخْيَارِ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي مَا عَلَيْهِ غُبَارٌ، إِذْ لَابُدَّ فِي الابْتِدَاءِ مِنْ مَحْقِ الآثَارِ، وَلَا شِفَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِذِكْرِ الْحَبِيبِ مُجَرَّدًا عَنِ الْأَغْيَارِ، وَهَلْ يَلِيقُ بِمَنْ لَا يَشْهَدُ إِلَّا اللَّهُ، أَنْ يَنْفِيَ مَا عَدَاهُ، بَلْ لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ مَا سِوَاهُ، فَالاشْتِغَالُ إِذًا بِذَلِكَ نَقْصٌ وَعَيْبٌ، وَلِذَا لَمَّا (قِيلَ لِبَعْضِ أَكَابِرِ الْعَارِفِينَ: لِمَ تَقُولُ: اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: نَفْيُ الْعَيْبِ عَنْ مَنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَيْبُ عَيْبٌ).

(وَقِيلَ لِلشِّبْلِيِّ: لِمَ تَقُولُ: اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟، فَقَالَ: لَا أَنْفِي بِهِ ضِدًّا). وَقِيلَ لِيَزِيدَ أَعْلَى مِنْ هَذَا، فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ أُوخَذَ فِي وَحْشَةِ الْحُجَّةِ، فَقَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. الْقِصَّةُ إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ مَرَّةً: لَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَنَا بِهَذَا الذِّكْرِ، مَا ذَكَرْنَا مَعَكَ غَيْرُكَ).

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَه: (وَهَذَا فِي الذِّكْرِ الَّذِي يُتَوَجَّهُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، أَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يُجْرِيهِ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ أَوِ اللِّسَانِ، أَوْ يَشْرَحُ الْقَلْبَ بِهِ، وَيُسَهِّلُ بِهِ الْفَتْحَ الرَّبَّانِيَّ، فَهُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَكْمَلُ).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي [الْحِصْنِ الْحَصِينِ]: (وَكُلُّ ذِكْرٍ مَشْرُوعٍ، وَاجِبًا كَانَ أَوْ مُسْتَحَبًّا، لَا يُعْتَدُّ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى يُتَلَفَّظَ بِهِ، وَيُسْمِعَ نَفْسَهَ).

قَالَ شَارِحُهُ الْمُلَّا عَلِيٌّ الْقَارِئُ، رَحِمَه الْبَارِئُ: (وَهَذَا الْإِسْمَاعُ أَقَلُّهُ الْإِخْفَاء عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَفِي مَذْهَبِنَا هُوَ الْقَوْلُ الْمَشْهُورُ. وَقِيلَ: أَقَلُّ تَصْحِيحُ الْحُرُوفِ،

وَهُوَ مُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صَوْتٌ يُسْمَعُ، وَهَذَا كُلُّهُ مَا أَمَرَ الشَّارِعُ بِأَنْ يُذْكَرَ بِاللِّسَانِ، كَمَا فِي قِرَاءَةِ الصَّلَاةِ، وَتَشَهُّدِهَا وَتَسْبِيحِهَا وَتَكْبِيرَاتِهَا، وَسَائِرِ أَذْكَارِهَا وَأَدْعِيَتِهَا. وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ بِقَلْبِهِ، غَيْرِ أَنْ يَتَلَفَّظَ بِلِسَانِهِ، لَا يَكُونُ فِي الشَّرْعِ مُعْتَدّ بِهِ، لِأَنَّ مُدَاوَمَةَ الذِّكْرِ لَا تُتَصَوَّرُ بِدُونِ اعْتِبَارِهِ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِهِ).

فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ فِي [مُسْنَدِهِ]، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفَضِّلُ الذِّكْرَ الْخَفِيَّ، الَّذِي لَا يَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ سَبْعِينَ ضِعْفًا. فَيَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَجَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِحِسَابِهِمْ، وَجَاءَتِ الْحَفَظَةُ بِمَا حَفَظُوا وَكَتَبُوا. قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: انْظُرُوا. هَلْ بَقِيَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ؟، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا تَرَكْنَا شَيْئًا مِمَّا عَلِمْنَاهُ وَحَفِظْنَاهُ، إِلَّا وَقَدْ أَحْصَيْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: إِنَّ لَكَ عِنْدِي خَبْئًا لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنَا أَجْزِيكَ بِهِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ). ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي [الْبُدُورُ السَّافِرَةَ فِي أَحْكَامِ الآخِرَةِ].

وَفِي [الْجَامِعَ]: (خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي). كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَه: (وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وَجَدْتَهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: نَفْسِيٌّ وَسِرِّيٌّ وَجَهْرِيٌّ، وَفَضْلُهَا عَلَى تَرْتِيبِهَا).

وقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي [رِسَالَتِهِ]: (وَالذِّكْرُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، ذِكْرٌ بِاللِّسَانِ وَذِكْرٌ بِالْقَلْبِ، فَذِكْرُ اللِّسَانِ بِهِ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى

اسْتِدَامَةِ ذِكْرِ الْقَلْبِ، وَالتَّأْثِيرُ لِذِكْرِ الْقَلْبِ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ ذَاكِرًا بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، فَهُوَ الْكَامِلُ فِي وَصْفِهِ، فِي حَالِ سُلُوكِهِ).

وَقَالَ أَيْضًا: (وَقِيلَ: الذِّكْرُ الْخَفِيُّ لَا يَرْفَعُهُ الْمَلَكُ، لِأَنَّهُ لَا اطِّلَاعَ لَهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى). وقَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي [أَذْكَارِهِ]: (الذِّكْرُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ، وَيَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُ مَا كَانَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ جَمِيعًا).

وَفِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَيْفَ وَهُوَ عِنْدَهُمْ الرُّكْنُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ أَسْرَارُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْفُقَهَاءِ لَا يُثَابُ الشَّخْصُ عَلَى الْأَذْكَارِ، إِلَّا بِفِعْلِهَا بِاللِّسَانِ، إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْأَذْكَارِ الَّذِي طَلَبْنَا بِهَا وُجُوبًا وَاسْتِحْبَابًا، كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيّ وَغَيْرُهُ، لَا مُطْلَقًا، فَافْهَمْ ذَلِكَ. فَكَثِيرًا مَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ.

وَلِذَا قَالَ الْمُلَّا فِي [مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحِ مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ]: (وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ الْقَاضِيَ عِيَاضًا، قَالَ: لَا ثَوَابَ فِي الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ، وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ الْبَلْقِينِيَّ، قَالَ: وَهُوَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَعَلَّ كَلَامَهُمَا مَحْمُولٌ عَلَى ذِكْرٍ، عَيَّنَ الشَّارِعُ تَلَفُّظَهُ وَسَمَاعَهُ نَفْسِهِ.

كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيّ فِي [الْحِصْنِ الْحَصِينِ]: كُلُّ ذِكْرٍ مَشْرُوعٍ، أَيْ مَأْمُورٍ بِهِ فِي الشَّرْعِ، وَاجِبًا كَانَ أَوْ مُسْتَحَبًّا، لَا يُعْتَدُّ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى يُتَلَفَّظَ بِهِ، وَيُسْمِعَ نَفْسَهُ). اهـ. فَالْإِطْلَاقُ غَيْرُ صَوَابٍ.

قُلْتُ: وَهَذَا الْحَمْلُ مُتَعَيِّنٌ، إِذْ ذَكَرَ الشَّيْخُ ابْنُ رِسْلَانَ فِي [أَذْكَارِهِ]، عَنِ الْقَاضِي عِيَاضٍ، كَنَحْوِ كَلَامِ النُّورِيِّ، وَالْقُشَيْرِيِّ، بَلْ أَحْسَنُ تَفْصِيلاً، وَأَجَلُّ تَكْمِيلاً.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هَل أَفْضَلُ الْإِسْرَارِ بِالذِّكْرِ أَمِ الْجَهْرِ؟.

الظَّاهِرُ التَّفْصِيلُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ، فَمَنْ لَهُ جَمْعِيَّةٌ وَخَلْوَةٌ، فَالْأَفْضَلُ الْإِسْرَارُ فِي حَقِّهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا تَفْرِقَةٍ وَقَسَاوَةٍ، فَالْجَهْرُ أَفْضَلُ لَهُ، لَكِنْ بِحَيْثُ لَا يُؤْذِي وَلَا يُؤْذَى، وَلَا يُشَوِّشُ، وَلَا يُرَائِي، وَإِنْ كَانَ الذَّاكِرُونَ جَمَاعَةً، فَالْأَوْلَى فِي حَقِّهِمْ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، مَعَ تُوَافُقِ الْأَصْوَاتِ، بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مَوْزُونَةٍ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فِي حُرْمَةِ الْجَهْرِ بِهِ، وَكَرَاهَتِهِ مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ، فَبَعِيدٌ عَنِ التَّحْقِيقِ، وَهَذَا فِيمَا يَتَقَصَّدُهُ، وَأَمَّا مَا يُجْرِيهِ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ الْعَبْدُ مُضْطَرًّا لِذَلِكَ، وَمُشْتَاقًا إِلَيْهِ، فَالْجَارِي هُوَ الْأَفْضَلُ سِرًّا كَانَ أَمْ جَهْرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْجَهْرِ دَخَلًا عَظِيمًا، وَتَأْثِيرًا بَلِيغًا، فِي تَصْفِيَةِ الْبَاطِنِ، وَتَنْقِيَتِهِ وَتَحْلِيَتِهِ، لِمَنْ احْتَاجَ إِلَيْهِ. وَبِالْمَنْعِ مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، قَوْلُ مَنْ لَيْسَ لَهُ خَلَاقٌ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: إِنْ قِيلَ: الانْفِرَادُ فِي الذِّكْرِ أَفْضَلُ أَمِ الاجْتِمَاعُ؟.

يُقَالُ: إِنْ كَانَ الذَّاكِرُ كَامِلاً، يَسْتَأْنِسُ بِذِكْرِهِ مُنْفَرِدًا، أَوْ لَا تَكْمُلُ جَمْعِيَّتُهُ بِذَلِكَ، فَالانْفِرَادُ لَهُ أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَالاجْتِمَاعُ أَوْلَى، لِأَنَّ لَهُ تَأْثِيرًا فِي إِزَالَةِ الرَّيْنِ، وَرَفْعِ الْحُجُبِ مِنَ الْقَلْبِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: (مَثَلُ ذِكْرِ الْوَاحِدِ وَحْدَهُ، وَذِكْرِ الْجَمَاعَةِ، كَمَثَلِ مُؤَذِّنٍ وَاحِدٍ، وَمُؤَذِّنِينَ جَمَاعَةً، فَكَانَتْ أَصْوَاتُ الْمُؤَذِّنِينَ جَمَاعَةً، تَقْطَعُ جُرْمَ الْهَوَى، أَكْثَرَ

مِمَّا يَقْطَعُهُ صَوْت وَاحِد، كَذَلِكَ ذِكْرُ الْجَمَاعَةِ، عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، أَكْثَرُ تَأْثِيرًا، وَأَشَدُّ قُوَّةً، فِي رَفْعِ الْحُجُبِ عَنِ الْقَلْبِ، مِنْ ذِكْرِ وَاحِدٍ وَحْدَهُ.

وَأَيْضًا يَحْصُلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ، ثَوَابُ ذِكْر نَفْسِه، وَثَوَابُ سَمَاع ذِكْرِ غَيْرِه، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَبَّهَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ كَالْحِجارَةِ، بِقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وَالْحِجَارَةُ لَا تَنْكَسِرُ إِلَّا بِقُوَّةٍ، فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ لَا تَنْفَتِحُ وَتَزُولُ قَسَاوَتهَا، إِلَّا بِالذِّكْرِ الْقَوِيّ، وَهُوَ فِي الاجْتِمَاعِ أَقْوَى.

فَإِنْ قِيلَ: الاجْتِمَاعُ قَدْ عَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِدْعَةً مُنْكَرَةً. قُلْتُ: إِطْلَاقُ ذَلِك غَيْر صَحِيحٍ، بَلْ الظَّاهِرُ أَنَّهُ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ، وَأَيُّ عُبَادَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ قَوْمٍ، يَجْتَمِعُونَ لِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ دَلِيلُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، فَوْقَ الْكِفَايَةِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ لِرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ وَتَفَاخُرٍ، وَبِلَحْنٍ وَتَقْطِيعِ الْأَلْفَاظِ، مُنْكَرَةٌ، وَتَمْطِيطٍ وَتَغَنِّي، فَذَاكَ قَبِيحٌ أَشَدُّ قَبَاحَةٌ، وَبِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِي زَمَانِنَا، عَلَى أَكْثَرِ اجْتِمَاعَاتِ النَّاسِ لِلذِّكِرْ، وَخَتْمِ الْقُرْآنِ، وَنَحْوِهِمَا، إِذْ لَا يَخْلُو مَجْلِسٌ مِنَ الْمَجَالِسِ مِنَ الْآفَاتِ، إِلَّا إِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، الْمُؤَيَّدِينَ بِنُورِ اللَّهِ، الْفَارِقِينَ بَيْنَ الْحَقّ وَالْبَاطِلِ، بِمَعُونَتِهِ وَنَصْرِهِ، لَا بِعِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

فَاجْتَهِدْ يَا أَخِي فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِكَ، وَرِعَايَتِهَا، وَمَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَلَا تَكُنْ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤].

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (إِنِّي لَأَخْشَى عَلَى هَؤُلَاءِ، أَكْثَرَ مِمَّا أَخْشَى عَلَى مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَى آلَاتِ اللَّهْوِ وَالْمَعَاصِي، لِأَنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ، بِأَنَّ فِعْلَهُمْ قَبِيحٌ وَمَعْصِيَةٌ، وَهَؤُلَاءِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى طَاعَةٍ وَقُرْبَةٍ، مَعَ كَوْنِ فِعْلِهِمْ مَعْصِيَةً قَبِيحَة، وَلَقَدْ صَدَقَ فِي قَوْلِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُعْجَبُونَ بِأَحْوَالِهِمْ، مُنَكَّرُونَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَالْمُعْجَبُ بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَالْمُتَكَبِّرُ مَغْمُورٌ فِي بِحَارِ الزَّلَّاتِ).

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ عَلَى مَعْصِيَةٍ، فَأَرْجُو لَهُ الْمَغْفِرَةَ، أَكْثَر مِنْ رَجَائِي فِي طَاعَتِي). وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ، فَأَرْجُو لَهُ التَّوْبَةَ، فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَصَى مُشْتَهِيًا، فَغُفِرَ لَهُ، وَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبْرٍ، فَأَخْشَى عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَصَى مُسْتَكْبِرًا، فَلُعِنَ).

وَرَحِمَ اللَّهُ سَيِّدِي ابْنَ عَطَاءِ اللَّهِ، حَيْثُ قَالَ: (رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَافْتِقَارًا، خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ، أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا).

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: إِذَا قِيلَ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: ذِكْرُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، مُفْرَدًا، أَوْ زِيَادَةُ: مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ؟.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْجَمْعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ غَيْرَهُ، وَعَلَى الْأَخِيرِ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ، بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ، فَمَن يَتَأَذَّى بِحَرَارَةِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَكَانَتْ مُوَافِقَةً طَبِيعَتُهُ، فَالْأَوْلَى لَهُ الْإِفْرَاد، لِأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلشَّهَادَةِ لِلرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ مِنْ مَعْنَاهَا نَفْي كُلّ كَمَالٍ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَإِثْبَاتهُ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَيُّ كَمَالٍ أَعْظَم مِنْ

إِرْسَالِهِ لِسَيِّدِ الْوُجُودِ، وَعَيْنِ كَمَالِ الرَّحْمَةِ وَالْجُودِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلِذَا أَفْرَدْتُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَنْهَا.

وَمَنْ كَانَ يَتَأَذَّى بِحَرَارَتِهَا، وَتَتَفَرَّقُ جَمْعِيَّتُهُ، فَالْأَوْلَى لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، إِذْ الثَّانِيَةُ تَعْدِلُ الْأُولَى بِبُرُودَتِهَا وَرُطُوبَتِهَا، وَلِذَلِكَ يَأْمُرُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ العَارِفِينَ، مَنْ كَانَ حَالُهُ كَذَلِكَ.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: هَلْ أَفْضَلُ الذِّكْرِ أَمْ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؟.

لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ مَشْهُورٌ، وَأَقْرَبُهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، قَوْلُ الشَّيْخِ ابْنِ الْجَزَرِيِّ فِي [حِصْنِهِ]: (وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ الْقُرْآنُ، إِلَّا فِيمَا شُرِعَ لِغَيْرِهِ).

وَيَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: (وَيُزَادُ فَيُقَالُ: وَيَخْتَلِفُ أَيْضًا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْحَالِ، فَإِنْ كَانَ الْحَالُ اقْتَضَى الْأُنْسَ بِكَلَامِهِ، فَهُوَ أَوْلَى وَأَفْضَلُ، إِذْ هُوَ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَخِطَابُ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ، وَإِنْ اقْتَضَى الْأُنْسَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ، فَهُوَ أَوْلَى عِنْدَ ذَوِي الْأَبْصَارِ، كَيْ لَا يُؤَدِّي إِلَى إِمْلَالِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِمْلَالِ ذِكْرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). وَقِيلَ: (الْقُرْآنَ أَفْضَلُ لِلْعُلَمَاءِ ذَوِي الاسْتِنْبَاطِ).

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ عَرَبِيٍّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي [الْفُتُوحَاتِ]: (يَنْبَغِي لِلْمُحَقِّقِ أَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ، إِلَّا بِالْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، يَعْنِي قَاصِدًا بِهِ الذِّكْرَ وَالتِّلَاوَةَ مَعًا، حَتَّى يَكُونَ فِي ذِكْرِهِ تَالِيًا، لِيَجْتَمِعَ لَهُ أَجْرُ الذَّاكِرِينَ وَالتَّالِينَ). إِلَى آخِرِ قَوْلِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ، إِلَّا لِلذَّاهِبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ بِدَايَتِهِ، وَفِي بَعْضِ أَحْوَالِ

نِهَايَتِهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُشْتَمِلُ عَلَى صُنُوفِ الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى الطَّرِيقِ، فَمَا دَامَ الْعَبْدُ مُفْتَقِرٌ إِلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَتَحْصِيلِ الْمَعَارِفِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ غَيْرَ مُفْتَقِرٍ إِلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَتَحْصِيل الْمَعَارِفِ، بَلْ جَاوَزَ ذَلِكَ، وَاسْتَوْلَى الذِّكْرُ عَلَى قَلْبِهِ، بِحَيْثُ يَرْجُو لَهُ أَنْ يُفْضِيَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الِاسْتِغْرَاقِ، فَمُدَاوَمَةُ الذِّكْرِ أَوْلَى، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُجَاذِبُ خَاطِرَهُ، وَيَسْرَحُ بِهِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَالْمُرِيدُ الذَّاهِبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِيَاضِهَا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ هَمَّهُ هَمًّا وَاحِدًا، وَذِكْرَهُ ذِكْرًا وَاحِدًا، حَتَّى يُدْرِكَ الْفَنَاءَ وَالِاسْتِغْرَاقَ، وَلَا يَدُومُ وَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَدَّ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَدْ تَنْفَعُهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ).

وَقَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ: (وَهَذِهِ حَالَةٌ نَادِرَةٌ عَزِيزَةٌ، كَالْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، يُحَدَّثُ بِهِ وَلَا يُوجَدُ، فَتَكُونُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مُطْلَقًا، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ فِي كُلِّ حَالٍ، إِلَّا فِي حَالِ مَنْ شَغَلَهُ الْمُتَكَلِّمُ عَنِ الْكَلَامِ، إِذْ لُبَابُ الْقُرْآنِ مَعْرِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ، وَمَعْرِفَةُ جَمَالِهِ، وَالِاسْتِغْرَاقُ بِهِ، وَالْقُرْآنُ سَائِقٌ إِلَيْهِ وَهَادٍ نَحْوُهُ، وَمَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَقْصِدِ، لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الطَّرِيقِ).

وَتَقَدَّمَ أَنَّ حَقِيقَةَ الذِّكْرِ اسْتِيلَاءُ الْمَذْكُورِ عَلَى الْقَلْبِ، وَهُوَ وَاحِدٌ، وَالتَّفْرِقَةُ وَالْكَثْرَةُ قَبْلَ ذَلِكَ، مَا دَامَ الذَّاكِرُ فِي مَقَامِ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْقَلْبِ، فَحِينَئِذٍ يَنْقَسِمُ إِلَى الْأَفْضَلِ وَغَيْرِهِ.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: اخْتِلَافُ الْعَارِفُونَ فِي اخْتِيَارِ الذِّكْرِ، الَّذِي يَتَوَجَّهُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً.

وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ: (اللَّهُ اللَّهُ)، بَدْءًا وَعَوْدًا. وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ. وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ لَفْظ: (هُوَ). وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ: الذِّكْرَ فِي الْبِدَايَةِ، وَالسُّكُوتَ فِي النِّهَايَةِ. وَمِنْهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ. أَمَّا وَجْهُ مَنْ اخْتَارَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَقَطْ، أَوْ (اللَّهُ اللَّهُ)، أَوْ فَصَّلَ، فَتَقَدَّمَ. وَأَمَّا وَجْهُ مَنْ اخْتَارَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، فَهُوَ إِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهِمَا.

وَقَالُوا: إِنْ قِيلَ: ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الابْتِدَاءِ، فَأَمَّا الانْتِهَاءُ فَلَا. فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمْ يَجُزْ لَهُ التَّفْرِيق فِي الْبِدَايَةِ، فَأَوْلَى أَنْ لَا يَجُوزُ فِي النِّهَايَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَذَانَ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِهِمَا، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ حَالَتِهِ، الَّتِي شُرِعَ عَلَيْهَا، فَكَذَلِكَ حَال الْمُؤْمِنِ، لَا يَنْتَقِلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

وَأَيْضًا فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، (فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦- ٢٧]: أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ذِكْرُ نَبِيِّهِ بِهِ، فَمَنْ قَطَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَطَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْخُسْرَانِ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وَلَا أُذكر إِلَّا وذُكِرْت مَعِي. وَقَالُوا أَيْضاً: (فَإِن ادَّعَى صَاحِبُ دَعْوَى).

وَقَالَ: (إِنَّهُ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ، وَلَا أَرَى إِلَّا اللَّهَ، وَلَا أُشْهِدُ سِوَاهُ، فَلَا أَذْكُرُ مَعَهُ غَيْرَهُ). (أُجِيبُ: بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ جَاءَ بِجَمِيعِ مَالِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟، قَالَ: تَرَكْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوْلِهِ: اللَّهَ، بَلْ وَصَلَ بَيْنَ الذِّكْرَيْنِ. وَأَيْضًا الرَّمَلُ فِي الطَّوَافِ، شُرِعَ لِسَبَبٍ، فَزَالَ السَّبَبُ، وَاسْتَمَرَّ الرَّمْلُ).

وَأَمَّا وَجْهُ مَنْ اخْتَارَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)، فَهُوَ إِنَّمَا اخْتَارَهُ بَيْنَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَبَيْنَ الْجَلَالَةِ، لِكَمَالِ تَطْهِيرِ الْبَاطِنِ، لِيَتَهَيَّأْ لِذِكْرِ الذَّاتِ. وَأَمَّا وَجْهُ مَنْ اخْتَارَ لَفْظ: هُوَ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعًا لِلْإِشَارَةِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِخَبَرٍ، فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ، إِخْبَارٌ عَنْ نِهَايَةِ التَّحْقِيقِ، وَمَوْضُوعٌ لِلدَّلَالَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، فَيَكْتَفُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ بَيَانٍ، يَتْلُوهُ لِاسْتِهْلَاكِهِمْ فِي حَقَائِقِ الْقُرْبِ، وَاسْتِيلَاءِ ذِكْرِ الْحَقِّ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، فَمَا سِوَاهُ لَا شَيْء، حَتَّى تَقَعَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

(وَقِيلَ لِبَعْضِ الْوَالِهِينَ: مَا اسْمُكَ؟، قَالَ: هُوَ، قِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: هُوَ، وَقِيلَ: وَأَيْنَ تُرِيدُ؟، قَالَ: هُوَ، قِيلَ: وَمَنْ تَعْنِي بِقَوْلِكَ: هُوَ؟، قَالَ: هُوَ، وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ: هُوَ، قِيلَ: لَعَلَّكَ تُرِيدُ اللَّهَ، فَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ مَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى).

وَأَمَّا وَجْهُ مَنْ اخْتَارَ: الذِّكْرَ فِي الْبِدَايَةِ، وَالسُّكُوتَ فِي النِّهَايَةِ، فَهُوَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الذِّكْرِ لِلتَّحْلِيَةِ، وَالْمُنْتَهِي غَيْر مُحْتَاجٍ إِلَى ذَلِكَ، لِكَوْنِهِ فِي حَضْرَةِ مَوْلَاهُ، مُتَحَلِّيًا بِفَنَاهُ وَبَقَاهُ، وَمَنْ كَانَ حَاضِرًا، وَلِمَطْلُوبِهِ نَاظِرًا، هَلْ يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهِ، أَمْ هَلْ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ، بَلْ فِي هَذَا الْمَقَامِ تَخْرُصُ الْعِبَارَةَ، وَتَنْمَحِقُ الْإِشَارَةَ.

كَمَا رُوِيَ عَنْهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ، كَلَّ لِسَانُهُ)، وَكَمَا قَالَ فِي [الْحِكَمِ]: (مَا الْعَارِفُ مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ، أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ، بَلْ الْعَارِفُ مَنْ لَا إِشَارَةَ لَهُ، لِفَنَائِهِ فِي وُجُودِهِ، وَانْطِوَائِهِ فِي شُهُودِهِ).

وَلِذَا قَالَ سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ، أَبُو يَزِيدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَكْثَرُ النَّاسِ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ، أَبْعَدُهُم مِنْهُ). وَيُرْوَى (أَنَّ الْجُنَيْدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَانَ فِي الْكَلَامِ، فَزَعَقَ الشِّبْلِيُّ، وَقَالَ: اللَّه، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: الغَيْبَةُ حَرَامٌ). يَعْنِي: إِنْ كُنْتَ غَائِبًا، فَذِكْرُ الْغَائِبِ غَيْبَة، وَإِنْ كُنْتَ حَاضِرًا، فَذِكْرُ الاسْمِ فِي الْحَضْرَةِ، سُوءُ أَدَبٍ. وَلِذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: (الذِّكْرُ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ). وَقَالَ آخرُ:

مَــا ذَكَرْتُــكَ إلاّ هَــمَّ يَلْعَنُنِــي   قَلْبِي وَرُوحِي وَسِرِّي عِنْدَ ذِكْرَاكَ
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِي   إِيَّــاكَ وَيْحَــكَ والتَّــذْكَارَ إِيَّــاكَ

وَكُلُّ هَذَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ دَخَلَ حَضْرَةِ اللَّهِ، وَتَحَلَّى بِغَايَةِ ثَمَرَة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَهِيَ الْمُرَاقَبَةُ فَالْمُشَاهَدَةُ، لِأَنَّ الذِّكْرَ مَانِعٌ مِنْ حُصُولِ تِلْكَ الْغَايَةِ، الَّتِي هِيَ الْمُشَاهَدَة. بَلْ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: (بَلْ لَا يُتَصَوَّرُ الذِّكْرُ مَعَهَا، لِأَنَّهُ يَقْتَضِي النِّسْيَان).

وَلِذَا لَمَّا قِيلَ لِلشِّبْلِيّ: (مَتَى تَسْتَرِيحُ؟، قَالَ: إِذَا لَمْ أَرَ لِلَّهِ ذَاكِرًا). أَيْ لَا أَسْتَرِيحُ إِلَّا إِذَا دَخَلْتُ حَضْرَةَ الشُّهُودِ، لِأَنَّهَا لَا ذِكْرَ فِيهَا، اسْتِغْنَاءً عَنْهُ بِالشُّهُودِ، لِأَنَّ الذِّكْرَ إِنَّمَا هُوَ لِلْغَائِبِ.

قَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ ذَكَرْتَ لِكُلِّ ذِكْرٍ أَدِلَّةٌ، بِحَيْثُ يَظُنُّ النَّاظِرُ فِي كُلِّ ذِكْرٍ أَنَّهُ الْأَفْضَلُ، وَذَلِكَ يُورِثُ التَّحْيِيرَ عِنْدَ

التَّخْيِيرِ. قُلْتُ: كُلُّ ذِكْرٍ لَهُ حَالَةٌ وَوَقْتٌ، وَهُوَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، فَكُلُّ مَقَامٍ هُوَ فِيهِ أَلْيَقُ، وَلِكُلِّ ذِكْرٍ حَال هُوَ بِهِ أَخْلَقُ).

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: يُسْتَحَبُّ لِلذَّاكِرِ أَنْ يَقْطَعَ ذِكْرَهُ لِأَسْبَابٍ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ، إِذَا زَالَتْ، مِنْهَا: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَسَمَاعُ الْخُطْبَةِ وَالْقُرْآنِ، وَإِجَابَةُ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَغَلَبَةُ النُّعَاسِ، وَإِغَاثَةُ لَهْفَانٍ، وَنِدَاءُ أَحَدِ أَبَوَيْهِ أَوْ شَيْخِهِ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، وَإِرْشَادٌ وَاسْتِرْشَادٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَكَذَا إِذَا حَصَلَ لَهُ مَلَالَةٌ، أَوْ رِيحٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، كَفِكْرٍ وَمُرَاقَبَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَنْبَغِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُ وَظِيفَةٌ مِنَ الذِّكْرِ، فِي وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، أَوْ عَقِبَ صَلَاةٍ، أَوْ حَالَةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَفَاتَتْهُ أَنْ يَتَدَارَكَهَا، وَيَأْتِي بِهَا إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهَا، وَلَا يُهْمِلْهَا، فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَادَ الْمُلَازَمَةَ عَلَيْهَا، لَمْ يُعَرِّضْهَا لِلتَّفْوِيتِ، فَإِذَا تَسَاهَلَ فِي قَضَائِهَا، سَهُلَ عَلَيْهِ تَضْيِيعُهَا فِي وَقْتِهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي [صَحِيحِ مُسْلِمٍ]، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ).

الْفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى جَوَازِ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، لِلْمُحْدِثِ وَالْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ، سَوَاء كَانَ ذَلِكَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدُّعَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ حَرَامٌ عَلَى الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ، سَوَاءٌ قَرَأَ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً، حَتَّى بَعْض

آيَةٍ، وَيَجُوزُ لَهُمْ إِجْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى الْقَلْبِ، مِنْ غَيْرِ لَفْظٍ، وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ، وَإِمْرَارُهُ عَلَى الْقَلْبِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَيَجُوزُ لِلْحَائِضِ وَالْجُنُبِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، أَنْ يَقُولَا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وَعِنْدَ رُكُوبِ الدَّابَّةِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

وَعِنْدَ الدُّعَاءِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، إِذَا لَمْ يَقْصِدَا بِهِ الْقُرْآنَ، سَوَاءٌ كَانَ قَصَدَا الذِّكْرَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا قَصْدٌ، وَلَا يَأْثَمَانِ، إِلَّا إِذَا قَصَدَا الْقُرْآنَ، وَلَهُمَا أَنْ يَقُولَا: بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، إِذَا لَمْ يَقْصِدَا بِهَا الْقُرْآنَ.

وَيَجُوزُ لَهُمَا قِرَاءَةُ مَا نُسِخَتْ تِلَاوَتُهُ، كَـ(الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ، إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ). وَأَمَّا إِذَا قَالَا لِإِنْسَانٍ: خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، أَوْ قَالَا: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِنْ قَصَدَا غَيْرَ الْقُرْآنِ، لَمْ يَحْرُمْ). اهـ.

مُطَابِقٌ لِمَذْهَبِنَا، فَإِنَّ عُلَمَاءَنَا، قَالُوا: يَجُوزُ لِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ أَنْ يَقْرَءَا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ، بَلْ قَالَ صَاحِبُ [الْأَشْبَاهِ] وَغَيْرِهِ، مَا مُحَصِّلُهُ: (إِنَّ الْقُرْآنَ يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ قُرْآنًا، بِقَصْدِ غَيْرِ التِّلَاوَةِ).

وَتَجُوزُ الْقِرَاءَةُ وَالذِّكْرُ، مُتَّكِئًا وَمُضْطَجِعًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. قَالَ الشَّيْخُ رَسْلَانَ: وَتَجُوزُ الْقِرَاءَةُ فِي الْقَرِيبِ مِنَ النَّجَاسَةِ، لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي [صَحِيحِهِ]: (أَنَّ

عَائِشَةَ، حَدَّثَتْ: أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَان يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي، وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ).

الْفَائِدَةُ الْعَاشِرَةُ: قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَلَوْ مَرَّةً، لِيَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَهُ مُطْلَقًا، بَلْ يَأْتِي بِمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ. لِقَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِذَا بَلَغَكَ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، فَاعْمَلْ بِهِ وَلَوْ مَرَّةً، تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ). وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ، فِيهِ فَضِيلَةٌ، فَأَخَذَ بِهِ إِيمَانًا بِهِ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ).

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي [الْأَوْسَطِ]، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللهِ فَضِيلَةٌ، فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا، لَمْ يَنَلْهَا).

الْفَائِدَةُ الْحَادِيَ عَشَرَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَفِي [صَحِيح مُسْلِمٍ]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ:

الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ). وَرُوِيَ (الْمُفَرِّدُونَ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَتَخْفِيفِهَا، وَالْمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الْجُمْهُورُ: التَّشْدِيدُ. كَذَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ الْأَصْلُ لِهَذَا الْكِتَابِ، وَالرُّكْنُ فِي هَذَا الْبَابِ، فَيَنْبَغِي الاهْتِمَامُ لِمَعْرِفَتِهَا، وَبَيَانُ مَعْنَاهَا وَنَعْتِهَا. وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْوَاحِدِيُّ: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الْمُرَادُ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ، وَغُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَفِي الْمَضَاجِعِ، وَكُلَّمَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ، وَكُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ مِنْ مَنْزِلِهِ، ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (لَا يَكُونُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، حَتَّى يَذْكُرَ اللهَ تَعَالَى، قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا). وَقَالَ عَطَاءٌ: (مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُقُوقِهَا، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]). قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا نُقِلَ عَنِ الْوَاحِدِيّ.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ فِي [سُنَنِهِمْ].

وَسُئِلَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي يَصِيرُ بِهِ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا، فَقَالَ: (مَنْ وَاظَبَ عَلَى الْأَذْكَارِ الْمَأْثُورَةِ، الْمُثْبَتَةِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، فِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، لَيْلاً وَنَهَاراً، وَهِيَ مُبَيَّنَةٌ فِي كِتَابِ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا). اهـ.

وَهَا أَنَا أَشْرَعُ فِيهِ بِعَوْنِ اللَّهِ، وَبِإِمْدَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقُولُ: قُلْتُ: قَوْلُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الْبَابِ التَّالِي:

الْبَابُ السَّابِعُ
فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَأَذْكَارِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، هِيَ الْعُمْرُ كُلُّهُ، إِذْ الْيَوْم إِذَا قُيّدَ بِفِعْلٍ لَا يَمْتَدُّ، يُرَادُ بِهِ مُطْلَقُ الْوَقْتِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، وَيَلْحَقُ بِهِ اللَّيْل هُنَا، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ عَمَلِهَا مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْأَذْكَارِ، نَحْوَهَا عَلَى مَمَرِّ الْعُمْرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عِمَارَةَ الْأَوْقَاتِ بِوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ، مِنْ أَكْمَلِ السَّعَادَاتِ.

فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَمُرَّ سَاعَةٌ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، إِلَّا وَأَنْتَ قَائِمٌ بِمَا لِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهَا. كَمَا قَالَ سَيِّدِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لِكُلِّ وَقْتٍ سَهْمٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُؤَخِّرَ طَاعَةَ وَقْتٍ لِوَقْتٍ، فَتُعَاقَبُ بِفَوْتِهَا، وَبِفَوْتِ غَيْرِهَا، أَوْ مِثْلِهَا). لِهَذَا قَالُوا: (الْوَقْتُ كَالسَّيْفِ، إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ).

وَقَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (حُقُوقٌ فِي الْأَوْقَاتِ، يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا، وَحُقُوقُ الْأَوْقَاتِ لَا يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا؛ إِذْ مَا مِنْ وَقْتٍ يَرِد، إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِ حَقٌّ جَدِيدٌ، وَأَمْرٌ أَكِيدٌ، فَكَيْفَ تَقْضِي فِيهِ حَقّ غَيْرِهِ، وَأَنْتَ لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ.

وَأَصْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أَيْ مُطْلَقًا، لَا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، وَكَذَلِكَ لِأَنَّ بِالْعِبَادَاتِ تَحْسُنُ

الإِمْـدَادَاتِ، وَبِالْقِيَـامِ بِـذَلِكَ تَظْهَـرُ بَرَكَـاتِ الأَوْقَـاتِ، وَتَسْـتَبِينُ فَوَائِـدُ الْعُمْـرِ وَالزِّيَـادَاتِ، وَيَحْصُـلُ الإِقْبَال عَلَـى اللهِ تَعَـالَى، وَيَكُـونُ دَائِمًـا فِـي كَنَـفِ رَأْفَتِـهِ، وَحَيْطَةِ رِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ).

وَلِـلأَوْرَادِ تَـأْثِيرٌ كَبِيرٌ، فِي تَنْوِيرِ الْقَلْبِ، وَضَبْطِ الْجَوَارِحِ، وَلَكِـنْ لَا يَظْهَـرُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهَا، وَفِعْلِهَا فِي أَوْقَاتِهَا. وَلِـذَلِكَ قَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا يَسْتَحْقِرُ الْوِرْدَ إِلَّا جَهُولٌ).

وَقَالَ السَّيِّدُ الْعَارِفُ، الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّقَّاف، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وِرْدٌ، فَهُو قِرْدٌ).

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (الْوَارِدَاتُ مِنْ حَيْثُ الأَوْرَادِ، فَمَنْ لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ وِرْدٌ فِي ظَاهِرِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ وِرْدٌ فِي سَرَائِرِهِ).

وَالْوِرْدُ إِمَّا ذِكْرٌ أَوْ تِلَاوَةُ قُرْآنٍ، أَوْ صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ صَلَاةُ تَطَوُّعٍ، أَوْ فِكْرٌ. وَهُـوَ يَخْتَلِفُ بِـاخْتِلَافِ الْمَقَامِ وَالْحَالِ، فَمَـنْ وَجَـدَ وِرْدَهُ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، أَوْ أَوْقَاتٍ، وَمِنْ وَاحِدٍ فِي أَغْلَبِ الأَوْقَاتِ، وَمِنْ وَاحِدٍ فِي كُلِّهَا، عَلَى حَسَبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ.

وَلِـذَا قَالَ سَيِّدِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّـاذِلِيُّ: (إِذَا غَفَلَ الْمُرِيدُ عَـنَ الـذِّكْرِ، نَفَسًـا وَاحِـدًا، صَارَ الشَّيْطَانُ قَرِينَهُ، فَإِنَّه بِالْمِرْصَـادِ لِمَـنْ أَقْبَلَ عَلَـى اللهِ تَعَـالَى، فَيَقِـفُ تُجَاهَ قَلْبِهِ، فَإِذَا دَخَلَتْهُ الْغَفْلَة دَخَلَ، وَإِذَا دَخَلَهُ الذِّكْر خَرَجَ، وَإِذَا كَانَ الشَّيْطَانُ يُدَنِّسُ الْقَلْبَ، بِدُخُولِ مَرَّة بِالنَّهَارِ، فَكَيْفَ بِقَلْبٍ بَاتَ فِيهِ، وَبَيَّضَ وَفَرَّخَ).

وَقَالَ أَيْضًا: (وِرْدُ الْمُحِبِّينَ الْمُحَقِّقِينَ، إِسْقَاطُ الْهَوَى، وَمَحَبَّةُ الْمَوْلَى، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ أَبَتْ أَنْ تَسْتَعْمِلَ مُحِبًّا لِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ).

وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْوِرْدَ مِنْ أَشْرَفِ الْمُعَامَلَاتِ، وَسَبَبٌ لِنَيْلِ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَاتِ، فَيَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَيْهِ، وَالاجْتِهَادُ فِي الْإِتْيَانِ بِهِ، وَعَدَمُ التَّهَاوُن بِفَوْتِهِ، وَقَضَاؤُهُ إِذَا فَاتَ. وَالْأَحْسَنُ وَالْأَفْضَلُ وَالْأَشْرَفُ وَالْأَكْمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، بِأَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى طَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ وَأَدَبِهِ وَسُنَّتِهِ، فَإِنَّهُ الْمُنْتِجُ لِقُرْبِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ، تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عِمْرَان: ٣١].

قَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الطُّرُقَ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ، إِلَّا عَلَى مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ). وَأَدْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ثُمَّ التَّابِعِينَ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

وَهَا أَنَا أُذْكُرُ مَا جَاءَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، بِقَدْرِ مَا يُيَسِّرُهُ اللَّهُ رَبّ الْعَالَمِينَ، فَأَقُولُ:

فَصْلٌ: فِي أذْكَارِ الاِسْتِيقَاظِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ، ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً، طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ، كَسْلَاناً).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا. وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدٌ مِنْ نَوْمِهِ، فَلْيَقُلِ: الحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ، عِنْدَ رَدِّ اللَّهِ رُوحَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَيْقَظَ الْإِنْسَانُ مِنْ مَنَامِهِ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ، فَإِنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي رَدَّ إِلَيَّ نَفْسِي، وَلَمْ يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَنْ ذَا الَّذِي ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، فَإِنْ وَقَعَ مِنْ سَرِيرِهِ فَمَاتَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ). وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي آخِرِهِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي خَلَقَ النَّوْمَ وَالْيَقَظَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي بَعَثَنِي سَالِمًا سَوِيًّا، أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا قَالَ اللَّهُ: صَدَقَ عَبْدِي).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ، كَبَّرَ اللَّهَ عَشْرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ، عَشْرًا. وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَشْرًا. وَقَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ اللَّهَ، عَشْرًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَشْرًا، ثُمَّ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ). وَمَعْنَى (هَبَّ): اسْتَيْقَظَ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ).

وَصَحَّحَ التِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: (كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ، فَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ).

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا اسْتَيْقَظَ فِي اللَّيْلِ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

(وكَان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

وَزَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ). وَزَادَ الْبُخَارِيُّ: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ). وَبَعْدَ قَوْلِهِ: (وَمَا أَعْلَنْتُ): (وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي).

وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتٍ: (أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَيِّمُ). وَفِي أُخْرَى: (قَيَّامُ). وَفِي أُخْرَى بَعْدَ قَوْلِهِ: (حَاكَمْتُ): (أَنْتَ رَبُّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ). وَرِوَايَاتٌ أُخْرَى فِيهِ كَثِيرَةٌ، غَيْرُ هَذَا.

وَكَانَ مُعَاذُ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ قَدْ نَامَتِ الْعُيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، اللَّهُمَّ طَلَبِي لِلْجَنَّةِ بَطِيءٌ، وَهَرَبِي مِنَ النَّارِ ضَعِيفٌ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ هُدًى، تَرُدُّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الطَّهَارَةِ

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ). وَفِي غَيْرِ [الصَّحِيحَيْنِ]: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ). يُرِيدُ ذُكُورَ الشَّيْطَانِ وَإِنَاثِهِمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ: يُقَالُ الْخُبُثُ بِضَمِّ الْبَاءِ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ الْإِسْكَانَ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: يَا ذَا الْجَلَالِ).

وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ). كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ. وَيَزِيدُ مَا تَيَسَّرَ، سَوَاءٌ كَانَ فِي الْبُنْيَانِ أَوِ الصَّحْرَاءِ.

وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ، وَلَا حَالَ التَّخَلِّي، فَلَا يَحْمَدُ اللَّهَ إِذَا عَطَسَ، وَلَا يُشَمِّتُ عَاطِسَاً، وَلَا يَرُدُّ سَلَاماً، وَلَا يُجِيبُ مُؤَذِّناً، وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ بِالْقَلْبِ، وَلَا بِالتَّفَكُّرِ، فِي تَمَامِ النِّعْمَةِ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى ، وَعَافَانِي). (وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ، قَالَ: غُفْرَانَكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الخَلَاءِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتِهِ، وَأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ، وَأَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ، فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ). وَكَرِهَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ، أَنْ يَقُولَ: أَهْرَقْتُ الْمَاءَ، لِحَدِيثِ: (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَهْرَقْتُ الْمَاءَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ بُلْتُ).

فَصْلٌ: يُسْتَحَبُّ إِذَا صَبَّ مَاءَ وُضُوئِهِ أَوْ غُسْلِهِ أَوْ اسْتَقَاهُ

أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ). وَكُلُّ الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ خِلَافَ الشَّرْعِ، فَإِنَّ التَّسْمِيَةَ عَلَى الْحَرَامِ حَرَامٌ، وَعَلَى الْمَكْرُوهِ مَكْرُوهٌ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَضَّأَ، وَذَكَرَ اللَّهَ، فَإِنَّهُ يُطَهِّرُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ تَوَضَّأَ، وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، لَمْ يَتَطَهَّرْ، إِلَّا مَوْضِعُ الْوُضُوءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ تَعَالَى). وَفِي أُخْرَى: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِذَا تَوَضَّأْتَ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَإِنَّ حَفَظَتَكَ لَا تَسْتَرِيحُ تَكْتُبُ لَكَ الْحَسَنَاتِ، حَتَّى تُحْدِثَ مِنْ ذَلِكَ الْوُضُوءِ).

وَأَمَّا حَدِيثُ التَّسْمِيَةِ فِي الْوُضُوءِ: وَإِنْ قَالَ النَّوَوِيُّ أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ، يُعْمَلُ بِهَا فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، كَمَّا عُرِفَ. وَالْمَنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ. وَقِيلَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي لَفْظِهَا: (بِسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ). وَقِيلَ: الْأَفْضَلُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، كَذَا قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا.

وَقَالُوا: هِيَ سُنَّةٌ. وَقَالَ فِي [الْهِدَايَةِ]: (وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ فِي ابْتِدَاءِ الْوُضُوءِ، فَلَو نَسِيَهَا فَأَتِي بِهَا خِلَالَه، لَمْ يَكُنْ إِتْيَانها بِالسُّنَّةِ وَالْمُسْتَحَبِّ، خِلَاف ذَلِكَ لِمَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي [أَذْكَارِهِ]، وَيَقُولُ بَعْدَ التَّسْمِيَةِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ طَهُورًا).

وَيُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ غَسْلِ كُلِّ عُضْوٍ، وَالدُّعَاءُ بِالْمَأْثُورِ، بِأَنْ يَقُولَ عِنْدَ الْمَضْمَضَةِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

وَعِنْدَ الاسْتِنْشَاقِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي رَائِحَةَ الْجَنَّةِ).

وَعِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ بيِّضْ وَجْهِي، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ).

وَعِنْدَ غَسْلِ الْيَدِ الْيُمْنَى: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي، وَحَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيرًا).

وَعِنْدَ غَسْلِ الْيَدِ الْيُسْرَى: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ لَا تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالِي، وَلَا وَرَاءَ ظَهْرِي).

وَعِنْدَ مَسْحِ رَأْسِهِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهم أَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ).

وَعِنْدَ مَسْحِ الْأُذُنَيْنِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ).

وَعِنْدَ مَسْحِ الْعُنُقِ: (اللَّهُمَّ أَعْتِقْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ).

وَعِنْدَ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ، يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ).

(وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

أَيْضاً وَهَذِه الْأَدْعِيَةُ، وَإِنْ قَالَ النَّوَوِيُّ لَا أَصْلَ لَهَا، مَا سِوَى الشَّهَادَة بَعْدَ الْفَرَاغِ، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ السِّرَاجُ الْهِنْدِيُّ، فَقَدْ رُوِيَتْ فِي طُرُقٍ فِي [تَارِيخِ ابْنِ حِبَّانَ] وَغَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةٌ، وَنَفى النَّوَوِيُّ أَصْلَهَا، بِاعْتِبَارِ الصِّحَّةِ، إِمَّا بِاعْتِبَارِهِ فِي الطُّرُقِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ ذَلِكَ، أَوْ لَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حِينَئِذٍ، كَمَا قَالَهُ الرَّمْلِيُّ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، كَيْفَ وَقَدْ تَدَاوَلَتْهُ أَكَابِرُ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

هَذَا وَقَدْ ثَبَتَ بِطَرِيقٍ حَسَنٍ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يَتَوَضَّأُ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِكُلِّ عُضْوٍ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرَغُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ).

فَإِنْ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ فِيهِمَا وَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ، إِلَّا انْقَلَبَ فِي صَلَاتِهِ، كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ. فَهَذَا يَتَعَيَّنُ أَنْ لَا يَكُونُ مَحَلّ الْخِلَافِ، بَيْنَ النَّوَوِيِّ وَغَيْرِهِ، كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَسَمِعْتُهُ يَدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي

فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَدْعُو بِكَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَهَلْ تَرَكْنَ مِنْ شَيْءٍ؟).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ فِيهِ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْوُضُوئَيْنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَضَّأَ وَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ...) إِلَى آخِرِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ قَالَ إِذَا تَوَضَّأَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طُبِعَ بِطَابِعٍ، ثُمَّ جُعِلَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، حَتَّى يُؤْتَى بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَيُسْتَحَبُّ الْإِتْيَانُ بِهَذِهِ الْأَذْكَارِ.

قَالَ الشَّيْخُ نَصْر الْمَقْدِسِيُّ الشَّافِعِيُّ: (وَيَقُولُ مَعَ هَذِهِ الْأَذْكَارِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَيَضُمُّ إِلَيْهِ: وَسَلَّمَ). قَالَ النَّوَوِيُّ: (قَالَ أَصْحَابُنَا: وَيَقُولُ هَذِهِ الْأَذْكَارَ مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ، وَيَكُونُ عُقَيْبَ الْفَرَاغِ).

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَيُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْقَدْرِ، ثَلَاثًا. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ فِي أَثَرِ وُضُوئِهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، مَرَّةً وَاحِدَةً،

كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاثًا، حَشَرَهُ اللَّهُ مَحْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرَادَ الْغُسْلَ، أَنْ يَأْتِي بِجَمِيعِ أَذْكَارِ الْوُضُوءِ، فِي وُضُوئِهِ، سَوَاءٌ كَانَ غُسْلُهُ فَرْضًا أَوْ نَفْلاً، وَيُسَمِّي اللَّهَ قَبْلَ كَشْفِ عَوْرَتِهِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سِتْرٌ بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْرَحَ ثِيَابَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (سِتْرٌ بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا وَضَعَ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ). وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ فِي اغْتِسَالِهِ، إِنْ كَانَ مَكْشُوفَ الْعَوْرَةِ، أَوْ فِي بَيْتِ الْخَلَاءِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا لَبِسَ ثَوْبَهُ

قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ. (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا لَبِسَ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً أَوْ عِمَامَةً، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ، وَخَيْرَ مَا هُوَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا لَبِسَ ثَوْباً، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّيَاشِ، مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْوُوا ثِيَابَكُمْ تَرْجِعُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا لَمْ يَلْبَسْهُ، وَإِذَا وَجَدَهُ مَنْشُورًا لَبِسَهُ).

وَيُسَنُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْيَمِينِ، فِي كُلِّ مَا هُوَ مَنْدُوبٌ أَوْ مُبَاحٌ، كَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالْخُفِّ وَالنَّعْلِ، وَالسِّوَاك، وَقَصّ الشَّارِبِ، وَنَتْف الإِبْطِ، وَحَلْق الرَّأْسِ، وَتَرْجِيل الشَّعْرِ، وَدُخُول الْمَسْجِدِ، وَنَحْوه. وَباليُسْرى فِيمَا هُوَ لَيْس كَذَلِكَ، كَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَلْع الثَّوْبِ وَالْخُفّ، وَنَحْوه.

وَإِذَا كَانَ الثَّوْبُ جَدِيدًا، يُسْتَحبُّ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ لُبْسِ مَا تَقَدَّمَ، (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيه، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهِ وَشَرّ مَا صُنِعَ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الثَّوْبِ الَّذِي أَخْلَقَ، فَتَصَدَّقَ بِهِ، كَانَ فِي كَنَفِ اللَّهِ، وَفِي حِفْظِ اللَّهِ، وَفِي سِتْرِ اللَّهِ، حَيًّا وَمَيّتًا).

وَإِذَا أَرَادَ أَحداً أَنْ يَلْبَسَ جَدِيداً: قَالَ مَا (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأُمّ خَالِدٍ، حِينَ أَلْبَسَهَا خَمِيصَةٌ: (أَبْلِي وَأَخْلِقِي، مَرَّتَيْن).

وَإِذَا رَأَى لِأَحَدٍ جَدِيداً، قَالَ: (الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا)، قَالَ ذَلِكَ لِعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (حِينَ سَأَلَهُ: أَجَدِيدٌ هَذَا أَمْ غَسِيلٌ؟، قَالَ: بَلْ غَسِيلٌ). وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ: (وَيَرْزُقُكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَعَنْ أُمّ خَالِدٍ، قَالَتْ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ أَبِي، وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَنَهْ سَنَهْ، -وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ-. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ دَهْرًا).

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: (وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا، قِيلَ لَهُ: تُبْلِي، وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ).

فَصْلٌ: يُسَنُّ لِمَنْ أَرَادَ التَّيَمُّمَ أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ تَعَالَى فِي ابْتِدَائِهِ، وَأَمَّا بَاقِي الدَّعَوَاتِ وَالتَّشَهُّدُ بَعْدَهُ، فَلَمْ أَقِفْ عَلَى شَيْءٍ فِي ذَلِكَ لِعُلَمَائِنَا. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا لِأَصْحَابِنَا، وَلَا لِغَيْرِهِمْ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ حُكْمَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي الْوُضُوءِ، فَإِنَّ التَّيَمُّمَ طَهَارَةٌ كَالْوُضُوءِ. اهـ. قَوْلُهُ كَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْكُمَ عَلَى مَذْهَبِنَا.

فَصْلُ: مَا يُقَالُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (بِسْمِ اللَّهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ). زَادَ ابْنُ عَسَاكِرٍ: (أَوْ أَبْغِيَ أَوْ يُبْغَى عَلَيَّ).

وَفِي أُخْرَى: (بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ).

وَفِي غَيْرِهَا: (بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا). وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي دَاوُدَ: (مَا خَرَجَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ بَيْتِهِ، إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ...إِلَخ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، التُّكْلَانُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ، -يَعْنِي عِنْدَ خُروجِهِ مِنَ الْبَيْتِ-: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، يُقَالُ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَيَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ).زَادَ أَبُو دَاوُدَ: (فَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ، قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟).

وَفِي [الْفِرْدَوْسِ]، عَنْ أَنَسٍ: (وَإِذَا قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: كُفِيتَ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ). وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: (إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، تَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ، فَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، يَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلدُّخُولِ لِلْمَسْجِدِ وَالْخُروجِ مِنْهُ

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَسْجِدِ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَذْكَارِ، أَنْ يَدْعُوَ بِهَا، بِمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي مُتَهَجِّدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَوْلهُ: (فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، -يَعْنِي لِلصُّبْحِ-، فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَعَنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْك، وَبِحَقِّ مَخْرَجِي هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْهُ أَشَرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِك، وَاتِّقَاءَ سَخَطِك، فَأَسْأَلُك أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ، وَتُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْك، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِك، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِك، أَسْأَلُك أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، إِلَّا وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ).

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنْ قَالَ ذَاكَ. قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي ذَلِكَ الْيَوْمِ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ. وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، حَمِدَ اللَّهَ، وَسَمَّى، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ). وَزَادَ ابْنُ السُّنِّيِّ: (إِذَا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ، آمِينَ: (وَيَظْهَرُ أَنَّ اخْتِلَافَ الرِّوَايَاتِ، بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الدُّخُولِ، وَالْحَالُ فَلِلإِتْيَانِ بِأَيٍّ مِنْهَا كَانَ، وَلَكِنْ الْجَمْعُ عَيْنُ الْكَمَالِ، فَيَكُونُ أَفْضَلُ، لَا سِيَّمَا لِأَرْبَابِ الْوِصَالِ.

فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ، فَلْيَقُلْ عِنْدَ دُخُولِهِ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ). ثُمَّ يَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ). وَيُقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ فِي خُرُوجِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: (أَبْوَابَ فَضْلِكَ) بَدَلَ (رَحْمَتِكَ)، وَيُقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، قَالُوا: هُوَ الْمَسْجِدُ إِذَا دَخَلْتَهُ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، تَدَاعَتْ جُنُودُ إِبْلِيسَ، وَأَجْلَبَتْ وَاجْتَمَعَتْ، كَمَا تَجْتَمِعُ النَّحْلُ عَلَى يَعْسُوبِهَا، فَإِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِذَا قَالَهَا لَمْ تَضُرَّهُ).

فَصْلٌ: يَنْبَغِي لِدَاخِلِ الْمَسْجِدِ، أَنْ يَنْوِيَ الِاعْتِكَافَ، وَلَوْ مَارًّا، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقِفَ لَحْظَةً، ثُمَّ يَمُرَّ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَلَمْ يَتَمَكَّنَ مِنْ صَلَاةِ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، إِمَّا لِحَدَثٍ أَوْ شُغْلٍ أَوْ نَحْوِهِ. يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ). فَقَدْ قَالَ بِهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

وَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَيِّ ذِكْرٍ كَانَ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِرَاءَةُ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ، وَوَعْظٍ وَفِقْهٍ، وَسَائِرِ عُلُومٍ شَرْعِيَّةٍ، وَيَتَأَكَّدُ فِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ الْمَسَاجِدَ، لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ بِهِ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (يَسْتَبْشِرُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا، لِيَتَعَلَّمَ أَوْ لِيُعَلِّمَهُ، كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ، كَانَ كَالنَّاظِرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ طُرُقًا، إِلَّا لِذِكْرٍ أَوْ صَلَاةٍ).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَمِعَ رَجُلًا، يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلْ: لَا أَدَّاهَا اللَّهُ إِلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَنْ نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ جَهْلاً: لَا وَجَدْتَ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ، فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُنْشِدُ شِعْرًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: فَضَّ اللَّهُ فَاكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). وَالْمُرَادُ: شِعْرًا غَيْر مَحْمُودٍ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلأَعْرَابِيّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، ولَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ). أَوْ كَمَا قَالَ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]. وَقَالَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، فَسَلِّمْ تَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتاً، فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ، فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ السَّلَامَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ بِاسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِاسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ).

(قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، إِنْ عَاشَ كُفِيَ وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ). وَمَعْنَى (ضَامِنٌ): يَعْنِي أَنَّهُ فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا أَعْظَمَ هَذِهِ المِنْحَة، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسَبَبِهَا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، قَالَ: السَّلامُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا، التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهِ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَجَعَ مِنَ النَّهَارِ إِلَى بَيْتِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي مَنَّ عَلَيَّ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ)

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَرَوَيْنَا فِي [مُوطَّإِ مَالِكٍ]: (أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ إِذَا دُخِلَ الْبَيْتُ غَيْرُ الْمَسْكُونِ، يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ، نَفَتِ الْفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْجِيرَانِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ أَتَى مَنْزِلَهُ، وَقَرَأَ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الْفَقْرَ، وَكَثُرَ خَيْرُ بَيْتِهِ، حَتَّى يُفِيضَ بِهِ عَلَى جِيرَانِهِ).

(وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ، قَرَأَ فِي زَوَايَاهُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ).

فَصْلٌ: فِي الأَذَانِ

(قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ، وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ، لَاسْتَهَمُوا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أُذِّنَ فِي قَرْيَةٍ، أَمَّنَهَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهِ، ذَلِكَ الْيَوْمَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ، أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، لَرُعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، -يَعْنِي الْمُؤَذِّنِينَ-، وَأَنَّهُمْ لَيُعْرَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِطُولِ أَعْنَاقِهِمْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرَفُونَ بِطُولِ أَعْنَاقِهِمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ أَعْنَاقًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَذَّنَ مُحْتَسِبًا سَبْعَ سِنِينَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ). وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

وَصِفَتُهُ: أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى

الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وَيَزِيدُ فَلَاحِ الْفَجْرِ: (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنْ النَّوْمِ. مَرَّتَيْنِ).

وَلَا تَرْجِيعَ فِيهِ عِنْدَنَا، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَخْفِضَ صَوْتَهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ يَرْجِعُ، فَيَرْفَعُهُ بِهِمَا، وَيُسَكِّنْ كَلِمَات الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَيَتَرَسَّلُ فِي الْأَذَانِ، وَيُسْرِعُ فِي الْإِقَامَةِ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيُحَسِّنُهُ، وَيُكْرَهُ اللَّحْنُ فِي التَّغَنِّي بِهِ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَذِّنُ صَالِحًا عَالِمًا بِالسُّنَّةِ، وَأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، مُتَوَضِئًا، قَائِمًا عَلَى مَكَانٍ عالٍ، مُستَقْبِلاً الْقِبْلَة، إِلَّا إِنْ أَذَّنَ رَاكِبًا لِعُذْرٍ. وَلَا يَجُوزُ أَذَانُ صَبِيٍّ لَا يَعْقِلُ، وَمَجْنُونٍ، وَسَكْرَانٍ، وَمَعْتُوهٍ، وَامْرَأَةٍ، بَلْ يُعَادُ.

وَيُكْرَهُ أَذَانُ الْفَاسِقِ وَالْمُحْدِثُ، وَالْجُنُبُ، وَالْقَاعِدُ إِلَّا لِنَفْسِهِ.

وَهُوَ وَالْإِقَامَةُ سُنَّتَانِ مُتَأَكدتَانِ، عَلَى الرِّجَالِ لِلْفَرَائِضِ الْخَمْسِ، فِي وَقْتِهَا وَلَوْ قَضَاءً. وَقَالَتْ الشَّافِعِيَّةُ: إِلَّا فِي الصُّبْحِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَذَانُهُ بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ، عَلَى الْأَصَحِّ. وَقِيلَ: عِنْدَ السَّحَرِ. وَقِيلَ: فِي جَمِيعِ اللَّيْلِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَلَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقِيلَ: بَعْدَ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ، وَالْمُخْتَارُ الْأَوَّلُ، وَإِنْ صَلَّى فَوَائِتَ فِي مَجْلِسٍ، كَفَاهُ أَذَانٌ وَاحِدٌ فِي أَوَّلِهَا، بِخِلَافِ الْإِقَامَة، وَبِخِلَافِ مَا إِذَا صَلَّى فِي مَجَالِسٍ، ثُمَّ هُوَ يُسَنُّ فِي أَوْ مُطْلَقًا. نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ، فَقَالَ سُنَنِ الْأَذَانُ:

لِستٍّ قَدْ نَظَمْتُ فِي نَظْمِ بَيْتٍ — شَعْرًا فَمَنَ يَحْفَظُهُمْ انْتَفَعَا
فَرْضُ الصَّلَاةِ وَفِي أُذُنِ الصَّغِيرِ وَفِي — وَقْتِ الْحَرِيقِ وَلِلْحَرْبِ الَّذِي نَقَعَا
خَلْفُ الْمُسَافِرِ وَالغِيلَانُ إِنْ ظَهَرَتْ — فَاحْفَظْ لِسُنَّةِ مَنْ لِلدِّينِ قَدْ شَرَعَا

وَفِي [الْجَامِعِ]: الْغِيلَانُ سَحَرَةُ الْجِنِّ. قَالَ الْمنَاوِيُّ: خَلْقُهَا خَلْقُ الْإِنْسَانِ، وَرِجْلَاهَا رَجِلا حِمَارٍ.

فَصْلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ، فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا). وَفِي رِوَايَةٍ عَكْسه: (غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ، قَالَ: وَأَنَا وَأَنَا). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا سَمِعَتْ الْمُؤَذِّنَ، قَالَتْ: شَهِدْتُ،

وَآمَنْتُ، وَأَيْقَنْتُ، وَصَدَّقْتُ، وَأَجَبْتُ دَاعِيَ اللَّهِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ، يَقُولُ: حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُفْلِحِينَ).

وَعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ بِلَالًا أَخَذَ فِي الْإِقَامَةِ، فَلَمَّا أَنْ قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا). وَقَالَ فِي سَائِرِ أَلْفَاظِ الْإِقَامَةِ كَنَحْوِ حَدِيثِ عُمَرَ السَّابِقِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا فِي حُكْمِهَا، فَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِالْوُجُوبِ، وَبَعْضُهُم بِالاسْتِحْبَابِ، وَالْأَوَّلُ بِالنَّظَرِ إِلَى الدَّلِيلِ أَقْرَب إِلَى الصَّوَابِ. وَأَمَّا إِجَابَةُ الْإِقَامَةِ فَمُسْتَحَبَّةٌ، وَقِيلَ: لَا.

وَكَيْفِيَّتُهَا: أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ، إِلَّا فِي الْحَيْعَلَتَيْنِ فَيَقُولُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). وَقِيلَ: يَقُولُهَا مَعَ الْحَوْقَلَةِ فِي الْأُولَى، وَيَقُولُ: (مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ). وَفِي الثَّانِيَةِ: قَدْ جَاءَتْ السُّنَّةُ بِكُلِّ ذَلِكَ، وَيَقُولُ عِنْدَ قَوْلِهِ: (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ) (صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ)، أَوْ (مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ).

وَفِي [الْأَذْكَارِ]: قِيلَ يَقُولُ: (صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ). وَعِنْدَ قَوْلِهِ: (قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ): (أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ عَقِبَ قَوْلِهِ: (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ): (وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَسُولاً)، وَعِنْدَ قَوْلِهِ: (حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ): (اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُفْلِحِينَ)، كَمَا مَرَّ.

فَصْــلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا. فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وَمَعْنَى (حَلَّتْ): وَجَبَتْ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُنَادِي الْمُنَادِي: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ النَّافِعَةِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَارْضَ عَنْهُ، رِضًى لَا سَخَطَ بَعْدَهُ، اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْإِقَامَة).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ، إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ، فَيُكَبِّرُ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ، وَاجْعَلْ فِي الْعِلِّيِّينَ دَرَجَتَهُ، وَفِي الْمُصْطَفَيْنِ تَحِيَّتَهُ، وَفِي الْمُقَرَّبِينَ ذِكْرَهُ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ مِنِّي، يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ يُؤَذِّنُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ افْتَحْ أَقْفَالَ قُلُوبِنَا بِذِكْرِكَ، وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ مِنْ فَضْلِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ). وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِهَا ضَعْفٌ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يُقِيمُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآتِهِ سُؤْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَسِيلَةَ هِيَ أَعَلَا مَنَازِلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَشْرَفُهَا، وَأَقْرَبُهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ حَسَن الشُّرُنْبُلَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، تَتَفَرَّعُ جَمِيعُ الْجَنَّاتِ، وَهِيَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ دَار الْمَقَامِ، وَلَهَا شُعْبَةٌ فِي كُلِّ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّاتِ، مِنْ تِلْكَ الشُّعْبَةِ يَظْهَرُ مُحَمّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ أَعْظَم مَنْزِلَة فِيهَا، جَعَلْنَا اللَّهُ مِنَ الْفَائِزِينَ بِشَفَاعَتِهِ وَمُجَاوَرَتِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، آمِينَ).

فَصْلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ، فَادْعُوا). وَفِي رِوَايَةٍ: (الدُّعَاءُ مُسْتَجَابٌ، مَا بَيْنَ النِّدَاءِ وَالْإِقَامَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ). وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: (قَالُوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَرُوِيَ: (أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (تُعْطَ) بِغَيْرِ هَاءٍ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نَادَى الْمُنَادِي، فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ، فَلْيَتَحَيَّنِ الْمُنَادِيَ، فَإِذَا كَبَّرَ كَبَّرَ، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ، وَإِذَا قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِذَا

قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُسْتَجَابِ لَهَا، دَعْوَةِ الْحَقِّ، وَكَلِمَةِ التَّقْوَى، أَحْيِنَا عَلَيْهَا، وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا، وَابْعَثْنَا عَلَيْهَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا، مَحْيًا وَأَمْوَاتًا، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ».

وَأَحَادِيثُ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، بَعْدَ بَيَانِ النِّدَاءِ كَثِيرَةٌ.

(**فَائِدَةٌ**): قَالَ فِي [الْمُضْمَرَاتِ]: وَضْعُ الْإِبْهَامَيْنِ عَلَى الْعَيْنَيْنِ سُنَّةٌ، عِنْدَ قَوْلِهِ «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ». لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَمِعَ اسْمِي فِي أَذَانٍ، عِنْدَ قَوْلِهِ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا»، فَوَضَعَ إِبْهَامَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، فَأَنَا قَائِدُهُ بَيْنَ الصُّفُوفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا قَائِدُهُ إِلَى الْجَنَّةِ».

وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ: «قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَضَعُ إِبْهَامِي عَلَى عَيْنِي؟، قَالَ: ضَعْ ظُفْرَكَ عَلَى عَيْنَيْكَ، وَلَا تُمِدُّهَا».

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: «أَنَّ قَوْلَهُ سُنَّةٌ بَعِيدٌ، إِلَّا إِنْ أَرَادَ بِهَا سُنَّةٌ غَيْر مُؤَكَّدَة، بِمَنْزِلَةِ الْمُسْتَحَبّ».

وَقَال الْفَاكِهِيُّ، فِي [خُلَاصَةِ التَّحْصِينِ]، «مِنَ الْعَمَى وَالرَّمَدِ: وَهُوَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ سَمَاعِ الْمُؤَذِّنِ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»: «رَسُولُ اللَّهِ، حَبِيبِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيُقَبِّلُ إِبْهَامَيْ نَفْسِهِ، ثُمَّ يُمِرُّ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ. عَلَى مَا فِي [مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ]، لِلْحَافِظِ الرَّدَّاد بِسَنَدِهِ».

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ

فِي الْحَدِيثِ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاهُ، وَلَا رَبٍّ يَبِيدُ ذِكْرُهُ، وَلَا لَكَ شُرَكَاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ، وَلَا كَانَ قَبْلَكَ إِلَهٌ نَدْعُوهُ، وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي).

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، جَلَسَ فَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَهَبَ لِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ، تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا، وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي، وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ، أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ. اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي، مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ،

وَأَسْأَلُكَ إِيَّاهُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، سِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ، وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ. اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُهْدُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعَرِي، وَنُورًا فِي بَشَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزَّ، وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْمَجْدَ، وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي، فَقَالَ حِينَ انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ: اللَّهُمَّ ائْتِنِي، أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الصَّلَاةَ، قَالَ: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِذًا تَعْقِرُ جَوَادَكَ، وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، (أَنَّ رَجُلًا جَاءَ، فَدَخَلَ الصَّفَّ، وَقَدْ أَلْحَقَهُ الْحَثُّ وَالإِعْجَال، وَحفزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاتَهُ. قَالَ: أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟. فَأَرَمَّ الْقَوْمُ. فَقَالَ: أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا. فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ، فَقُلْتُهَا. فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا، يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا).

وَعَنْ أُمِّ رَافِعٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ، يَأْجُرُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ. قَالَ: يَا أُمَّ رَافِعٍ، إِذَا قُمْتِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَسَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَهَلِّلِيهِ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، وَكَبِّرِيهِ عَشْرًا، وَاسْتَغْفِرِيهِ عَشْرًا، فَإِنَّكِ إِذَا سَبَّحْتِ عَشْرًا، قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا هَلَّلْتِ، قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا حَمِدْتِ، قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا كَبَّرْتِ، قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا اسْتَغْفَرْتِ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكِ)

فَصْلٌ: فِي الإِقَامَةِ

كَالْأَذَانِ فِي الْحُكْمِ وَالْكَيْفِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْهَا، وَيَزِيدُ فِيهَا بَعْدَ قَوْلِهِ: (حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ): (قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ) مَرَّتَيْنِ، لِحَدِيثِ الْمَلَكِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ أَذَّنَ مَثْنَى مَثْنَى، وَأَقَامَ كَذَلِكَ، وَيُسْرِعُ فِيهَا.

وَالدُّعَاءُ عِنْدَ الْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ. رَوَى الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي [الْأُمِّ]، بِإِسْنَادِهِ حَدِيثًا مُرْسَلاً: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: اُطْلُبُوا إِجَابَةَ الدُّعَاءِ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ). وَقَالَ: وَقَدْ حَفِظْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، طَلَبَ الْإِجَابَةِ عِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَاعَتَانِ لَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ: حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ، وَفِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْتَتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ؟، فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ، مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ، كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشْرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبَّحَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

فَصْلٌ: فِي تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ

اعْلَمْ أَنَّهُ يَصِحُّ الدُّخُولُ فِي الصَّلَاةِ، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، بِكُلِّ ذِكْرٍ خَالِصٍ للهِ تَعَالَى، كَ(اللَّهُ أَعْظَمُ)، وَ(اللَّهُ أَجَلُّ، وَ(سُبْحَان اللَّهِ)، وَ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَنَحْو ذَلِكَ.

وَأَمَّا لَفْظُ التَّكْبِيرِ فَوَاجِبٌ، وَقِيلَ لَا. وَلَمْ يُجِزْ مَالِكٌ بِغَيْرِ (اللَّهُ أَكْبَرُ)، وَالشَّافِعِيُّ بِهِ وِبِـ(اللَّهُ أَكْبَرُ). وَلَا يَصِحُّ الشُّرُوعُ بِالْعَجَمِيَّةِ، لِمَنْ قَدَرَ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ. وَلِلتَّكْبِيرَةِ شُرُوطٌ مَحلّهَا كُتُب الْفِقْهِ. وَقَدْ أَنْهَاهَا الشُّرُنْبُلَالِيُّ إِلَى عِشْرِينَ.

وَإِذَا كبَّر يُسَنُّ لَهُ أَنْ يَأْتِي بِدُعَاءِ الاسْتِفْتَاحِ مُطْلَقًا. وَهُوَ مَا رَوَتْهُ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ). رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَجُمْهُورِ التَّابِعِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]، أَيْ قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِكَ). زَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ).

وَلَا يَأْتِي بِدُعَاءِ التَّوَجُّهِ، لَا قَبْلَ الشُّرُوعِ وَلَا بَعْدَهُ عَلَى الصَّحِيحِ، وَهَذَا فِي الْفَرِيضَةِ، وَأَمَّا النَّافِلَةُ فَيَأْتِي بِهِ وَبِغَيْرِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ.

وَقَدْ جَاءَ فِيمَا بَعْد تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ. قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَقْتَضِي مَجْمُوعُهَا، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا

شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]. اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لي ذُنُوبِي جَمِيعًا، فإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَها، لَا يَصْرِفُ سَيِّئَها إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أنا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبارَكْتَ وَتعالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ).

ويَقُولُ: (اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ). فَكُلُّ هَذَا الْمَذْكُورِ ثَابِتٌ فِي [الصَّحِيحِ]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَعَمِلْتُ سُوءًا، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي، لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وَهَذَا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَذْكَارِ، فِي دُعَاءِ التَّوَجُّهِ، فِيمَا يَنْبَغِي الْإِتْيَانُ بِجَمِيعِهِ فِي النَّافِلَةِ، إِذَا أَمْكَنَ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ، كَمَا قَالَهُ الْبَعْضُ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَأْتِي بِمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَحْيَانًا، وَفِي بَعْضِهَا فِي غَيْرِهَا.

وَهَذَا عِنْدَنَا. وَأَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ فَيُسْتَحَبُّ لِلْمُنْفَرِدِ وَالْإِمَامِ، إِنْ أُذِنَ لَهُ مُطْلَقًا، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟. قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ، فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفْتُ فِيهِ، مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وَإِذَا اسْتَفْتَحَ وَأَتَى بِالتَّوَجُّهِ فِي النَّفْلِ، يُسَنُّ لَهُ اتِّفَاقًا أَنْ يَتَعَوَّذَ سِرًّا، فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى فَقَطْ، وَهُوَ تَابِعٌ لِلْقِرَاءَةِ، فَيَأْتِي بِهِ الْمَسْبُوقُ، لَا الْمُقْتَدِي، وَالْمُصَلِّي عَلَى مَيِّتٍ، وَيُؤَخِّرُ عَنْ تَكْبِيرَةِ الْعِيدَيْنِ.

فَصْلٌ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. مَعْنَاهُ إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ، عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ. وَالْأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). وَجَاءَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). وَاخْتَارَهُ بَعْضُ عُلَمَائِنَا.

وَقَالَ فِي [الْهِدَايَةِ]: الْأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: (أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ)، لِيُوَافِقَ الْقُرْآنَ، وَالْمُخْتَارُ الْأَوَّلُ.

وَجَاءَ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ، السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ نَفْخِهِ وَهَمْزِهِ وَنَفْثِهِ).

وَجَاءَ مُفَسَّرًا فِي الْحَدِيثِ: (أَنَّ هَمْزَهُ: الْمَوْتُ وَهِيَ الْجُنُونُ، وَنَفْخَهُ: الْكِبْرُ، وَنَفْثَهُ: الشِّعْرُ).

وَبعْدَ التَّعوُّذِ، يُسَنُّ لِمَنْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ تَعَالَى سِرًّا، فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ رَكْعَةٍ، لَا بَيْنَ الْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ مُطْلَقًا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ يس: إِذَا خَافَتَ لَا كَرَاهَةَ، بَلْ قِيلَ اسْتِحْسَانًا وَهُوَ أَحْسَنُ.

وَالْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، أُنْزِلَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ، لَا مِنَ الْفَاتِحَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا.

وَقَالَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا: لَيْسَتْ قُرْآنًا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُلِّ سُورَةٍ. وَنُسِبَ لِلشَّافِعِيَّةِ، وَالْخِلَافُ فِي غَيْرِ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّمْلِ. أَمَّا هِيَ فَبَعْضُ آيَةٍ بِاتِّفَاقٍ، وَلَا يَكْفُرُ مُنْكِرُهَا وَلَا مُثْبِتُهَا، بِالْإِجْمَاعِ.

وَيَجِبُ وَلَا يَفْتَرِضُ بَعْدَ التَّسْمِيَةِ، عَلَى الْإِمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ، أَنْ يَقْرَءَا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ مَعَهَا، فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْفَرْضِ، وَفِي جَمِيعِ النَّفْلِ الْوِتْرِ، وَالْقِرَاءَةُ الْمَفْرُوضَةُ آيَةٌ وَلَوْ قَصِيرَة فِي رَكْعَتَيْنِ، غَيْر مُعَيَّنَتَيْنِ مِنَ الْفَرْضِ، وَفِي كُلِّ الْوِتْرِ وَالنَّفْلِ، فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ شَيْئًا مِنْهُ، فَهُوَ أُمِّيٌّ، وَصَلَاتُهُ جَائِزَةٌ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَمِثْلُهُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْهُ التَّعْلِيمَ.

وَاخْتَلَفَ الشَّافِعِيَّةُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَأْتِي بِسَبْعَةِ أَذْكَارٍ، لَا يَنْقُصُ حُرُوفُهَا عَنِ الْفَاتِحَةِ. وَقِيلَ: يَتَعَيَّنُ مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى: (أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي، قَالَ: قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا يُجْزِئُنِي فِي صَلَاتِي).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَوْلَى أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ مَا رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: (مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ). وَلَمْ أَرَ نَحْوَ هَذَا لِعُلَمَائِنَا.

فَصْلٌ: فِي الْقِرَاءَةِ

وَالْقِرَاءَةُ الْمَسْنُونَةُ أَنْ تَكُونَ السُّورَةُ فِي الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ، مِنْ طِوَالِ الْمُفَصَّلِ، وَفِي الْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ قِصَارِهِ، وَلَوْ كَانَ مُقِيمًا، وَأَيِّ سُورَةٍ شَاءَ لَوْ مُسَافِرًا.

وَالْمَفَصَّلُ هُوَ السَّبْعُ السَّابِعِ، وَفِي أَوَّلِهِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ مِنَ الْحُجُرَاتِ. وَقِيلَ: مِنْ سُورَةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مِنَ الْفَتْحِ، أَوْ مِنْ قَافٍ. الطِّوَالُ مِنْ مَبْدَئِهِ إِلَى الْبُرُوجِ، وَالْأَوْسَاطُ مِنْهَا إِلَى ﴿لَمْ يَكُنْ﴾. وَالْقِصَارُ إِلَى آخِرِهِ. وَقِيلَ: طِوَالُهُ مِنَ الْحُجُرَاتِ إِلَى ﴿عَبَسَ﴾، وَأَوَاسِطُهُ مِنْ ﴿كُوِّرَتْ﴾ إِلَى الضُّحَى، وَالْبَاقِي قِصَارُهُ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ﴿الم تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾). وَقَدْ تَرَكَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَّا النَّادِرِ مِنْهُمْ هَذِهِ السُّنَّةَ، وَلَازَمَ عَلَيْهَا الشَّافِعِيَّةُ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَمَا جَاءَ فِي الْمَغْرِبِ، صحَّ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالْأَعْرَافِ). (وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]).

وَآخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَغْرِب، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، كَمَا قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِـ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، وَقَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ ﴿حم﴾ الدُّخَان، وَصَلَّى الْمَغْرِب، فَقَرَأَ الْقَارِعَة.

وَكَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ، لَيْلَة الْجُمُعَةِ، بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الْعِشَاءِ مِنْهُ هَذَا الْقَرِيب، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، (سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون﴾).

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّت﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. وَنَحْوِهَا فِي السُّوَرِ). كَمَا كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ بِـ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوج﴾، وَ﴿وَالسَّمَاء وَالطَّارِق﴾. وَكَانَ يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيف، وَيَؤُمُّنَا بِالصِّغَارِ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (مَا مِنَ الْمُفَصَّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَؤُمُّ النَّاسَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ).

قَال الشُّرُنْبُلَالِيُّ: انْتَهَى مَا قُلْنَاهُ عَنِ الْجَلَالِ السُّيُوطِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، لِيَقْتَدِي بِهِ مَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَا بَلَغَهُ مِنَ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَقَدْ عَلِمْتُ التَّفْصِيلَ فِي الْقِرَاءَةِ، مِنَ الْمُفَصَّلِ مِنَ الْأَوْقَاتِ عِنْدَنَا، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

وَالْمُسْتَحَبُّ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، قِرَاءَة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، فِي الْأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَاشِيَة.

وَقَدْ جَاءَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ. وَجَاءَ أَنَّهُ قَرَأَ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ: الِانْشِقَاق، وَ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾. وَجَاءَ أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْأُولَى

مِنْ سُنَّةِ الْفَجْرِ، بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَجَاءَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وَ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]. وَثَبَتَ أَنَّهُ قَرَأَ فِي أَحَدِهَا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وَاسْتَحْسَنَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنْ يَقْرَأَ فِي الْأُولَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾. وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ذَلِكَ أَمَانٌ مِنَ الرَّمَدِ. وَكَانَ الْإِسْنَوِيُّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَبَيْنَ الْكَافِرُونَ وَالْإِخْلَاصِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ فِي الْأُولَى مِنْ سُنَّةِ الْمَغْرِبِ: ﴿الم تَنْزِيلُ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿تَبَارَكَ﴾.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ مَعَ أَحَدٍ، يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِـ﴿الحَمْدُ﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ﴿الحَمْدُ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ، كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ سَلْخِهَا).

وَيُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾، وَالإِخْلَاص، فِي تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، وَرَكْعَتَيْ الطَّوَافِ، وَالِاسْتِخَارَة، وَالْحَاجَة، وَالْوُضُوء، وَالْإِحْرَام، وَنَحْوِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَ فِي الْأُولَى، مِنَ الْوِتْرِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾.

وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ: بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قَرَأَ فِي الثَّالِثَةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ). فَيُعْمَلُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتِمَ خَتْمَةً فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ كُلِّهَا، كُلَّ لَيْلَةٍ نَحْوَ جُزْءٍ مِنْ ثَلَاثِينَ. وَفِي الاخْتِيَارِ الْأَفْضَلُ فِي زَمَانِنَا، قَدْرَ مَا لَا يُثَقِّلُ عَلَيْهِم. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يُتْرَكُ الْخَتْمَ وَإِنْ ثَقُلَ. وَتُطَالُ الْقِرَاءَة فِي أُولَى الْفَجْرِ فَقَطْ عَلَى الثَّانِيَةِ، بِقَدْرِ الثُّلُثِ وَالثُّلُثَيْنِ عَلَى الصَّحِيحِ، أَوْ بِقَدْرِ النِّصْفِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُطَوِّلُ الْقِرَاءَةَ، فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، مِنَ الصُّبْحِ وَغَيْرِهَا، مَا لَا يُطَوِّلُ فِي الثَّانِيَةِ). وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَيُكْرَه إِطَالَةُ الثَّانِيَةِ عَلَى الْأُولَى، إِجْمَاعًا، بِثَلَاثِ آيَاتٍ فَأَكْثَرَ، إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الْوَارِدِ، وَهَذَا فِي الْفَرْضِ، أَمَّا فِي النَّفْلِ فَيُسَوِّي بَيْنَ رَكَعَاتِهِ، إِلَّا مَا وَرَدَتْ بِهِ سُنَّةٌ، وَلَا كَرَاهَة فِي تَطْوِيلِ أُولَاهُ.

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْفَجْرِ، وَأُولَى الْعِشَائَيْنِ، أَدَاءًا وَقَضَاءًا، وَالْجُمُعَةِ، وَالْعِيدَيْنِ، وَالتَّرَاوِيحِ، وَالْوِتْرَ بَعْدَهَا، وَيُسِرُّ فِي غَيْرِهَا،

كَمُتَنَفِّلٍ بِالنَّهَارِ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْإِمَامِ، وَيُخَيَّرُ الْمُنْفَرِدُ فِي الْجَهْرِيَّةِ، كَمُتَنَفِّلٍ بِاللَّيْلِ، وَالْجَهْرُ أَفْضَلُ إِنْ سَلِمَ مِنْ آفَةٍ.

فَصْــلٌ: وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْفَاتِحَةِ، يُسَنُّ لِكُلِّ مُصَلٍّ، أَنْ يَقُولَ: آمِينَ، سِرًّا. (وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمِّنُوا لِتَأْمِينِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، فِي كَثْرَةِ فَضْلِهِ وَعِظَمِ أَجْرِهِ. وَهَذَا التَّأْمِينُ مُسْتَحَبٌّ لِكُلِّ قَارِئٍ، سَوَاءٌ كَانَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ خَارِجِهَا.

وَفِيهِ خَمْسُ لُغَاتٍ، أَفْصَحُهُنَّ وَأَشْهَرُهُنَّ: بِالْمَدِّ وَالتَّخْفِيفِ. وَالثَّانِيَةُ: بِالْقَصْرِ وَالتَّخْفِيفِ. وَالثَّالِثَةُ: بِالْإِمَالَةِ. وَالرَّابِعَةُ: بِالْمَدِّ وَالتَّشْدِيدِ. وَالْخَامِسَةُ: بِالْقَصْرِ مَعَ التَّشْدِيدِ، فَالْأُولَيَانِ مَشْهُورَتَانِ. وَالْأُخْرَتَانِ حَكَاهُمَا الْوَاحِدِيُّ فِي [الْبَسِيطِ]، وَالْخَامِسَةُ غَيْرُهُ، وَالْأُولَى أَوْلَى.

وَمَعْنَاهَا: (اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ). وَقِيلَ: طَابَعُ للهِ عَلَى عِبَادِهِ، يَدْفَعُ بِهِ عَنْهُمُ الْآفَاتِ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى.

فِي حَدِيثِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: آمِينَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ: ﴿غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، آمِينَ).

فَصْــلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ فِي الْفَرْضِ بِقَلْبِهِ، وَفِي النَّفْلِ أَوْ خَارِجَ الصَّلَاةِ بِهِ، مَعَ اللِّسَانِ، إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا مَرَّ

بِآيَةِ عَذَابٍ، أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ مِنَ الشَّرِّ، أَوْ مِنَ الْمَكْرُوهِ. وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهٍ، فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى)، أَوْ (تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، أَوْ (جَلَّتْ عَظَمَةُ رَبِّنَا)، أَوْ (تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا)، أَوْ نَحْو ذَلِكَ.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ. ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا. يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ، فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ. قَالَ: وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَمَّا خَتَمَهَا، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. قُلْتُ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ: كَمْ مَرَّةً؟، قَالَ: سَبْعَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قَرَأَ الَّتِي بَعْدَهَا، فَلَمَّا خَتَمَهَا، قَالَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعًا).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُورَةَ الرَّحْمَنِ عَلَى أَصْحَابِهِ، حَتَّى فَرَغَ قَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا، لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]. إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَرَأَ يس: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى﴾ [يس: ٨١]. قَالَ: بَلَى).

(وَإِذَا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، قَالَ: بَلَى). (وَقِيلَ: كَانَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبَلَى). (وَقِيلَ: سُبْحَانَكَ وَبَلَى).

(وَإِذَا قَرَأَ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ).

(وَإِذَا قَرَأَ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، فَقَالَ: آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا).

(وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَرَأَ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ: سُبْحَانَ رَبكَ الْأَعْلَى).

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ وَسَمِعَ، قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وَقَوْلَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، قَالَ: (بَلَى وَأَنَا أَشْهَدُ).

وقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾، قَالَ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدَيْنِ).

وقَوْلَهُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى).

وَقَوْلَهُ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ: (آمَنْتُ بِاللَّهِ).

وَإِذَا مرَّ عَلَى اسْمِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ

تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]. وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي الْبَابِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَذَلِكَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي مُعَامَلَتِهِ.

وَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ يس، لَهُ أَنْ يُكَبِّرَ سَرًّا، إِنْ كَانَ غَيْرَ إِمَامٍ، مَادًّا تَكْبِيرَةَ مِنْ قِيَامِهِ إِلَى انْتِهَاءِ رُكُوعِهِ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الرُّكُوعِ

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَامَ لِلصَّلَاةِ، يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرُّكُوعِ.ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ. ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا، حَتَّى يَقْضِيَهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الثِّنْتَيْنِ، بَعْدَ الْجُلُوسِ).

وَيُسَنُّ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلَاثًا)، وَذَلِكَ أَدْنَى السُّنَّةِ، (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، ثَلَاثًا، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ).

وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي رُكُوعِهِ الطَّوِيل، الَّذِي كَانَ قَرِيباً مِنْ قِرَاءَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ،: سُبْحانَ رَبِّيَ العَظِيمِ). وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَرَّرَهَا فِيهِ، كَمَا جَاءَ مُبَيّنًا فِي غَيْرِه.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: سُبْحانَ رَبيَ العَظِيمِ، ثَلاثًا، فَقَدْ تَمَّ رُكُوعَهُ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَكَعَ، قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، ثَلاثًا، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ، ثَلاثًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: اللَّهُمَّ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَكَعَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي، لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ). قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ): يُضَمُّ أَوَّلُهُمَا وَيُفْتَحُ، لُغَتَانِ: أَجْوَدُهُمَا وَأَكْثَرُهُمَا الضَّمُّ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: (قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ، إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ. قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ. يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ. ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ).

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّنَّةَ عِنْدَنَا فِي رُكُوعِ الْفَرِيضَةِ، هُوَ: (سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، ثَلَاثًا)، وَيَزِيدُ مِنْهُ وَغَيْرِهَا، مَا شَاءَ بِالْوِتْرِ، وَفِي رُكُوعِ النَّافِلَةِ هُوَ، وَمَا شَاءَ مِنَ الْأَذْكَارِ، وَإِنْ جَمَعَ الْمَأْثُورَ كُلَّهُ فِيهَا فَحَسَنٌ، لِأَنَّ بَابَهَا وَاسِعٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ يَكُنْ التَّسْبِيحُ وَاجِبًا عِنْدَكُمْ، لِظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَلِلْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُطِيعٍ الْبَلْخِيّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ وَدَاوُدَ، وَجَمَاعَةٌ؟.

قُلْتُ: أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ صَاحِبُ [الْبَحْرِ]: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عِنْدَنَا، لِوُجُودِ صَارِفٍ، وَهُوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يَذْكُرْهُ لِلْأَعْرَابِيّ، حِينَ عَلَّمَهُ وَاجِبًا لِذِكْرِهِ لَهُ، وَالْمُوَاظَبَةَ لَمْ تُنْقَلْ صَرِيحًا، وَهَذَا الصَّارِفُ مَنَعَ مِنَ الْقَوْلِ بِهَا ظَاهِرًا، فَلِهَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِلِاسْتِحْبَابِ، كَمَا صرَّحَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَايِخ. اهـ.

وَفِيهِ نَظَرٌ، إِذْ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لَمْ يُعَلِّمْهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْأَعْرَابِيّ، فَالْأَقْرَبُ مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلِ عَلَى قَوَاعِدِ الْمَذْهَبِ الْوُجُوبُ، كَمَا قَالَ العَلَّامَةُ، شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْكَرِيمِ الملتامي، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ. فَحِينَئِذ الْأَحْوط أَنْ لَا يُتْرَكَ التَّسْبِيحُ، لَا سِيَّمَا لِلْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ.

وَتُكْرَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، لِلنَّهْيِ عَنْهَا فِي السُّنَّةِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، قَالَ: (سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)، (رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ)، لَوْ إِمَامًا أَوْ مُنْفَرِدًا، وَلَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْفَرِيضَةِ، وَالْمُقْتَدِي يَأْتِي بِالتَّحْمِيدِ فَقَطْ، وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، كُلُّ وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ: (رَبَّنَا لَكَ

الْحَمْدُ)، (رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)، (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ)، (اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ). وَأَمَّا النَّافِلَةُ فَيَزِيد فِيهَا مَا شَاءَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ التَّسْمِيعِ وَالتَّحْمِيدِ.

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: (كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا آنِفًا؟، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا، يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ). وَفِي رِوَايَةٍ بَعْد ذَلِكَ: (أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ).

وَفِي رِوَايَةٍ: بِزِيَادَةِ قَبْلَ (وَلَا يَنْفَعُ): (وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ)، بَعْدَ: (اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ).

فَيَنْبَغِي الْإِتْيَانُ بِكُلِّ هَذَا فِي النَّافِلَةِ، عَلَى تَرْتِيبِ الْأَحَادِيثِ، أَوْ الْبَعْضِ أَحْيَانًا، وَالْآخر أَحْيَانًا.

وَإِذَا اعْتَدَلَ، كبَّرَ مِلْءَ التَّكْبِيرَةِ، إِلَى أَنْ يَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ لِلسُّجُودِ، وَهُوَ سُنَّةٌ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ السَّجُودِ

وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: (سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، ثَلَاثًا)، وَذَلِكَ أَدْنَى السُّنَّةِ، وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ الْمَذْكُورِ فِيهِ طُولُ الْقِيَامِ، (ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي).

وَتَقَدَّم (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَجَدَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ، أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَجَدَ، قَالَ: اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَهَذَا مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، اغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ، إِلَّا الرَّبُّ الْعَظِيمُ).

وَفِي حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، الْمُتَقَدِّمِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَكَعَ رُكُوعَهُ الطَّوِيلَ، وَيَقُولُ فِيهِ: سُبْحَانَ رَبِّي، ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْعَظَمَةِ. ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (...، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَمَا يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ

وَالْمَلَكُوتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْعِزِّ وَالْجَبَرُوتِ، وَأَمَّا أَهْلِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، فَقُلْهَا يَا عُمَرُ فِي صَلَاتِكَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالَّذِي عَلَّمْتَنِي، وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَقُولَهُ فِي صَلَاتِي؟. قَالَ: قُلْ هَذِهِ مَرَّةً، وَهَذِهِ مَرَّةً. وَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ، أَنْ قَالَ: أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ وَجْهُكَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (افتقدْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَتَحَسَّسْتُ، فَإِذَا هُو راكعٌ، أَوْ سَاجدٌ. يقولُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي السُّجُودِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ).

وَعَنْهَا: (أَنَّهَا فَقَدَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَضْجَعِهَا، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: رَبِّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ، إِذَا وَضَعْتَ وَجْهَكَ سَاجِدًا، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى شُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا الرُّكُوعُ: فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ). (قَمِنٌ): بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا، وَيُجُوزُ فِي اللُّغَةِ قَمِيْن، وَمَعْنَاهُ: حَقِيقٌ وَجَدِيرٌ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى (سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى)، فِي النَّافِلَةِ مُسْتَحْسَنَةٌ، بَلْ الْإِتْيَانُ بِجَمِيعِهَا مُسْتَحَبٌّ، أَمَّا الْفَرِيضَة فَلَا يُزَادُ فِيهَا.

وَحُكْمُ سَجْدَةِ التِّلَاوَةِ فِي التَّسْبِيحِ، كَحُكْمِ سَجْدَة الْفَرِيضَةِ عَلَى الْأَصَحِّ.

وَقَالَ الْكَمَالُ: (يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ ذَلِك فِي غَيْرِ النَّفْلِ، وَفِيهِ يَقُولُ مَا شَاءَ مِمَّا وَرَدَ، كَ(سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتُهِ).

أَوْ قَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ اُكْتُبْ لِي عِنْدَك بِهَا أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَك زُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتهَا مِنْ عَبْدِك دَاوُد).

وَإِنْ كَانَ خَارِجَ الصَّلَاةِ، قَالَ كُلَّ مَا أُثِرَ مِنْ ذَلِك. وَزَادَ الْحَاكِمُ فِي رِوَايَتِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: (بِحَوْلِهِ وَقُوَّتُهِ): (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ).

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ أَيْضًا: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، نَصَّ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى هَذَا الْأَخِيرِ أَيْضًا.

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ كَبَّرَ، مَادًّا ذَلِك إِلَى أَنْ يَطْمَئِنَّ جَالِسًا. وَلَيْسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ ذِكْرٌ مَسْنُونٌ عِنْدَنَا. وَالْوَارِدُ فِي ذَلِك مَحْمُولٌ عَلَى التَّهَجُّدِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، ذِي الْقِيَامِ الطَّوِيلِ، (وَكَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَجَلَسَ بِقَدْرِ سُجُودِهِ).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْفَعْنِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَعَافِنِي). وَكُلُّهُ فِي النَّفْلِ مُسْتَحْسَنٌ.

وَيَزِيدُ: (اللَّهُمَّ هَبْ لِي قَلْبًا تَقِيًّا، نَقِيًّا مِنَ الشَّرِّ، بَرِيئًا، لَا كَافِرًا وَلَا شَقِيًّا)، لِحَدِيثٍ وَرَدَ فِيهِ، كَمَا قَالَهُ الْمُتَوَلِّي مِنَ الشَّافِعِيَّةِ.

فَصْلٌ: وَالسَّجْدَةُ الثَّانِيَةُ فِي الأَذْكَارِ كَالْأُولَى، وَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا، رَفَعَ رَأْسَهُ مُكَبِّرًا بِالْمَدِّ، إِلَى انْتِهَاءِ الْقِيَامِ بِلَا اسْتِرَاحَةٍ. وَمَدُّ التَّكْبِيرِ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ، إِنَّمَا هُوَ بِمَدِّ اللَّامِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْجَلَالَةِ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ. وَكُلُّ التَّكْبِيرَاتِ سُنَّةٌ، مَا عَدَا الْأُولَى.

فَصْلٌ: وَأَذْكَارُ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ كَالْأُولَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ لِلِافْتِتَاحِ، وَلَا يَسْتَفْتِحُ، وَلَا يَتَعَوَّذُ، وَقَصَّرَ قِرَاءَتَهَا فِي الْفَجْرِ فَقَطْ. وَأَمَّا أَذْكَارُ مَا بَعْدَ الْأُولَيَيْنِ، فَفِي الْفَرْضِ لَيْسَ إِلَّا الْفَاتِحَة سِرًّا، مَعَ أَذْكَارِ الانْتِقَالَاتِ، وَفِي النَّفْلِ الْفَاتِحَة وَالسُّورَة.

وَاخْتُلِفَ فِي الاسْتِفْتَاحِ وَالتَّعَوُّذِ، فَقِيلَ يَأْتِي بِهِ فِي الثَّالِثَةِ مُطْلَقًا. وَقِيلَ: لَا مُطْلَقًا، إِنْ كَانَتْ رُبَاعِيَّة مُؤَكَّدَةٌ لَا، وَإِنْ مُسْتَحَبَّة نَعَمْ، وَيَزِيدُ الْوِتْرَ عَلَى النَّفْلِ، بِالْقُنُوتِ قَبْلَ رُكُوعِ ثَالِثَةٍ، وَبِتَكْبِيرَةٍ قَبْلَ قُنُوتِهِ، مَعَ رَفْعِ يَدَيْهِ.

فَصْلٌ: فِي الْقُنُوتِ

وَالْقُنُوتُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُوتِرٍ مُكَلَّفٌ، فِي جَمِيعِ السَّنَةِ، وَمَعْنَاهُ الدُّعَاء.

وَاخْتَارَ عُلَمَاؤُنَا أَنَّ يَقْنُتَ بِمَا رُوِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَهْدِيْكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَنَثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَشْكُرُكَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ، وَنَتْرُكَ مَنْ يَفْجُرُكَ. اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ).

وَإِذَا لَمْ يُحسِنْ هَذَا يَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، ثَلَاثًا). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، أَوْ: (يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ).

وَقَالُوا: يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بَعْدَ هَذَا بِلَا تَعْيِينٍ، وَعَيَّنَ بَعْضُهُم دُعَاءً، كَدُعَاءِ الْحَسَنِ فِي وِتْرِهِ، لِأَنَّهُ وَارِدٌ بِصِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَذَلِكَ مَا رَوَاهُ كَثِيرٌ بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ. -وَفِي لَفْظٍ: قُنُوتِ الْوِتْرِ-. -وَفِي أُخْرَى: فِي وِتْرِي إِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا السُّجُودُ-. وَفِي غَيْرِهِ: -فِي الْوَتْرِ قَبْلَ الرُّكُوعِ- : اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْك، وَأَنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ). وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ (وَالَيْتَ): (وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ). وَزَادَ النَّسَائِيُّ بَعْدَ (وَتَعَالَيْتَ): (وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَسَلَّمَ).

وَإِنْ كَانَ إِمَامًا، يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِي بِلَفْظِ الْجَمْعِ، فَيَقُولُ: اهْدِنَا وَعَافِنَا، إِلَخ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَؤُمُّ عَبْدٌ قَوْمًا، فَيَخُصُّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ).

وَلَا يُقْنُتُ فِي غيرِ الْوِتْرِ عِنْدَنَا، إِلَّا لِنَازِلَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ، فَيُقْنَتُ فِي الْفَجْرِ، عَلَى مَا قَالَهُ الطَّحَاوِيُّ. وَالْإِسْرَارُ بِهِ أَفْضَلُ مُطْلَقًا، وَقِيلَ إِلَّا فِي بِلَادِ الْعَجَمِ.

فَالْأَفْضَلُ لِلْإِمَامِ الْجَهْرُ بِهِ، لِيَسْتَعْمِلُوا لَهُ، كَمَا جَهر عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالثَّنَاءِ، حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ وَفْدُ الْعِرَاقِ.

فَصْلٌ: فِي التَّشَهُّدِ

وَبَقِيَ مِنْ أَذْكَارِ الصَّلَاةِ التَّشَهُّدُ، وَمَا بَعْدَهُ، وَهُوَ وَاجِبٌ فِي كُلِّ قُعُودٍ أَوَّلاً كَانَ أَمْ ثَانِيًا. وَقِيلَ: فِي الْأَوَّلِ سُنَّة، وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلَاثِ طُرُقٍ:

أَحَدُهَا: وَهُوَ أَوَّلُهَا عِنْدَنَا، طَرِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَّشَهُّدَ، كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: فَقَالَ: إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

ثَانِيهَا: طَرِيقُ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ، لِلَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ

اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).

ثَالِثُهَا: طَرِيقُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ، لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ طُرُقٌ، هِيَ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: (وَالثَّابِتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَةُ أَحَادِيثَ، حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبُو مُوسَى). وَقَالَ غَيْرُهُ: (صَحِيحَةٌ، وَأَصَحُّهَا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَصَحُّ حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي التَّشَهُّدِ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ). وَقَالَ مَالِكٌ: (أَكْمَلُهُ تَشَهُّد عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَاخْتَارَ الشَّافِعِيُّ تَشَهُّد ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: (عَلَّمَتْنِي عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: هَذَا تَشَهُّدُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

قَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنبَرِ، يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ، قُولُوا: (التَّحِيَّاتُ للَّهِ، الزَّاكِيَاتُ للَّهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ للَّهِ؛ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ، إِذَا تَشَهَّدَتْ، تَقُولُ: (التَّحِيَّاتُ، الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ للَّهِ، الزَّاكِيَاتُ للَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا: (التَّحِيَّاتُ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ، الزَّاكِيَاتُ لِلَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَتَشَهَّدُ، فَيَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ، التَّحِيَّاتُ للَّهِ، الصَّلَوَاتُ للَّهِ، الزَّاكِيَاتُ للَّهِ، السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، شَهِدْتُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ). فَهَذِهِ طُرُقٌ مِنَ التَّشَهُّدِ، وَلِلْمُصَلِّي أَنْ يَأْتِي بِمَا شَاءَ مِنْهَا. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَفْضَلُ.

أَمَّا التَّسْمِيَةُ قَبْلَهُ، فَقَدْ ذُكِرَتْ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، مَوْقُوفَةً، وَجَاءَتْ مَرْفُوعَةً، لَكِنْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ: زِيَادَتُهَا غَيْر صَحِيحَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ الْفُقَهَاء، لَا يَقُولُونَ بِاسْتِحْبَابِهَا.

وَالسُّنَّةُ فِي التَّشَهُّدِ الْإِسْرَار، لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُخْفَى التَّشَهُّدُ). وَإِذَا الصَّحَابِيّ مِنَ السُّنَّةِ كَذَا، كَانَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ رَسُولُ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِين وَالْأُصُولِيِّين وَالْمُتَكَلِّمِينَ. ثُمَّ إِنَّ كَانَتْ الصَّلَاةُ فَرِيضَةً أَوْ وَاجِبَةً أَوْ سُنَّةً مُؤَكَّدَةً، فَلَا يَزِيدُ عَلَى التَّشَهُّدِ فِي الْقُعُودِ الْأَوَّلِ، وَإِنْ كَانَتْ نَافِلَةً غَيْر مُؤَكَّدَة، يَزِيدُ فِيهِ الصَّلَاة عَلَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: لَا، وَقِيلَ: يَزِيدُ فِيهَا مُطْلَقًا.

فَصْلٌ: وَأَمَّا الْقُعُودُ الْأَخِيرُ: فَيُسَنُّ أَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَهُ، عِنْدَنَا، وَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هِيَ فَرِيضَةٌ فِيهِ، سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا، فَقَالَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). وَزِيَادَة: (فِي الْعَالَمِينَ)، ثَابِتَةٌ فِي رِوَايَةِ [مُسْلِمٍ]، وَغَيْرِهِ. فَالْمَنْعُ مِنْهَا ضَعِيفٌ.

وَالْأَفْضَلُ عِنْدَ الشَّافِعِيّ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

وَنُقِلَ فِي [شَرْحِ الْمُهَذَّبِ]: أَنَّ الْأَكْمَلَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَالْأَصْحَابِ، هِيَ الْأُولَى. وَقَالَ فِي [الدُّرِّ الْمُخْتَارِ]: (وَنُدِبَ السِّيَادَةُ، لِأَنَّ زِيَادَةَ الْإِخْبَارِ بِالْوَاقِعِ، عَيْنُ سُلُوكِ الْأَدَبِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ. ذَكَرَهُ الرَّمْلِيُّ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ. وَمَا نُقِلَ: لَا تُسَوِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ، فَكَذِبٌ، وَقَوْلُهُمْ: لَا تُسَيِّدُونِي، بِالْيَاءِ لَحْنٌ أَيْضًا، وَالصَّوَابُ بِالْوَاوِ).

فَصْلٌ: وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَيُسَنُّ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا شَاءَ، مِمَّا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنَحْوِهِ، لَا بِمَا لَا يَسْتَحِيلُ طَلَبُهُ مِنَ الْعِبَادِ. (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ). أَوْ قَالَ: (بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا يَشَاءُ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَّمَهُمُ التَّشَهُّدَ، -ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ-: ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعَاءِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو). وَفِي رِوَايَاتٍ: (فَلْيَتَخَيَّرْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ).

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مُطْلَقَةٌ فِي التَّخْيِيرِ، وَإِنَّمَا خَصَّهَا عُلَمَاءُ الْحَنَفِيَّةِ، بِمَا تَقَدَّمَ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ).

وَيَجُوزُ بِمَا عَدَا ذَلِكَ، مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِأَيِّ دُعَاءٍ كَانَ، وَلَكِنِ الْمَأْثُورِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ، أَوْلَى وَأَفْضَلُ.

فَمِنْ ذَلِكَ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا فَرَغَ أَحَدٌ مِنَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ).

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ، بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). وَ(كَثِيرًا): بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ، فِي مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ، وَفِي بَعْضِهَا بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: كِلَاهُمَا حَسَنٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَيَقُولُ: (ظُلْمًا كَثِيرًا كَبِيرًا).

(قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِرَجُلٍ: كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟، قَالَ: أَتَشَهَّدُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ

دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ). أَيْ حَوْلَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، والدَّنْدَنةُ كَلَامٌ لا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ.

(وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك يَا اللَّهُ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِ التَّشَهُّدِ: (وَعَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا قَائِلِينَ بِهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا).

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الدُّعَاءِ، بَعْدَ التَّشَهُّدِ ذَلِكَ.

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (يَدْعُو بِكَلِمَاتٍ، مِنْهَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ). قَالَ النَّوَوِيُّ: وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ بِهِ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ). (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى).

فَصْلٌ: وَإِذَا سَلَّمَ إِمَامُهُ، قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ أَوْ دُعَاءَهُ، يُتَابِعُهُ عِنْدَنَا، بِخِلَافِ التَّشَهُّدِ، فَإِنَّهُ يُتِمُّهُ. وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الدُّعَاءِ، يَجِبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَرَّتَيْنِ عَلَى

الصَّحِيحِ، دُونَ (عَلَيْكُمْ). وَالسُّنَّةُ أَنْ يَقُولَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ). وَقَالَتْ الْأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ بِافْتِرَاضِهِ.

فَصْلٌ: فِي الْقِيَامِ إِلَى السُّنَّةِ عَقِبَ الْفَرْضِ

بِلَا فَاصِلٍ مَسْنُونٍ عِنْدَنَا، إِلَّا بِقَدْرِ مَا كَانَ يَمْكُثُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقْعُدُ مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ...) إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ الْكَمَالُ بْنُ الْهُمَامِ: وَهَذَا الَّذِي هُوَ ثَبْتُ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُؤَخَّرُ عَنْهُ السُّنَّة، وَيَفْصِلُ بِهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَرْضِ.

قَالَ الشُّرُنْبُلَالِيُّ: وَلَعَلَّ الْمُرَادَ غَيْرُ مَا ثَبَتَ أَيْضًا بَعْدَ الْمَغْرِبِ. وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَهِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...) إِلَى آخِرِهِ، عَشْرًا. وَبَعْدَ الْجُمُعَةِ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، سَبْعًا سَبْعًا.

وَقَالَ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيُّ: (لَا بَأْسَ بِقِرَاءَةِ الْأَوْرَادِ بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالسُّنَّةِ. فَالْأَوْلَى التَّأْخِيرُ إِلَّا بِمَا تَقَدَّمَ، وَكُلَّمَا جَاءَ مِنَ الْأَذْكَارِ فِي دُبُرِ الصَّلَوَاتِ، لَا يَقْتَضِي وَصْلَهُ بِالْفَرْضِ، بَلْ كَوْنَهُ عَقِبَ السُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ بِمَا لَيْسَ مِنْ تَوَابِعِ الصَّلَاةِ. كَمَا قَالَ الْكَمَالُ.

هَذَا لِأَنَّ السُّنَنَ شُرِعَتْ مُكَمِّلَاتٍ لِلْفَرَائِضِ؛ فَلَزِمَ وَصْلَهَا بِهَا، إِلَّا فِيمَا ثَبَتَ الْفَصْلُ بِهِ حَقًّا.

فَصْلُ: أَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَاةِ

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَجَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ، وَغَيْرُهَا كَثِيرَةٌ، فَلْنُورِدْ مِنْهَا مَا يُقَدِّرُنَا اللهُ عَلَيْهِ.

(قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟. قَالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنْت: أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالتَّكْبِيرِ).

وَعَنْهُ: (أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ، كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَقَالَ: (وَكُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ).

وَعَنْ ثَوْبَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). قِيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ: (كَيفَ الاسْتِغْفَارُ؟. قَالَ: يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، الَّذِي لَا إِلَهَ، إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرتْ ذُنُوبُهُ وإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمَوْتُ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، أَمَّنَهُ اللَّهُ عَلَى دَارِهِ، وَدَارِ جَارِهِ، وَدُوَيْرَاتٍ حَوْلَهُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ، -أَوْ فَاعِلُهُنَّ-، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ، أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ أَمْوَالِهِمْ، يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا، تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُون أَحَدٌ أَفْضَل مِنْكُمْ، إِلاّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً).

(سَأَلَ أَبُو صَالِحٍ الرَّاوِي، أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهَا، قَالَ: يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدُونَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُونَ عَشْرًا). وَفِي أُخْرَى: (تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاة، ثَلَاث

وَثَلاثِينَ، إِحْدَى عَشْرَةَ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، فَذَلِكَ كُلُّهُ ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: (أُمِرُوا أَنْ يُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَأُتِيَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فِي مَنَامِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ؟. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْعَلُوهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَاجْعَلُوا فِيهَا التَّهْلِيلَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اجْعَلُوهَا كَذَلِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ مِائَةً، وَكَبَّرَ مِائَةً، وَهَلَّلَ مِائَةً، وَحَمِدَ مِائَةً، غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: خَصْلَتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِما عَبْدٌ مُسْلِمٌ، إِلَاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِما قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً، وَيَحْمَدُهُ عَشْراً، وَيُكَبِّرُهُ عَشْراً، فَذَلِكَ، -أَيْ: بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ-، خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمائَةٍ فِي الْمِيزانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، إِذَا أَخَذَ مَضْجِعَهُ، وَيَحْمَدُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمائَةِ سَيِّئَةٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟، قَالَ: يَأْتِي

أَحَدَكُمْ، -يَعْنِي الشَّيْطَانَ-، فِي مَنَامِهِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ، فَيُذَكِّرُهُ حَاجَتَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ أَقْرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْمُعَوِّذَات). فَيَنْبَغِي قِرَاءَة الثَّلَاث، وَهِيَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَاللَّتَانِ بَعْدَهَا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ: مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِهِ، وَأَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا، وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْ إِحْدَاهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَوْ إِحْدَاهُنَّ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ رِضْوَانَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ عَشْرَ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ) بَدَل (وَلَا مُعْطِيَ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ صَلاةَ الفَرْضِ فَقولُوا فِي عَقِبِ كُلِّ صلاةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يُكْتَبُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، حِيْنَ يُسَلِّمُ: لَا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلاّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ).

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَلَّمَ، إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ، مَسَحَ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنِّي الْهَمَّ وَالْحَزَنَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّهُ قَالَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَعَوَّذُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا دَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي دُبُرِ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، وَلَا تَطَوُّعٍ، إِلَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي

ذُنُوبِي، وَخَطَايَايَ كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَنْعِشْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، الَّتِي لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا، وَلَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ).

وَفِي الْحَدِيثِ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ، صَلَاةً مَكْتُوبَةً، إِلَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِينِي، وَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبٍ يُؤْذِينِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يُلْهِينِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فَقْرٍ يُنْسِينِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى يُطْغِينِي).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ مَقَامِي بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِذَا سَلَّمَ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَوَاتِيمَ عَمَلِي رِضْوَانَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: (كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَّلَاةٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، اسْتَقْرَعَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَأَمِنَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَاسْتَجْلَبَ بِهَا الرِّزْقَ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَقْرِ).

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ: (فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ). قَالَ الْفَضْلُ: لَوْ رَحَلْتُمْ إِلَى الْيَمَنِ، كَانَ قَلِيلاً فِي عِظَمِ حَقِّهِ، وَقَدِ ارْتَحَلَ جَمَاعَةٌ فِي دُونِ هَذَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، - لَا أَدْرِي قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، أَوْ بَعْدَ أَنْ يُسَلِّمَ -، يَقُولُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدِ اكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ).

وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَكُنْ آخِرُ كَلَامِهِ، إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾).

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ، فَجَاءَ الشِّبْلِيُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ، فَعَانَقَهُ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، تَفْعَلُ بِالشِّبْلِيِّ هَكَذَا، وَأَنْتَ وَجَمِيعُ مَنْ بِبَغْدَادَ يَتَصَوَّرُونَهُ، أَوْ قَالَ يَقُولُونَ: أَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَقَالَ لِي: فَعَلْتُ كَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَ بِهِ، وَذَلِكَ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَنَامِ، وَقَدْ أَقْبَلَ الشِّبْلِيُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَفْعَلُ هَذَا بِالشِّبْلِيِّ، فَقَالَ: هَذَا يَقْرَأُ بَعْدَ صَلَاتِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وَيُتْبِعُهَا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ صَلَاةَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا وَيَقْرَأ ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ﴾ الْآيَة، وَيَقُولُ: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَلَمَّا دَخَلَ الشِّبْلِيُّ، سَأَلْتُهُ مِمَّا يُذْكَر فِي الصَّلَاةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ، وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِكَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ قَالَ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَامَ مَغْفُورًا لَهُ).

فَصْلٌ: فِي الذِّكْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ

اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ بِالنَّهَارِ، وَأَشْرَفَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ. وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، أَذْكُرُ مِنْهَا:

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَدِيَةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا). وَفِي أُخْرَى: (أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لِا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شِيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ، ومُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرجاتٍ، وكانَ يَوْمَهُ ذلكَ فِي حِرْزٍ، مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطانِ، ولَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ، فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، إِلَاّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: لِا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ...) إِلَى آخِرِهِ. وَفِيهَا زِيادَة: (وَكُنَّ لَهُ عَشْرِ نَسَماتٍ). وَفِيهَا: (وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ، مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أُعْطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي لَيْلَتِهِ).

وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تِلْكَ، كَتَبَ لَكَ اللَّهُ جَوَازًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ المَغْرِبَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ، كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ بَعْدَ الْفَجْرِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا).

وَعَنْ صُهَيْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟، قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، قَالَ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا، سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يَقُولُ: سَبْعِينَ بِسَبْعِمِائَةٍ).

وَعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: يَا قَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ؟، قُلْتُ: كَبِرَ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، فَأَتَيْتُكَ تُعَلِّمَنِي، مَا يَنْفَعُنِي اللَّهُ، قَالَ: يَا قَبِيصَةُ، مَا مَرَرْتَ بِشَجَرٍ، وَلَا حَجَرٍ، وَلَا مَدَرٍ، إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ، يَا قَبِيصَةُ، إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، تُعَافَى مِنَ الْعَمَى، وَالْجُذَامِ، وَالْفَالِجِ. يَا قَبِيصَةُ، قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا عِنْدَكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ).

وَقَدْ رُوِيَ بِطَرِيقٍ آخَرَ، عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَالَ عَشْرَ كَلِمَاتٍ، عِنْدَ دُبُرِ كُلِّ صَلَاةِ غَدَاةٍ، وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُنَّ

مُكْفِيًا، خمسٌ لِلدّنْيا، وَخمسٌ للآخِرَةِ: حَسْبِيَ اللهُ لِدِينِي، حَسْبِيَ اللهُ لِدُنْيَايَ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا أَهَمَّنِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ بَغى عَلَيَّ، حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ حَسَدَنِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ، حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْمِيزَانِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الصّرَاطِ، حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ أَفْضَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، إِذَا اتَّقَى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بَرَاءُ، مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مِائَةَ مَرَّةٍ، بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَ أَحَدًا، رُفِعَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، عَمَلُ خَمْسِينَ صِدّيقًا).

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مِائَةَ مَرَّةً، قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَكُلَّمَا قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ، فَلَا تَنَامُوا عَنْ طَلَبِ أَرْزَاقِكُمْ). (وَقولُوا: ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ، أَشْرَف سَاعَاتِ النَّهَارِ لِلذِّكْرِ. وَوَرَد مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَقَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ: (بَلَغَنَا أَنَّ الْأَرْضَ تَعُجُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ نَوْمَةِ الْعَالِمِ، بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّبَاحِ: مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ، إِلَى قُبَيْلِ الزَّوَالِ. وَالْمَسَاءُ: مِنْهُ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ. كَذَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، فِي بَابِ الْأَذْكَارِ، وَفِيهِمَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ، وَالْوَارِدُ فِيهِمَا كَثِيرٌ جِدًّا، لِأَنَّ هَذَا الْمَقْصِدَ، لَيْسَ فِي الْكِتَابِ أَطْوَلَ مِنْهُ.

وَلَكِنْ أَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا، فَمَنْ وُفِّقَ لِلْعَمَلِ بِهِ كُلِّهِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِشُكْرِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَطُوبَى لَهُ ثُمَّ طُوبَى، وَمَنْ عَجِزَ عَنِ الْكُلِّ، فَلْيَأْتِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَوْ ذِكْرًا وَاحِدًا، وَأَنْ يَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَوْعٍ مِنْهُ، كَانَ حَسَنًا أَيْضًا.

وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام: ٥٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ صَبَاحٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ، إِلَّا وَمُنَادٍ يُنَادِي: سَبِّحُوا الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا مِنْ صَبَاحٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ، إِلَّا صَارِخٌ يَصْرُخُ: أَيُّهَا الْخَلَائِقُ، سَبِّحُوا الْقُدُّوسَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ، يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ). وَرُوِيَ (الْمَصِيرُ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، وَأَسْحَرَ، يَقُولُ: سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ، وَصَاحِبُ [الْمَطَالِعِ]، وَغَيْرُهُمَا: بِالْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ، وَمَعْنَاهُ: بَلَّغَ سَامِعٌ قَوْلِي هَذَا لِغَيْرِهِ، تَنْبِيهًا عَلَى الذِّكْرِ فِي السَّحَرِ، وَالدُّعَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَضَبَطَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ الْمُخَفَّفَةِ. وَقَالَ: سَمِعَ سَامِعٌ، مَعْنَاهُ: شَهِدَ شَاهِدٌ، وَحَقِيقَتُهُ يَسْمَعُ السَّامِعُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ عَلَى حَمْدِنَا لِلَّهِ تَعَالَى، عَلَى نِعَمِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، قَالَ: أَصْبَحْنَا عَلَى الْفِطْرَةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَى: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ). قَالَ الرَّاوِي: أَرَاهُ قَالَ فِيهَا: (لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، -أَوْ الْكُفْرِ-. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ. وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ). وَفِي أُخْرَى: (وَأَعُوذُ بِكَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا، وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ، وَمَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى، فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ، قَالَ: أَصْبَحْنَا، وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْكِبْرِيَاءُ، وَالْعَظَمَةُ لِلَّهِ، وَالْأَمْرُ، وَاللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا لِلَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ هَذَا النَّهَارِ صَلَاحًا، وَأَوْسَطَهُ نَجَاحًا، وَآخِرَهُ فَلَاحًا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ

تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧- ١٩]، أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي، أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَهَا، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ، مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ امْرَأً مُسْلِمًا فِي أَهْلِهِ وَخَادِمِهِ. وَمَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِح ويُمْسِيْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ، بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ، أَبُوْءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ غَيْرُكَ، فَإِن قَالَهَا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ حِيْنَ يُصْبِحُ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، مَاتَ شَهِيْدًا، وَإِنْ قَالَهَا حِيْنَ يُمْسِي، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، مَاتَ شَهِيْدًا).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: قُلْ،

فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَقُولُ؟، قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنْ قُبِضَ قُبِضَ شَهِيدًا، وَإِنْ عَاشَ عَاشَ مَغْفُورًا لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا، أَعْتَقَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ، إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ).

وَرِوَايَةُ ابْنِ الْعَاصِ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ، إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنَا كَلِمَةً نَقُولُهَا، إِذَا أَصْبَحْنَا وَإِذَا أَمْسَيْنَا وَاضْطَجَعْنَا، -فَذَكَرَهُ. وَقَالَ فِيهِ-: وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءًا عَلَى أَنْفُسِنَا، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ).

وَلَفْظُ (شِرْكِهِ): لَهُ وَجْهَانِ، الْأَشْهَرُ وَالْأَظْهَرُ: بِكَسْرِ الشِّينِ مَعَ تَسْكِينِ الرَّاءِ: مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيُوَسْوِسُ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَالثَّانِي بِفَتْحِ الشِّينِ وَالرَّاءِ: جَمْعُ شَرَك، بِفَتْحِهِمَا أَيْضًا مَعَ الْهَاءِ: مَصَائِدُهُ وَحَبَائِلُهُ.

وَعَنْ أَبَانَ، عَنْ أَبِيهِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَمْ يُصِبْهُ فُجْأَةَ بَلَاءٌ).

(وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟، أَمَا الْحَدِيث كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ، لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ، لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ. قَالَ: أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ثَلَاثًا، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ

اللَّيْلَةَ). قَالَ سُهَيْلٌ: فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا، فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ، فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَبَرَأَ، عُصِمَ مِنْ شَرِّ الثَّقَلَيْنِ، الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَإِنْ لُدِغَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ، لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ). وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا). فَيَنْبَغِي الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، فَيُقَالُ: (رَسُولًا نَبِيًّا). أَوْ يُؤْتِي تَارَةً بِهَذَا وَأُخْرَى بِهَذَا، وَإِنْ أَتَى بِوَاحِدٍ كَانَ عَامِلاً بِالْحَدِيثِ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدَعُ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي. اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي. اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي). قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي الْخَسْفَ.

وَعَنْ بَعْضِ بَنَاتِ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِنَّ، كَانَ يُعَلِّمُهَا، فَيَقُولُ: قُولِي حِينَ تُصْبِحِي، وَحِينَ تُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ، حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَبِّيَ اللَّهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَاَّ هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ثُمَّ مَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ).

وَوَرَدَ فِي فَضْلِهَا مُطْلَقًا: (أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، حِينَ يُصْبِحُ؛ كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ

عَدْلَ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،...) إِلَى آخِرِهِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ، كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةَ حَجَّةٍ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ، كَانَ كَمَنْ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ قَالَ: غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ. وَمَنْ هَلَّلَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ، لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ، بِأَكْثَرَ مِمَّا أَتَى، إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ).

وَفِي لَفْظِ النَّسَائِيِّ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ، يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، مِائَةَ مَرَّةٍ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ، بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ، إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي: حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَهَمَّهُ، مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). وَرُوِيَ مَوْقُوفًا.

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ، مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). وَرُوِيَ مَوْقُوفًا. وَفِي رِوَايَةٍ بِزِيَادَةٍ: (صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، فَأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ، وَعَافِيَتَكَ، وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كَانَ حَقًّا أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ).

وَعَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، سَمِعْته مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِرَارًا، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَارًا، وَمِنْ عُمَرَ مِرَارًا؟. قُلْت: بَلَى، قَالَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ، وَإِذَا أَمْسَى: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنْتَ تَهْدِينِي، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي، وَأَنْتَ تَسْقِينِي، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي وَأَنْتَ تُحْيِينِي، لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ. قَالَ: تَلَقَّيْت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، فَقُلْت: أَلَا أُحَدِّثُك حَدِيثًا، سَمِعْته مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِرَارًا،

وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَارًا، وَمِنْ عُمَرَ مِرَارًا؟. قَالَ: بَلَى، فَحَدَّثْته بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْطَاهُنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يَدْعُو بِهِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مِرَارٍ، فَلَا يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ، وَإِذَا أَمْسَى، دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ لَا تَهْلِكُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ، أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَى حَفِيظٍ، حُلْتَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبْتَ الْآثَارَ، وَنَسَخْتَ الْآجَالَ، وَالْقُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، الْحَلَالُ مَا أَحْلَلْتَ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ، وَالدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالْأَمْرُ مَا قَضَيْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْعَبِيدُ عَبِيدُكَ، وَأَنْتَ اللَّهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ، أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ، الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَكَ، وَبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، أَنْ تَقْبَلَنِي فِي هَذِهِ الْغَدَاةِ، أَوْ فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ، وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِفَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَسْجِدَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ.

فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا، إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ. قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَجُلًا، شَكَا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَخَافُ فِي نَفْسِي، وَوَلَدِي، وَأَهْلِي، وَمَالِي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ كُلَّمَا أَصْبَحتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى دِينِي، وَنَفْسِي، وَوَلَدِي، وَأَهْلِي، وَمَالِي، فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ لَكَ شَيْءٌ. فَقَالَهُنَّ الرَّجُلُ؛ فَذَهَبَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمَالِي).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: (يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا حِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي؟. فَقَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجْأَةِ الْخَيْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ الشَّرِّ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَدْرِي مَا يَفْجَأُهُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ حم الْمُؤْمِنَ، إِلَى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[غافر: ١- ٣]، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ، حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ).

وَعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: (بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ قَرَأَ يس فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قُضِيَتْ حَوَائِجُهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ).

(وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى، قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَذَكَرَ لَهُ سِرًّا عَظِيمًا فِي الْحِفْظِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَنَحْوِهِمْ).

عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، احْتَرَقَ بَيْتُكَ. قَالَ: مَا احْتَرَقَ، ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ آخَرُ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، انْبَعَثَتِ النَّارُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى بَيْتِكَ طَفِئَتْ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ، قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا نَدْرِي أَيُّ كَلَامِكَ أَعْجَبُ، قَوْلُكَ مَا احْتَرَقَ

أَوْ قَوْلُكَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ. قَالَ: ذَاكَ لِكَلِمَاتٍ، سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ، لَنْ تُصِيبَهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي، لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبِحَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ، أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وَفِي طَرِيقٍ آخَرَ: عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُرِّرَ عَلَيْهِ: أَدْرِكْ دَارَكَ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا احْتَرَقَتْ، لِأَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَذَكَرَهَا، لَمْ يُصِبْهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَا أَهْلِهِ، وَلَا مَالِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ وَقَدْ قُلْتُهَا الْيَوْمَ ثُمَّ قَالَ: انْهَضُوا بِنَا، فَقَامَ وَقَامُوا مَعَهُ، فَانْتَهَوْا إِلَى دَارِهِ، وَقَدْ احْتَرَقَ مَا حَوْلَهَا، وَلَمْ يُصِبْهَا شَيْءٌ).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَّمَهُ دُعَاءً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ، كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: قُلْ حِينَ تُصْبِحُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَمِنْكَ، وَبِكَ، وَإِلَيْكَ. اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ، فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ، مَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ، فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ، فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ، إِنَّكَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. أَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى

وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. أَعُوذُ بِكَ اللهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ، أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً مُحْبِطَةً، أَوْ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ، اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي، تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، (أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِكَ لَا بِيَدِ غَيْرِي، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ لَا تُشَمِّتْ بِي عَدُوِّي، وَلَا تَسُؤْ بِي صَدِيقِي، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسِينَ مَرَّةً، نُودِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهِ: قُمْ يَا مَادِحَ اللهِ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ كُلَّ يَوْمٍ، مِائَتَيْ مَرَّةٍ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مَحَى اللهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ خَمْسِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ). قَالَ السُّيُوطِيُّ: أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي [الْمَوْضُوعَاتِ] فَأَخْطَأَ. وَفِي رِوَايَةٍ: (كَتَبَ اللَّهُ أَلْفُ وَخَمْسُمِائَةِ حَسَنَةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، سَبْعِينَ مَرَّةً، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَمَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي لَيْلَةٍ، سَبْعِينَ مَرَّةً، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَيُرْزَقُ بِهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟، قَالُوا: وَمَا أَبُو ضَمْضَمٍ؟، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ إِذَا أَصْبَحَ، وَإِذَا أَمْسَى، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، وَعِرْضِي لَكَ، فَلَا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ، وَلَا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلَا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَجَّهَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَرِيَّةٍ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَقْرَأَ، إِذَا أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فَقَرَأْنَاهَا فَغَنِمْنَا وَسَلِمْنَا).

فَصْلٌ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَلَّلَنَا الْيَوْمَ عَافِيَتَهُ، وَجَاءَ بِالشَّمْسِ مِنْ مَطْلِعِهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُ لَكَ، بِمَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ، وَشَهِدَتْ بِهِ مَلَائِكَتُكَ، وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَجَمِيعُ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، اكْتُبْ شَهَادَتِي بَعْدَ شَهَادَةِ مَلَائِكَتِكَ، وَأُولِي الْعِلْمِ،

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ السَّلَامُ، أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَنْ تَسْتَجِيبَ لَنَا دَعْوَتَنَا، وَأَنْ تُعْطِيَنَا رَغْبَتَنَا، وَأَنْ تُغْنِيَنَا عَمَّنْ أَغْنَيْتَهُ عَنَّا مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي، الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ، الَّتِي فِيهَا مَعِيشَتِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي، الَّتِي إِلَيْهَا مُنْقَلَبِي).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، أَنَّهُ جَعَلَ مَنْ تَرَقُّبُ لَهُ طُلُوعَ الشَّمْسِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِطُلُوعِهَا، قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي وَهَبَ لَنَا هَذَا الْيَوْمَ، وَأَقَالَنَا فِيهِ عَثَرَاتِنَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ، فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، إِلَّا سَبَّحَ اللَّهَ بِحَمْدِهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ، قَالَ: شِرَارُ الْخَلْقِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى الضُّحَى، قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الْأَذْكَارِ وَغَيْرِهَا، عَقِبَ الزَّوَالِ، لِأَنَّهَا سَاعَةٌ مُبَارَكَةٌ. (وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ).

فَصْلٌ: وَكَذَا يُسْتَحَبُّ إِكْثَارُ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، بَعْدَ وَظِيفَةِ الظُّهْرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: (الْعَشِيُّ): مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيُّ: (الْعَشِيُّ) عِنْدَ الْعَرَبِ، مَا بَيْنَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ.

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ كَثْرَةُ الذِّكْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، لِأَنَّهَا هِيَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، عَلَى قَوْلِ أَقْوَامٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَفِيهَا نَحْوُ خَمْسَة عَشْرَة قَوْلاً أَوْ أَكْثَرَ. وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِك تَضرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. إِلَى غَيْرِ ذَلِك مِنَ الْآيَاتِ. وَ(الْآصَالُ): جَمْعُ أَصِيل، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبَ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَئِنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ ثَمَانِيَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ). وَتَقَدَّمَتْ بَعْضُ أَذْكَارِ ذَلِك.

وَقَالَ الْخُوَارِزْمِيُّ: وَسَمِعْتُ فِي [أَمَالِي الْوَبَرِيّ]، رِوَايَة أَنَسٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، إِلَّا تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُ).

فَصْلٌ: وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ أَقُولَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ: اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِك، وَإِدْبَارُ نَهَارِك، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِك، فَاغْفِرْ لِي).

وَلَفْظُ الْعَنَزِيّ: عَنْ أَنَسٍ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ أَذَانَ الْمَغْرِبِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْتِقْبَالِ لَيْلِك، وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ، وَحُضُورِ صَلَوَاتِك، وَأَصْوَاتِ دَعَوَاتِك، أَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ، فَإِنَّك أَنْتَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ، مَنْ قَالَهَا مُصْبِحًا فَمَاتَ، مِنْ يَوْمِهِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا مُمْسِيًا فَمَاتَ، مِنْ لَيْلَتِهِ، مَاتَ شَهِيدًا).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ بَعْدَ سُنَّةِ الْمَغْرِبِ وَأَذْكَارِهِ، أَنْ يَدْعُوَ بِمَا رَوَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، يَدْخُلُ بَيْتِي، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ فِيمَا يَدْعُو: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، عَلَى إِثْرِ الْمَغْرِبِ، بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَسْلَحَةً، يَتَكَفَّلُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ). وَقَوْلُهُ: (مَسْلَحَةً): هِيَ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَسُكُونِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ، وَفَتْحِ اللَّامِ بَعْدَهَا حَاءٌ مُهْمَلَةٌ، هُمْ: الْحَرَسُ.

هَذَا، وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ الْحَشْرِ، مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَقُبِضَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوِ اللَّيْلَةِ، فَقَدْ أُوجِبَ الْجَنَّةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ، فِي لَيْلَةٍ، أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ، أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ يس غُفِرَ لَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، كُلَّ لَيْلَةٍ، مَنَعَهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكُنَّا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نُسَمِّيهَا الْمَانِعَةَ، مَنْ قَرَأَ بِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ، كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: (مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ، فِي لَيْلَةٍ، كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الأَجْرِ، وَالْقِيرَاطُ مِنْ ذَلِكَ الْقِنْطَارِ، لَا يَفِي بِهِ دُنْيَاكُمْ. يَقُولُ: لَا تَعْدِلُهُ دُنْيَاكُمْ).

فَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْمُذَكِّرَات بَعْدَ الْمَغْرِبِ، كَانَ مُؤَدِّيًا لَهَا فِي وَقْتِهَا، وَيَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهَا.

فَصْلٌ: وَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنَ الذِّكْرِ، بَعْدَ وَظِيفَةِ الْعِشَاءِ أَيْضًا، لِأَنَّهُ بِالْقُرْبِ مِنْ أَنْ تُطْوَى صَحِيفَتَهُ، فَيُجْعَلُ خِتَامَهَا مِسْكًا. وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَيَجِدُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ، وَفِي آخِرِهَا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، مَا بَيْنَ طَرَفَيِ الصَّحِيفَةِ). وَتَقَدَّمَ مَا يُقَالُ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عَقِبَ الْوِتْرِ

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَلَّمَ مِنَ الْوِتْرِ، قَالَ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ، فِي الْأَخِيرَةِ، يَقُولُ: رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَتْرِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّوْمِ

مُطْلَقًا بِاللَّيْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا، لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ، بَاتَ يَكْلَؤُهُ الْمَلَكُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اضْطَجَعْتَ، فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ مَضْجَعِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ. اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ. فَقَدْ حَمِدَ اللَّهَ، بِجَمِيعِ مَحَامِدِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ وَلُوعًا، وَمِنَ الْجُوعِ ضَجِيعًا).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ غَيْرِ عَدَدٍ.

(وَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا، وَأَمُوتُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ النُّجُومِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اضْطَجَعَ لِلنَّوْمِ، يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي، وَضَعْتُ جَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ، بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خلفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَنْفُضُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ. يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). (النَّفْثُ): نَفْخٌ خَفِيفٌ لَطِيفٌ، بِلَا رِيقٍ.

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ وَلِفَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ. -وَفِي رِوَايَةٍ: التَّسْبِيحُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَفِي أُخْرَى: التَّكْبِيرُ-. قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟، قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ).

(قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ). أَيْ مِنْ قِيَامِ لَيْلَتِهِ. وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ فِي لَيْلَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ: وَرَجَّحَ هَذَا كِبَارُ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَيُرَجِّحُ الْأَوَّلَ حَدِيثُ الدَّيْلَمِيِّ، فِي: (مَنْ قَرَأَ خَاتِمَةَ الْبَقَرَةِ، أَجْزَأَتْهُ عَنْ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ). وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الْأَمْرَانِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (مَا ظَنَنْتُ أَنَّ مُؤْمِنًا، بَلَغَهُ فَضْلُهُمَا، فَتَرَكَهُمَا، وَأَوَّلُهُمَا مِنْ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي)، بِالْإِفْرَادِ.

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ،

فَقُلْتُ: لَأَرْفعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ-: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ، حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ).

وَعَنْ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ، تُنْجِيكُمْ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ؟، تَقْرَءُونَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، عِنْدَ مَنَامِكُمْ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ).

قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ: (إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَانُوا يَجْعَلُونَ الْمُسَبِّحَاتِ سِتًّا: سُورَةَ الْحَدِيدِ، وَالْحَشْرِ، وَالْحَوَارِيِّينَ، وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالتَّغَابُنِ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى).

قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي

فِي النَّدِيّ الْأَعْلَى). (النَّدِيُّ): بِفَتْحِ النُّونِ، وَكَسْرِ الدَّالِ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّدِيُّ: الْقَوْم الْمُجْتَمِعُونَ فِي مَجْلِسٍ، وَمِثْلُه النَّادِي، وَجَمْعُهُ أَنْدِيَةٌ. يُرِيدُ بِالنَّدِيّ الْأَعْلَى: الْمَلَأَ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْصَى رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ، وَقَالَ: إِنْ مُتَّ مُتَّ شَهِيدًا. أَوْ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَتَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ. أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الِاضْطِجَاعِ أَيْضًا. (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، لَا يَدَعُ شَيْئًا يُؤْذِيهِ، حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ). أَيْ يَنْتَبِهُ وَيَقُومُ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا، وَذَكَرَ اللهِ، حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى عَدُوِّي، وَأَرِنِي مِنْهُ

ثَأْرِي. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَمِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ).
وَرُوِيَ: (وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُنْذُ صَحِبْتُهُ يَنَامُ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، حَتَّى يَتَعَوَّذَ مِنَ الْجُبْنِ، وَالْكَسَلِ، وَالسَّآمَةِ، وَالْبُخْلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ، -شَكَّ مِسْعَرٌ-، وَإِنْ كَانَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)، مَعَ زِيَادَةِ (إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي عَلَا فَقَهَرَ، وَبَطَنَ فَخَبَرَ، وَمَلَكَ فَقَدَرَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ ابْعَثْنَا فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ، حَتَّى نَذْكُرَكَ فَتَذْكُرَنَا، وَنَسْأَلَكَ فَتُعْطِيَنَا، وَنَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لَنَا، وَنَسْتَغْفِرَكَ فَتَغْفِرَ لَنَا).

وَعَنْ عَبْدَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: (مَنْ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الْكَهْفِ، لِسَاعَةٍ يُرِيدُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، قَامَهَا. قَالَ عَبْدَةُ: فَجَرَّبْنَاهُ، فَوَجَدْنَاهُ كَذَلِكَ).

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، كَانَ اللَّهُ لَه: قَدْ جَرَّبْتُهُ أَيْضًا، وَمَنْ لَا يُحْصَى فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، (أَنَّها كَانَتْ إِذا أَرادَتِ النَّوْمَ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك رُؤْيَا صَالِحَةً، صَادِقَةً غَيْرَ كَاذِبَةٍ، نَافِعَةً غَيْرَ ضَارَّةٍ. وَكَانَتْ إِذا قَالَتْ هَذَا، قَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا غَيْرُ مُتكَلِّمَةٍ بِشَيْءٍ، حَتَّى تُصْبِحَ، أَوْ تَسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا كُنْت أَرَى أَحَدًا يَعْقِلُ، يَنَامُ، قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتِ الْأَوَاخِرِ، مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ). وَعَنْهُ أَيْضًا: (مَا كُنْت أَرَى أَحَدًا يَعْقِلُ، دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ).

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانُوا يُعَلِّمُونَهُمْ إِذَا أَوَوْا إِلَى فُرُشِهِمْ، أَنْ يَقْرَءُوا الْمُعَوِّذَتَيْنِ). وَرُوِيَ: (كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ تُقْرَأَ هَؤُلَاءِ السُّوَرِ، كُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾).

فَصْــلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ عَلَى الْفِرَاشِ، فَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَوْتَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، عِنْدَ نَوْمِهِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً، بَنَى اللَّهُ لَهُ أَلْفَ قَصْرٍ فِي الْجَنَّةِ). (وَمَنْ قَرَأَهَا مِائَتَيْن، أَنْزَلَه اللَّه مَنْزِلَةَ بِرِضَاه، وَأَيُّمَا بَيْتٍ قُرِأَ فِيهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحد﴾، نَفَعهُ اللَّهُ خَاصَّةً، وَنَفَعَ جِيرَانَهُ).

هَذَا، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ، وَفِي الْمَذْكُورِ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ، فَيَنْبَغِي الْإِتْيَانُ بِهِ كُلِّهِ، مَا تَيَسَّرَ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ أَتَى بِالْأَهَمِّ.

فَصْلٌ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ، فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا اسْتَيْقَظَ فِي اللَّيْلِ

اعْلَمْ أَنَّ الاسْتِيقَاظ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ لَا نَوْمَ بَعْدَهُ، وَتَقَدَّمَتْ أَذْكَارُهُ، وَضَرْبٌ يَنَامُ بَعْدَهُ، فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، إِلَى أَنْ يَنَامَ، وَوَرَدَتْ فِيهِ أَذْكَارٌ جَمَّةٌ، مِنْهَا:

مَا ذُكِرَ فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ). الشَّكُّ مِنْ أَحَدِ الرُّوَاةِ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، واهْدِنِي لِلسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ). (وَتَعَارَّ): مُسَدَّدُ الرَّأْيِ: اسْتَيْقَظَ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِذَا رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى، إِلَى الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ، مِنَ اللَّيْلِ، فَسَبَّحَهُ وَاسْتَغْفَرَهُ، وَدَعَاهُ، تَقَبَّلَ مِنْهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَّفَهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا اضْطَجَعَ، فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ).

وَعَنْ رَبِيعَةِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: (كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ، فَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ، يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ).

وَلَفْظُ الْبَيْهَقِيِّ، وَابْنِ السُّنِّي: (فَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَتَحَرَّكُ مِنَ اللَّيْلِ: بِسْمِ اللَّهِ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَشْرًا، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ، عَشْرًا، وُقِيَ كُلَّ شَيْءٍ يَتَحَرَّفُهُ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ يُدْرِكُهُ، إِلَى مِثْلِهَا). وَعن أَبِي الدَّرْدَاءِ، (أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: نَامَتِ الْعُيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا قَلِقَ فِي فِرَاشِ نَوْمِهِ

فَلْيَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ هَذَا. عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَقًا أَصَابَنِي، فَقَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ غَارَتِ النُّجُومُ، وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَهْدِئْ لَيْلِي، وَأَنِمْ عَيْنِي، فَقُلْتُهَا، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُ).

وَجَاءَ: (أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَصَابَهُ أَرَقٌ، فَشَكَا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَوَّذَ عِنْدَ مَنَامِهِ، بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، وَمِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، (شَكَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ الْأَرَقِ، فَقَالَ النَبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ، كُلِّهِمْ جَمِيعًا، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَيَاطِينَ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ). (وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ، كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السُّنِّيِّ: قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْزَعُ فِي مَنَامِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَيْتَ

إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ. فَقَالَهَا، فَذَهَبَ عَنْهُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا رَأَى فِي مَنَامِهِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفِثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وليتعوَّذ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً، فَلْيَسْتَبْشِرْ، وَلَا يُخْبِرُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلِيَتَحَوَّلْ عَنْ جَانِبِهِ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ). وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْبَصْقِ: النَّفْثُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا، مِنَ النُّبُوَّةِ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا، فَإِذَا تَحَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الشَّيْءَ يُعْجِبُهُ، فَلْيَعْرِضْهُ عَلَى ذِي رَأْيٍ نَاصِحٍ، فَلْيَتَأَوَّلْ خَيْرًا، وَلْيَقُلْ خَيْرًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تعْجِبُهُ، فَلْيَقُصَّهَا إِنْ شَاءَ، وَإِنْ رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ، فَلَا يَقُصُّهُ عَلَى أَحَدٍ وَلْيَقُمْ يُصَلِّي، وَأَكْرَهُ الْغُلَّ، وأُحِبُّ القَيْدَ، القَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ). (وَكَانَ يَقُولُ: لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا، إِلَّا عَلَى عَالِمٍ، أَوْ نَاصِحٍ).

وَفِي [مُسْنَدِ شُعْبَةَ]: (لَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا حَبِيبًا، أَوْ لَبِيبًا).

وَفِي حَدِيثٍ: (إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَسَيِّئَاتِ الْأَحْلَامِ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ شَيْئًا).

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مَا يُرْهِبُهُ، أَوْ يُخَوِّفُهُ، فَلْيَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ يَتْفُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَقَالَ: أَعُوذُ بِرَبِّ مُوسَى وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، مِنْ شَرِّ رُؤْيَايَ، أَنْ تَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ مَعِيشَتِي، عَزَّ جَارُ اللَّه، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ).

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: (اتَّقِ اللَّهَ فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا تُبَالِ مَا رَأَيْتَ فِي النَّوْمِ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لِمَنْ قَالَ لَهُ: (رَأَيْتُ رُؤْيَا)، مَا رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِمَنْ قَالَ لَهُ: رَأَيْتُ رُؤْيَا. فَقَالَ: خَيْرًا رَأَيْتَ، وَخَيْرًا يَكُونُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (خَيْرًا تَلَقَّاهُ، وَشَرًّا تَوَقَّاهُ، وَخَيْرًا لَنَا وَشَرًّا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، اقْصُصْ رُؤْيَاكَ).

(وَقَالَ لِأَبِي مُوسَى، لَمَّا أَخْبَرَهُ بِرُؤْيَاهُ: (خَيْرًا رَأَيْتَ، وَخَيْرًا يَكُونُ، نِمْتَ وَنَامَتْ عَيْنُكَ، تَوْبَةَ نَبِيٍّ ذَكَرْتَ، تَرَقَّبْ عِنْدَهَا مَغْفِرَةً، وَنَحْنُ نَرْقُبُ مَا تَرْقُبُ).

فَصْلٌ: فِي قِيَامِ اللَّيْلِ

الْحَثّ عَلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي النَّهَارِ وَالنِّصْفِ مِنَ اللَّيْلِ.

اعْلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ مَطْلُوبٌ، رَجَاءَ مُصَادَفَةَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ في اللَّيْلِ لَساعَةً، لَا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسأَلُ اللَّهَ تَعالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَذلك كُلَّ لَيْلَةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (يَنزِلُ اللَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا، كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِرَ لَهُ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ). وَرُوِيَ: (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْرَب مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلاثَةُ مَواطِنَ، لَا تُرَدُّ فِيهَا دَعْوَةُ عَبْدٍ: رَجُلٌ يَكُونُ فِي بَرِّيَّةٍ، حَيْثُ لَا يَراهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّه، فَيَقُومُ فَيُصَلِّي، وَرَجُلٌ يَكُونُ مَعَهُ فِئَةٌ، فَيَفِرُّ عَنْهُ أَصْحابُهُ فَيَثْبُتُ، وَرَجُلٌ يَقُومُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ: رَجُلٌ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ صَدَقَةً، بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا، -أُرَاهُ قَالَ: مِنْ شِمَالِهِ-، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْعَدُوَّ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْحَرِّ أَوْ الْبَرْدِ

رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ عَنِ ابْنِ حُجَيْرَة الْأَكْبَرِ، أَنَّ أَحَدَهُمَا، حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ، أَلْقَى اللَّهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، وَأَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَنِي مِنْكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ. وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ، أَلْقَى اللَّهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهَرِيرِكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ. فَقَالُوا: وَمَا زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ؟، قَالَ: جُبٌّ يُلْقَى فِيهِ الْكَافِرُ، فَيَتَمَيَّزُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهَا، بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْن. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ؟، قَالَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ، كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةٍ، لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الَّذِينَ يُرَاؤُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: مِائَةَ مَرَّةٍ. وَفِي أُخْرَى: أَرْبَعْمِائَةَ مَرَّةٍ.

فَصْلٌ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ، وَأُنْسًا مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَاسْتَجْلَبَ بِهَا بَابَ الْغِنَى). خَرَّجَهُ فِي [التَّارِيخِ] الْخَطِيبُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَالرَّافِعِيّ، وَابْنِ النَّجَّارِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ رَحَلَ إِنْسَانٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى خُرَاسَانَ، لَكَانَ قَلِيلاً. وَفِي [فَضَائِلِ عَاشُورَاءَ] لِلْأُجْهُورِيّ.

فَصْلٌ: وَرُوِيَ: (مَنْ قَرَأَ فِي يَوْم الِاثْنَيْنِ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ، إِلَى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾[التوبة: ١٢٨]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، لَمْ يَمُتْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَإِنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ كَذَلِكَ). اهـ. قَالَ: وَلَمَّا سَمِعَهَا بَعْضُ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتِّينَ سَنَةً، فَوَاظَبَ عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِلَى مَتَى هَذَا الْهَرَب عَنَّا، فَتَرَكَهَا، فَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. (وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدٌ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو بِهَا، إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ). وَذَكَرَ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ، رِوَايَات فِي كَيْفِيَّتِهَا:

الرِّوَايَة الْأُولَى: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْتَدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي،

الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ﴾.

الرِّوَايَة الثَّانِيَة: ﴿إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا كلها دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَسْأَلُ اللهَ، الرَّحْمَنَ، الرَّحِيمَ، الْإِلَهَ، الرَّبَّ، الْمَلِكَ، الْقُدُّوسَ، السَّلَامَ، الْمُؤْمِنَ، الْمُهَيْمِنَ، الْعَزِيزَ، الْجَبَّارَ، الْمُتَكَبِّرَ، الْخَالِقَ، الْبَارِئَ، الْمُصَوِّرَ، الْعَلِيمَ، الْحَلِيمَ، السَّمِيعَ، الْبَصِيرَ، الْحَيَّ، الْقَيُّومَ، الْوَاسِعَ، اللَّطِيفَ، الْخَبِيرَ، الْمَنَّانَ، الْبَدِيعَ، الْغَفُورَ، الْوَدُودَ، الشَّكُورَ، الْمَجِيدَ، الْمُبْدِئَ، الْمُعِيدَ، النُّورَ، الْبَادِي. وَفِي لَفْظٍ: الْقَائِم. الْأَوَّلَ، الْآخِرَ، الظَّاهِرَ، الْبَاطِنَ، الْعَفْو، الْغَفَّارَ، الْوَهَّاب، الْفَرْد. وَفِي لَفْظٍ: الْقَادِرَ، الْأَحَدَ، الصَّمَدَ، الْوَكِيلَ، الْكَافِي، الْبَاقِي، الْمُغِيثَ، الدَّائِمَ، الْمُتَعَالِي، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمَوْلَى، النَّصِيرَ، الْحَقَّ، الْمُبِينَ، الْوَارِثَ، الْمُنِيرَ، الْبَاعِثَ، الْقَدِيرَ. وَفِي لَفْظٍ: الْمُجِيبَ، الْمُحْيِيَ، الْمُمِيتَ، الْحَمِيدَ. وَفِي لَفْظٍ: الْجَمِيلَ، الصَّادِقَ، الْحَفِيظَ، الْمُحِيطَ، الْكَبِيرَ، الْقَرِيبَ، الرَّقِيبَ، الْفَتَّاحَ، التَّوَّابَ، الْقَدِيمَ، الْوِتْرَ، الْفَاطِرَ، الرَّزَّاقَ، الْعَلَّامَ، الْعَلِيَّ، الْعَظِيمَ، الْغَنِيَّ، الْمَلِيكَ، الْمُقْتَدِرَ، الْأَكْرَمَ، الرَّؤُوفَ، الْمُدَبِّرَ، الْمَالِكَ، الْقَاهِرَ، الْهَادِيَ، الشَّاكِرَ، الْكَرِيمَ، الرَّفِيعَ، الشَّهِيدَ، الْوَاحِدَ، ذَا الطَّوْلِ، ذَا الْمَعَارِجِ، ذَا الْفَضْلِ، الْخَلَّاقَ، الْكَفِيلَ، الْجَلِيلَ﴾.

الرِّوَايَة الثَّالِثَة: ﴿إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، اللهُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْمَلِكُ، الْحَقُّ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ، الْعَظِيمُ، الْمُتَعَالِ، الْجَلِيلُ،

الْجَمِيلُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْقَادِرُ، الْقَاهِرُ، الْحَكِيمُ، الْقَرِيبُ، الْمُجِيبُ، الْغَنِيُّ، الْوَهَّابُ، الْوَدُودُ، الشَّكُورُ، الْمَاجِدُ، الْوَاجِدُ، الْوَالِي، الرَّشِيدُ، الْعَفُوُّ، الْغَفُورُ، الْحَلِيمُ، الْكَرِيمُ، التَّوَّابُ، الرَّبُّ، الْمَجِيدُ، الْوَلِيُّ، الشَّهِيدُ، الْمُبِينُ، الْبُرْهَانُ، الرَّءُوفُ، الرَّحِيمُ، الْمُبْتَدِئُ، الْمُعِيدُ، الْبَاعِثُ، الْوَارِثُ، الْقَوِيُّ، الشَّدِيدُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْبَاقِي، الْوَافِي، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ، الْمَتِينُ، الْقَائِمُ، الدَّائِمُ، الْحَافِظُ، الْوَكِيلُ، الْبَاطِنُ، السَّمِيعُ، الْمُعْطِي، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْمَانِعُ، الْجَامِعُ، الْهَادِي، الْكَافِي، الْأَبَدُ، الْعَالِمُ، الصَّادِقُ، النُّورُ، الْمُنِيرُ، التَّامُّ، الْقَدِيمُ، الْوِتْرُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

فَهَذِهِ ثَلَاثُ كَيْفِيَّاتٍ لَهَا، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ دَعَا بِهَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ). فَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الدُّعَاءَ، أَنْ يَدْعُوَ بِأَيِّ كَيْفِيَّةٍ أَرَادَ، وَبِأَيِّ اسْمٍ يَخْتَارُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمُنَاسِبَ لِقَصْدِهِ، كَالرَّزَّاقِ فِي الرِّزْقِ، وَالْغَنِيِّ فِي الْغِنَى، وَنَحْوِ ذَلِكَ. بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِ الْإِجَابَةِ، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَابِ الدُّعَاءِ.

هَذَا، وَاخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ فِي اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ، دَالٌّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَحْصُورَةٌ فِي التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ، بَلْ نَقَلَ النَّوَوِيُّ الِاتِّفَاقَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: لَا خِلَافَ فِي أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ حَصْرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ. لَكِنَّ الْمَقْصُود أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ، مَنْ

أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة. فَأَخْبَرَ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّة بِإِحْصَائِهَا. اهـ. كَيْفَ وَقَدْ جَاءَ فِي دُعَائِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْأَسْمَاءِ: (أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ).

وَوَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَسْمَاءٌ خَارِجَةٌ مِنْ ذَلِكَ، كَالْغَافِرِ، وَالْغَالِبِ، وَالنَّاصِرِ، وَشَدِيدِ الْعِقَابِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ، وَمُولِجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَمُولِجِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، وَمُخْرِجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَالسَّيِّد، وَرَمَضَان، وَالدَّهْر.

وَشَاعَ فِي عِبَارَاتِ الْعُلَمَاءِ: الْمُرِيد، وَالْمُتَكَلِّم، وَالشَّيْء، وَالْمَوْجُود، وَالذَّات الْأَزَلِيّ، والصَّانِع، وَالْوَاجِب، وَنَحْو ذَلِكَ.

بَلْ فِي [الْأَحْوَذِيّ شَرْح التِّرْمِذِيّ]، لِلشَّيْخ أَبِي بَكْرٍ بْن عَبْدِ الْعَزِيز، عَنْ بَعْضِهِ: (أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَلْفَ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلْفَ اسْمٍ أَيْضًا). فَظَهَرَ أَنَّ هَذَا الْعَدَد لَيْسَ لِلْحَصْرِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلزِّيَادَةِ فَضِيلَة.

وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى (أَحْصَاهَا)، وَفَسَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَالْأَكْثَرُونَ بِالْحِفْظِ. قَالَ النَّوَوِيُّ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي رِوَايَةِ [الصَّحِيحَيْنِ]: (مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ). قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيّ: وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَقِيلَ: عَدَّهَا. وَقِيلَ: عَمِلَ بِهَا. وَقِيلَ: مَنْ قَرَأَهَا مُرَتِّلًا، وَآمَنَ بِهَا. وَقِيلَ: تَخَلَّقَ بِمَا يُمْكِنُهُ الْعَمَل بِمَعَانِيهَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ حِفْظُكَ الْقُرْآن، لِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهَا.

وَمَعْنَى: دُخُول الْجَنَّة، أَوْ (دَخَلَ الْجَنَّةَ)، أَيْ دُخُولُ أَوَّلِهَا، أَوْ دَخَلَ عَالِي غُرَف الْجَنَّةِ، أَوْ دَخَلَ جَنَّةً أَنْوَارهَا الْأَسْمَاء... مِنْ بِحَارِ...

فَصْلٌ: فِي الاِسْمِ الأَعْظَمِ

جَاءَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا: (لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).

وَجَاءَ أَنَّهُ فِي الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَة آلِ عِمْرَانَ.

وَجَاءَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمِ، فِي ثَلاثِ سُوَرٍ: الْبَقَرَة، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَه. قَالَ الْقَاسِمُ: فَتلَمسْتُهَا أَنَّهُ: (الحَيُّ الْقَيُّومُ).

وَجَاءَ هُوَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ... إِلَخ).

وَجَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهُ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). وَجَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ... إِلخ).

وَجَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وَجَاءَ أَنَّهُ: (يَا بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ...إِلَخ).

وَجَاءَ هُوَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ، وَبِاسْمِكَ الْكَبِيرِ الْأَكْبَرِ)، وَجَاءَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ، هَلْ هُوَ مَعْنَىً أَمْ لَا. فَقِيلَ: بَلْ مَا دَعَوْتَهُ بِهِ، حَالَ تَعْظِيمِكَ لَهُ، وَالْتِجَاءِكَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ الظَّاهِرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]. وَالْمَشْهُورُ التَّعْيِينُ، وَيُلْهِمُهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَوَاصِّ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ، بِحَسَبِ النَّظَرِ وَالْأَخْذِ مِنَ الْأَثَرِ، وَبِحَسَبِ الْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ. فَقِيلَ: أَنَّهُ (اللَّهُ) تَعَالَى، وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَنَسَبَهُ الْبَعْضُ لِأَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنْ كَمَا قَالَ الْقُطْبُ الرَّبَّانِيُّ، السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيّ: (بِشَرْطِ أَنْ تَقُولَ اللَّهَ، وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ سِوَاهُ).

وَقِيلَ: أَنَّهُ هُوَ: (الْحَيُّ الْقَيُّومُ). وَ(الْعَلِيُّ)، (الْعَظِيمُ)، (الْعَلِيمُ)، (الْحَلِيمُ). أَوْ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَوْ (اللَّهُمَّ). أَوْ (الْحَقُّ). أَوْ (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، أَوْ (أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، أَوْ (رَبَّنَا)، أَوْ (الْوَهَّابُ) (الْقَرِيبُ). أَوْ (السَّمِيعُ) (الْبَصِيرُ)، أَوْ (سَمِيعُ الدُّعَاءِ)، أَوْ(خَيْرُ الْوَارِثِينَ)، أَوْ (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ: (اخْتَلَفَتِ الْآثَارُ فِي تَعْيِينِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ، وَعِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ، إِذْ لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرٍ مِنْهَا، أَنَّهُ هُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ).

قَالَ الْمُلَّا عَلِيُّ الْقَارِيّ: وَالَّذِي يَظْهَر ظُهُوراً سَاطِعاً، أَنَّ الِاسْمَ الْأَعْظَمِ مُبْهَمٌ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ، كَإِبْهَامِ لَيْلَة الْقَدْرِ، وَسَاعَة الْجُمُعَةِ، وَلَا يَبْعدُ أَنْ يُخْتَلَفَ بِاخْتِلَافِ الدُّعَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ.

وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى الْأَعْظَمِ، هَلْ هُوَ بِمَعْنَى أَفْعَل التَّفْضِيلِ، أَوْ بِمَعْنَى الْعَظِيمِ. فَمَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْأَوَّلِ، فَفَضَّلُوا بَعْض الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ، وَمَالَ غَيْرِهِمْ إِلَى الثَّانِي، وَقَالُوا بِجَوَازِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يُوزَن بِانْتِقَاصِ الْمَفْضُولِ، وَقَالُوا إِنَّ الْمُرَادَ بِالأَعْظَمِ الْعَظِيمِ، إِذْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا عَظِيمَةٌ.

فَصْلٌ: فِي تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ خَمْسِينَ آيَةً، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ، لَمْ يُحَاجَّهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمِائَةِ آيَةٍ، كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الْأَجْرِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ عِشْرِينَ آيَةً). وَفِي أُخْرَى: (عَشْر آيَاتٍ). وَجَاءَ فِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، بِنَحْوِ هَذَا. وَقَالَ عَمْرُو بْنِ مَيْمُون: (مَنْ نَشَرَ مُصْحَفاً، حِينَ يُصَلِّي الصُّبْحَ، فَقَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ، رَفَعَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ عَمَلِ الْخَلْقِ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ يس، فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، غُفِرَ لَهُ). وَجَاءَ: (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَفَاتِحَةَ حم الْمُؤْمِنِ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، عُصِمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، مِنْ كُلِّ سُوءٍ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَنَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ، حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: ١- ٢]، وَ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾). (مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ نِصْفَ الْقُرْآنِ. وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ رُبْعِ الْقُرْآنِ). وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كَانَتْ كَعَدْلِ ثُلُثِ

الْقُرْآنِ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟، قَالُوا: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، قَالَ: أَنْ يَقْرَأَ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾).

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَتَقَدَّمَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ مِنْهَا، وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ وَأَشْرَفُهَا. حَتَّى نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ، تِسْعَةً وَتِسْعِينَ مَرَّةً، وَقُلْتُ: لَئِنْ رَأَيْته تَمَامَ الْمِائَةِ، لَأَسْأَلَنَّهُ بِمَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ الْمُتَقَرِّبُونَ؟، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَ يُتَقَرَّب إِلَيْكَ الْمُتَقَرِّبُونَ؟، قَال: بِكَلَامِي، قُلْتُ: بِفَهْمٍ، أَمْ بِغَيْرِ فَهْمٍ، قَالَ: بِفَهْمٍ، وَبِغَيْرِ فَهْمٍ).

وَلِأَجْلِ فَضْلِهِ وَشَرَفِه بَالَغَ الْأَكَابِرُ، فِي الِاجْتِهَادِ بِهِ، حَتَّى نُقِلَ عَنْ كَثِيرٍ، لَا يُحْصَوْنَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْتِمُونَهُ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَرَكْعَتَيْنِ، مِنْهُمْ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَتَمِيمُ الدَّارِيّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَكَانَ جَمَاعَةٌ يَخْتِمُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَتْمَةً، وَآخَرُونَ خَتْمَتَيْنِ، وَقَوْمٌ ثَلَاثًا، وَبَعْضُهُم أَرْبَعًا بِاللَّيْلِ، وَأَرْبَعًا بِالنَّهَار. قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا أَكْثَرُ مَا بَلَغَنَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

قُلْتُ: وَقَدْ بَلَغَنِي، عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ، أَبِي عَلِيِّ الدَّارَانِيّ، تِلْمِيذُ الْقُطْبُ الْغَوْثُ، أَبِي مَدْيَن الْمَغْرِبِيّ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: (أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأ سَبْعِينَ أَلْفَ خَتْمَةً، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ). وَأُخْبِرَ بِهَذَا وَلَدُ الْعَارِفُ السُّهْرَوَرْدِيّ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، (لَمَّا شَرَعَ فِي الطَّوَافِ ذَاتَ يَوْمٍ، قَالَ لَهُ الرَّاوِي: هَذَا الشَّيْخ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَلَمَ الْحجرَ، شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ، مِنْ أَوَّلِ الْخَتْمَةِ، وَهُوَ يَمْشِي كَالنَّاسِ، فَمَا أَتَى بَاب الْكَعْبَةِ، إِلَّا وَقَدْ أَتَمَّهَا، وَأَنَا أَسْمَعُهُ حَرْفًا حَرْفًا).

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقْرَأَهُ فِي شَوْطٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي طَوَافٍ كَامِلٍ، وَهَذَا كُلُّهُ مُمْكِنٌ مِنْ بَابِ طَيِّ الْحُرُوفِ، وَتَوْسِيعِ الزَّمَانِ، كَطَيِّ الْأَرْضِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، وَمِنْهُ لِأَوْلِيَائِهِ مَا يَشَاءُونَ.

فَلَقَدْ حَكَى الشَّيْخُ الْعَارِفُ بَامَخْرَمَةَ، عَنْ نَفْسِهِ: (أَنَّهُ وُسِّعَ لَهُ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ، قَدْرَ ثَلَاثِينَ أَلْف سَنَةٍ). وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ بِقِصَّةِ الْمِعْرَاجِ، وَقَدْ حُكِيَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، كَثِيرٌ عَنِ الْعَارِفِينَ، وَإِذَا عُلِمَ فَضْلُ الْقُرْآنِ وَشَرَفُهُ، فَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ، لَيْلاً وَنَهَارًا، سَفَرًا وَحَضَرًا.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا، حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَاتَّخِذُوهُ إِمَامًا وَقَائِدًا، فَإِنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي هُوَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا، وَعَى الْقُرْآنَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلاَّ وَأَنْتَ جُنُبٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ،

رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَدِّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ أَهْلَ بَيْتِهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللَّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَاَّ ظِلُّهُ، مَعَ أَنْبِيائِهِ وَأَصْفِيائِهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَهُولُهُمُ الْفَزَعُ، وَلَا يَفْزَعُونَ حِينَ يَفْزُعُ النَّاسُ: رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَقَامَ بِهِ يَطْلُبُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَهُ، وَرَجُلٌ يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، خَمْسَ صَلَوَاتٍ، يَطْلُبُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَهُ، وَمَمْلُوكٌ لَمْ يَمْنَعْهُ رِقُّ الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ، مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ، كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا جِلَاؤُهَا؟، قَالَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ الْمَوْتِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، اقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً، اقْرَأْهُ فِي عَشرٍ، اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، لَا تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ). وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي خَمْسٍ).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، إِنْ اسْتَطَعْتَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يُقْرَأُ الْقُرْآنُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ).

وَكَانَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، عَادَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمُدَّةِ، الَّتِي كَانُوا يَخْتِمُونَ فِيهَا الْقُرْآنَ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ كُلَّ شَهْرَيْنِ خَتْمَةً، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَتْمَةً، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ عَشْرِ لَيَالٍ، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ ثَمَانٍ، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَهُوَ فِعْلُ الْأَكْثَر، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ سِتٍّ، وَفِي خَمْسٍ، وَفِي أَرْبَعٍ، وَكَثِيرُونَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، وَتَقَدَّم أَيْضًا غَيْر هَذَا.

فَفِي الْخَتْمِ مَرَاتِبُ: كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَكَرِهَهُ جَمَاعَةٌ. وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ). وَكُلّ شَهْرٍ كُلّ يَوْمٍ جُزْءٍ، وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الِاقْتِصَادِ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ مُبَالَغَةٌ فِي الِاسْتِكْثَارِ، وَبَيْنَهُمَا مَرْتَبَات مُعْتَدِلَاتٍ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةٍ، وَفِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَالْأَحَبُّ أَنْ يَخْتِمَ خَتْمَةً بِاللَّيْلِ، وَخَتْمَةً بِالنَّهَارِ، وَيَجْعَلَ خَتْمَةَ النَّهَارِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، أَوْ بَعْدَهُمَا، وَيَجْعَلَ خَتْمَةَ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فِي رَكْعَتَيِ الْمَغْرِبِ، أَوْ بَعْدَهُمَا، لِيَسْتَقْبِلَ بِخَتْمَتَيْهِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَأَوَّلَ اللَّيْلِ).

(وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَبْتَدِئُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَيَخْتِمُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ). وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يُخْتَمَ الْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، أَوْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ).

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ أَوَّلَ النَّهَارِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَن خَتَمَهُ آخِرَ النَّهَارِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ).

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ، أَيَّةَ سَاعَةٍ كَانَتْ مِنَ النَّهَارِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَأَيَّةَ سَاعَةٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ).

وَنَحْوه عَنْ مُجَاهِدٍ. وَفِي [الْجَامِعِ]: (إِذَا خَتَمَ العَبْدُ القُرآنَ، صَلَّى عَلَيْهِ عِنْدَ خَتْمِهِ، سِتُّونَ أَلْف مِنَ الْمَلَائِكَةِ).

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ فِي سَبْعٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى وَفْقِ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لِأَنَّهُ السُّنَّةُ، كَمَا (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُم).

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ فِي ذَلِك طُرُقٌ. فَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ يَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، بِالْبَقَرَةِ وَالْمَائِدَةِ، وَلَيْلَةَ السَّبْتِ بِالْأَنْعَامِ إِلَى هُودٍ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ بِيُوسُفَ إِلَى مَرْيَمَ، وَلَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ بطه إِلَى طسم الْقَصَصِ، وَلَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ بِالْعَنْكَبُوتِ إِلَى ص، وَلَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ بِتَنْزِيل إِلَى الرَّحْمَنِ، وَخَتَمَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ).

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقْسِمُهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ. وَقِيلَ: أَحْزَابُ الْقُرْآنِ سَبْعَةٌ: فَالْأَوَّلُ ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَالثَّانِي خَمْسَ سُوَرٍ، وَالثَّالِثُ خَمْسَ سُوَرٍ، وَالرَّابِعُ تِسْعَ سُوَرٍ، وَالْخَامِسُ إِحْدَى عَشَرَ سُورَةٍ، والسَّادِسُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سُورَةٍ، وَالسَّابِعُ الْمُفَصَّلِ مِنْ ق إِلَى آخِرِهِ. فَهَكَذَا أَحْزَبَهُ الصَّحَابَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَرَدَ فِي خَبَرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ).

وَقَالَ أَوْسُ: (سَأَلْتُ أَصْحَابَ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟، قَالُوا: ثَلَاثٌ، وَخَمْسٌ، وَسَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاث عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ).

قَالَ الْغَزَالِيُّ: (التَّفْصِيلُ فِي مِقْدَارِ الْقِرَاءَةِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْعَابِدِينَ السَّالِكِينَ بِطَرِيقِ الْعَمَلِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ مِنْ خَتْمَتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّالِكِينَ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ، وَضُرُوبِ الْفِكْرِ، أَوْ مِنَ الْمَشْغُولِينَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَقْتَصِرَ فِي الْأُسْبُوعِ عَلَى مَرَّةٍ، وَإِنْ كَانَ نَافِذُ الْفِكْرِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَقَدْ يَكْتَفِي فِي الشَّهْرِ بِمَرَّةٍ، لِحَاجَتِهِ لِكَثْرَةِ التَّرْدِيدِ وَالتَّأَمُّلِ).

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ والْهَذْرَمَةِ فِي الْقِرَاءَةِ.

فَصْلٌ: فِي آدَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

هِيَ كَثِيرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عَلَى سِوَاكٍ وَوُضُوءٍ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (مَا دَخَلْتُ بَيْتاً مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَفِيهِ مُصْحَفٌ، إِلَّا وَأَنَا عَلَى وُضُوءٍ). وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا كَانَ فِي بَيْتٍ مُصْحَفٌ، لَا يَنَامُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، مَخَافَةَ خُرُوجِ رِيحٍ مِنْهُ.

وَقَدْ كَانَ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيُّ، يُطَالِعُ الْفِقْهَ، فَأَصَابَهُ الْبَطْنَ فِي لَيْلَةٍ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ مَرَّةً، فَتَوَضَّأَ لِكُلٍّ مِنْهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: (مَا أَصَبْنَا الْعِلْمَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ). فَهَذَا فِي الْفِقْهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَأَنْ يَكُونَ عَلَى هَيْئَةِ الْأَدَبِ وَالسُّكُونِ، إِمَّا قَائِمًا أَوْ جَالِسًا، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، مُطْرِقًا رَأْسَهُ، غَيْرَ مُتَرَبِّعٍ وَلَا مُتَّكِئٍ، وَلَا عَلَى هَيْئَةِ تَكَبُّرٍ، مُخْلِصًا فِي قِرَاءَتِهِ، قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ، يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ، يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ، وَرَجُلٌ يَقْرَؤُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَدًا، أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ. فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَجْهُهُ عَظْمٌ، لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، واعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ).

وَقَالَ الْحَسَنُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَاللَّهِ مَا دُونَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، وَلَا بَعْدَهُ مِنْ فَاقَةٍ). وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ، أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ حَاجَةٍ، وَلَا إِلَى الْخُلَفَاءِ، فَمَنْ هُمْ دُونَهُم، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْقِ كُلِّهُمْ إِلَيْهِ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (حَسِّنُوا). وَفِي أُخْرَى: (حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا).

وَفِي غَيْرِهَا: (أَحْسِنُوا الْأَصْوَاتَ بِالْقُرْآنِ).(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ).

وَفِي [الْإِحْيَاءِ]: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ، إِذْنَهُ لِحَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَقِّ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، لَمَّا اسْتَمع قِرَاءَتَهُ: لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا، مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ تَسْمَعُ، لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا).

(وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وأَصْوَاتِها، وَإِيَّاكُمْ ولُحُونَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَأَهْلِ الْفسقِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ بَعْدِي، قَوْمٌ يُرَجِّعُونَ بِالْقُرْآنِ، تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَالنَّوْحِ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ، وَقُلُوبُ مَنْ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ).

وَالْمُرَادُ مِنَ التَّزْيِينِ وَالتَّغَنِّي: التَّحْسِينُ بِالتَّرْتِيلِ مَعَ الْخُشُوعِ، وَمُرَاعَاة حُكْمِ الْقِرَاءَةِ، مِنْ غَيْرِ تَمْطِيطٍ وَتعَجُّبٍ وَزِيَادَةٍ، فَإِنَّ زِيَادَةَ حَرْفٍ وَنُقْصَانِه حَرَامٌ.

(وَقَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَمَّا سَمِعَتْ رَجُلاً يَهْذِرُ الْقُرْآن هَذْرًا، إِنَّ هَذَا مَا قَرَأَ الْقُرْآن، وَمَا سَكَتَ).

وَقَالَ الْبَزَّارِيُّ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالْأَلْحَانِ مَعْصِيَةٌ، وَالتَّالِي وَالسَّامِعُ آثِمَانِ). وَكَذَا فِي [مَجْمَعِ الْفَتَاوَى].

وَقَالَ الْبَزَّازِيُّ أَيْضًا: (اللَّحْنُ فِيهِ حَرَامٌ بِلَا خِلَافٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]).

وَقَالَ الزَّيْلعِيُّ: (لَا يَحِلُّ التَّرْجِيعُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَلَا التَّطْرِيبُ فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ الِاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِفِعْلِ الْفَسَقَةِ، فِي حَالِ فِسْقِهِمْ، وَهُوَ التَّغَنِّي).

وَقَالَ التُّورِبُشْتِيُّ: (الْقِرَاءَةُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُهِيِّجُ الْوَجْدَ، فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ، وَيُورِثُ الْحُزْنَ، وَيَجْلِبُ الدَّمْعَ، مُسْتَحَبَّةٌ، مَا لَمْ يُخْرِجْهُ التَّغَنِّي عَنِ التَّجْوِيدِ، وَلَمْ يَصْرِفْهُ عَنْ مُرَاعَاةِ النَّظْمِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ، وَعَادَ الِاسْتِحْبَاب فِيهِ كَرَاهَةً، وَأَمَّا مَا أَحْدَثَهُ الْمُتَكَلِّفُونَ، وَأَبْدَعَهُ الْمُرْتَهِنُونَ بِمَعْرِفَةِ الْأَوْزَانِ، وَعِلْمِ الْمُوسِيقَى، فَيَأْخُذُونَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى

مَأْخَذَهُمْ فِي النَّشِيدِ، وَالْغَزَلِ، وَالْمَثْنَوِيَّاتِ، حَتَّى لَا يَكَادَ السَّامِعُ يَفْهَمُهُ، مِنْ كَثْرَةِ النَّغَمَاتِ وَالتَّقْطِيعَاتِ، فَإِنَّهُ لَمِنْ أَشْنَعِ الْبِدَعِ، وَأَسْوَأَ الْأَحْدَاثِ فِي الْإِسْلَامِ، وَنَرَى أَدْنَى الْأَقْوَالِ، وَأَهْوَنَ الْأَحْوَالِ فِيهِ، أَنْ يَجِبَ عَلَى السَّامِعِ النَّكِيرَ، وَعَلَى التَّالِي التَّعْزِيرِ).

وَالنَّقْلُ عَنْ كَثِيرٍ عَنْ عُلَمَائِنَا وَغَيْرِهِمْ، وَمِنْ عَظِيمِ التَّشْدِيدَاتِ، مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَا حُكِيَ عَنْ ظَهِيرِ الدِّيْنِ الْمَرْغِينَانِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ لِمُقْرِئِ زَمَانِنَا: أَحْسَنْتَ، عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، يَكْفُرُ).

وَوَجْهُهُ بِأَنَّ التَّغَنِّي لَمَّا كَانَ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ، كَانَ قَطْعِيًّا، فَتَحْسِينُهُ تَحْلِيلٌ لِلْحَرَامِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ، وَفِيهِ تَدَبُّرٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ صَاحِبُ [الْهِدَايَةِ وَالذَّخِيرَةِ]: كَبِيرَةٌ.

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا يَا أَخِي، بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، وَأَلْزَمْ تَقْوَى اللَّهِ، فِي كُلِّ جَلِيلَةٍ وَحَقِيرَةٍ. وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِالْحُزْنِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِالْحُزْنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا).

قَالَ صَالِحُ الْمُرِّيّ: (قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: يَا صَالِحُ، هَذِهِ الْقِرَاءَةُ، فَأَيْنَ الْبُكَاءُ؟).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إِذَا قَرَأْتُمْ سَجْدَةَ سُبْحَانَ، فَلَا تَعْجَلُوا بِالسُّجُودِ، حَتَّى تَبْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكِ عَيْنُ أَحَدِكُم، فَلْيَبْكِ قَلْبُهُ).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. قَالَ فِي [الْإِحْيَاءِ]: (يَقُولُ فِي مُبْتَدَإِ قِرَاءَتِهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧- ٩٨].

وَلَيقْرَأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وَسُورَة ﴿الحَمْدُ﴾، وَلْيَقُلْ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ: صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، اللَّهُمْ انْفَعْنَا بِهِ، وَبارِكْ لَنَا فِيهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْحَيّ الْقَيُّوم.

وَفِي أَثْنَاءِ الْقِرَاءَةِ، إِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَسْبِيحٍ أَوْ تَكْبِيرٍ، سَبَّحَ وَكَبَّرَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ دُعَاءٍ وَاسْتِغْفَارٍ، دَعَا وَاسْتَغْفَرَ، وَإِنْ مَرَّ بِمَرْجُوٍّ سَأَلَ، وَإِنْ مَرَّ بِمُخَوِّفٍ اسْتَعَاذَ، يَفْعَلُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ). وَقَدْ مَرَّ فِي الصَّلَاةِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَمِنَ الْآدَابِ: أَنْ يَجْهَرَ بِهِ، حَيْثُ النَّفْعُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْأَذَى، وَإِلَّا فَالْإِسْرَارُ أَفْضَلُ، وَهَذَا طَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْبَارِ، وَأَنْ يَقْرَأَ فِي أَفْضَلِ أَوْقَاتِهِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ، ثُمَّ نِصْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ، ثُمَّ اللَّيْلُ كُلُّهُ، وَفِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مَحْبُوبٌ.

أَمَّا النَّهَارُ فَأَفْضَلُ أَوْقَاتِهِ لِلْقِرَاءَةِ، بَعْدَ الصُّبْحِ، وَأَمَّا الْأَيَّامُ فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَعَرَفَةَ، وَالْعَشْرُ الْأُوَلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشَهْرُ رَمَضَانَ كُلُّهُ.

وَأَنْ يَقْرَأَ مِنَ الْمُصْحَفِ، مِمَّنْ تَكْمُلَ جَمْعِيَّتُهُ بِهِ، وَقَدْ قِيلَ: الْخَتْمَةُ فِيهِ بِسَبْعَةٍ؛ وَلِأَنَّ النَّظَرَ فِيهِ عِبَادَةٌ. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، يَقْرَءُونَ فِي الْمُصْحَفِ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمٌ، وَلَا يَنْظُرُونَ فِيهِ، وَقَدْ خَرَقَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مُصْحَفَيْنِ، بِكَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي، قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا).

وَيَنْبَغِي إِذَا ابْتَدَأَ مِنْ وَسَطِ سُورَةٍ، أَنْ يَبْدَأَ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ، الْمُرْتَبِط بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، وَكَذَلِكَ يَقِفُ إِذَا وَقَفَ، وَلَا يَتَقَيَّدَ بِأَحْزَابٍ وَلَا مَقَارِئٍ، فَلَا، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا فِي وَسَطِ الْكَلَامِ الْمُرْتَبِطِ، فَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ مَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَكُنْ كَمَا قَالَ الْفُضَيْلُ: (لَا تَسْتَوْحِشْ طُرُقَ الْهُدَى، لِقِلَّةِ أَهْلِهَا السَّالِكِينَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ).

وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]. وَلِذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: (قِرَاءَةُ سُورَةٍ قَصِيرَةٍ، أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ سُوَرٍ طَوِيلَةٍ). وَكَانَ السَّلَفُ يَكْرَهُونَ قِرَاءَةَ بَعْضِ آيَةٍ، وَتَرْكِ بَعْضِهَا. وَهَذَا بَعْضُ آدَابِهِ الظَّاهِرَةِ.

وَأَمَّا آدَابُهُ الْبَاطِنَةُ: فَأَوَّلُهَا: فَهْمُ عَظَمَةِ الْكَلَامِ وَعُلُوِّهِ. وَفَضْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلُطْفُهُ بِخَلْقِهِ، فِي نُزُولِهِ عَنْ عَرْشِ جَلَالِهِ، إِلَى دَرَجَةِ إِفْهَامِ خَلْقِهِ، وَتَفَضُّلُهُ بِخِطَابِهِ لَهُمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ أَحْقَر مِنْ أَنْ يُخَاطِبُوا، وَأَدْنَى مِنْ أَنْ يُكَلِّمُوا، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، فَلْيُطَالِعهُ مَنْ أَرَادَهُ فِي [الْإِحْيَاءِ]، وَنَحْوِهَا.

ثَانِيهَا: التَّعْظِيمُ لِلْمُتَكَلِّم، فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ بِقَلْبِهِ عَظَمَةَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا يَقْرَأَهُ لَيْسَ بِكَلَامِ الْبَشَرِ، وَإِنَّ فِي تِلَاوَتِهِ غَايَةُ الْخَطَرِ. (وَكَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، إِذَا نَشَر الْمُصْحَفَ، غُشِيَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: هُوَ كَلَامُ رَبِّي، هُوَ كَلَامُ رَبِّي). وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]. فَإِذَا كَانَ مَسَّهُ

ظَاهِراً، لَا يَحِلُّ إِلَّا بِطَهَارَةِ الظَّاهِرِ، فَالْبَاطِنُ كَذَلِكَ، فَلَا تَنْفَعُ الْقِرَاءَةُ مَعَ نَجَاسَةِ الْبَاطِنِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ).

ثَالِثُهَا: حُضُورُ الْقَلْبِ، بِتَرْكِ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَعَدَمُ اشْتِغَالِ الْبَالِ بِغَيْرِهِ، قِيلَ فِي [الْقُرْطُبِيِّ]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. أَيْ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ: (إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، هَلْ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ، أُحَدِّثُ بِهِ نَفْسِي). وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ، إِذَا قَرَأَ سُورَةً، وَلَمْ يَحْضُرْ قَلْبُهُ فِيهَا، أَعَادَهَا ثَانِيًا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَتُدَاوِمُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، مِنْ حَيْثُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، لَا مِنْ حَيْثُ التَّفَكُّرِ بِمَدْلُولَاتِهِ، كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْحِسَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ النَّظَرَ فِي الْكَوْنِ وَسَاوِسٌ). وَهَذَا أَرْقَى مِمَّا قَبْلَهُ.

رَابِعُهَا: التَّدَبُّرُ، وَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي مَعْنَاهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا فِقْهَ فِيهَا، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا). وَكَانَ بَعْضُهُمْ، يَقُولُ: (كُلُّ آيَةٍ لَا أَتَفَهَّمُهَا، وَيَكُونُ قَلْبِي حَاضِرًا فِيهَا، لَا أَعُدُّ لَهَا ثَوَابًا).

وَالتَّدَبُّرُ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَلِذَلِكَ سُنَّ فِيهَا التَّرْتِيلُ، وَإِذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ، إِلَّا بَتَرْدِيدِهَا فَلْيَفْعَلْ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَرَدَّدَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِينَا اللَّيْلَة، فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]).

وَقَدْ بَاتَ جَمْعٌ مِنَ السَّلَفِ بِآيَةٍ، يُرَدِّدُهَا اللَّيْل كُلّهُ، أَوْ مُعْظَمهُ لِلتَّدَبُّرِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (إِنِّي لَأَفْتَتِحَ السُّورَة، فَيُوقِفَنِي بَعْض مَا أَشْهَدُ فِيهَا، عَنِ الْفَرَاغِ مِنْهَا، حَتَّى يَطْلُع الْفَجْرُ).

وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: (إِنِّي لَأَتْلُو الْآيَةَ، وَأُقِيمُ فِيهَا أَرْبَعَ لَيَالٍ، أَوْ خَمْسَ لَيَالٍ، وَلَوْلَا أَنِّي أَقْطَع الْفِكَر فِيهَا، مَا جَاوَزْتُهَا إِلَى غَيْرِهَا). وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ، (أَنَّهُ بَقِيَ سِتَّة أَشْهُرٍ، فِي سُورَةِ هُودٍ يُرَدِّدُهَا).

وَقَدْ رُوِيَ، (أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَفِظَ الْبَقَرَة، فِي شَيْءٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ). وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (لِي فِي كُلِّ جُمُعَةٍ خَتْمَةٌ، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ خَتْمَةٌ، وَفِي كُلِّ سَنَةٍ خَتْمَةٌ، وَلِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، مَا فَرَغْتُ مِنْهَا بَعْدُ). وَكُلُّ ذَلِكَ لِأَجْلِ التَّدَبُّرِ.

خَامِسُهَا: التَّفَهُّمُ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَوْضِحَ كُلّ آيَةٍ، بِمَا يَلِيقُ بِهَا، (قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَيْئًا وَكَتَمَهُ النَّاسَ، إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ).

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. (وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: (لَوْ شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ سَبْعِين بَعِيرًا، مِنْ تَفْسِيرِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فِي مَعْنَى الْبَاءِ). وَكُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّفَهُّمِ، وَهُوَ وَاسِعٌ جِدًّا، إِذْ كُلّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى، فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ مَا يَعْجِزُ عَنْ دَرْكِهِ الْمَنْطُوق وَالْمَفْهُوم.

سَادِسُهَا: التَّخَلِّي عَنْ مَوَانِعِ الْفَهْمِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

أَوَّلاً: صَرْفُ الْهِمَّةِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحُرُوفِ بِإِخْرَاجِهَا مِنْ مَخَارِجِهَا. ثَانِيًا: وَالتَّقْلِيدُ لِمَذْهَبٍ سَمِعَهُ وَجهَدَ عَلَيْهِ. ثَالِثًا: وَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ الْكِبْرُ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى. رَابِعًا: أَنْ يَكُونَ وَاقِفًا مَعَ التَّفَاسِيرِ، الْمَنْقُولَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمُجَاهِدٍ، وَغَيْرِهِمَا. وَيَرَى غَيْرِ ذَلِكَ تَفْسِيرًا بِالرَّأْيِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ، فَمَنْ أَرَادَ تَحْقِيقَهُ فَعَلَيْهِ بِـ[الْإِحْيَاءِ].

وَلِذَا قَالَ السَّعْدُ فِي [شَرْحِ الْعَقَائِدِ]: (وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ، فِي أَنَّ النُّصُوصَ عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِيهَا إِشَارَاتٌ خَفِيَّةٌ، إِلَى دَقَائِقٍ تَنْكَشِفُ عَلَى أَرْبَابِ السُّلُوكِ، يُمَكِّنُ التَّطْبِيقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظَّوَاهِرِ الْمُرَادَةِ، فَهُوَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَمَحْضِ الْعِرْفَانِ).

سَابِعُهَا: أَنْ يُقَدِّرَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ، بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَيَمْتَثِلَ الْمَأْمُورَاتَ، وَيَجْتَنِبَ الْمَنْهِيَّاتَ، وَيَرْجُو الْوَعْدَ، وَيَخَافُ الْوَعِيدَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ثَامِنُهَا: أَنْ يَتَأَثَّرَ قَلْبُهُ بِآثَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، حَسَبَ اِخْتِلَافِ الْآيَاتِ، فَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ كُلِّ فَهْمٍ حَالٌ، كَخَوْفٍ وَرَجَاءٍ وَقَبَضٍ وَبَسْطٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا، إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، رَأَيْت أَنَّهُ يَخشَى اللَّهَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قَالَ: فَافْتَتَحْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فَرَأَيْتُ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ بِالدُّمُوعِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ الآن).

وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ، يُصْعَقُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، وَبَعْضُهُمْ يُخْشَى عَلَيْهِ، وَقَدْ مَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ، وَذَلِكَ لِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ الْوَارِدَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

تَاسِعُهَا: التَّرَقِّي، وَهُوَ أَنْ يَتَرَقَّى عَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، إِلَى أَنْ يَسْمَعَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا مِنْ نَفْسِهِ، وَلَهُ ثَلَاثُ طُرُقٍ:

الْأُولَى: أَنْ يُقَدِّرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَنَاظِرٌ إِلَيْهِ، وَمُسْتَمِعٌ مِنْهُ، وَهَذَا التَّقْدِيرُ يُثْمِرُ التَّضَرُّعَ وَالتَّمَلُّقَ وَالسُّؤَالَ وَالِابْتِهَالَ.

وَالثَّانِيَة: أَنْ يَرَى فِي الْكَلَامِ الْمُتَكَلِّمَ، وَفِي الْكَلِمَاتِ الصِّفَاتَ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَا إِلَى قِرَاءَتِهِ، وَلَا إِلَى تَعَلُّقِ الْإِنْعَامِ بِهِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ مَقْصُورُ الْهَمَّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ، مَوْقُوف الْفِكْرِ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَغْرِقٌ

بِمُشَاهَدَتِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُتَقَرِّبِينَ، وَمَا قَبْلَهَا دَرَجَةُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَمَا وَرَاء ذَلِك دَرَجَاتُ الْغَافِلِينَ.

وَعَنِ الْأُولَى، أَخْبَرَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: (وَاللَّهِ لَقَد تَجَلَّى اللَّهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ). (وَقَدْ سَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ لِخِفَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ، حتَّى خرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا زِلْتُ أُرَدِّدُ الْآيَةَ فِي قَلْبِي، حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا، فَلَمْ يَثْبُتْ جِسْمِي لِمُعَايَنَةِ قُدْرَتِهِ). وَهَذِه الدَّرَجَةُ، تَعْظُمُ فِيهَا الْحَلَاوَةُ، وَتَلَذُّ الْمُنَاجَاةُ، وَتَهِيمُ بِهَا الْأَرْوَاحُ، وَتَسْتَنِيرُ بِهَا الْأَشْبَاحُ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (كُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَلَا أَجِدُ لَهُ حَلَاوَةٌ، حَتَّى تَلَوْتَهُ، كَأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَتْلُوهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ رُفِعتُ إِلَى مَقَامٍ فَوْقِهِ، فَكُنْتُ أَتْلُوهُ كَأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْ جِبْرِيلَ، يُلْقِيهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِمَنْزِلَةٍ أُخْرَى، فَأَنَا أَسْمَعُهُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، سُبْحَانَهُ، فَعِنْدَهُ وَجَدْتُ لَهُ لَذَّةً وَنَعِيمًا، لَا أَصْبِرُ عَلَيْهِ).

عَاشِرُهَا: أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَالِالْتِفَاتُ إِلَى نَفْسِهِ، بَيْنَ الرِّضَا وَالتَّزْكِيَةِ، فَإِذَا تَلَى آيَاتَ الْوَعْدِ، وَالْمَدْحَ لِلصَّالِحِين، فَلَا يُشْهِدُ نَفْسَهُ عِنْدَ ذَلِك، بَلْ يُشْهِدُ الْمُوقِنِينَ وَالصِّدِّيقِينَ فِيهَا، وَيَتَشَوَّقُ أَنْ يَلْحق بِهِمْ، فَإِذَا قَرَأَ آيَةَ الْوَعِيدِ وَالْمَقْتِ، وَذَمِّ الْعُصَاةِ وَالْمُقَصِّرِينَ، يُشْهِدُ نَفْسَهُ أَنَّهُ أَعْظَمُهُمْ، وَأَحَقُّهُمْ بِذَلِك، وَيَطْلُبُ مِنْ مَوْلَاهُ الْخَلَاصَ.

وَكَانَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِظُلْمِي وَكُفْرِي، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الظُّلْمُ، فَمَا بَالُ الْكُفْرِ، فَتَلَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وَهَـذَا مَحَلُّ آدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَنْ أَرَادَ تَفْصِيلَهَا، فَعَلَيْهِ بِـ[الْإِحْيَاءِ] وَ[التِّبْيَانِ]، وَنَحْوِهِمَا.

فَصْلٌ: فِي آدَابِ خَتْمِ الْقُرْآنِ

وَأَمَّا آدَابُ الْخَتْمِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ وَحْدَهُ، أَنْ يَخْتِمَ فِي صَلَاةٍ، فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَذَلِكَ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، سَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِداً أَوْ فِي جَمَاعَةٍ. وَيُسْتَحَبُّ صِيَامُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْهِيًّا عَنْهُ، وَقَدْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، وَالْمُسَيِّبِ بْنِ رَافِعٍ، وَحَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، التَّابِعَيْنِ الْكُوفِيِّيْنِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَهُ مَنْ يَقْرَأَ، وَمَنْ لَا يَقْرَأُ، لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَجَالِسِ الْخَيْرِ. وَقَدْ ثَبَتَ (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، أَمَرَ الْحُيَّضَ بِالْخُرُوجِ يَوْمَ الْعِيدِ، فَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ).

(وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، يُرَاقِبُ خَتَم غَيْره، فَيَشْهَدهُ). (وَكَانَ أَنَس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ، جَمَعَ أَهْلَهُ وَدَعَا). وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ، يُرْسِلُ لِبَعْضٍ، إِذَا أَرَادَ الْخَتْم، وَيَقُولُ: (إِنَّ الدُّعَاءَ مُسْتَجَابٌ، عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ). وَكَانَ يُقَالُ: الرَّحْمَةُ تَنْزِلُ، عِنْدَ خَاتِمَةِ الْقُرْآنِ). وَكُلُّ ذَلِكَ حَيْثُ السَّلَامَةَ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَدَغَائِلِ النَّفْسِ، وَغَوَائِلِهَا.

وَيُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ عَقِبَ الْخَتْمِ، اسْتِحْبَابًا مُؤَكَّدًا شَدِيدًا. وَالْإِنْصَاتُ لَهُ وَاجِبٌ عِنْدَنَا. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ دَعْوَةٌ، عِنْدَ خَتْمِه).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَع كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَشَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ). وَقَالَ حُمَيْدٌ الأَعْرَجُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ دَعَا، أَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ مَلَكٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا خَتَمَ أَحَدُكُمْ الْقُرْآن، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ آنِس وَحْشَتِي فِي قَبْرِي).

وَفِي [الْإِحْيَاءِ]: (وَإِذَا فَرَغَ قَالَ مَا كَانَ يَقُولُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ، وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ، وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ، وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَا قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً، إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً، إِلَّا خَتَمْتَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟. قَالَ: نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا، خُتِمَ لَهُ طَابَعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ).

وَيَنْبَغِي الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ بِالْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ، وَالْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، لَهُ وَلِكَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِصْلَاح سُلْطَانِهِمْ، وَسَائِرِ وُلَاةِ

أُمُـورِهِمْ، وَتَـوْفِيقِهِم لِلطَّاعَـاتَ، وَتَـرْكِهِمْ لِلْمُخَالَفَـاتِ، وَتَعَـاوُنِهِمْ عَلَـى الْبِـرِّ وَالتَّقْوَى، وَقِيَامِهِمْ بِالْحَقِّ، وَاِجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ، وَنَصرهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

وَاسْتَحَبَّ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذَا فَرَغَ مِنْ خَتْمِهِ، أَنْ يَشْرَعَ فِي أُخْرَى، مُتَّصِلَةٌ بِالْخَتْمَةِ، وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ (بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ الْأَعْمَالِ: الْحِلُّ وَالرِّحْلَةُ، قِيلَ: وَمَا هُمَا؟، قَالَ: افْتِتَاحُ الْقُرْآنِ وَخَتْمُهُ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: (سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟، قَالَ: الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ؟، قَالَ: صَاحِبُ الْقُرْآنِ، يَضْرِبُ فِي أَوَّلِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهُ، وَمِنْ آخِرِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَوَّلِهِ، كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ).

عَـنْ أُبَـيِّ بْـنِ كَعْـبٍ، عَـنِ النَّبِـيِّ، صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: (إِذا بَلَـغَ آخِـرَ ﴿وَالضُّحَى﴾، كَبَّرَ بَيْنَ كُلِّ سُورَتَيْنِ تَكْبِيرَةً، اللَّهُ أَكْبَرُ، إِلَى أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (قَرَأْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ تِسْعَ عَشَرَةَ خَتْمَةً، فِي كُلِّهَا يَأْمُرُنِي أَنْ أُكَبِّرَ فِيهَا، مِنْ أَوَّلِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾).

وَزَاد الْحَسَنُ بْنُ الْحُبَابِ، وَأَبُو رَبِيعَةَ: التَّهْلِيلُ فِي أَوَّلِهِ. وَنَقَلَ الذِّكْر ابْن الصَّبَّاحِ، عَنْ قُبَيْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي [الْجَلَالَيْنِ]، مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الضُّحَى: (فَلَمَّا نَزَلَتْ، كَبَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي آخِرِهَا، وَسَنَّ التَّكْبِيرُ). وَرُوِيَ الْأَمْر بِهِ خَاتِمَتِهَا، وَخَاتِمَة كُلِّ سُورَةٍ بَعْدِهَا، وَهُوَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَصْلٌ: هَذَا، (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ). وَزَادَ مُسْلِمٌ: (وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ، فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي، حَتَّى الْقَذَاةُ، يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا، أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ، أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ، أَتَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَجْذُومٌ).

فَصْلٌ: وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَبَاقِي السُّوَرِ، مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ يُكْرَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَة، وَآل عِمْرَانَ، وَالنِّسَاء. وَوَرَد فِيهِ حَدِيثًا لَمْ يَصِحَّ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ، وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

وَالْأَخْبَارُ فِيهِ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ بَعْدِهِمْ أَكْثَر مِنْ أَنْ تُحْصَرَ. وَكَذَا لَا يُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: هَذِهِ قِرَاءَةُ ابْنُ كَثِيرٍ، أَوْ أَبِي عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمَا، عَلَى الصَّحِيحِ الْمُخْتَارِ، الَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخَلَفُهَا.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُقَالَ سُنَّةُ فُلَانٍ، وَقِرَاءَةُ فُلَانٍ، وَيُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَة كَذَا، وَسُورَة كَذَا، بَلْ يُقَالُ أُنْسِيتُهَا، أَوْ أُسْقِطْتُهَا).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَمَا لِأَحَدِكُمْ، -أَوْ قَالَ: لِأَحَدِهِمْ-، أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا).

فَصْلٌ: فِي الْحَمْدِ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْحَمْدُ وَالْقِرَاءَةُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَطْلُوبًا فِي كُلِّ وَقْتٍ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، لَا سِيَّمَا الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ الْأَنْفَاسِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، بِالْحَالِ وَالْمَقَالِ، إِذْ هُوَ بِمُقَابَلَةِ النِّعَمِ وَغَيْرِهَا، وَهِيَ لَا تُحْصَى.

وَقَدْ جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْحَمَّادُونَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا فِي يَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَكَانَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ أَقْطَعُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (بِحَمْدِ اللَّهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: بِالْمَدِّ: (فَهُوَ أَقْطَعُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، فَهُوَ أَجْذَمُ)، قَلِيلُ الْبَرَكَةِ. وَمَعْنَى ذِي بَالٍ: أَيْ لَهُ شَأْنٌ يُهْتَمُّ بِهِ، وَمَعْنَى (أَقْطَعُ) وَ(أَجْذَمُ): قَلِيلُ الْبَرَكَةِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْرِ بِالْحَمْدِ وَفَضْلِهِ، آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الْحَمْدُ للهِ، كَلِمَةُ شَاكِرٍ). وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: تُسْتَحَبُّ الْبَدْأَةُ بِالْحَمْدِ للهِ، لِكُلِّ مُصَنِّفٍ، وَدَارِسٍ وَمُدَرِّسٍ، وَخَطِيبٍ وَخَاطِبٍ، وَبَيْنَ يَدَيْ سَائِرِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَأُحِبُّ أَنْ يُقَدِّمَ الْمَرْءُ بَيْنَ يَدَيْ خِطْبَتِهِ، وَكُلِّ أَمْرٍ طَلَبَهُ: حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ أَنَّ الْحَمْدَ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ حُصُولِ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَدَفْعِ كُلِّ مَكْرُوهٍ مُطْلَقًا، لَهُ وَلِغَيْرِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَمْدُ للهِ، الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ لَغَوَتْ أُمَّتُكَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ).

وَأَفْضَلُ الْأَلْفَاظِ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قَالَ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي الشَّافِعِيَّةِ: (لَوْ حَلَفَ إِنْسَانٌ لَيَحْمَدَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، بِمَجَامِعِ الْحَمْدِ. وَبَعْضُهُم قَالَ: بِأَجَلِّ التَّحَامِيدِ، فَطَرِيقُ الْبِرِّ: الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا، يُوَافِي نِعَمَهُ، وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ).

(وَلَوْ حَلَفَ لَيُثْنِيَنَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، فَطَرِيقُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ). وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي آخِرِهِ: (فَلَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى). وَزَادَ غَيْرُهُ فِي أَوَّلِهِ: (سُبْحَانَكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي اسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، فَقَالَهَا يَطْلُبُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا أَلْفَ دَرَجَةٍ، وَوَكَّلَ بِهَا سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَهُمْ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً، لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟، قَالَا: يَا رَبِّ، إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا، طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ، حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ، وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَتَقُولُ الْحَفَظَةُ: لَا نُحْسِنُ كُنْهَ مَا قَدَّسَكَ عَبْدُكَ هَذَا، وَحَمِدَكَ، وَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهُ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمْ: أَنْ اكْتُبُوهُ كَمَا قَالَ عَبْدِي).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَيْلَةً، حَقَّ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَوْمًا، فَقُلْ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لَهُ دُونَ عِلْمِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا خَالِدًا

مَعَ خُلُودِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لَهُ، دُونَ مَشِيئَتِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا لَا أَجْرَ لِقَائِلِهِ إِلَّا رِضَاكَ).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (لَأَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ فَلَأُصَلِّيَنَّ، فَلَأَحْمِدَنَّ اللَّهَ، بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمِدْهُ بِهَا أَحَدٌ. فَلَمَّا صَلَّى، وَجَلَسَ لِيَحْمِدَ اللَّهَ، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ، إِذَا هُوَ بِصَوْتٍ عَالٍ، مِنْ خَلْفِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اغْفِرْ لِي مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَارْزُقْنِي أَعْمَالًا زَاكِيَةً، تَرْضَى بِهَا عَنِّي، وَتُبْ عَلَيَّ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَصَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ذَاكَ جِبْرِيلُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَلَكٌ أَتَاكَ، يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: (قَالَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، شَغَلْتَنِي بِكَسْبِ يَدِي، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا فِيهِ مَجَامِعُ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، إِذَا أَصْبَحْتَ فَقُلْ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَقُلْ ثَلَاثًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ، وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، فَذَلِكَ مَجَامِعُ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ).

وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ فِي أَمَاكِنٍ لَا تُحْصَى، مِنْهَا: فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ ذِي شَأْنٍ، وَعِنْدَ الْعُطَاسِ، وَبَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَبَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ. وَالْخِلَافُ فِي ابْتِدَاءِ الْخُطْبَةِ، وَالدُّعَاءِ وَخَتْمِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

فَصْلٌ: فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي فَضْلِهَا، وَالْأَمْرِ بِهَا، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ. وَسَأَذْكُرُ مِنْهَا نَذْرًا قَلِيلًا، تَبَرُّكًا وَحَثًّا.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَاحِدَةً). وَفِي أُخْرَى: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ).

وَفِي غَيْرِهَا: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا ،صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً، كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: بَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ، وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وأَسْكَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ أَوْ لِيُكْثِرْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ عَلَيَّ نُورٌ عَلَى الصِّرَاطِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثَمَانِينَ مَرَّةً، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ثَمَانِينَ عَامًا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْتُهُ).

(وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ للهِ تَعَالَى مَلَكًا، أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ الْخَلَائِقِ، قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ صَلاةً، إِلَّا بَلَّغَنِيهَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَلا يُصَلِّي عليَّ عَبْدٌ، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ).

وَعَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً، سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَقِيتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُبَشِّرُكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْكَ، صَلَّيْتُ عَلَيْهِ).

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُ مِنْ بِشْرِهِ وَطَلَاقَتِهِ، مَا لَمْ أَرَهُ قَطُّ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعَنِي، وَقَدْ خَرَجَ جِبْرِيلُ آنِفًا، فَأَتَانِي بِبِشَارَةٍ مِنْ رَبِّي، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَنِي إِلَيْكَ، أُبَشِّرُكَ: أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، يُصَلِّي عَلَيْكَ، إِلَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَلَائِكَتُهُ، بِهَا عَشْرًا).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ عَلَيَّ، زَكَاةٌ لَكُمْ).

وَعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا ذَهَبَ رُبْعُ اللَّيْلِ، قَامَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ

أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟، قَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: الرُّبُعَ؟، قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: النِّصْفَ؟، قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟، قَالَ: إِذًا يُكْفَى هَمُّكَ، وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ، مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ عَشْرًا، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً).

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: (لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ، مَا أَعْرِفُهُمْ إِلَّا بِكَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ عَلَيَّ).

وَفِي أُخْرَى: (إِنَّ أَنْجَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ أَهْوَالِهَا وَمَوَاطِنِهَا، أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً).

وَفِي الْخَبَرِ: (إِذَا خَفَّتْ حَسَنَاتُ الْمُؤْمِنِ، أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِطَاقَةً كَالْأُنْمُلَةِ، فَيُلْقِيهَا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ الْيُمْنَى، الَّتِي فِيهَا حَسَنَاتُهُ، فَتَرْجَحُ الْحَسَنَاتُ، فَيَقُولُ ذَلِكَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ، لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْسَنَ وَجْهَكَ، وَمَا أَحْسَنَ خُلُقَكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَهَذِهِ صَلَوَاتُكَ، الَّتِي كُنْتَ تُصَلِّي عَلَيَّ، قَدْ وَفَّيْتُكَ، أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْحَقُ لِلذُّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِلنَّارِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فَصْلٌ: فِي ذَمِّ تَارِكِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ، ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ، دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ، أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ، فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَأَظُنُّهُ قَالَ: أَوْ أَحَدُهُمَا).

وَفِي أُخْرَى: (وَأَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: آمِينَ. فَسَأَلَهُ مُعَاذٌ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ سُمِّيْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، فَلَمْ يَبَرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَقَدْ شَقِيَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَخَطِئَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ؛ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ نَسِيَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنَ الْجَفَاءِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَ رَجُلٍ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ).

(وقَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْبَخِيلُ كُلَّ الْبَخِيلِ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَبْخَلُ النَّاسِ). (وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا، عَنْ غَيْرِ صَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَلَى أَنْتَنِ مِنْ رِيحِ الْجِيفَةِ).

وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِسًا، لَا يُصَلُّونَ فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ).

وَحَكَى أَبُو عِيسَى، التِّرْمِذِيُّ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: (إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّةً فِي الْمَجْلِسِ، أَجْزَأَ عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ).

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَشْرَفِ الْوَسَائِلِ لِنَيْلِ السَّعَادَاتِ، حَتَّى قَالَ الأَخْضَرِيُّ فِي [شَرْحِ السَّلَمِ]: (وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ، أَنَّ جَمِيعَ الأَعْمَالِ مِنْهَا مَقْبُولٌ وَمَرْدُودٌ، إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهَا مَقْطُوعٌ بِقَبُولِهَا، إِكْرَامًا لَهُ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَصَحَّحَ فِي [كَنْزِ الْعُفَاةِ]: (أَنَّهَا قَدْ تُرَدُّ كَكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، مَعَ أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَفْضَلُ، لِحَدِيثِ الأَصْبَهَانِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَتُقُبِّلَتْ مِنْهُ، مَحَا اللّهُ ذُنُوبَهُ ثَمَانِينَ سَنَةً). فَقَيَّدَ الْمَأْمُولَ بِالْقَبُولِ).

وَهِيَ فَرْضٌ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً، عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَاخْتُلِفَ فِي وُجُوبِهَا، كُلَّمَا ذُكِرَ أَوْ سُمِعَ ذِكْرُهُ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُخْتَارُ التِّكْرَارُ، كَمَا اخْتَارَهُ

الطَّحَاوِيُّ، وَصَحَّحَهُ فِي [التُّحْفَةِ] وَ[الْمُحِيطِ]، وَاخْتَارَهُ الْحَلَبِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَاللَّخْمِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَابْنُ بَطَّةَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ.

وَالْمَذْهَبُ الِاسْتِحْبَاب، كَمَا اخْتَارَهُ الْكَرْخِيُّ، وَرَجَّحَهُ السَّرْخَسِيُّ، وَقَدَحَ فِي قَوْلِ الطَّحَاوِيّ، بِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْإِجْمَاع.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ فِي [شَرْحِ الْمَجْمَعِ]: (وَتَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلَّمَا ذُكِرَ اسْمُهُ الشَّرِيفِ). وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّحَاوِيّ، وَهُوَ مَذْهَبِي أَيْضًا، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَقَدْ جَفَانِي).

وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْفَتْوَى بِالِاسْتِحْبَابِ، وَعَدَّهَا أَبُو اللَّيْثِ فِي فَرْضِ الْكِفَايَةِ. قَالَ الْقرمَانِيُّ، فِي [شَرْحِهِ عَلَى مُقَدِّمَةِ أَبُو اللَّيْثِ]: (ثُمَّ أَنَّهَا مِنْ كَوْنِهَا مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، يَخْرُجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، أَعْنِي قَوْلُ الطَّحَاوِيّ، إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ قَوْمٍ، يُفْتَرَضُ الصَّلَاة عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ، لِحُصُولِ بَعْضِهِمْ، سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ تَعْظِيمُهُ، وَإِظْهَارُ شَرَفِهِ، عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ثُمَّ عَلَى الْقَوْلِ بِالْوُجُوبِ، هَلْ تَتَدَاخَلُ بِالتِّكْرَارِ فِي مَجْلِسٍ أَمْ لَا؟. اخْتَلَفَ التَّصْحِيح، وَالْأَقْرَب الثَّانِي، لِأَنَّهَا مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ، وَلَا تَتَدَاخَلُ فِيهَا. ثُمَّ هَلْ يَجِبُ عَلَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّي عَلَى نَفْسِهِ أَوْ لَا؟.

فِي بَعْضِ [شُرُوح الْهِدَايَةِ]: (أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَعِنْدَنَا أَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ)، كَذَا فِي [الْقَوْلِ الْبَدِيعِ] لِلسَّخَاوِيّ.

وَفِي [الْبَحْرِ]: بَعْدَ أَنْ حرَّرَ الْكَلَامَ فِيهَا، قَالَ: (وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ الصَّلَاةَ تَكُونُ فَرْضًا، وَوَاجِبَةً، وَسُنَّةً، وَمُسْتَحَبَّةً، وَمَكْرُوهَةً. فَالْأَوَّلُ فِي الْعُمُرِ مَرَّةٌ، وَالثَّانِي كُلَّمَا ذُكِرَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَالثَّالِثُ فِي الصَّلَاةِ، وَالرَّابِعُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَالْخَامِسُ فِي الصَّلَاةِ، فِي غَيْرِ التَّشَهُّدِ فِي الْقُعُودِ).

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَيُزَادُ سَادِسًا: وَهُوَ الْحُرْمَةُ، عِنْدَ فِعْلِ الْحَرَامِ، كَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَعِنْدَ فَتْحِ القَنَانِي وَنَحْوِهِ. وَكَانَ كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ.

(**فَائِدَةٌ**): صَرَّحَ صَاحِبُ [الْمُلْتَقَطَاتِ فِي الْمَسَائِلِ الْوَاقِعَاتِ]، مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: (بِأَنَّ الشَّخْصَ إِذَا سَمِعَ أَحَدًا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَهُ بِتَسْبِيحٍ أَوْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَهْلِيلٍ. قَالَ: وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى، فَاللَّهُ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُجِيبَ ذِكْرَهُ إِذَا ذُكِرَ). ذَكَرَ هَذَا ابْنُ الْعِمَادِ الْأَقْفَهِيّ، فِي [شَرْحِ مَنْظُومَتِهِ فِي الْجِنِّ]، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ. وَفِي [الْقَوْلِ الْبَدِيعِ] لِلسَّخَاوِيّ.

وَفِي بَعْضِ [شُرُوحِ الْهِدَايَةِ]: أَنَّهُ لَوْ تَكَرَّرَ اسْمُهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، يَكْفِيهِ ثَنَاءٌ وَاحِدٌ، وَفِي مَجْلِسَيْنِ يَجِبُ لِكُلِّ مَجْلِسٍ.

وَهَذَا حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِهِ، فَأَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ، كَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَسُفْيَانَ.

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَيْضًا عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِهِ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ بِالِاسْتِقْلَالِ، خِلَافَ لِمَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَدَمَ جَوَازِهَا وَكَرَاهِيَتِهَا عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (وَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّينَ، إِذَا ذَكَرْتُمُونِي، فَإِنَّهُمْ قَدْ بُعِثُوا كَمَا بُعِثْتُ).

وَأَمَّا غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، فَالْجُمْهُورُ: عَلَى أَنَّهُ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِمْ، إِلَّا تَبَعًا، وَيُكْرَهُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الِاسْتِقْلَالِ، أَوْ يُحْرَمُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّافِعِيُّ: (لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُذْكَرَ مَعَهُمْ، إِلَّا مَنْ صَحَّ ذِكْرُهُ مَعَهُمْ، وَهُمْ الْآلُ وَالْأَزْوَاجُ وَالذُّرِّيَّةُ، بِخِلَافِ مَنْ عِدَاهُمْ، صَحَابِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرِهِمْ).

وَقَالَ الصَّيْدَلَانِيُّ: (أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّمَا نُصَلِّي عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَعًا، فَنَقُولُ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِ مِلَّتِهِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ). وَيُسْتَحَبُّ التَّرَضِّي وَالتَّرَحُّمُ عَلَى خِيَارِهِمْ، بِالْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ، كَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مِنْ اخْتِصَاصِ التَّرَضِّي بِالصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّرَحُّمِ بِغَيْرِهِمْ، فَغَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ يَجُوزُ كُلٌّ مِنْهُمَا، لِكُلٍّ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيَنْبَغِي لِلْقَارِئِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا، وَمَنْ فَوَّتَ ذَلِكَ، حُرِمَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَإِنْ كَانَ الْمَذْكُورُ صَحَابِيًّا ابْنَ صَحَابِيٍّ، أَوْ عَالِمًا، فَلْيَقُلْ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَوْ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ: وَحُكْمُ مَرْيَمَ وَلُقْمَانَ، حُكْم غَيْر الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّهُمَا غَيْرُ نَبِيَّيْنِ، عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَا يُفْهَمُ أَنْ تُقَالَ لِلُقْمَانَ وَمَرْيَمَ، صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا، أَوْ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: (لَوْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ عَلَيْهَا، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ). وَقَالَ أَيْضًا: (إذا صُلِّيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَجْمَعْ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَلَا يَقُلْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَطْ، وَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَظَاهِرُهُ يُشْعِرُ بِالْكَرَاهَةِ. وَرَدَّهُ بَعْضُ الْحَنَفِيَّة، اسْتِدْلَالاً (بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ).

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ إِفْرَاد الصَّلَاةِ، فَيُسْتَفَادُ مِنْ ذَلِكَ جَوَاز الِاكْتِفَاءِ بِأَحَدِهِمَا، مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ، وَلَا دَلَالَةٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾. لِأَنَّ الْوَاوَ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ، نَعَمْ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَفْضَلُ أَكْمَلُ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ أَيْضًا: (وَيُسْتَحَبُّ لِقَارِئِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ، مِمَّنْ فِي مَعْنَاهُ، إِذَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَا يُبَالِغُ فِي الرَّفْعِ مُبَالَغَةً فَاحِشَةً). وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى رَفْعِ الصَّوْتِ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَآخَرُونَ.

فَصْلٌ: فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، (أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ). وَذُكِرَ مَعْنَاهُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَيَّ، وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، وَقُولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (ثُمَّ قُولُوا: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي). (وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالسَّلَامُ كَمَا عَلِمْتُمْ)، هُوَ مَا عَلَّمَهُمْ فِي التَّشَهُّدِ، مِنْ قَوْلِهِ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

وَفِي تَشَهُّدِ عَلِيٍّ: (السَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ. السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، مَنْ غَابَ مِنْهُمْ، وَمَنْ شَهِدَ، اللَّهُمَّ اغْفِر لِمُحَمَّدٍ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وَاغْفِر لِأَهْلِ بَيْتِهِ، وَاغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ وَمَا وَلَدَا، وَارْحَمْهُمَا. السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الدُّعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، جَاءَ الدُّعَاءُ بِالرَّحْمَةِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ الْمَعْرُوفَةِ.

وَقَالَ بَعْضُ مُحَقِّقِي الْفُقَهَاءِ: أَنَّ سَائِرَ الطُّرُقِ الَّتِي فِيهَا التَّحَنُّنُ وَالرَّحْمَةُ، لَا تَخْلُو مَنْ مِنْهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْوَضْعِ.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: (يُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ أَرْحَمْ مُحَمَّدًا).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا، مَا هُوَ أَهْلُهُ، أَتْعَبَ سَبْعِينَ كَاتِبًا، أَلْفَ صَبَاحٍ).

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَمَنْ دُونَهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَيْفِيَّاتٌ فِي الصَّلَاةِ مُسْتَحْسَنَةٌ، ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُطْلَبَانِ فِي أَحْوَالٍ وَأَوْقَاتٍ، مِنْهَا تَشَهُّدُ الصَّلَاةِ، وَبَعْدَهُ فِي الْقُعُودِ الْأَخِيرِ، وَقَبْلَ الدُّعَاءِ.

(سَمِعَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِلَ هَذَا، ثُمَّ

دَعَاهُ. فَقَالَ لَهُ، أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ).

وَيُرْوَى: بِـ(تَحْمِيدِ اللَّهِ)، وَهُوَ أَصَحُّ. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، إِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلأُ قَدَحَهُ، ثُمَّ يَضَعُهُ، وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ، أَوِ لِوُضُوءٍ تَوَضَّأَ، وَإِلَّا أَهْرَاقَهُ، وَلَكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ).

وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ لَا يُرَدُّ). وَفِي آخَرَ: (كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٍ دُونَ السَّمَاءِ، فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ عَلَيَّ، صَعِدَ الدُّعَاءُ).

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (الدُّعَاءُ مَحْجُوبٌ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ). وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الدُّعَاءُ وَالصَّلاةُ مُعَلَّقَيْنِ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَرُوِيَ بِمَعْنَاهُ، عَنْ عَلِيٍّ، وَقَالَ: (عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ). وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ شَيْئًا، فَلْيَبْدَأْ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَسْأَلُ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَنْجَحَ).

وَمِنْهَا عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ شَعْبَانَ: (وَيَنْبَغِي لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، أَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ، وَيَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَيُبَارِكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَيُسَلِّمَ تَسْلِيمًا).

وَاحْتَجَّ لِذَلِكَ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا، أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَفْعَلُهُ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الْمُرَادُ بِالْبُيُوتِ الْمَسَاجِد).

وَقَالَ النَّخَعِيُّ: (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ، فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

وَعَنْ عَلْقَمَةَ، (إِذَا دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ، أَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَرَكَاتُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ).

وَمِنْهَا عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَسَمَاعِ اسْمِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكِتَابَتِهِ. وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَفِي أَوَّلِ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ وَخَتْمِهَا، وَفِي كُلِّ مَجْلِسٍ غَيْر مَحْظُورٍ، وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَتِهَا.

فَصْلٌ: فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. (وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ وَذِكَرٍ، فَلَا تَجْعَلُوا عِيدَكُمْ يَوْمَ صِيَامٍ، وَلَكِنِ اجْعَلُوهُ يَوْمَ الذِّكْرِ، إِلَّا أَنْ تَخْلِطُوهُ بِأَيَّامٍ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسَلِّمٍ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ).

وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ قَوْلاً، ذَكَرَهَا الْقَسْطَلَّانِيُّ فِي [لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ]، وَذَكَرَهَا السِّيُوطِيُّ أَيْضًا وَنَظَمَهَا، وَقَدْ ذَكَرْتُهَا فِي [الْجَوَاهِرِ اللُّمْعَةِ فِي فَضَائِلِ الْجُمُعَةِ].

وَالْأَشْهَرُ مِنْهَا قَوْلَانِ: مِنْ حِينِ يَصْعَدُ الْإِمَامُ الْمِنْبَرَ، إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى الْغُرُوبِ، إِذَا تَبَيَّنَ فَضْلِهَا، فَيَنْبَغِي الِاشْتِغَال بِالْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ فِيهَا، وَهِيَ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ: تِلَاوَةٌ، وَصَلَاةٌ، وَدُعَاءٌ.

فَصْلٌ: فِي التِّلَاوَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ: (فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، سَطَعَ لَهُ نُورٌ، مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ، حَشْوُه مَلَائِكَة، يَسْتَغْفِرُونَ لِقَائِلِهَا حَتَّى يُصْبِحَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَلَائِكَتُهُ، حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِسُورَةٍ، مِلْءُ عَظَمَتِهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلِكَاتِبِهَا مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ ذلِكَ؟، وَمَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَزِيَادَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ قَرَأَ الْخَمْسَ الْأَوَاخِرَ مِنْهَا عِنْدَ نَوْمِهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ، أَيَّ اللَّيْلِ شَاءَ، سُورَةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ، مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أُعْطِيَ نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرَؤُهَا إِلَى مَكَّةَ، وَغُفِرَ لَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَفَضْلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، حَتَّى يُصْبِحَ أَوْ يُمْسِي، وَعُوفِيَ مِنَ الدَّاءِ وَالدُّبَيْلَةِ، وَذَاتِ الْجَنْبِ وَالْبَرَصِ، وَالْجُذَامِ، وَالْجُنُونِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَن قَرَأَ يَس وَالصَّافَّاتِ، يَوْمَ الجُمْعَةِ، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ أَعْطَاهُ سُؤْلَهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ، فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ، أَوْ يَوْمَ جُمُعَةٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، سَبْعَ مَرَّاتٍ، أَعَاذَه اللَّهُ بِهَا مِنَ السُّوءِ، إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى). وَفِي رِوَايَةٍ بِزِيَادَةٍ: (قبل أَنْ يَتكَلَّمَ، كَفَّرَ عَنْهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ، وَكَانَ مَعْصُومًا).

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: (كَانَ ضَامِنًا، هُوَ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ). وَفِي آخَرَ: (حُفِظَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَبْلَ أَنْ يُثْنِيَ رِجْلَيْهِ، فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، سَبْعًا سَبْعًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِهَا، مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَدْ أَدَّى مِنْ حَقِّ الْجُمُعَةِ، مَا أَدَّتْ حَمْلَةُ الْعَرْشِ).

وَهَذَا مَا يَسَّرَ اللَّهُ جَمْعَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي التِّلَاوَةِ. وَقَدْ عَدَّ السُّيُوطِيُّ مِنَ الْوَارِدِ أَيْضًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقُونَ، وَ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، وَسُورَةَ الْكَافِرُونَ.

أَمَّا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْجُمُعَةِ: فَقَدْ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ، أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ).

وَفِي بَعْضِ رِوَايَةٍ: (فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرِمْتَ، أَيْ بَلِيتَ؟، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ، أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ، فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ، ولَيْلَةِ الجُمُعَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ، كُنْتُ لهُ شَهِيدًا، أَوْ شَافِعًا يَوْمَ القِيامَةِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ، فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً، كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثَمَانِينَ مَرَّةً، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ ثَمَانِينَ عَامًا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟، قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ، وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَتَعْقِدُ وَاحِدَةً).

وَفِي لَفْظٍ عِنْدَ ابْنِ بَشْكُوَالَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيْضًا: (مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ، مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَكَانِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، ثَمَانِينَ مَرَّةً، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ثَمَانِينَ عَامًا، وَكُتِبَتْ لَهُ عِبَادَةُ ثَمَانِينَ سَنَةٍ). كَذَا فِي [الْقَوْلِ الْبَدِيعِ].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَاجَةٍ، سَبْعِينَ مِنْ حَوَائِجِ الْآخِرَةِ، وَثَلَاثِينَ مِنْ

حَوَائِجِ الدُّنْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ اللهُ بِذَلِكَ مَلَكًا، يُدْخِلُهُ عَلَيَّ فِي قَبْرِي، كَمَا تَدْخُلُ عَلَيْكُمُ الْهَدَايَا، إِنَّ عِلْمِي بَعْدَ مَوْتِي، كَعِلْمِي فِي الْحَيَاةِ).

وَفِي لَفْظِ الْبَيْهَقِيِّ: (يُخْبِرُنِي مَنْ صَلَّى عَلَيَّ، بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ إِلَى عَشِيرَتِهِ، فَأُثْبِتُهُ عِنْدِي، فِي صَحِيفَةٍ بَيْضَاءَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً، وَتُقبلَتْ مِنْه، مَحَا اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبهُ، ثَمَانِينَ سَنَةً).

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَدَعْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلْفَ مَرَّةٍ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، مَحَا اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَ أَرْبَعِينَ سَنَةً).وَكَانَ الْعَابِدُونَ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَلْفَ مَرَّةٍ.

وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ بِصَلَوَاتِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، قَالَ: يَقُولُ: صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَمِيعِ خَلْقِهِ، عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ بِهَذِهِ كُلَّ يَوْمٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِائَةَ مَرَّة، حَشَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي زُمْرَةِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ، حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (مَنْ قَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، عَشْر مَرَّاتٍ: اَللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ، يَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ، يَا صَاحِبَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ، صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمّدٍ، خَيْرِ الوَرَى بِالسَجِيَّة، وَاغْفِرْ لَنَا يَا ذَا العُلَا، فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ. كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ أَلْف أَلْف حَسَنَةٍ، وَمَحا عَنْهُ مِائَةَ أَلْف أَلْف سَيِّئَةٍ، وَرفَعَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْف دَرجَةٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يُزَاحِمُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيل، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قُبَّتِهِ).

وَيُقَالُ: (مَنَ قَالَ سَبْعُ جُمعٍ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً، وَلَحِقِّهِ أَدَاءً، وَاعْطِهِ الوَسِيلَةَ، وَالمَقَامَ المَحْمُودَ، الَّذِي وَعَدْتَهُ، وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنْ النَّبِيِّيْنَ وَالصَّالِحَيْنَ، يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتهُ).

وَنقَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، عَنِ الْجَلَالِ السُّيُوطِيّ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الصَّلَاة، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَلَوْ مَرَّة، وَلَازِمِ عَلَيْهَا، لَمْ يُلْحِدهُ فِي قَبْرِهِ، إِلَّا الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، الْحَبِيبِ، الْعَالِي الْقَدْرِ، الْعَظِيمِ الْجَاهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

وَنُقِلَ عَنِ الْعَارِفِ الْبَكْرِيّ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الصَّلَاة، فِي عُمْرِهِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَدخَلَ النَّارَ، يَقْبِضُنِي بَيْنَ يَدَيْ اللهِ تَعَالَى يَوْم الْقِيَامَةِ، وَهِيَ: اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الفَاتِح لِمَا أُغْلِقَ، وَالخَاتِم لِمَا سَبَقَ، وَالنَّاصِر الْحَقِّ بِالحَقِّ، وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، حَقَّ قَدْرِهِ، وَمِقْدَارِهِ العَظِيم).

فَصْلٌ: فِي الدُّعَاءِ فِي الْجُمُعَةِ

(فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَمَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ، وَناصِيَتِي بِيَدِكَ، أَمْسَيْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ، مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، أَخَذَ بِعِضَادَتَيْ الْبَابِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَوْجَهَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ، وَأَقْرَبَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ مَنْ سَأَلَكَ وَرَغِبَ إِلَيْكَ).

وَيُمْكِنُ قِرَاءَتُهَا بِوَجْهَيْنِ، بِزِيَادَةِ لَفْظِ: (مَنْ)، كَمَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ، يَعْنِي: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَوْجَهِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ). وَهَكَذَا إِلَى آخِرِهِ. وَبِلَا زِيَادَةٍ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَائِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ، إِنَّمَا تَكُونُ سُنَّةً، إِذَا أَتَى بِهَا عَلَى وَقْفِ السُّنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا يَكُونُ أَوْجَهُ وَأَقْرَبُ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ تَوَجَّهَ وَتَقَرَّبَ، وَسَأَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ كَالْمُحَالِ، إِذْ كُلّ لِأَحَدٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَنَّ يَطْلُبَ ذَلِكَ، وَحُصُولهُ لِلْكُلِّ مُحَالٌ، لِأَنَّا لَا نَقُولُ

مَزَايَاهُ تَعَالَى لَا تَنْحَصِرُ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَخُصَّ كُلّ أَحَدٍ بِفَضِيلَةٍ، وَلَا يُشَارِكهُ فِيهَا الْآخر.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ قَاعِدٌ، قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، مِائَةَ مَرَّة، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مائَةَ أَلْفِ ذَنْبٍ، وَلِأَبَوَيْهِ أَرْبَعَةً وَعِشرينَ أَلْفِ ذَنْبٍ).

وَرُوِيَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ، أَنْ يَقُولُوا بِإِثْرِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ: اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمَنِّ، وَلَا يُمَنَّ عَلَيْكَ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا ذَا الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ظَهْرَ اللَّاجِين، وَجَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَأَمَانَ الْخَائِفِينَ. إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أُمِّ الْكِتَابِ، شَقِيًّا، أَوْ مَحْرُومًا، أَوْ مُقَتَّراً عَلَيَّ فِي الرِّزْقِ، فَامْحُ اللَّهُمَّ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ شَقَائِي، وَحِرْمَانِي، وَطَرْدِي، وَإِقْتَار رِزْقِي، وَاكْتُبْنِي عِنْدَكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، سَعِيدًا، مَرْزُوقًا، مُوَفَّقاً لِلخَيْرَاتِ، فَإِنَّك قُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ، فِي كِتَابِكَ الْمُنْزَلِ، عَلَى نَبِيِّكَ المُرْسَلِ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]).

وَيَنْبَغِي إِكْثَارُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَالْحَاصِلُ أَنَّ يَوْمَهُ عَظِيمٌ، وَلَيْلَتهُ جَلِيلَةٌ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، وَآثَارٌ شَهِيرَةٌ،

فَيَنْبَغِي الِاشْتِغَالُ فِيهِمَا بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ، رَجاءَ أَنْ يُوَافِقَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ.

وَقَدْ رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمَسْجِدَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَخَمْسِينَ مَرَّةٍ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَذلِكَ مِائَتَا مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَنْزِلَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ يُرى لَهُ).

وَقَدْ كَانَ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ، سَيِّدنَا عَبْد اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُصَلِّي عِنْدَ الزَّوَالِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، صَلَاةَ التَّسْبِيحِ.

وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا عَلَّمَهُ إِيَّاهَا: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً) الْحَدِيث.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي رَمَضَانَ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَة الْجُمُعَةِ، قَالَ: هَذِهِ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ، وَيَوْمٌ أَزْهَرُ).

هَذَا مَا قَدَّرَ اللَّهُ جَمْعَهُ مِنَ السُّنَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، فِي هَذَا الْبَابِ أَحْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَلِهَذَا الْيَوْم وَلَيْلَتِهِ خُصُوصِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، مَذْكُورَةٌ مِنَ السُّنَّةِ وَغَيْرِهَا، فَيُطَالَعُ لَهَا فِي مَظَانِّهَا مَنْ أَرَادَهَا، وَمِنْ أَحْسَنِهَا [الْجَوَاهِر اللُّمُعَةِ] لِلْفَقِيرِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ الْخُطْبَة، وَهِيَ شَرْطُ صِحَّةٍ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ. وَالشَّرْطُ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِنِيَّتِهَا. وَالسُّنَّةُ أَنْ يَخْطُبَ خُطْبَتَيْنِ، بِجِلْسَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، عَلَى طَهَارَةٍ، يَبْدَؤُهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ.

كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (يَنْبَغِي أَنْ يَخْطُبَ خُطْبَةً خَفِيفَةً، يَفْتَتِحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَتَشَهَّدُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعِظُ، وَيُذَكِّرُ، وَيَقْرَأُ سُورَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ جِلْسَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ خُطْبَةً أُخْرَى، يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَتَشَهَّدُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ).

أَمَّا الْحَمْدُ فَلِمَا مَرَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَالصَّلَاة عَلَيْهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ وَأَبْتَرُ مَمْحُوقٌ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ، (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ قَائِمًا، وَيَجْلِسُ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ). (وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، يَخْطُبُ بِقَاف، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ).

فَصْلٌ: فِي إِحْيَاءِ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدِ، مُحْتَسِبًا، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ، يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةَ الْأَضْحَى، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحْيَا اللَّيَالِي الْأَرْبَعَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ: لَيْلَةَ التَّرْوِيَةِ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ، وَلَيْلَةَ النَّحْرِ، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ).

وَالْمُرَادُ إِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي قَدْرِهِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: (وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمُعْظَمِ اللَّيْلِ. وَقِيلَ: يَحْصُلُ بِسَاعَةٍ). وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، كَفَتَاهُ). قِيلَ: عَنْ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ الدَّيْلَمِيِّ: (مَنْ قَرَأَ خَاتِمَةَ الْبَقَرَةِ، أَجْزَأَتْ عَنْهُ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَة). وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا لَيْلَةٌ شَرِيفَةٌ، فَيَنْبَغِي إِحْيَاؤُهَا، وَتَمْيِيزُهَا عَنْ غَيْرِهَا. وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي [الْأُمِّ]: (وَبَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ فِي خَمْسِ لَيَالٍ: فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةِ الْأَضْحَى، وَلَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ).

وَقَالَ أَيْضًا: (أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ مَشْيَخَةً مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، يَظْهَرُونَ عَلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْعِيدِ، فَيَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، حَتَّى تَمْضِيَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ).

فَصْلٌ: فِي صَلَاةِ الْعِيدِ

أَمَّا التَّكْبِيرُ فِيهِمَا: فَلَيْس بِمَشْرُوعٍ عِنْدَنَا، بَلْ وَلَا يُكَبِّرُ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى صَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ، لَا سِرًّا وَلَا جَهْرًا، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَعِنْدِهِمَا. وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ، يُكَبِّرُ سِرًّا، وَقِيلَ: يُكَبِّرُ عِنْدَهُ سِرًّا، وَعِنْدَهُمَا جَهْرًا، وَيُكَبِّرُ جَهْرًا فِي الطَّرِيقِ، فِي عِيدِ الْأَضْحَى، وَيَقْطَعُهُ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمُصَلَّى.

وَقِيلَ: إِذَا افْتَتَحَ الْإِمَامُ الصَّلَاةَ، وَيَجِبُ تَكْبِيرَاتُ الزَّوَائِدِ، وَهِيَ ثَلَاثٌ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، بَعْدَ الِاسْتِفْتَاحِ قَبْلَ التَّعَوُّذِ، وَثَلَاث فِي الثَّانِيَةِ، بَعْدَ الْقِرَاءَةِ، يَفْعَلُ بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيرَتَيْنِ، بِقَدْرِ ثَلَاثَ تَسْبِيحَاتٍ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا ذِكْرٌ مَسْنُونٌ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ فِيهِمَا، وَإِنْ زَادَ إِمَامُهُ يُتَابِعُهُ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ، وَلَوْ أَدْرَكَ الْإِمَامَ قَائِمًا، وَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ، تَابَعَهُ وَيُكَبِّرُ فِي الرُّكُوعِ، كَمَا لَوْ أَتَى وَهُوَ رَاكِعٌ، أَوْ رَكَعَ الْإِمَامُ وَلَمْ يُكَبِّرْ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِهِ فِي رُكُوعِهِ، وَلَا يَعُودُ إِلَى الْقِيَامِ، وَإِنْ فَاتَهُ أَوَّلُ صَلَاتِهِ، يُكَبِّرُ فِي الْحَالِ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ

فَتَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَأَمَّا تَكْبِيرُ التَّشْرِيقِ، فَهُوَ وَاجِبٌ عِنْدَنَا، مَرَّةً عَقِبَ كُلِّ فَرْضٍ، أُدِّيَ بِجَمَاعَةٍ مُسْتَحَبَّةٍ، مِنْ فَجْرِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ الْعِيدِ، عَلَى إِمَامٍ مُقِيمٍ بِمِصْرٍ، وَمُقْتَدٍ مُكَلَّفٍ مُطْلَقًا، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ: لَا يَجِبُ فَوْر كُلّ فَرْضٍ مُطْلَقًا، إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَعَلَيْهِ الِاعْتِمَادُ وَالْفَتْوَى وَالْعَمَلُ.

وَصِفَتُهُ: أَنْ يَقُولَ مَرَّةً عَقِبَ الْفَرْضِ، بِلَا فَاصِلٍ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَر، وَللَّهِ الْحَمْدُ).

قَالَ فِي [الدِّرَايَةِ]، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ: أَفْضَلُ مَا قُلْتُ، وَقَالَتْ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي، يَوْمَ عَرَفَةَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ). وَعَنْ جَابِرٍ، (أَنَّهُ صَلَّى الْفَجْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَكَبَّرَ هَكَذَا).

وَفِي [مَجْمَعِ الرِّوَايَاتِ]، رُوِيَ (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ، يَوْمَ عَرَفَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: خَيْرُ مَا قُلْنَا وَقَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَنَا، فِي يَوْمِنَا هَذَا: اللَّهُ أَكْبَر، اللَّهُ أَكْبَر،... إلَخ).

وَكَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولَانِ ذَلِكَ، وَنَقَلَ التَّعْمِيمَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: (كَانُوا يُكَبِّرُونَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَأَحَدُهُمْ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ،.... إلَخ).

فَالتَّكْبِيرُ فِي أَوَّلِهِ مَرَّتَانِ فَقَطْ، وَلَا زِيَادَة عَلَى ذَلِكَ إِلَى ثَلَاثٍ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْعَامَّة، لَا بِطَرِيقِ الْوُجُوبِ وَلَا الِاسْتِحْبَابِ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيّ.

وَذَكَرَ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُ مَأْثُورٌ، عَنِ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبَيَانُهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا جَاءَ بِالنِّدَاءِ، خَافَ الْعَجَلَةَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ). فَلَمَّا رَآهُ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)، فَلَمَّا عَلِمَ إِسْمَاعِيل بِالْفِدَاءِ، قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، وِللهِ الْحَمْدُ). كَذَا فِي [غَايَةِ الْبَيَانِ]. وَكَثِيرٌ مِنْ الْمُعْتَبَرَاتِ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ الْمُحَدِّثِينَ، كَمَا قَالَ فِي [فَتْحِ الْقَدِيرِ]، وَفِي [مَجْمَعِ الرِّوَايَاتِ].

وَيَزِيدُ عَلَى هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَقُولُ: (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا).

وَيَأْتِي بِهِ الْمُقْتَدِي، وَإِنْ تَرَكَهُ إِمَامُهُ. قَالَ يَعْقُوبُ: (صَلَّيْتُ بِهِمْ الْمَغْرِبَ، يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَهَوْتُ أَنْ أُكَبِّرَ، فَكَبَّرَ بِهِمْ أَبُو حَنِيفَةَ). وَالْمَسْبُوقُ يَأْتِي بِهِ عَقِبَ الْقَضَاءِ). قِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: (يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا، أَنْ يُكَبِّرُوا أَيَّام التَّشْرِيقِ، فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَسَاجِدِ، قَالَ: نَعَمْ).

وَقَالَ الْهِنْدُوَانِيُّ: (وَإِنِّي عِنْدِي، أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ الْعَامَّة مِنْ ذَلِكَ، لِقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ).

وَمِنْ أَشْرَفِ أَذْكَارِ الْعِيدَيْنِ الْخُطْبَة، وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِمَا، وَضَعْتهَا كَمَا فِي الْجُمُعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْتَدِئ الْأُولَى بِتِسْعَةِ تَكْبِيرَاتٍ، وَالثَّانِيَة بِسَبْعَةِ تَكْبِيرَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّه بْن عُقْبَةَ بْن مَسْعُودٍ: هُوَ مِنَ السُّنَّةِ، وَيُكَبِّرُ قَبْلَ النُّزُولِ، أَوْ بَعْدَهُ عَشْر مَرَّاتٍ، وَيُعْلِمُ النَّاس فِيهَا أَحْكَام صَدَقَة الْفِطْرَةِ وَالْأُضْحِيَّةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِك.

(تَتِمَّةٌ): اعْلَمْ أَنَّ التَّهْنِئَةَ فِي الْعِيدِ، رُوِيَ فِيهَا أَحَادِيثُ وَآثَارٌ ضَعِيفَةٌ. فَمِنْهَا: أَنَّ مُحَمَدًا بْنَ زِيَادٍ، قَالَ: (كُنْتُ مَع أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا مِنَ الْعِيدِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ). وَقَالَ أَحْمَدُ: وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: (لَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ يَوْمَ عِيدٍ، فَقُلْتُ لَهُ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ. قَالَ: نَعَمْ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْك). وَرَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ، مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَةَ، (أَنَّهُ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْم عِيدٍ، فَقُلْتُ: تَقَبَّلَ اللَّهُ... إلَخ).

وَفِي [الْمَحَامِلِيَّاتِ] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا الْتَقَوْا يَوْمَ الْعِيدِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، (أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِعْلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ). وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: (لَا بَأْسَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ يَوْمَ الْعِيدِ: تَقَبَّلَ اللَّهُ... إلَخ).

وَفِي [النَّهْرِ الْفَائِقِ]: (بَقِيَ مِنَ الْمَنْدُوبَاتِ التَّهْنِئَة: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ). كَذَا فِي [الْغُنْيَةِ]. وَفِي [جَامِعِ الرُّمُوزِ]: (تَهْنِئَةُ الْعِيدِ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، لَا أَصْلَ لَهُ، وَهِيَ مَكْرُوهَةٌ، وَمِنْ فِعْلِ الْأَعَاجِمِ). كَمَا رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ الْحَسَنِ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، أَنْ تَلَاقِيهِمْ بِالدُّعَاءِ بِدْعَةٌ، بِخِلَافِ السَّلَامِ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ: وَمَا فِي [النَّهْرِ] أَظْهَرُ، وَاخْتَارَهُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ابْنُ حَجَرٍ، وَمِثْلُهُ فِي سَائِرِ الْأَشْهُرِ. وَقَوْلُهُمْ: (مِنَ الْعَائِدِينَ)، وَنَحْوُهُ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلِهَذَا مَا لِلعَلَّامَةِ ابْن أَمِير حَاجّ، فِي [شَرْحِهِ لِلْمُنْيَةِ].

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْكُسُوفِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا فَادْعُوا حَتَّى يَكْشِفَ مَا بِكُمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَكَبِّرُوا، وَتَصَدَّقُوا). وَفِي رِوَايَاتٍ: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى). وَفِي أُخْرَى: (فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ وَفِي لَفْظٍ: (فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: (فَأَتَيْتُهُ، وَقَدْ كَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي الصَّلَاةِ، رَافِعٌ يَدَيْهِ. قَالَ: فَجَعَلَ يُسَبِّحُ، وَيَحْمَدُ، وَيُكَبِّرُ، وَيُهَلِّلُ، وَيَدْعُو، حَتَّى حُسِرَ عَنْهَا، فَلَمَّا حُسِرَ عَنْهَا، قَرَأَ سُورَتَيْنِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ).

وَيُسَنُّ أَوْ يَجِبُ إِذَا كَسَفَتِ الشَّمْسُ، أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، مَنْ يَمْلِكُ إِقَامَةَ الْجُمُعَةِ، رَكْعَتَيْنِ كَالنَّفْلِ، بِلَا إِقَامَةٍ وَلَا أَذَانٍ، وَلَا جَهْرٍ وَلَا خُطْبَةٍ، وَيُنَادِي: (الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ)، وَيُطِيلُ فِيهِمَا الْقِرَاءَةَ، بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ. فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَهُمَا فِيهِمَا.

وَيُطِيلُ رُكُوعَهُمَا وَسُجُودَهُمَا، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يَدْعُو حَتَّى تَنْجَلِيَ الشَّمْسُ، إِنْ شَاءَ جَالِسًا مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ، وَإِنْ شَاءَ قَائِمًا مُسْتَقْبِلاً النَّاسَ، بِلَا صُعُودٍ عَلَى مِنْبَرٍ. قَالَ الْحَلْوَانِيُّ: وَهُوَ أَحْسَنُ.

وَإِنْ لَمْ يَحْضُرِ الْإِمَامُ، صَلُّوا فُرَادَى، كَخُسُوفِ الْقَمَرِ، إِنْ شَاءَ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا، هُوَ أَفْضَلُ، وَيُخَيَّرُوا بَيْنَ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ كَالْإِمَامِ، وَهَذَا ظَاهِرُ الرِّوَايَةِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: (أَنَّ لِكُلِّ إِمَامِ مَسْجِدٍ يُصَلِّي بِجَمَاعَتِهِ).

فَصْـــلٌ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ، قَـالَ: (أُمِرْنَـا أَنْ لَا نُتْبِعَ أَبْصَـارَنَا الْكَوْكَـبَ إِذَا انْقَـضَّ، وَأَنْ نَقُـولَ عِنْـدَ ذَلِـكَ: مَـا شَـاءَ اللَّهُ، لَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللَّهِ). وَفِـي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (كَانَ إِذَا رَأَى سُـهَيْلاً، قَـالَ: لَعَنَ اللَّهُ سُـهَيْلاً، فَإِنَّـهُ كَانَ عَشَّاراً فَمُسِخَ). وَذَكَرَ الْفُقَهَاءُ: أَنَّهُ يُكْرَهُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْهِلَالِ، لِمَا وَرَدَ.

فَصْلٌ: فِـي أَذْكَـارِ صَـلَاةِ الاسْـتِسْـقَاءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حِينَ أَجْهَدَ قَوْمَهُ الْقَحْطُ وَالْجَدْبُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠- ١١].

وَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]: (أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِثْنَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامِ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. قَالَ أَنَسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ، مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ، فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ. وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ

وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ. قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَحْطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ بِالْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، فَخَرَجَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقعدَ على الْمِنْبَر، وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً، وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ، حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى سَحَابَةً فَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ، حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ، ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَاكَ وَلَا صَبِيٌّ يَغِطُّ، وَمَا لَنَا بَعِيرٌ يَئِطُّ؛ وَأَنْشَدَهُ:

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْمَى لِبَانُهَا ... وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ

وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الشُّجَاعُ اسْتِكَانَةً ... مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا مَا يُمِرُّ وَمَا يُحْلِي

وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا   سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا   وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسْلِ

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، طَبَقًا نَافِعًا، غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً، تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ، فَمَا رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدَيْهِ، حَتَّى جَاءَ أَهْلُ الْبِطَاحِ، يَصِيحُونَ: الْغَرَقَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، فَانْجَابَ السَّحَابُ عَنِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى أَحْدَقَ بِهَا كَالْإِكْلِيلِ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: لِلَّهِ دَرُّ أَبِي طَالِبٍ، لَوْ كَانَ حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ، مَنْ مُنْشِدُنَا؟. قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَعَلَّكَ تُرِيدُ قَوْلَهُ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ   ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ   فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجَلْ).

وَعَنْ سَعْدٍ: (أَنَّ قَوْمًا شَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَحْطَ الْمَطَرِ، فَقَالَ: اجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ، وَقُولُوا: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، فَسُقُوا حَتَّى أَحَبُّوا أَنْ يُكْشَفَ عَنْهُمْ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَوَاكِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيعًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا، غَيْرَ آجِلٍ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ).

وَوَرَدَ: (اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا هَنِيًّا مَرِيًّا، مَرِيعًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، غَدَقاً، مُجَلّلاً سَحّاً، طَبَقاً، عَاجِلاً دَائِماً).

وَجَاءَ أَيْضًا: (اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا هَنِيئًا مَرِيئًا مَرِيعًا غَدَقًا مُجَلِّلًا عَامًّا طَبَقًا سَحًّا دَائِمًا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْخَلْقِ، مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنْكِ، مَا لَا نَشْكُو إِلَّا إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ. اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ، وَالْجُوعَ، وَالْعُرْيَ، وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ، مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ، إِنَّكَ غَفَّارًا، فَأَرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَسْقَى، قَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ). (وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَسْقَى، قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ فِي أَرْضِنَا بَرَكَتَهَا، وَزِينَتَهَا، وَسَكَنَهَا، وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

وَالْوَارِدُ فِي الْبَابِ كَثِيرٌ. وَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ).

وَجَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ. عَنْ مُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِ. (وَسَأَلَ أَبُو يُوسُفَ أَبَا حَنِيفَةَ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، عَنِ الِاسْتِسْقَاءِ، هَلْ فِيهِ صَلَاةٌ، أَوْ دُعَاءٌ مُؤَقَّتٌ، أَوْ خُطْبَةٌ؟. فَقَالَ: أَمَّا صَلَاةٌ بِجَمَاعَةٍ فَلَا، وَلَكِنْ فِيهِ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَإِنْ صَلَّوْا وُحْدَانًا فَلَا بَأْسَ بِهِ). وَهَذَا مَذْهَبُهُ.

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ: (يُصَلِّي الْإِمَامُ رَكْعَتَيْنِ، يَجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ كَالْعِيدِ). وَإِنْ صَلَّوْا جَمَاعَةً جَازَ، عَلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِسُنَّةٍ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ.

وَيَنْبَغِي تَجْدِيدُ التَّوْبَةِ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ، وَكَثْرَةُ اسْتِغْفَارٍ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءِ الْكَرْبِ، وَاللَّهُمَّ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلْيَكُنْ مِنْ دُعَائِهِم: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بِدُعَائِكَ، وَوَعَدْتَنَا إِجَابَتَكَ، وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا، فَأَجِبْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا. اللَّهُمَّ فَامْنُنْ عَلَيْنَا بِمَغْفِرَةِ مَا قَارَفْنَا، وَإِجَابَتِكَ فِي سُقْيَانَا، وَسَعَةٍ فِي رِزْقِنَا).

وَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقْرَأُ آيَةً أَوْ آيَتَيْنِ. وَيَقُولُ الْإِمَامُ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ إِذَا هَاجَتِ الرِّيحِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: الرِّيحُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَقَعَتْ كَبِيرَةٌ، أَوْ هَاجَتْ رِيحٌ مُظْلِمَةٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّكْبِيرِ، فَإِنَّهُ يُجَلِّي الْعَجَاجَ الْأَسْوَدَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى فِي السَّمَاءِ نَاشِئًا غُبَارًا، أَوْ رِيحًا، اسْتَقْبَلَهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ، وَإِنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ، تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (مَا هَاجَتْ رِيحٌ، إِلَّا جَثَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذَا هَاجَتْ الرِّيحُ اسْتَقْبَلَهَا بِوَجْهِهِ، وَمَدَّ يَدَيْهِ، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذَا رَأَى رِيحًا فَزِعَ).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ، إِذَا غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَعَوَّذُ بِـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

النَّاسِ﴾. وَيقُولُ: يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَاقِحًا، لَا عَقِيمًا). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ الشِّمَالُ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَرْسَلْتَ فِيهَا).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ رَجُلاً، لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَلْعَنُ شَيْءًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، إِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسُبُّوا اللَّيْلَ وَلَا النَّهَارَ، وَلَا الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ، وَلَا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ، وَعَذَابٌ لِآخَرِينَ).

وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثاً مُنْقَطِعًا: عَنْ رَجُلٍ، (أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْفَقْرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَلَّكَ تَسُبُّ الرِّيحَ).

قَالَ الشَّافِعِيُّ: (وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسُبَّ الرِّيحَ، فَإِنَّهَا خَلْقُ اللَّهِ مُطِيعٌ، وَجُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِهِ، يَجْعَلُهَا رَحْمَةً، وَنِقْمَةً إِذَا شَاءَ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعْتُمُ الرَّعْدَ فَسَبِّحُوا وَلَا تُكَبِّرُو). (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ وَالصَّوَاعِقَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ).

زَادَ النَّسَائِيُّ: (سُبْحَانَ اللَّهِ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ). ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْوَعِيدَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ شَدِيدٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَكَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ).وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (كَانَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ، فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ، حِينَ سَمِعَ الرَّعْدَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ثَلَاثًا، عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الرَّعْدِ، فَقُلْنَا فَعُوفِينَا).

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ فِي [الْأُمِّ]، عَنْ طَاوُوسٍ، التَّابِعِيّ الْجَلِيلِ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ، إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحْتَ لَهُ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]).

وَرُوِيَ أَيْضًا، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الْبَرْقَ، أَوْ الْوَدْقَ، فَلَا يُشِرْ إِلَيْهِ، وَلْيَصِفْ، وَلْيَنْعَتْ). قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ تَكْرَهُهُ).

وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: (وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَكْرَهُونَ الْإِشَارَةَ إِلَى الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ، وَيَقُولُونَ عِنْدَ ذَلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، فَيَخْتَارُ الِاقْتِدَاءَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: (أَخْبَرَنِي الثِّقَةُ، أَنَّ مُجَاهِدًا كَانَ يَقُولُ: الرَّعْدُ مَلَكٌ، وَالْبَرْقُ أَجْنِحَتِهِ، يَسُقْنَ السَّحَابَ).

وَأَكْثَر الْمُفَسِّرِينَ: (إِنَّ الرَّعْدَ اسْمُ مَلَكٍ، وَالْبَرْق لَمَعَانُ سَوْطٍ مِنْ نُورٍ، يَزْجُرُ بِهِ الْمَلْكُ السَّحَابَ). وَقِيلَ: (الرَّعْدُ تَسْبِيحُ الْمَلَكِ، وَالْبَرْقُ ضَحِكُهُ). وَفِي [الْقَامُوسِ]: (الرَّعْدُ صَوْتُ السَّحَابِ، وَاسْم مَلْك يَسُوقهُ). وَقِيلَ غَيْر هَذَا.

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ إِذَا نَزَل الْمَطَر

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، تَرَكَ الْعَمَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنْ مُطِرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا).

وَفِي لَفْظٍ: (إِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ تَرَكَهَا، وَقَامَ حَتَّى يَنْجَلِيَ وَيُمْطِر). وَمَعْنَى (تَرَكَهَا): أَيْ تَجَوَّز فِيهَا. وَقَوْلُهُ (نَاشِئًا): بِهَمْزَةٍ أُخْرَى: أَيْ سَحَابًا لَمْ يَتَكَامَلَ جَمْعَهُ. (وَالصَّيِّبُ) بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ الْمُشَدَّدَةِ: الْمَطَرُ الْكَثِيرُ. وَقِيلَ: الَّذِي يَجْرِي مَاؤُهُ.

وَعَنْهَا أَيْضاً، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (صَيِّبًا هَنِيًّا). وَفِي أُخْرَى: (اللَّهُمَّ سَيِّبًا نَافِعًا. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا). (وَالسَّيِّبُ) بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ، وَسُكُونِ الْيَاءِ: الْعَطَاءُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ كَانَ يَقُولَ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ: اللهُمَّ اجْعَلْهُ سَيْبَ رَحْمَةٍ، وَلَا تَجْعَلْهُ سَيْبَ عَذَابٍ).

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ، عَنْه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ).

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (ثَلَاثُ سَاعَاتٍ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، مَا دَعَا فِيهِنَّ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ، أَوْ مَأْثَمًا: حِينَ يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ بالصَّلاةِ، حَتَّى يَسْكُتَ، وحِينَ يلْتَقِي الصَّفَّانِ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُما، وَحِينَ يَنْزِلُ المَطَرُ، حَتَّى يَسْكُنَ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ حَفِظْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، طَلَبَ الْإِجَابَةِ عِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ. فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟. قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ).

وَاعْلَمْ أَنَّ إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ، عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِك مُعْتَقِدًا، أَنَّ النَّوْءَ هُوَ الْمُؤَثِّرُ وَالْفَاعِلُ، هُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْكَرَاهَةِ، عِنْدَ عَدَمِ اعْتِقَادِ ذَلِكَ، وَالْأَصْوَبُ تَوبَتُهَا. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى نِعمَةِ الْمَطَرِ، وَيَعْتَبِر بِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَالِ وَخَطَرٍ، وَيَسْتَغْفِر مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْكَدِرِ.

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (كَانَ إِذَا سَالَ السَّيْلُ، قَالَ: أُخْرُجُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْوَادِي، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ طَهُورًا، فَنَتَطَهَّرُ مِنْهُ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهِ).

وَإِذَا زَادَ الْمَطَر عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَخِيفَ الضَّرَرُ، يَدْعُو بِمَا تَقَدَّمَ، مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا: قَوْسُ قُزَحَ، فَإِنَّ قُزَحَ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَلَكِنْ قُولُوا: قَوْسُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُو أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ: الْقَوْسُ).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إِنَّ الْقَوْسَ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْمَجَرَّةَ بَابُ السَّمَاءِ الَّذِي تَنْشَقُّ مِنْهُ).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيْلِ، (سَأَلَ ابْنُ الْكَوَّا عَلِيًّا، عَنِ الْمَجَرَّةِ، قَالَ: هُوَ شَرَجُ السَّمَاءِ، وَمِنْهَا فُتِحَتِ السَّمَاءُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ).

وَفِي [الْقَامُوسِ]: (قَوْسُ قُزَحَ)، كزُفَرَ: سُمِّيَت لِتَلَوُّنِهَا، مِنَ الْقُزْحَةِ، بِالضَمِّ: لِلطَّرِيقَةِ مِنْ صُفْرَةٍ وحُمْرَةٍ وخُضْرَةٍ، أَوْ لارْتِفَاعِهَا، مِنْ قَزَحَ: ارتفَعَ، وَمِنْهُ: سِعْرٌ قَازِحٌ: غَالٍ، أَوْ قُزَحُ: اسْمُ مَلَكٍ مُوَكَّلٍ بِالسَّحَابِ، أَوْ اسْمُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ العَجَمِ، أُضِيفَتْ قَوْسُ إِلَى أَحدِهِمَا.وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ: هِيَ غَيْرُ مَصْرُوفَةٌ. وَيَقُولُ الْعَوَّامُ: قُدَحٌ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْحَاجَةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَلْيَتَوَضَّأْ، وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لِيُثْنِ عَلَى اللَّهِ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لِيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ، رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لَا تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا، إِلَّا قَضَيْتَهَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

زَادَ فِي رِوَايَةٍ، بَعْدَ لَفْظِ: (مَغْفِرَتِكَ): (وَالْعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ).

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، (أَنَّ رَجُلاً، ضَرِيرَ الْبَصَرِ، أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: فَادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي، فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتَقْضِي لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ. فَيُقَالُ: فَرَجَعَ، وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَصَرِهِ).

عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا طَلَبْتَ حَاجَةً، فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَنْجَحَ، فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، بِسْمِ اللَّهِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْحَلِيمُ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مُوجِبَاتِ رَحْمَتِك، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِك، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، اللَّهُمَّ لا تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًى، إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَاءَنِي جِبْرِيلُ بِدَعَوَاتٍ، فَقَالَ: إِذَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ فَقَدِّمْهُنَّ، ثُمَّ سَلْ: يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا كَاشِفَ السُّوءِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، بِكَ أُنْزِلُ حَاجَتِي، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهَا، فَاقْضِهَا).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً، تُصَلِّيهِنَّ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَتَتَشَهَّدُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَإِذَا تَشَهَّدْتَ فِي آخِرِ صَلَاتِك، فَاثْنِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَبِّرْ وَاسْجُدْ، وَاقْرَأْ وَأَنْتَ سَاجِدٌ، فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِك لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ، وَجَدِّكَ الْأَعْلَى، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَك، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَك، ثُمَّ سَلِّمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَلَا تُعَلِّمُوهَا السُّفَهَاءَ، يَدْعُونَ بِهَا، فَيُسْتَجَابُ).

وَفِي الْبَابِ غَيْرُ ذَلِك، فَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءِ الْكَرْبِ، وَاللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً... إلَخ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءِ ذِي النُّونِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا، وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ).

فَصْلٌ: فِي الِاسْتِخَارَةِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى). زَادَ الْحَاكِمُ: (وَمِنْ شَقَاوَةَ ابْنِ آدَمَ، تَرْكُهُ الِاسْتِخَارَةَ). وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ).

وَرَوَى أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: يَا أَنَسُ، إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ، فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيهِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ).

(وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِذَا أَرَادَ أَمْرًا، قَالَ: اللَّهُمَّ خِرْ لِي، وَاخْتَرْ لِي).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَعِينُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ

هَذَا الْأَمْرَ، خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-، فَاقْدِرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ). وَفِي غَيْرِهَا: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَاّ بِاللَّهِ) بَعْدَ قَوْلِهِ: (حَيْثُ كَانَ). وَفِي أُخْرَى: (ثُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ). وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، بَعْدَ لَفْظِ (الْغُيُوبِ): (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ، خَيْرًا لِي فِي دِينِي، وَخَيْرًا لِي فِي مَعِيشَتِي، وَخَيْرًا لِي فِيمَا أَبْتَغِي بِهِ الْخَيْرَ، فَخِرْ لِي فِي عَافِيَةٍ، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ، فَاقْضِ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، وَرَضِّنِي بِقَضَائِكَ). وَرُوِيَ نَحْوُهُ بِزِيَادَةِ: (يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)، فِي آخِرِهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: تُسْتَحَبُّ الاسْتِخَارَةُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، حَتَّى فِي الْخَيْرِ الْمَحْضِ، بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَالِ وَالزَّمَانِ، وَلَا تَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ. وَتُسْتَحَبُّ بِالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ الْمَذْكُورِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ فِي الْأُولَى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وَاسْتَحَبَّ بَعْضُ السَّلَفِ فِي الْأُولَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وَإِنْ اسْتَخَارَ بِالدُّعَاءِ فَقَطْ جَازَ، وَأَدْنَاهُ: (اللَّهُمَّ خِرْ لِي، وَاخْتَرْ لِي)، كَمَا مَرَّ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَفْتِحَ الدُّعَاءَ الْمَذْكُورَ بِالْحَمْدِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَخْتِمَهُ بِذَلِكَ. وَقَالُوا فِي الشَّكِّ فِي قَوْلِهِ: (أَوْ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ)، يَنْبَغِي أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، وَيَقُولُ: (وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ)، وَيَنْبَغِي تكْرَارُها ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا، وَإِذَا اخْتَارَ، يَمْضِي لِمَا يَنْشَرِحُ لَهُ صَدْرهُ بَعْدَهَا.

وَلِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ طُرُقٌ شَتَّى، حَتَّى قَالُوا بِاسْتِحْبَابِهَا كُلَّ يَوْمٍ، وَهُوَ حَقٌّ، لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ صَلَاةِ التَّسَابِيحِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ، عَشْرَ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرُ خِصَالٍ: أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَسُورَةٍ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ، فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ، وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ، فَتَقُولُهَا، وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، تَفْعَلُ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ

يَوْمٍ مَرَّةً، فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَرَمْلِ عَالِجٍ، غَفَرَهَا اللَّهُ لَكَ).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو وَهْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي يُسَبَّحُ فِيهَا؟، فَقَالَ: يُكَبِّرُ، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَقُولُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَتَعَوَّذُ وَيَقْرَأُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَفَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَسُورَةً، ثُمَّ يَقُولُ عَشْرَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ يَرْكَعُ، فَيَقُولُهَا عَشْرًا. ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ يَسْجُدُ، فَيَقُولُهَا عَشْرًا. ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ يَسْجُدُ الثَّانِيَةَ، فَيَقُولُهَا عَشْرًا، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَلَى هَذَا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ تَسْبِيحَةً، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، يَبْدَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، بِخَمْسَ عَشْرَةَ تَسْبِيحَةً، ثُمَّ يَقْرَأُ، ثُمَّ يُسَبِّحُ عَشْرًا، فَإِنْ صَلَّى لَيْلًا، فَأَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُسَلِّمَ، فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَإِنْ صَلَّى نَهَارًا، فَإِنْ شَاءَ سَلَّمَ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُسَلِّمْ).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَيْضًا، قَالَ: (يَبْدَأُ فِي الرُّكُوعِ: بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَفِي السُّجُودِ: بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، ثَلَاثًا، ثُمَّ يُسَبِّحُ التَّسْبِيحَاتِ. وَقِيلَ لَهُ: إِنْ سَهَا فِيهَا، يُسَبِّحُ فِي سَجْدَتَيِ السَّهْوِ، عَشْرًا عَشْرًا؟، قَالَ: لَا، إِنَّمَا هِيَ ثَلَاثُ مِائَةِ تَسْبِيحَةٍ).

وَاعلَمْ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ، فِي الْأَحَادِيثِ فِي صَلَاةِ التَّسَابِيحِ، فَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَيْر هَذَا، حَدِيثٌ فِي صَلَاةِ التَّسَابِيحِ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهَا كَثِير شَيْءٌ).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ: (حَدِيثُ أَبِي رَافِعٍ، -يَعْنِي الَّذِي فِي صَلَاةِ التَّسَابِيحِ-، ضَعِيفٌ، لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الصِّحَّةِ وَلَا الْحَسَنِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيّ لِيُنَبِّهَ عَلَيْهِ، لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِهِ، وَقَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ). وَقَالَ الْعُقَيْلِيُّ: (لَيْسَ فِي صَلَاةِ التَّسَابِيحِ حَدِيثٌ يَثْبُتُ). وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَحَادِيثَهَا بِطُرُقِهَا، وَضَعَّفَهَا فِي كِتَابِ [الْمَوْضُوعَاتِ].

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (وَقَدْ رَأَى ابْنُ الْمُبَارَكِ وَغَيْرُهُ، وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ صَلَاةَ التَّسَابِيحِ، وَذَكَرُوا الْفَضْلَ فِيهَا). وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ صَلَاحُ الدِّينِ الْعَلَائِيُّ: (حَدِيثُ صَلَاةِ التَّسَابِيحِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَوْ حَسَنٌ). وَقَالَ الْبُلْقِينِيُّ: (حَدِيثُ صَلَاةِ التَّسَابِيحِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَهُ طُرُقٌ يُعَضِّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي [التُّحْفَةِ]: (وَحَدِيثُهَا حَسَنٌ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ، وَوَهَمَ مَنْ زَعَمَ وَضْعَهُ، وَفِيهَا ثَوَابٌ لَا يَتَنَاهَى). وَقَالَ الْمُحَقِّقُ السُّبْكِيّ: (لَا يَسْمَعُ بِعَظِيمِ فَضْلِهَا وَيَتْرُكُهَا، إِلَّا مُتَهَاوِنٌ بِالدِّينِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِأَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْعَزْمِ فِي شَيْءٍ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (مَا رَأَيْتُ لِلشَّدَائِدِ وَالْغُمُومِ، مِثْل صَلَاةِ التَّسَابِيحِ). وَقَدْ نَصَّ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، حَتَّى النَّوَوِيّ وَالرَّافِعِيّ عَلَى اسْتِحْبَابِهَا.

وَقَدْ كَانَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ، حَبْرُ الْأُمَّةِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يُصَلِّيهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ الزَّوَالِ. وَقِيلَ لَهُ: فِي اسْتِفْسَارِ السُّورَةِ الَّتِي مَعَ الْفَاتِحَةِ، مَا هَذِهِ السُّورَةُ؟، قَالَ: ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ وَالْعَصْرُ، وَالْكَافِرُونَ، وَالْإِخْلَاصُ. وَقَدْ كَانَ هُوَ أَيْضًا يَقْرَأُ فِي رَكْعَةٍ، سُورَةً مِنْ هَذِهِ السُّوَرِ عَلَى التَّرْتِيبِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَالْأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِيهَا، بِأَرْبَعٍ مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ: كَالْحَدِيدِ، وَالْحَشْرِ، وَالصَّفِّ، وَالتَّغَابُنْ، لِلْمُنَاسَبَةِ فِي الاسْمِ.

وَزَادَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي [الْإِحْيَاءِ]: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، بَعْدَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ).

وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ: (فَإِذَا فَرَغَ مِنَ التَّشَهُّدِ، قَبْلَ السَّلَامِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدَى، وَأَعْمَالَ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَمُنَاصَحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ، وَجِدَّ أَهْلِ الْخَشْيَةِ، وَطِلْبَةَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ، وَتَعَبُّدَ أَهْلِ الْوَرَعِ، وَعِرْفَانَ أَهْلِ الْعِلْمِ، حَتَّى أَخَافَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَخَافَةً، تَحْجِزُنِي عَنْ مَعَاصِيكَ، وَحَتَّى أَعْمَلَ بِطَاعَتِكَ، عَمَلًا أَسْتَحِقُّ بِهِ رِضَاكَ، وَحَتَّى أُنَاصِحَكَ فِي التَّوْبَةِ، خَوْفًا مِنْكَ، وَحَتَّى أُخْلِصَ لَكَ النَّصِيحَةَ، حَيَاءً مِنْكَ، وَحَتَّى أَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فِي الْأُمُورِ، حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ، سُبْحَانَ خَالِقِ النَّارِ).

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَيَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ بِالْخَمْسَةَ عَشَرَ تَسْبِيحَةً، قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ، لِأَنَّهُ الْأَنْسَبُ لِمَذْهَبِنَا، إِذْ لَا جُلُوسَ لِلِاسْتِرَاحَةِ بَعْدَ السَّجْدَتَيْنِ، عِنْدَنَا، وَلَا بَأْسَ بَعْدَ التَّسْبِيحِ فِيهَا، بِرُؤُوسِ الْأَنَامِلِ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ صَلَاةِ التَّوْبَةِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ، فَيَتَطَهَّرُ، وَيُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِذَلِكَ الذَّنْبِ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ. وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وَ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥].

وَفِي أُخْرَى: (مَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بِرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ).

وَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي بُرَيْدَةَ، قَالَ: (أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا، فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟، إِنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، فَقَالَ: مَا أَذْنَبْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ، إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ: (لَمَّا هَبَطَ آدَمُ، وَجَاءَهُ الْمَوْتُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ هَذَا الدُّعَاءَ، قَالَ: فَلَمَّا دَعَا بِهِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، إِنِّي قَدْ قَبِلْتُ تَوْبَتَكَ، وَغَفَرْتُ لَكَ ذَنْبَكَ، وَلَنْ يَدْعُونِي أَحَدٌ بِهَذَا الدُّعَاءِ، إِلَّا غَفَرْتُ

لَهُ ذَنْبَهُ، وَكَفَيْتُهُ الْمُهِمَّ مِنْ أَمْرِهِ، وَزَجَرْتُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي، فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَأَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي بِقَضَائِكَ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارٍ لِلْأُمُورِ الْعَارِضَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ الْعَارِضَ مَا كَانَ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ، وَهُوَ كَثِيرٌ جِدًّا، فَأَذْكُرُ مِنْهُ هُنَا، مَا كَانَ مُلَائِمًا، وَالْبَاقِي يَأْتِي لِعَامِلَاتٍ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا النَّوْعِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَسْتَرْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي شِسْعِ نَعْلِهِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ). فَإِذًا لَا رُجُوعَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا مَنْجَا وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. وَالْفِرَارُ إِلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ حَبِيبِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفِرُّ إِلَيْهِ تَعَالَى، بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَقَالِ. فَأَمَّا الْمَفَرُّ بِلِسَانِ الْحَالِ، فَهُوَ بِلُزُومِ الِافْتِقَارِ وَالِانْكِسَارِ وَالذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، وَأَمَّا بِلِسَانِ

الْمَقَالِ، فَكَانَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ شَأْنٍ حَال، وَلَدَى كُلّ عَارِضٍ مَقَالٌ. وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذَا حَزَنَهُ أَمْرٌ، قَالَ ذَلِكُمْ). وَفِي أُخْرَى: (كَانَ إِذَا حَزَنَهُ أَمْرٌ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). وَمَعْنَى: (حَزَنَهُ أَمْرٌ): أَيْ نَزَلَ أَمْرٌ مُهِمٌّ، أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ. وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ: يا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِكَ أَسْتَغِيثُ).

وَفِي غَيْرِهَا: (كَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ، قَالَ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الْأَمْرُ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، يَقُولُ: حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْعِبَادِ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِ، حَسْبِيَ الَّذِي هُوَ حَسْبِي، حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ، إِلا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا).

عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). وَزَادَ مُسْلِمٌ: (وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ هُمٌّ، أَوْ لَأْوَاءٌ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، ثَلاثًا). (اللَّاوَاءُ): شِدَّة وَضِيق مَعِيشَةٍ.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِيهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، أَوْ فِي الْكَرْبِ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ، أَوْ سَقَمٌ، أَوْ شِدَّةٌ، فَقَالَ: اللَّهُ رَبِّي، لَا شَرِيكَ لَهُ، كَشَفَ عَنْهُ ذَلِكَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُخْبِرُكمْ بِشَيْءٍ، إِذا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكمْ، كَرْبٌ أَوْ بَلاءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا، دَعا بِهِ، فَفُرِّجَ عنهُ، دُعاءُ ذِي النُّونِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (لَقَّنَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ، وَأَمَرَنِي إِنْ نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ، أَنْ أَقُولَهُنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْكَرِيمُ الْعَظِيم، سُبْحَانَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ، رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يُلَقِّنُهَا الْمَيِّتَ، وَيَنْفُثُ بِهَا عَلَى الْمَوْعُوكِ، وَيُعَلِّمُهَا الْمُغْتَرِبَةَ مِنْ بَنَاتِهِ). (الْمَوْعُوكُ): الْمَحْمُومُ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي أَصَابَهُ مَغْثُ الحُمَّى. وَ(الْمُغْتَرِبَةَ مِنَ النِّسَاءِ): الَّتِي تُزَوَّجُ غَيْرِ أَقَارِبِهَا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَدعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ مَلْهُوف، وَلَا مَكْرُوب، إِلَّا اُسْتُجِيبَ لَهُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ، يَا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ، يَا مَأْمَنَ الْخَائِفِينَ، يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ، يَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدَ لَهُ، يَا ذُخْرَ مَنْ لَا ذُخْرَ لَهُ، يَا حِرْزَ الضُّعَفَاءِ، يَا كَنْزَ الْفُقَرَاءِ، يَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ، يَا مُنْقِذَ الْهَلْكَى، يَا مُنْجِيَ الْغَرْقَى، يَا مُحْسِنُ، يَا مُجْمِلُ، يَا مُنْعِمُ، يَا مُتَفَضِّلُ، يَا عَزِيزُ، يَا جَبَّارُ، يَا مُتَكَبِّرُ، أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَضَوْءُ النَّهَارِ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ، وَنُورُ الْقَمَرِ، يَا اللَّهُ، أَنْتَ اللَّهُ، لَا شَرِيكَ لَكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَلِمَاتُ الْفَرَجِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَخَوَاتِمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، عِنْدَ الكَرْبِ، أَغاثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَيْسَرُهَا الْهَمُّ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ، فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ، نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَغْبُونَ لَمَنْ غُبِنَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: أَجَلْ، فَقُولُوهُنَّ، وَعَلِّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ، الْتِمَاسَ مَا فِيهِنَّ، أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَى حُزْنَهُ، وَأَطَالَ فَرَحَهُ).

عَنْ ثَوْبَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا رَاعَهُ شَيْءٌ، قَالَ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا شَرِيكَ لَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: بِزِيَادَة (هُوَ) فِي أَوَّلِهِ.

وَعَنْ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ، إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ، وَعَذَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ).

(وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ). وَعَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ وَحْشَةً، فَقَالَ: إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهُ لَا يُضَرُّكَ، وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَقْرَبَكَ).

وَعَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: (قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُنَيْشٍ التَّمِيمِيِّ، كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، قَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ مَا أَقُولُ، قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ، وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ، قَالَ: فَطُفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْهِ الْوَحْشَةَ، فَقَالَ: أَكْثِرْ مِنْ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، جَلَّلْتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ. فَقَالَهَا الرَّجُلُ، فَذَهَبَتْ عَنْهُ الْوَحْشَةُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا، قَالَ: (نَزَلَ آدَمُ بِالْهِنْدِ فَاسْتَوْحَشَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَادَى بِالْأَذَانِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ مُحَمَّدٌ؟، فَقَالَ: هَذَا آخِرُ وَلَدِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الأَمْرِ الْعَظِيمِ

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عَلِيّ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ، فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصْرِفُ بِهَا مَا شَاءَ مِنَ الْبَلَاءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَقَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي فِتْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، مَهْمُومًا، إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ بِاهْتِمَامِهِ بِمَا فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْفِتَنِ. فَقَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي. قَالَ: فَقَالَهَا فَسَلِمَ، قَالَ مِسْعَرٌ: يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ إِذَا عَسُرَ عَلَيْهِ أَمْرٌ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ).

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ، لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). وَمَعْنَى (الْكَيس) هُنَا: الرِّفْقُ. كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، أَنَّهَا قَالَتْ: (وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]).

فَصْلٌ: وَإِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ أَمْرٌ: قَالَ مَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزَنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا). (الْحَزْنُ): بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الزَّايِ: مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ وَخَشُنَ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا عَسُرَ عَلَيْهِ أَمْرُ مَعِيشَتِهِ أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمَالِي، وَدِينِي، اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ، وَلَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَّلْتَهُ).

وَيُنَاسِبُ هَذَا الْمَقَامَ، مَا (قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً، يُعَلِّمُهُنَّ إِيَّاهُ، ثُمَّ لَا يُنْسِيهِ أَبَداً، قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ، فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي،

وَاجْعَلِ الإِسْلامَ مُنْتَهَى رِضَائِي، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فقَوّنِي، وَإِنِّي ذَلِيلٌ فأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَقِيرٌ فَارْزُقْنِي).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَلِيٍّ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْنًا، أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قُلِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي، فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا، لَأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمُعَاذٍ: أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا، لَأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قُلْ يَا مُعَاذُ: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي بِرَحْمَةٍ، تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَوْ كَانَ عَلَيْكَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ دَيْنًا، قَضَاهُ اللَّهُ). وَذَكَرَ نَحْوَهُ وَزَادَ: (اللَّهُمَّ أَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ، وَاقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَتَوَفَّنِي فِي عِبَادَتِكَ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِكَ). وَتَقَدَّمَ فِيمَا يُقَالُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ.

فَصْلٌ: فِي الأَمَانِ مِنَ الْفَقْرِ

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، كَانَ لَهُ أَمَانٌ مِنَ الْفَقْرِ، وَأَمْنٌ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَاسْتَجْلَبَ بِهِ الْغِنَى، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ).

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ غَانِمٍ: (لَوْ خَرَجْتُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى الْيَمَنِ لَكَانَ قَلِيلًا).

وَفِي [الْحِلْيَةِ]: (مَنْ قَالَ ذَلِكَ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، مِائَتَيْ مَرَّةٍ، لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ فِيهَا حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا).

عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ، (أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: تَوَلَّتْ عَنِّي الدُّنْيَا، وَقَلَّتْ ذَاتُ يَدِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ، وَبِهَا يُرْزَقُونَ). يَعْنِي: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ لِدَفْعِ الآفَاتِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً، فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ، أَوْ وَلَدٍ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهِ آفَةً، دُونَ الْمَوْتِ).

وَكَأَنَّهُ مِنْ هُنَا قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ أُعْجِبَ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَأَرَادَ بَقَاءَهُ، فَلْيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ). (وَقَالَ لَمَّا تَبِعَهُ سُرَاقَةُ: اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ. قَالَ: فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ، فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحانَ اللَّهِ، رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلَانٍ، -يَعْنِي الَّذِي يَخَافهُ-، وَشَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)

وَوَرَدَ غَيْر هَذَا أَيْضًا، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فَلَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ تُصْرَعُ، تَضْرِبُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهَا وَمِنْ خَلْفِهَا).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ). وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا.

فَصْلٌ: فِيمَا عَرَضَ لَهُ شَيْطَانٌ أَوْ خَافَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ، ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ

يَتَنَاوَلُ شَيْئًا. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا، لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مُوثَقًا، يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ قَالَ: (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا الْتَفَتَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَآهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ، إِذَا قُلْتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُهُ. وَخَرَّ لِفِيهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلَى. فَقَالَ جِبْرِيلُ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى شَيْئًا يَهُولُهُ أَوْ يُفْزِعُهُ، فَلْيَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، فَمَا قَالَهَا أَحَد إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، سُورٌ مِنْ حَدِيدٍ).

وَعَنْ سُهَيْلِ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّهُ قَالَ: (أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، وَمَعِي غُلَامٌ لَنَا أَوْ صَاحِبٌ لَنَا، فَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ جَانِبِ حَائِطٍ بِاسْمِهِ، وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا، لَمْ

أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا، فَنَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ).

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا قَوْلُهُ: (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ).

فَيَنْبَغِي الْجَمْعُ بَيْنَ الْكُلِّ إِنْ تَيَسَّرَ، وَإِلَّا فَمَا تَخَيَّرَ لِمَنْعِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْبَيْتِ، وَغَيْرِه. (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ، الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ).

(وَقَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ قَرَأَهَا لَيْلًا، لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ، ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ). وَقَالَ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ: (لَا تَضَعْهَا فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ).

وَقَالَ: الْآيَتَانِ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ الْبَقَرَةِ: (لَا تُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ). وَهُمَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ مَنْ بُلِيَ بِالْوَسْوَسَةِ

أَفْضَلُ مَا يُقَالُ لَهَا التَّعَوُّذُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟، فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ). وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَمِنْ فِتْنَتِهِ).

وَفِي غَيْرِهَا: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ، حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟، فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟، فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ وَجَدَ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثَلَاثًا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي، وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ،

وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ، ثَلَاثًا. قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَنِّي).

وَ(خَنْزَبٌ): بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ، وَنُونٍ سَاكِنَةٍ، وَزَايٍ مَفْتُوحَةٍ، وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ. اُخْتُلِفَ فِي ضَبْطِ خَائِهِ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، وَالضَّمِّ، وَالْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ الْأَوَّلَانِ.

وَعَنْ أَبِي زُمَيْلٍ، قَالَ: (قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟، قَالَ: مَا هُوَ؟، قُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ. فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟، وَضَحِكَ، وَقَالَ: مَا نَجَا أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] الْآيَة. قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا، فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]).

وَاعْلَمْ أَنَّ صَرِيحَ هَذَا الْأَثَرِ، يُثْبِتُ وُقُوعَ الشَّكِّ مِنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ نَفَاهُ الْمُحَقِّقُونَ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: (فَاحْذَرْ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَلْبَكَ، أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِكَ مَا ذَكَرَه فِيهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ غَيْرِهِ، مِنْ إِثْبَاتِ شَكٍّ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ مِنَ الْبَشَرِ، فَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوز عَلَيْهِ جُمْلَةً).

بَلْ قَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَمْ يَشُكَّ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَسْأَل)، وَنَحْوَه عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ. وَحَكَى قَتَادَة، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا أَشُكُّ وَلَا أَسْأَلُ. وَعَامَّة الْمُفَسِّرِينَ عَلَى هَذَا). وَتَحْقِيقُ هَذَا وَنَحْوه يُطْلَبُ مِنَ [الشِّفَا].

قَالَ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ: (أَنْفَعُ عِلَاجٍ لِدَفْعِ الْوَسْوَسَةِ، الْإِقْبَالُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْإِكْثَارُ مِنْهُ، وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. (وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ اللَّهَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (يُسْتَحَبُّ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لِمَنِ ابْتُلِيَ بِالْوَسْوَسَةِ، فِي الْوُضُوءِ أَوْ الصَّلَاةِ، وَشَبَهِهِمَا. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الذِّكْرَ خَنَسَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَأْس الذِّكْرِ). وَلِهَذَا اخْتَارَ جَلّ السَّادَة الْعَارِفِينَ، لِأَهْلِ الْخَلْوَة مِنَ الْمُرِيدِينَ، قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ: مَنْ ابْتُلِيَ بِالْوَسْوَسَةِ، فَلْيَقُلْ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩- ٢٠]، وَيُكَرِّرُهَا. وَإِنْ قَالَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَانَ أَحْسَنَ، وَإِنْ أَضَافَ إِلَيْهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، كَانَ أَجْوَد.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَوَارِيّ، -بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا-: (شَكَوْتُ إِلَى أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الْوَسْوَاسَ، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْكَ، فَأَيّ وَقْتٍ أَحْسَسْتَ بِهِ، فَافْرَحْ، فَإِنَّك إِذَا فَرِحْتَ بِهِ، انْقَطَعَ عَنْك، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى الشَّيْطَانِ، مِنْ سُرُورِ الْمُؤْمِنِ، وَإِنْ اغْتَمَمْتَ بِهِ زَادَكَ). اهـ.

وَالْحَاصِلُ إِنَّ الْوَسْوَسَةَ مِنْ مِحَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، كَمَا قَالَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَارِفِينَ. فَيَنْبَغِي الصَّبْرُ لَهَا وَالْفَرَحُ بِهَا، وَالِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ فِي كَشْفِهَا، وَالْحِيلَةُ تَرْك الْحِيلَةِ، وَالرَّسُولُ أَعْظَم وَسِيلَةٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلَّ يَوْمٍ لَيْلَة دُعَاء خَوْفِ الشِّرْكِ، وَإِمَاتَة الْقَلْبِ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ،

فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَقُولُهُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَقَالَ سَيِّدِي الْعَارِفُ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ أَبِي بَكْرٍ الْكِنَانِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ لِي، أَنْ لَا يُمِيتَ قَلْبِي، فَقَالَ: قُلْ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعِينَ مَرَّةً: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ). وَوَقَّتَهَا بَعْضُهُم، مَا بَيْنَ فَرْضِ الْفَجْرِ وَسُنَّتِهِ.

فَصْلٌ: فِي دُعَاءٍ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، تَفَلَّتَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ صَدْرِي، فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، وَيُثَبِّتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ؟، قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلِّمْنِي. قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ، وَالدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]، حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ، فَقُمْ فِي وَسَطِهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ، فَقُمْ فِي أَوَّلِهَا، فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَسُورَةِ يس، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَحم الدُّخَانِ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَالم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَفِي الرَّكْعَةِ الرَّابِعَةِ

بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَتبارَكَ الْمُفَصَّلِ، فَإِذَا فَرغْتَ مِنَ التَّشَهُّدِ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَأَحْسِنِ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ، وَصَلِّ عَلَيَّ وَأَحْسِنْ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَاسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلِإِخْوَانِكَ الَّذِينَ سَبَقُوكَ بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ قُلْ فِي آخِرِ ذَلِكَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتكَلَّفَ مَا لَا يَعْنِينِي، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي. اللَّهُمَّ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ، بِجَلَالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ، أَنْ تُلْزِمَ قَلْبِي حِفْظَ كِتَابِكَ كَمَا عَلَّمْتَنِي، وَارْزُقْنِي أَنْ أَتْلُوَهُ عَلَى النَّحْوِ، الَّذِي يُرْضِيكَ عَنِّيَ، اللَّهُمَّ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ. أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ، بِجَلَالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ، أَنْ تُنَوِّرَ بِكِتَابِكَ بَصَرِي، وَأَنْ تُطْلِقَ بِهِ لِسَانِي، وَأَنْ تُفَرِّجَ بِهِ عَنْ قَلْبِي، وَأَنْ تَشْرَحَ بِهِ صَدْرِي، وَأَنْ تَغْسِلَ بِهِ بَدَنِي، فَإِنَّهُ لَا يُعِينُنِي عَلَى الْحَقِّ غَيْرُكَ، وَلَا يُؤْتِيهِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، يَا أَبَا الْحَسَنِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ، أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، تُجَبْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأَ مُؤْمِنًا قَطُّ. قَالَ ابْنُ الْعَبَّاسِ: فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ عَلِيٌّ إِلَّا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، حَتَّى جَاءَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ فِيمَا خَلَا لَا آخُذُ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ، أَوْ نَحْوَهُنَّ، وَإِذَا قَرَأْتُهُنَّ عَلَى نَفْسِي تَفَلَّتْنَ، وَأَنَا أَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ أَرْبَعِينَ آيَةً وَنَحْوَهَا، فَإِذَا قَرَأْتُهَا عَلَى نَفْسِي، فَكَأَنَّمَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ عَيْنَيَّ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا رَدَّدْتُهُ تَفَلَّتَ، وَأَنَا الْيَوْمَ أَسْمَعُ الْأَحَادِيثَ، فَإِذَا تَحَدَّثْتُ بِهَا لَمْ أَخْرِمْ مِنْهَا حَرْفًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُؤْمِنٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، يَا أَبَا الْحَسَنِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (يَقْرَأُ فِي الثَّانِيَةِ: بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَ﴿الم تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَة، وَفِي الثَّالِثَةِ: بِالْفَاتِحَة وَالدُّخَانِ)، عَكْسَ مَا مَرَّ. وَفِيهَا: (أَنْ تَشْغَلَ بِهِ بَدَنِي) بَدَلَ (تَسْتَعْمِل). وَفِي أُخْرَى: (قَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَاب، وَحم الدُّخَانِ). وَفِيهَا: (فَجَاءَ بَعْدَ سَبْع جُمْعٍ، وَقَدْ حفظ الْقُرْآنَ).

وَرُوِيَ (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَتعَلَّمُ الْقُرْآنَ، فَيَتفَلَّتُ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِمُحَمَّدٍ نَبِيّك، وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِك، وَمُوسَى نَجِيّك، وَعِيسَى رُوحِكَ وَكَلِمَتِك، وَبِعَظَمَتِك وَكِبْرِيَائِك وَبِنُورِ وَجْهِك، أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ، وَتَخْلِطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي، وَسَمْعِي وَبَصَرِي، وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي، بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِك، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِك).

وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ سُبَيْعٍ، وَيُقَالُ سُمَيْعٌ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (مَنْ قَرَأَ عَشرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، عِنْد مَنَامِه، لَمْ يَنْسَ الْقُرْآنَ، أَرْبَعٌ مِنْ أَوَّلِهَا، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَانِ بَعْدَهَا، وَثَلَاثٌ مِنْ آخِرِهَا). رَوَاهُ الدَّارَانِيُّ. قَالَ شَيْخُهُ إِسْحَاق: (لَمْ يَنْسَ مَا قَدْ حَفِظَ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ لِتَذَكُّرِ مَا نُسِي ولِلنِّسْيَانِ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نَسِيتُم شَيْئًا، فَصَلُّوا عَلَيَّ، تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّه).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَدِّث بِحَدِيثٍ فَنَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَهُ عَلَيَّ خَلَفًا مِنْ حَدِيثِه، وَعَسَى أَنْ يَذْكُرَهُ). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ النِّسْيَان، فَلْيَذْكُر الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فَصْلٌ: فِي الرُّقَى

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الرُّقَى، بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَحَمَلُوا النَّهْيَ عَنْهَا عَلَى اللُّغَةِ الْعَجَمِيَّةِ، وَعَلَى مَا لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا.

وَقَدْ رَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَرْقَى. (وَقَالَ لِلشَّفَّاءِ: ارْقِي مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ بِاللَّهِ). (وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ جُعْلِ رُقْيَةٍ، رَقَى بِهَا: كُلْ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ). وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَّمَنِي دَوَاءً، يَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَقَالَ لِي: نُسْخَتُهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ مَطَرٍ، لَمْ يُمَسَّ فِي سَقْفٍ، فِي إِنَاءٍ نَظِيفٍ، فَتَقْرَأُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، سَبْعِينَ مَرَّةً، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مِثْلَهُ، وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ مِثْلَهُ، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ مِثْلَهُ، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مِثْلَهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ثُمَّ تَصُومُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَتُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِذَلِكَ الْمَاءِ). ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ، فِي كِتَابِهِ [جَامِعِ الْأُصُولِ].

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ).

فَصْلٌ: مَا يُقْرَأُ عَلَى الْمَعْتُوهِ وَالْمَجْنُونِ

(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي وَجِعَ، فَقَالَ: مَا وَجَعُ أَخِيكَ؟، قَالَ: بِهِ لَمَمٌ، قَالَ: فَابْعَثْ إِلَيَّ بِهِ، قَالَ: فَجَاءَهُ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَأَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٣- ١٦٤]، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَةً مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَآيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَآيَةً مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وَآيَةً مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الصَّفِّ مِنْ أَوَّلِهَا، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُ شَيْئًا قَطُّ). قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: (اللَّمَمُ): طَرَفٌ مِنَ الْجُنُونِ، يُلِمُّ بِالْإِنْسَانِ وَيَعْتَرِيهِ.

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى قَوْمٍ، عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ، مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا، قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَهُ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ؟، فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ، فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: هَلْ إِلَّا هَذَا. -وَفِي رِوَايَةٍ: هَلْ قُلْتَ غَيْرَ

هَذَا؟، قُلْتُ: لَا.- قَالَ: خُذْهَا، فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ).

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ، قَالَ: (أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: هَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ؟، فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ. فَجَاءُوا بِالْمَعْتُوهِ فِي الْقُيُودِ، فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، أَجْمَعُ بُزَاقِي، ثُمَّ أَتْفُلُ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا، فَقُلْتُ: لَا، حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: كُلْ، لَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، (أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مُبْتَلًى، فَأَفَاقَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟، فَقَالَ: قَرَأْتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِنًا، قَرَأَ بِهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ).

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِابْنٍ لَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنِي قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ، فَتَفَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ. قَالَ: فَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ بَعْدُ).

وَقَالَ الْجَزَارِيّ: (يُقْرَأُ عَلَى الْمُصَابِ إِذَا أُخِذَ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ: (إِذَا تَلَوْتَ عَلَى الْمُصَابِ هَذِهِ الْآيَةِ، يُخَفِّفُ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عَلَى الْحَرِيقِ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ، قَالَ: (تَنَاوَلْتُ قِدْرًا كَانَتْ لِي، فَاحْتَرَقَتْ يَدِي، فَانْطَلَقَتْ بِي أُمِّي، إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ فِي الْجَبَّانَةِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَبَّيْكِ وَسَعْدَيْكِ، ثُمَّ أَدْنَتْنِي مِنْهُ، فَجَعَلَ يَتْفِلُ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَسَأَلْتُ أُمِّي بَعْدَ ذَلِكَ: مَا كَانَ يَقُولُ؟، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: أَذْهِبِ الْبَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِحَبْسِ الْبَوْلِ

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، (أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ، احْتَبَسَ بَوْلُهُ، فَأَصَابَتْهُ حَصَاةُ الْبَوْلِ، فَعَلَّمَهُ رُقْيَةً، سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَبَّنَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، فَأَنْزِلْ شِفَاءً، مِنْ شِفَائِكَ، وَرَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، عَلَى هَذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَهُ بِهَا، فَرَقَاهُ بِهَا، فَبَرِأَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِوَجَعِ الضِّرْسِ

عَنْ نُوحِ بْنِ ذَكْوَانَ، (اشْتَكَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَ الضِّرْسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْكُنِي أَيَّتُهَا الرِّيحُ، اسْكُنِي بِاللَّهِ، الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، مَعَ زَيْدٍ وَجَعْفَرٍ إِلَى مُؤْتَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَشْتَكِي ضِرْسِي، آذَانِي وَاشْتَدَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَأَدْعُوَنَّ لَكَ بِدَعْوَةٍ، لَا يَدْعُو بِهَا مُؤْمِنٌ مَكْرُوبٌ، إِلَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدَهُ عَلَى الْخَدِّ، الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ، وَقَالَ: اللهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَهُ، بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ، الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَشَفَاهُ اللَّهُ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرْفُوعًا: (مَنِ اشْتَكَى ضِرْسَهُ، فَلْيَضَعْ أُصْبُعَهُ عَلَيْهِ، وَلْيَقْرَأْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ). وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِغَيْرِ عَدَدٍ.

وَعَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: (مَنْ قَالَ عِنْدَ كُلِّ عَطْسَةٍ يَسْمَعُهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَمْ يُصِبْهُ وَجَعُ ضِرْسٍ، وَلَا أُذُنٍ، أَبَدًا).

فَصْلٌ: مَا يُقْرَأُ لِلْمَلْدُوغِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ، فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ، حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ. قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ الَّذِي يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ. ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَجَعَلَ يَقْرَأُ: أُمَّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ، وَيَتْفُلُ، فَبَرَأَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً). قَوْلُهُ (قَلَبَةٌ): بِفَتْحِ الْقَافِ وَاللَّامِ الْمُوَحَّدَةِ، أَيْ الْوَجَعُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، قَالَ: (لَدَغَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَقْرَبٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ، لَا يَدَعُ مُصَلِّيًا، وَلَا غَيْرَهُ،

ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَجعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيقْرَأُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾). وَفِي أُخْرَى: (لَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ إِلَّا لَدَغَتْهُمْ).

وَعَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُقْيَةُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، فَقَالَ: اعْرِضْهَا عليَّ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ، شَجَّةٌ قَرْنِيَّةٌ مُلْحَةُ بَحْرِ قَفْطَا. فَقَالَ: هَذِهِ مَوَاثِيقُ، أَخَذَهَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، لَا أَرَى بِهَا بَأْسًا. فَلُدِغَ رَجُلٌ، وَهُوَ مَعَ عَلْقَمَةَ فَرَقَاهُ بِهَا، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: (عَرَضْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، رُقْيَةَ الْحَيَّةِ، فَأَذِنَ لَنَا فِيهَا، وَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ مِنْ مَوَاثِيقَ، وَالرُّقْيَةُ بِسْمِ اللَّهِ، وَذَكَرَهَا). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ).

وَتَقَدَّمَ فِي أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، مَا يُحْفَظُ مِنَ الْعَقَارِبِ وَغَيْرِهَا، وَفِي كِتَابِ [التَّوَكُّلِ] لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: (كَتَبَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةَ، إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يَشْكُو إِلَيْهِ الْهَوَامَّ وَالْعَقَارِبَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: وَمَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِذَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ، أَنْ يَقُولَ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عَلَى الْبَثْرَةِ وَالْقُرْحَةِ وَالْجُرْحِ وَالْعُذْرَة

عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ خَرَجَ فِي أُصْبُعِي بَثْرَةٌ، فَقَالَ: عِنْدَكِ ذَرِيرَةٌ؟، فَوَضَعَهَا عَلَيْهَا، وَقَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ مُصَغِّرَ الْكَبِيرِ، وَمُكَبِّرَ الصَّغِيرِ، صَغِّرْ مَا بِي، فَطُفِئَتْ).

وَ(الْبَثْرَةُ): بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ، وَبِسُكُونِهَا أَيْضًا: مَمْلُوءٌ أُنْبُوبُهُ، مَحْشُوَّةٌ بِشَيْءٍ أَبْيَضٍ، مِثْلَ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، وَمَسْحُوقُهُ عِطْرٌ، يَمِيلُ إِلَى الصُّفْرَةِ وَالْبَيَاضِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قُرْحَةٌ أَوْ جُرْحٍ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا. وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، سَبَّابَةَ الرَّاوِي بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا، وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (تُرْبَةُ أَرْضِنَا، وَرِيقَةُ بَعْضِنَا). قَالُوا مَعْنَى (بِرِيقَةِ بَعْضِنَا): أَي بِبُصَاقِهِ.

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَا كَانَتْ تَخْرُجُ لَهُ قَرْحَةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا لَطَّخَ الْمَوْضِعَ بِالْعَسَلِ، وَيَقْرَأُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]).

عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: (اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعُذْرَةَ، حَتَّى ضَمَّدَ صُدْغَيْهِ. وَرُئِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَرْقِيَكَ، قَالَ: فَخُذْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ: فَحَلَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، رَأْسَهُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ عَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ أَرْقِيكَ. قَالَ: فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَبَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَ(الْعُذْرَةُ): دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْحَلْقِ أَوْ وَجَع الْحَلْقِ.

فَصْلٌ: فِي الدُّعَاءِ لِلْعَمَى وَالرَّمَدِ

رَوَى النَّسَائِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، (أَنَّ أَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ، أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ، أَنْ تَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي. اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ، فَرَجَعَ، وَقَدْ كَشَفَ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ).

وَيَنْبَغِي الصَّبْرُ، لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الأَجْرِ، (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ، - يُرِيدُ عَيْنَيْهِ -، ثُمَّ صَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ).

(وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَيْهِ، وَهُوَ بِهِمَا ضَنِينٌ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ، إِذَا حَمِدَنِي عَلَيْهِمَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَزِيزٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يَأْخُذَ كَرِيمَتَيْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ، ثُمَّ يُدْخِلَهُ النَّارَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَصَابَهُ رَمَدٌ، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ، دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِبَصَرِي، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي، وَأَرِنِي فِي الْعَدُوِّ ثَأْرِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي).

وَقَالَ الْفَكْهَانِيُّ فِي [خُلَاصَةِ التَّحْصِينِ]: (التَّحْصِينُ مِنَ الْعَمَى وَالرَّمَدِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ سَمَاعِ الْمُؤَذِّنِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَبِيبِي وَقُرَّةِ عَيْنِي،

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُقَبِّلُ إِبْهَامَيْ نَفْسه، ثُمَّ يُمِرُّ بِهِمَا عَلَى عَيْنَيْهِ). عَلَى مَا فِي [مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ]، لِلْحَافِظ الرَّدَّاد بِسَنَدِهِ.

فَصْلٌ: مَا يُعَوَّذُ بِهِ الصِّبْيَانُ وَغَيْرُهُمْ

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ). (الْهَامَّةُ): بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، كُلُّ ذَاتِ سُمٍّ، كَالْحَيَّةِ وَنَحْوِهَا، وَ(اللَّامَّةُ): الْمُصِيبَةُ بِسُوءٍ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، لَا يَقْرَأُهُمَا عَبْدٌ فِي دَارٍ، فَتُصِيبَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، عَينُ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَافَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَلَا تَضُرُّهُ).

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ طُرُقٍ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْعَيْنُ حَقٌّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ، سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا). وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى تَمَام ذَلِكَ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ خَوْفِ السُّلْطَانِ

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ، بِرِجَالِ الصَّحِيحِ، مَرْفُوعًا: (إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، -يَعْنِي الَّذِي يُرِيدُ-، وَشَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ).

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيبًا، تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْكَ، فَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكُ لِلسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِهِ فُلَانٍ، وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، اللهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْمَرَضِ

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا وَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ. يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ، فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا ثَقُلَ، كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا).

وَفِي أُخْرَى: (كَانَ إِذَا اشْتَكَى، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ). قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ، أَحَدُ رُوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ: (كَيْفَ يَنْفُثُ فَقَالَ: كَانَ يَنْفُثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَيْضًا، كَانَتْ تَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ أَوْ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جَاءَنِي بِهَا جِبْرَائِيلُ؟، تَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، تَرَقَّى بِهَا ثَلَاثَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا). وَالْمُرَادُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى سَبَّابَتَيْهِ، ثُمّ يَضَعُهُمَا عَلَى التُّرَابِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا الْعَلِيلِ، قَائِلاً ذَلِكَ.

وَعَنْهَا أَيْضًا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا، أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا). وَفِي أُخْرَى: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْقِي إِذَا رَقَى فَيَقُولُ: امْسَحِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ).

قَالَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ قَالَ لِثَابِتٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَأْسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضَعْ يَدَكَ، عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثَلَاثاً، وَقُلْ سَبْعَ

مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ). وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا).

وَفِي أُخْرَى: (قَالَ: فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي مِنْ أَلَمٍ، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ أَلَمًا، فَلْيَضَعْ يَدَهُ حَيْثُ يَجِدُ أَلَمَهُ، ثُمَّ لِيَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اشْتَكَيْتَ، فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنْتُ شَاكِيًا، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ، فَأَرِحْنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَارْفَعْنِي، وَإِنْ كَانَ بَلَاءً فَصَبِّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ قُلْتَ؟، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَافِهِ، أَوِ اشْفِهِ، فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي بَعْدُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِلَى جِنَازَةٍ).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَرِضْتُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي، فَعَوَّذَنِي يَوْمًا، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أُعِيذُكَ بِاللَّهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ. فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا عُثْمَانُ، تَعَوَّذْ بِهَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَرَدَّدَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ: تَعَوَّذْ بِهَا يَا عُثْمَانُ، فَمَا تَعَوَّذْتُمْ بِخَيْرٍ مِنْهَا).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدُهُ فِي يَدِي، -أَوْ يَدِي فِي يَدِهِ -، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ رَثِّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: أَيْ فُلَانُ، مَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟، قَالَ: السَّقَمُ وَالضُّرُّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، تُذْهِبُ عَنْكَ الضُّرَّ وَالسَّقَمَ؟، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا تُعَلِّمُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: قُلْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، قَالَ: فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ حَسُنَتْ حَالُهُ، فَقَالَ: مَهْيَمْ؟، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَزَلْ أَقُولُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مَرِيضٍ يَقُولُ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، الرَّحْمَنِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، مُسَكِّنَ الْعُرُوقِ الضَّارِيَةِ، وَمُنِيمَ الْعُيُونِ السَّاهِرَةِ، إِلَّا شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَشْفُوا بِمَا حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ، قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ خَلْقُهُ، وَبِمَا مَدَحَ بِهِ نَفْسَهُ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَمَنْ لَمْ يُشْفِهِ الْقُرْآنُ، فَلَا شَفَاهُ اللَّهُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِمَنْ بِهِ حُمَّى

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْحُمَّى، وَمِنَ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا، أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، مِنْ شَرِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَخَلْتُ أَنَا وَأَبَا بَكْرٍ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِه حُمَّى شَدِيدَةٌ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَلَمْ يُرُدَّ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَأَيْنَا مَا بِهِ، خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَا مَشَيْنَا إِلَّا قَرِيبًا، حَتَّى أَدْرَكْنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: إِنَّكُمَا دَخَلْتُمَا عَلَيَّ، فَلَمَّا خَرَجْتُمَا مِنْ عِنْدِي، نَزَلَ عليَّ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ: مَا بِهِ؟، قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: حُمَّى شَدِيدَةٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ: عَوِّذْهُ. قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ حَاسِدَةٍ، وَطَرْفَةِ عَيْنٍ،

وَاللَّهُ يَشْفِيكَ، خُذْهَا فَلْتُهْنِكَ. قَالَ: فَمَا نَفَثَ وَلَا نَفَخَ فَكُشِفَ مَا بِي، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكُمَا لِأُخْبِرَكُمَا).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، خَرَجَ وَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ، فَإِذَا هِيَ نَائِمَةٌ مُضْطَجِعَةٌ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، مَا يُنِيمُكِ هَذِهِ السَّاعَةَ؟، قَالَتْ: مَا زِلْتُ مُنْذُ الْبَارِحَةِ مَحْمُومَةً، قَالَ: فَأَيْنَ الدُّعَاءُ الَّذِي عَلَّمْتُكِ؟. قَالَتْ: نَسِيتُهُ، قَالَ: قَوْلِي: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهِ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (دَخَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى عَائِشَةَ، وَهِيَ مَوْعُوكَةٌ، فَقَالَ: مَالِي أَرَاكِ هَكَذَا، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ، هَذِهِ الْحُمَّى، وَسَبَّتْهَا، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، لَا تَسُبِّيهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ كَلِمَاتٍ، إِذَا قُلْتِهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكِ، قَالَتْ: كَرَامَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ ارْحَمْ جِلْدِيَ الرَّقِيقَ، مِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ، يَا أُمَّ مِلْدَمٍ، إِنْ كُنْتِ آمَنْتِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَلَا تَصْدَعِي الرَّأْسَ، وَلَا تُنْتِنِي الْفَمَ، وَلَا تَأْكُلِي اللَّحْمَ، وَلَا تَشْرَبِي الدَّمَ، وَتَحَوَّلِي مِنِّي إِلَى مَنِ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ. قَالَتْ: فَقُلْتُهَا فَذَهَبَ عَنِّي).

وَفِي لَفْظِ [الْفِرْدَوْسِ]: (اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَظْمِي الدَّقِيقَ، وَجِلْدِي الرَّقِيقَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَوْرَةِ الْحَرِيقِ، يَا أُمَّ مِلْدَمٍ، إِنْ كُنْتِ آمَنْتِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا تَأْكُلِي اللَّحْمَ، وَلَا تَشْرَبِي الدَّمَ، وَلَا تَفُورِي عَلَى الْفَمِ، وَانْتَقِلِي إِلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). وَيُرْوَى: (وَلَا تُقَوِّرِي عَلَى الْفَمِ).

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوزِيِّ، قَالَ: (بَلَغَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي حُمِمْتُ، فَكَتَبَ لِي مِنَ الْحُمَّى، فِي رُقْعَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. اللَّهُمَّ اشْفِ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ، بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ، إِلَهَ الْحَقِّ، آمِين). وَفِي لَفْظٍ: (إِنَّكَ الْحَقُّ الْمُبِين). وَيَنْبَغِي الدُّعَاءُ بِدُعَاءِ الْكَرْبِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ، قَالَ: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَن رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَقَالَ: كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ).

وَعَنْ سَلْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا مَرِيضٌ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، شَفَى اللَّهُ سَقَمَكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَعَافَاكَ فِي دِيْنِكَ وَجِسْمِكَ، إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِكَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، -أَوْ قَالَ: عَلَى يَدِهِ-، فَيَسْأَلَهُ، كَيْفَ هُوَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مِنْ تَمَامِ الْعِيَادَةِ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى الْمَرِيضِ، وَتَقُولُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ، أَوْ كَيْفَ أَمْسَيْتَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يُطَيِّبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَخَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهِي شَيْئًا؟، هَلْ تَشْتَهِي كَعْكًا؟، فَقَالَ: نَعَمْ، فَطَلَبَهُ لَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَطْعَمَ مَرِيضًا شَهْوَتَهُ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ). وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ، فَمُرْهُ فَلْيَدْعُ لَكَ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُودُوا الْمَرْضَى، وَمُرُوهُمْ فَلْيَدْعُوا لَكُمْ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَرِيضِ مُسْتَجَابَةٌ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا تُرَدُّ دَعْوَةُ الْمَرِيضِ، حَتَّى يَبْرَأَ).

وَيَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ إِذَا رَأَى لِلْمَرِيضِ خَوْفًا، أَنْ يُحَسِّنَ لَهُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَأَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ بِمَحَاسِنِ أَفْعَالِهِ، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ، أَنْ يُلَقِّنُوا الْمَرِيضَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ لِذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ طُعِنَ، وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعهُ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقَكَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ، فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقَكَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ

الْمُسْلِمِينَ، فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَفَارَقْتَهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ. فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ، جَلَّ ذِكْرُهُ، مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي، فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الأَرْضِ ذَهَبًا، لافْتَدَيْتُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ. وَقَالَ عُمَرُ: ذَلِكَ مُنْذُ مَنِّ اللَّهِ).

(وَاسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَائِشَةَ، قَبْلَ مَوْتِهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ، قَالَ: أَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنْ السَّمَاءِ).

وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، (أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، اشْتَكَتْ، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، تَقْدَمِينَ عَلَى فَرَطِ صِدْقٍ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ).

عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: (حَضَرْتُ عَمْرو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ، يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَذَا؟، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَذَا؟، قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ

اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي، أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟، قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟، قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟، فَإِذَا أَنَا مُتُّ، فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي، قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي).

(لَمَّا احْتُضِرَ الْحَسَنُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَزِعَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: مَا هَذَا تُرَدُّ عَلَى الْمُصْطَفَى وَعَلِيٍّ، وَهُمَا أَبَوَاكَ، وَخَدِيجَة وَفَاطِمَة، وَهُمَا أُمَّاكَ). الْخَبَر.

وَيُسْتَحَبُّ الْقِرَاءَةُ وَالتَّكْبِيرُ عِنْدَهُ. فَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَاقْرَؤُوا، وَكَبِّرُوا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ). وَفَسَّرُوا الْقِرَاءَةَ بِسُورَةِ يس.

وَيَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ أَيْضًا، أَنْ يُومِئَ لِأَهْلِ الْمَرِيضِ، وَكُلّ مَنْ قَرُبَ وَفَاتُهُ، بِخِدْمَتِهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَالِاحْتِمَال لِأَمْرِهِ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِالْإِيصَاءِ، بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ، مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، فَأْتِنِي، فَفَعَلَ. فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشُدَّتْ أَوْ شُكَّتْ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ: رَجَمْتَهَا ثُمَّ تُصَلِّي عَلَيْهَا؟، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا سَبْعُونَ مُذْنِبًا لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُوا مَرْضَاكُمْ أَنْ يُوصُوا).

وَيَنْبَغِي وَعْظُ الْمَرِيض، بَعْدَ عَافِيَتِهِ، وَتَذْكِيرِهِ بِالْوَفَاءِ، بِمَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، مِنْ تَوْبَةٍ وَغَيْرِهَا.

وَعَنْ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَرِضْتُ، فَعَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: صَحَّ جِسْمُكَ يَا خَوَّاتُ، قُلْتُ: وَجِسْمُكَ يَا رَسُول اللَّهِ، قَالَ: أَوْفِ اللَّهَ بِمَا وَعَدْتَهُ، قَالَ: مَا وَعَدْتُ اللَّهَ شَيْئًا، قَالَ: بَلَى، إِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَمْرَضُ، إِلَّا أَحْدَثَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا، فَفِ اللَّهَ بِمَا وَعَدْتَهُ).

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]).

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَيَنْبَغِي السُّؤَالُ عَنِ الْمَرِيضِ، وَالْجَوَابُ بِالتَّحْمِيدِ.

رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا).

فَصْلٌ: فِيمَا يَقُولُهُ إِذَا رَأَى مُبْتَلًى بِمَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ

(قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إذا رَأَى أَحَدُكُمْ مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ، وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلاً، كَانَ شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ بِأَخِيهِ بَلاءً، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَلَا يُسْمِعْهُ ذَلِكَ). وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ سِرًّا، لِئَلَّا يَتَأَلَّمَ بِذَلِكَ الْمُبْتَلَى، إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَلِيَّتُهُ مَعْصِيَةً، وَلَمْ يَخَفْ مَفْسَدَةً، فَلَا بَأْسَ بِإِسْمَاعِهِ.

فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي كَثِيرٍ إِلاَّ قَلَّلَهُ، وَلَا فِي قَليلٍ إِلاَّ أَجْزَلَهُ).

وَفِي أُخْرَى: (أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ، فِي ضِيقٍ إِلاّ وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرُهُ فِي سَعَةٍ إِلاّ ضَيِّقَهُ عَلَيْهِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ، فَإِنّهُ يُمَحِّصُ الذُّنوبَ، ويُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الْغِنَى هَدَمَهُ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الفقْرِ، أَرْضَاكُمْ بِعَيْشِكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ، يُسَلِّيك عَمَّا سِوَاهُ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟، قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟، قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ).

(وَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ أَحَدٌ؟، قَالَ: نَعَمْ، مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، عِشْرِينَ مَرَّةً). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: كَفَى بِالْمَوْتِ مُزَهِّدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرَغِّبًا فِي الْآخِرَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا).

عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، (مَرَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَجْلِسٍ قَدْ اسْتَعْلَاهُ الضَّحِكُ، فَقَالَ: شُوبُوا مَجْلِسَكُمْ بِذِكْرِ مُكَدِّرِ اللَّذَّاتِ). وَقَالَ السُّدِّيُّ،

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: (أَيْ أَكْثَرُكُم لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُ اسْتِعْدَادًا، وَمِنْهُ أَشَدُّ خَوْفًا وَحَذَرًا).

فَإِذَا ظَهَرَ فَضْلُ كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، فَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنْ ذَلِكَ، صِحَّةً وَسَقَمًا.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلًا... إلخ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَمَنَّوَا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُ الْعَبْدِ، حَتَّى يَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ).

وَعَنْ عُلَيْمٍ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي عَبْسٍ الْغِفَارِيِّ، عَلَى سَطْحٍ، فَرَأَى نَاسًا، يَتَحَمَّلُونَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَقَالَ: يَا طَاعُونُ خُذْنِي إِلَيْكَ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا.

فَقَالَ عُلَيْمٌ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، فَإِنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يُرَدُّ فَيَسْتَعْتِبَهُ).

فَقَالَ أَبُو عِيسَى: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا).

وَجَمَعَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، بِأَنَّهُ تَمَنِّي الْمَوْت لِضُرٍّ وَنَحْوِهِ كُرِهَ، وَإِنَّ الْخَوْفَ عَلَى دِينٍ فَلَا.

رُوِيَ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ إِلَّا ثَلَاثٌ: رَجُلٌ جَاهِلٌ بِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، أَوْ رَجُلٌ يَفِرُّ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ رَجُلٌ مُشْتَاقٌ مُحِبٌّ لِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى).

وَكُلُّ الثَّلَاثَة مِنَ الْحَدِيثِ، فَالْأَوَّلَانِ تَقَدَّمَا فِي الْأَحَادِيثِ، وَالْأَخِيرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ممَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِي، وَصَدَّقَنِي، وَعَلِمَ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَقْلِلْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ، وَعَجِّلْ لَهُ الْقَضَاءَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي وَلَمْ يُصَدِّقْنِي، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَطِلْ عُمْرَهُ).

وَرُوِيَ (أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جاءَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلاً، يَقْبِضُ رُوحَ خَلِيلِهِ؟، فَعَرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلاً، يَكْرَهُ لِقَاءَ خَلِيلِهِ؟، فَرَجَعَ، فَقَالَ: اقْبِضْ رُوحِي السَّاعَةَ).

وَمِنْ هُنَا غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحِبِّينَ طَلَبُهُ، حَتَّى قَالَ حَيَّانَ بْنِ الأَسْوَدِ: (الْمَوْتُ جِسْرٌ، يُوَصِّلُ الْحَبِيبَ إِلَى الْحَبِيبِ).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْنِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ تَمَنِّيَهُ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ، وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ. فَقَدْ قَالَ يُوسُفُ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. وَقَالَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ). (وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا أَنَا مُتُّ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَمُوتَ فَمُتْ).

وَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللَّهُمَّ ضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَكَبُرَتْ سِنِّي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُقَصِّرٍ. فَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ الشَّهْرَ، حَتَّى قُبِضَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى).

وَيَنْبَغِي طَلَبُ الْمَوْتِ، فِي الْمَكَانِ الشَّرِيفِ، فَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]: (أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَأَلَ رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ...).

عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: (قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: أَنَّى يَكُونُ هَذَا؟، قَالَ: يَأْتِينِي اللَّهُ بِهِ إِذَا شَاءَ).

وَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْوَارِدَاتِ، وَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَحْدِي، لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ، ثُمَّ مَاتَ، لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ، لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَكُفِّهَا، حَتَّى تُجِيزَهُ مِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ).

وَفِي الْحَدِيثِ: (يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ، فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ سَبِيلٌ، إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ -أَوْ قَالَ: بَطْنِهِ-، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ، كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: فَهِيَ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

وَفِي أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: (فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ وَالْمُجَادِلَةُ، وَتُخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئِهَا، وَتَطْلُبُ لَهُ إِلَى رَبِّهَا، أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ النَّارِ، إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِهِ، وَيُنَجِّي اللَّهُ بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، كُلَّ لَيْلَةٍ، مَنَعَهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ الشُّهَدَاءُ إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي الْمَوْتِ، وَفِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ، أَرْبَعِينَ مَرَّةً، فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرَأَ بَرَأَ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ).

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى، بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ مِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ، بِصَوْتٍ رَقِيقٍ، وَيَقْرَأَهَا لَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الرَّجَاءِ، وَحِكَايَاتُ الصَّالِحِينَ، وَأَخْبَارُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَإِنْ يَزْدَادَ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَيُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَاجْتِنَابِ النَّجَاسَاتِ، وَلْيَكُنْ الصَّبْرُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ شِيمَتَهُ، وَلَا يَضُرُّ قَوْلُهُ: (أَنَا شَدِيدُ الْوَجَعِ، أَوْ وَا رَأْسَاهْ)، وَنَحْوُ ذَلِكَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ الضَّجَرِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُو يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: أَجَلْ، كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعُودُنِي، مِنْ وَجعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟، قَالَ: لَا، قُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنَّ تَذَرْهُمْ عَالَةٌ، يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَن تُنْفِقَ نَفَقَةً، تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ).

وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: (قَالَتْ عَائِشَةُ: وَا رَأْسَاهْ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرْ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ).

وَلْيَجْتَهِدْ فِي قَضَاءِ الْحُقُوقِ، وَاسْتِحْلَال الْخُصُومِ، وَأَهْلِهِ وَزَوْجِهِ وَوَالِدَيْهِ، وَأَوْلَادِهِ وَغِلْمَانِهِ وَجِيرَانِهِ. وَكُلِّ عَامِلٍ لَهُ فِي شَيْءٍ، كَان دِينًا أَوْ دُنْيَا.

وَيَنْبَغِي لَهُ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظُلْمِهِ، أَوْ أَذَاهُ، وَأَنْ يَقُولَ لِأَهْلِهِ، مَتَى رَأَيْتُمْ مِنِّي تَقْصِيرًا، نَبِّهُونِي بِرِفْقٍ، وَأَدُّوا النَّصِيحَةَ، فَإِنِّي مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ، وَالْكَسَلِ، فَنَشِّطُونِي وَعَاوِنُونِي، عَلَى أُهْبَةِ سَفَرِي، وَدُلُّونِي عَلَى الْخَيْرِ، وَأَرْشِدُونِي إِلَيْهِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِنَ الدُّنْيَا، فَيَجْتَهِدُ عَلَى خَتْمِ عُمُرِهِ بِخَيْرٍ.

فَصْلٌ: وَيَنْبَغِي أَنْ يُوصِي بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ، لِذِي بَصِيرَةٍ، وَيَأْمُرُهُمْ بِقَضَاءِ مِمَّا لَمْ يَتَمَكَّنْ قَضَاءَهُ، مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَرْكِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ لَهُمْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)، فَإِيَّاكُمْ يَا أَحْبَابِي، فِي السَّعْيِ فِي أَسْبَابِ عَذَابِي. وَيُوصِيهِمْ بِالرِّفْقِ بِأَطْفَالِهِ، وَعَبِيدِهِ وَإِمَائِهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ، وَيَقُولُ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ، أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ).

وَصَحَّ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ كَانَ يُكْرِمُ صُوَيْحِبَاتِ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَفَاتِهَا).

وَأَنْ يُوصِيهِمْ بِاجْتِنَابِ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي الْجَنَائِزِ، مِنَ الرِّيَا وَالتَّفَاخُرِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.

وَيُوصِيهِمْ بِأَنْ يَتَعَاهَدُوا بِالدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ، وَلَا يَنْسُوهُ لِطُولِ الْمُدَّةِ، وَيُوصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِكْثَارِ ذِكْرِهِ.

وَكَيْفِيَّةُ الْوَصِيَّةِ: كَمَا قَالَهَا الْحَنَفِيَّةُ، أَنْ يَجْمَعَ الْعَلِيلُ أَوْلَادَهُ وَأَحِبَّاءَهُ، فَيَحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ، وَشَرَائِطَ الْإِيمَانِ، كَمَا يَكْتُبُ فِي كِتَابِ الْوَصِيَّةِ.

ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي، فَيُوصِيهِمْ بِالْأَدْيَانِ، يَقُولُ لَهُمْ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، كَمَا أَوْصَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَيَعْقُوبُ، بَنِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ.

ثُمَّ يُوصِي بِمَا يُرِيدُهُ، وَلَا يُوصِي بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ، إِذَا كَانَ وَرَثَتُهُ مُحْتَاجِينَ، وَإِلَّا فَيُسْتَحَبُّ بِجُزْءٍ مِنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

(وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسَعْدٍ: إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ).

وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي مِقْدَارِ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: (الْقَلِيلُ أَنْ يُصِيبَ أَقَلُّ الْوَرَثَةِ خَمْسُونَ دِرْهَمًا). وَعَنْ أَحْمَدَ: (إِذَا تَرَكَ دُونَ الْأَلْفِ، لَا تُسْتَحَبُّ لَهُ الْوَصِيَّةُ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يُحسِنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، بِأَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيَغْفِرَ لَهُ وَيُثِيبَهُ. وَيَعْدِلُ فِيهَا، وَلَا يَحْتَاجُ بِإِدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْوَرَثَةِ، وَلَا لِغَيْرِهِمْ.

فَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ، سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ، سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ).

فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَيَسْتَحْضِرُ أَنَّهُ حَقِيرٌ فِي مُلْكِهِ، وَإِنَّ ذُنُوبَهُ كَلَا شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِمَغْفِرَتِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ

يَعْفُوَ عَنْهُ، وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ لَا يُؤَاخِذُهُ، وَأَنَّهُ عَبْدَهُ، وَلَا يَطْلُبُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ، وَكُلُّ هَذَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ وَالْآثَارُ، وَإِنَّمَا حَذَفْتُ ذَلِكَ لِلِاخْتِصَارِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ الْإِعَانَةَ عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِالْمَوْتِ، وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، أَوْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، أَوْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا أَيْضًا: (كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ-، جَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ).

وَعَنْهَا أَيْضًا، قَالَتْ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى).

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ: (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ مَرَض الْمَوْتِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ، مِنْ بَيْنِ الْعَصَبِ وَالْقَصَبِ وَالْأَنَامِلِ. اللَّهُمَّ فَأَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ، وَهَوِّنْهُ عَلَيَّ).

وَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خُصُوصًا قَرِيب النَّزْعِ، وَحَالَة لِتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ. فَقَد (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ).

وَلِذَلِكَ سُنَّ التَّلْقِينُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقِّنُوا أَمْوَاتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَيس مُسْلِم يَقُولُهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، إِلَّا أَنْجَتْهُ مِنَ النَّارِ).

وَفِي أُخْرَى: (لَقِّنُوا أَمْوَاتَكُمْ شَهَادَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ قَالَهَا فِي صِحَّتِهِ؟، قَالَ: تِلْكَ أَوْجَبُ وَأَوْجَبُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا احْتُضِرَ الْمَيِّتُ، فَلَقِّنُوهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ، يُخْتَمُ لَهُ بِهَا عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلَّا كَانَتْ زَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ).

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احْضَرُوا مَوْتَاكُمْ، وَلَقِّنُوهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبَشِّرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْحَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، يَتَحَيَّرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنِ ابْنِ آدَمَ، عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لَمُعَايَنَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ، أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لَا تَخْرُجُ نَفْسُ عَبْدٍ مِنَ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْلَمَ كُلُّ عِرْقٍ مِنْهُ عَلَى حِيَالِهِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، يَرْفَعُهُ: (لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ لِلْأَحْيَاءِ، قَالَ: أَجْوَدُ، وَأَجْوَدُ).

وَالتَّلْقِينُ سُنَّةٌ عِنْدَ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يُتْرَكُ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، مَا ثَبَتَ عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ إِنْكَارِ ذَلِكَ، عَلَى مَنْ فَعَلَهُ مَعَهُ، أَوْ فِي بَلْدَةٍ لِغِلْمَانِهِ، ذَلِكَ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، وَذَلِكَ لِأَمْرٍ خَفِيٍ، وَعِنْدَ أَرْبَابِهِ جَلِيّ، وَإِلَّا فَهُمْ أَجَلُّ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُحِبَّ سُنَّتَهُ.

وَصِفَتُهُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ: أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَرَّة مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ بِهَا، وَلَا إِلْحَاحٍ، إِلَّا إِذَا تَكَلَّمَ بَعْدَهُ، فَيُعِيدهُ ثَانِيًا.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يُلَقَّنُ الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُلَقَّنُهُمَا قَطْعًا، مَعَ لَفْظِ: أَشْهَدُ، كَمَا وَرَدَ فِي حَقِّ الْيَهُودِيّ، الَّذِي كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا وَالشَّافِعِيَّةُ: وَإِذَا ظَهَرَ مَا يُوجِبُ الْكُفْرَ، لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ، وَيُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ، حَمْلاً عَلَى أَنَّهُ زَالَ عَقْلُهُ. وَلِذَا اخْتَلَفَ الْمَشَايِخُ فِي أَنَّهُ هَلْ يَزُولُ عَقْلُهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، لِشِدَّةِ الْخَوْفِ أَمْ لَا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ لَهُ، عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِتَابَةِ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، مُسْتَشْفِعًا بِمُحَمَّدٍ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَشْمَلَ التَّلْقِينَ بِلُطْفٍ).

وَقَالَ عُلَمَاءُ الشَّافِعِيَّةِ: يَنْبَغِي أَنْ يُلَقِّنَهُ غَيْر الْوَارِثِ وَالْعَدُوّ، لِئَلَّا يَتَّهِمَهُ. وَيُسْتَحَبُّ لِأَقْرِبَاءِ الْمُحْتَضِرِ وَجِيرَانِه، الدُّخُول عَلَيْهِ لِإِينَاسِهِ، وَتَجْرِيعِهِ الْمَاء، وَتَحْسِينِ الظَّنّ بِرَبِّه، لِخَبَرِ مُسْلِمٍ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ، إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ).

وَيَقْرَءُونَ عِنْدَهُ سُورَة يس، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا يس عَلَى مَوْتَاكُمْ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ. وَرُوِيَ (أَكْثِرُوا عِنْدَ مَوْتَاكُمْ قِرَاءَة يس).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيس قَلْبُ الْقُرْآنِ، لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ، وَاقْرَءُوهَا عَلَى مُوْتَاكُمْ). وَقَالُوا: الْمُرَادُ بِهِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ.

وَفِي خَبَرٍ غَرِيبٍ: (مَا مِنْ مَرِيضٍ يُقْرَأُ عِنْدَهُ سُورَة يس، إِلَّا مَاتَ رَيَّانًا، وَأُدْخِلَ قَبْرَهُ رَيَّانًا، وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَيَّانًا).

وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ قِرَاءَتِهَا، فَقِيلَ: وَقْتُ الِاحْتِضَارِ. وَقِيلَ: بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهُوَ مُسَجًّى. وَقِيلَ: عِنْدَ الْقَبْرِ، وَلَا بَأْس بِهَا فِي كُلِّ ذَلِكَ.

وَاسْتَحْسَنَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ قِرَاءَةُ سُورَة الرَّعْدِ، لِقَوْلِ جَابِرٍ: (فَإِنَّهَا تُهَوِّنُ عَلَيْهِ خُرُوجَ رُوحِهِ). وَعَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: (كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَضَرُوا، قَرَءُوا عِنْدَ الْمَيِّتِ سُورَةَ الْبَقْرَةِ).

وَأَسْتَحَبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: قِرَاءَةُ سُورَة الْفَاتِحَةِ، وَأَمَرَ بِقِرَاءَتِهَا أَحْمَد. وَمِنَ الْوَارِدِ الصَّحِيحِ الْمُجَرَّبِ، أَنَّ السِّوَاكَ حَالَ النَّزْعِ يُسَهِّلُهُ، وَيُهَوِّنُ خُرُوجَ الرُّوحِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ بَعْدَ تَغْمِيضِ الْمَيِّتِ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِي، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللهُمَّ افْسَحْ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ).

(شَقَّ بَصَرُهُ): بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، وَضَمِّ الرَّاءِ، ء بِاتِّفَاقِ الْحُفَّاظِ وَأَهْلِ الضَّبْطِ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ، وَمَعْنَاهُ: شَخَصَ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ، فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ؛ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ).

وَعَنْ أُمِّ الْحَسَنِ، قَالَتْ: (كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، فَجَاءَهَا إِنْسَانٌ، فَقَالَ: فُلَانٌ بِالْمَوْتِ، فَقَالَتْ لَهَا: انْطَلِقِي، فَإِذَا احْتُضِرَ، فَقُولِي: السَّلَامُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وَعَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّابِعِيِّ، قَالَ: (إِذَا غَمَّضْتَ الْمَيِّتَ، فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَبِّحْ). وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِك كَافَّةُ الْعُلَمَاءِ.

وَزَادَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: (اللَّهُمَّ يَسِّرْ عَلَيْهِ، وَسَهِّلْ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ، وَأَسْعِدْهُ بِلِقَائِكَ، وَاجْعَلْ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ، خَيْرًا مِمَّا خَرَجَ عَنْهُ).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَيِّتَ أَوِ الْمَرِيضَ، فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ. قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً. قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: (وَيُكْرَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ، حَتَّى يُغَسَّلَ).

فَصْلٌ: مَا يَقُولُهُ مَنْ مَاتَ لَهُ مَيِّتٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٦]. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُعْطِيَتْ أُمَّتِي شَيْئًا، لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ، قَوْلُهُمْ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَقُولُ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَعَنْهَا أَيْضًا، قَالَتْ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ، فَلْيَقُلْ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسِبُ مُصِيبَتِي، فَأْجُرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْنِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلْمَوْتِ فَزَعٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ وَفَاةَ أَخِيهِ، فَلْيَقُلْ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ فِي الْمُحْسِنِينَ، وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَاخْلُفْ فِي أَهْلِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَلَا تَحرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ).

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ، فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا، وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ).

وَفِي لَفْظٍ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ، وَلا مُسْلِمَةٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ، فَيَذْكُرُهَا وَإِنْ طَالَ عَهْدُهَا، فَيُحْدِثُ لِذَلِكَ اسْتِرْجَاعًا، إِلا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ مِثْلَ أَجْرِهَا يَوْمَ أُصِيبَ بِهَا).

وَإِذَا بَلَغَهُ مَوْتُ شَخْصٍ، قَالَ مَا جَاءَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا جَارِي يُؤْذِينِي. فَقَالَ: اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُ، وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ. قَالَ: فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَارِي ذَاكَ مَاتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَى بِالدَّهْرِ وَاعِظًا، وَالْمَوْتِ مُفَرِّقًا).

وَإِذَا بَلَغَهُ مَوْتُ عَدُوِّ الْإِيمَانِ: قَالَ فِيمَا آتَى فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ، الَّذِي نَصرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ دِينَهُ).

وَعَنِ الْحَسَنِ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ، (أَنَّهُ قَالَ، لَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ الْحَجَّاجِ، وَكَان مُتَوَارِيًّا عَنْهُ، سَبْعَ سِنِينَ: اللَّهُمَّ قَد أُمَتَّهُ، فَأَمِتْ سُنَّتَهُ. -وَفِي لَفْظٍ: فَاقْطَعْ عَنَّا سُنَّتَهُ-، وَسَجَدَ شُكْرًا للهِ. وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]).

فَصْلٌ: تَحْرِيمِ النِّيَاحَةِ عَلَى الْمَيِّتِ

وَيَحْرُمُ عَلَى الْمُصَابِ الْبُكَاءُ، بِرَفْعِ الصَّوْتِ جِدًّا، وَإِلَّا فَيُكْرَهُ، وَإِنْ لَا فَلَا، وَالنِّيَاحَةُ وَشَقُّ الْجُيُوبِ، وَحَلْقُ الشَّعْرِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالدُّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ). وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ). (الصَّالِقَةُ): الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالنِّيَاحَةِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ).

وَرُوِيَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (النَّائِحَةُ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ مُسْتَمِعِيهَا، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ).

(وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ).

وَ(النِّيَاحَةُ): هِيَ رَفْعُ الصَّوْتِ، بِتَعْدِيدِ مَحَاسِنِ الْمَيِّتِ، وَقِيلَ: الْبُكَاءُ. وَمَعَ ذَلِكَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ، إِلَّا لِتَرْثِيَّةٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ وَنَحْوِهِمَا، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَأَمَّا الْبُكَاءُ مِنْ غَيْرِ تَعْدِيدٍ، وَلَا رَفْعِ صَوْتٍ شَدِيدٍ، فَلَا يَحْرُمُ.

فَقَدْ رَوَى أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُفِعَ إِلَيْهِ ابْنٌ لِابْنَتِهِ، وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟، فَقَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَكَوْا، فَقَالَ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، فِي أَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهَا، بَلْ هُوَ مُؤَوَّلٌ، وَاخْتُلِفَ فِي التَّأْوِيلِ، وَأَصَحُّ مَا قِيلَ أَنْ يَكُونَ الْمَيِّتُ مُتَسَبِّبًا فِي ذَلِكَ، بِأَنْ يُوصِيهِمْ بِالْبُكَاءِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا، فَقَالَ: رَحِمَكِ اللَّهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينِي، وتَعْرَيْنَ وتُكْسِينِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطَّعَامِ وتُطْعِمِينِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ).

فَصْلٌ: فِي التَّعْزِيَةِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَزَّى ثَكْلَى، كُسِيَ بُرْدًا فِي الْجَنَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: مَا جَزَاءُ مَنْ عَزَّى الثَّكْلَى؟، قَالَ: أَجْعَلُهُ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ، يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ، مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وَفِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِفَاطِمَةَ: مَا أَخْرَجَكِ يَا فَاطِمَةُ مِنْ بَيْتِكِ؟، قَالَتْ: أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا الْمَيِّتِ، فَتَرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ، وَعَزَّيْتُهُمْ).

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّعْزِيَةَ هِيَ: حَثُّ أَهْلِ الْمَيِّتِ عَلَى الصَّبْرِ، وَتَسْلِيَةٌ وَتَخْفِيفُ حُزْنُهُ، وَتَهْوِينُ مُصِيبَتِهُ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ عِنْدَ جُمْلَةِ الْعُلَمَاءِ، إِذْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

وَوَقْتُهَا مِنْ حِينِ يَمُوتَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَتُكْرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُعَزِّي وَالْمُعَزَّى غَائِبًا، وَأَفْضَلُ أَوْقَاتِهَا بَعْدَ الدَّفْنِ، إِذَا لَمْ يَتَكَدَّرْ أَهْلُ الْمَيِّتِ، وَإِنْ قَدَّمَهَا لَا يُكَرِّرُهَا.

وَتُسْتَحَبُّ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ اللَّاتِي لَمْ يُفْتَنْ، وَلِكُلِّ صَدِيقٍ لَهُ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَلَا بَأْسَ لِلْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ، مِنْ غَيْرِ ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ، مِنْ بَسْطِ الْفُرُشِ وَالْأَطْعِمَةِ، مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ، وَكَرِهَ الشَّافِعِيَّةُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا لَفْظُ التَّعْزِيَةِ فَلَا حَصْرَ فِيهِ، فَأَيّ لَفْظٍ عَزَّى بِه كَفَى، وَأَسْتَحَبَّ عُلَمَاؤُنَا وَالشَّافِعِيَّةُ، أَنْ يَقُولُوا فِي تَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِ بِالْمُسْلِمِ: (أَعْظَمَ اللّهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزاكَ، وَغفَرَ لِمَيِّتِكَ).

وَرُوِيَ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَزَّى رَجُلاً، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ وآجَرَكَ).

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ تَعْزِيَته، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَحَدِ بَنَاتِهِ، وَهِيَ مَا فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا، فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ، فَعَادَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قَالَ: فَقَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ). وَكَذَلِكَ قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَقَالَ فِي تَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ: (أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وأَحْسَنَ عَزاءَكَ).

وَالْكَافِر بِالْمُسْلِمِ: (أَحْسَنَ اللَّهُ عَزاكَ، وَغفَرَ لِمَيِّتِكَ).

وَالْكَافِر بِالْكَافِرِ: (أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ).

وَوَرَدَ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَذَاكَ لَكَ).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه مَاتَ ابْنٌ لَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَزِّيهِ بِابْنِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ، فَإِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهَلِينَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا، مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ تَعَالَى الْهَنِيئَةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، يُمَتِّعُ بِهَا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أَعْطَى، وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتَلَى، وَكَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهَنِيَّةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، مَتَّعَكَ اللَّهُ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَثِيرٍ، الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْهُدَى، إِنِ احْتَسَبْتَ فَاصْبِرْ، وَلَا يُحْبِطْ جَزَعُكَ أَجْرَكَ؛ فَتَنْدَمَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا وَلَا يَدْفَعُ حُزْنًا، وَمَا هُوَ نَازِلٌ فَكَانَ، وَالسَّلَامُ).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَزَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، يَسْمَعُونَ الْحِسَّ وَلَا يَرَوْنَ الشَّخْصَ، فَقَالَتِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، فَبِاللَّهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّمَا الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْدَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَبَكَوْا حَوْلَهُ وَاجْتَمَعُوا، فَدَخَلَ رَجُلٌ أَشْهَبُ اللِّحْيَةِ، جَسِيمٌ صَبِيحٌ، فَتَخَطَّى رِقَابَهُمْ، فَبَكَى، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَعِوَضًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، فَإِلَى اللَّهِ فَأَنِيبُوا، وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا، وَنَظَرُهُ إِلَيْكُمْ فِي الْبَلَاءِ، فَانْظُرُوا، فَإِنَّ الْمُصَابَ مَنْ لَمْ يَجْبُرْهُ. فَانْصَرَفَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْرِفُونَ الرَّجُلَ؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ: نَعَمْ، هَذَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَضِرُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ).

هَذَا، وَأَمَّا الْآثَارُ فِي ذَلِكَ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، فَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: (عَزَّى رَجُلٌ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: الْأَمْرُ الَّذِي نَزَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ، كُنَّا نَعْرِفُهُ، فَلَمَّا وَقَعَ لَمْ نُنْكِرْهُ).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، بِإِسْنَادِهِ، فِي [مَنَاقِبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ]، رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَلَغَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْن مَهْدِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مَاتَ لَهُ ابْنٌ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: يَا أَخِي عَزِّ نَفْسَكَ، بِمَا تُعَزَّى بِهِ غَيْرُكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ فِعْلِكَ، مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَضَّ الْمُصَابِ فَقْدُ سُرُورٍ وَحِرْمَانُ أَجْرٍ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا مَعَ اكْتِسَابِ وِزْرٍ؟، فَتَنَاوَلْ حَظَّكَ يَا أَخِي، إِذَا قَرُبَ مِنْكَ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَهُ، وَقَدْ نَأَى عَنْكَ، أَلْهَمَكَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ صَبْرًا، وَأَحْرَزَ لَنَا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أَجْرًا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ:

إِنِّي مُعَزِّيكَ لَا إِنِّي عَلَى ثِقَةٍ   مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ

فَـلَا الْمُعَـزَّى بِبَـاقٍ بَعْـدَ مَيِّتِـهِ   وَلَا الْمُعَزِّي وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِينِ

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ، يُعَزِّيهِ بِابْنِهِ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَلَدَ عَلَى وَالِدِهِ، مَا عَاشَ حُزْنٌ وَفِتْنَةٌ، فَإِذَا قَدَّمَهُ فَصَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ وَهِدَايَةٌ، فَلَا تَجْزَعْ عَلَى مَا فَاتَكَ، مِنْ حُزْنِهِ وَفِتْنَتِهِ، وَلَا تُضَيِّعْ مَا عَوَّضَكَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ صَلَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَهِدَايَتِهِ).

وَقَالَ مُوسَى بْنُ الْمَهْدِيِّ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَالِمٍ، وَعَزَّاهُ بِابْنِهِ: (أَسَرَّكَ وَهُوَ بَلِيَّةٌ وَفِتْنَةٌ، وَأَحْزَنَكَ وَهُوَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ).

وَعَزَّى رَجُلٌ رَجُلاً، فَقَالَ: (عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ، فَبِهِ يَأْخُذُ الْمُحْتَسِبُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْجَازِعُ). وَعَزَّى آخَرَ رَجُلاً، فَقَالَ: (إِنَّ مَنْ كَانَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَجْرًا، خَيْرٌ مِمَّنْ كَانَ لَكَ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا).

فَصْلٌ: فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَالاحْتِسَابِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى، حَاكِيًا عَنْ يَعْقُوبَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (اشْتَكَى ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ، أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، هَيَّأَتْ شَيْئًا، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟، قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا. قَالَ سُفْيَانُ، أحد رُوَاتِهِ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: (أَنَّهُ دَفَنَ ابْنًا لَهُ، ثُمَّ ضَحِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَضْحَكُ عِنْدَ الْقَبْرِ، قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أُرْغِمَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ).

(وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، كَشَفَ أَبُوهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، لَقَدْ سُرِرْتُ بِكَ، يَوْمِ بُشِّرْتُ بِكَ، وَلَقَدْ عُمِّرَتُ مَسْرُورًا بِكَ، وَمَا أَتَتْ عَلَيَّ سَاعَةٌ، أَنَا فِيهَا أَسَرُّ مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ، أَمَّا وَاللَّهِ، إِنْ كُنْتَ لَتَدْعُو أَبَاكَ إِلَى الْجَنَّةِ).

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ هَذَا، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، قَدْ كُنْتَ سَارًّا مَوْلُودًا، وَبَارًّا نَاشِئًا، وَمَا أُحِبُّ أَنِّي دَعَوْتُكَ فَأَجَبْتَنِي).

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ: (دَخَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى ابْنِهِ، فِي وَجَعِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: أَجِدُنِي فِي الْحَقِّ. قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ. قَالَ ابْنُهُ: وَأَنَا يَا أَبَهْ، لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ).

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، عَنْ عَمِّهِ، (أَنَّ إِخْوَةً ثَلَاثَةً، شَهِدُوا يَوْمَ تُسْتَرَ فَاسْتَشْهِدُوا، فَخَرَجَتْ أَمُّهُمْ يَوْمًا إِلَى السُّوقِ، لِبَعْضِ شَأْنِهَا، فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ حَضَرَ تُسْتَرَ، فَعَرَفَتْهُ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ أَمْرِ بَنِيهَا، فَقَالَ: اسْتَشْهَدُوا، فَقَالَتْ: مُقْبِلِينَ أَمْ

مُدْبِرِينَ؟، فَقَالَ: مُقْبِلِينَ، فَقَالَتْ: الْحَمْدُ للهِ، نَالُوا الْفَوْز، وَحاطُوا الذِّمَار، بِنَفْسِي هُمْ، وَأَبِي وَأُمِّي).

وَعَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَج، قَالَ: (رَأَيْتُ سَعِيد بْن جُبَيْرٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، يَقُولُ فِي ابْنِهِ، وَنظَرَ إِلَيْهِ: إِنِّي لَأَعْلَمُ خَيْرَ خَلَّةٍ فِيهِ، أَنْ يَمُوتَ فَأَحْتَسِبَهُ).

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: (مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ بِالْأَجْرِ وَالِاحْتِسَابِ، سَلَا كَمَا تَسْلُوا الْبَهَائِم). وَمَاتَ ابْنٌ لِلشَّافِعِيّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَنْشَدَ:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا هَكَذَا فَاصْطَبِرْ   لَهُ رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

وَقَالَ الْقَاضِي الْحُسَيْنُ: (والْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ، أَنْ يَكُونَ جَزَعهُ وَقَلَقهُ وَحُزْنهُ عَلَى فِرَاقِ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الدُّنْيَا، أَكْثَر مِنْ وَفَاةِ ابْنِهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا، أَنْ يَكُونَ أَحَبُّ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ).

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ الْعَرِيفِ:

إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَا   فَلَا تَجْزَعْ لَهَا جَزَعَ الصَّبِي

فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عَزَاءً   بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ فَقْدِ النَّبِيّ

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ).

وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَإِنَّ مَا ذَكَرْتُ مِنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ الْمَقْصِدِ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَكْمِلَةً لَهُ وَمُرْشِدًا.

فَصْلٌ: جَوَازِ إِعْلَامِ أَصْحَابِ الْمَيِّتِ وَقَرَابَتِهِ بِمَوْتِهِ

وَلَا بَأْسَ بِإِعْلَامِ النَّاسِ بِمَوْتِهِ، لِكَثْرَةِ الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ، فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعَى النَّجَاشِيَّ، وَنَعَى جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَعَى زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ).

وَفِيهَا أَيْضًا: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي مَيِّتٍ دَفَنُوهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ؟).

وَفِي [الْأَذْكَارِ]: (قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ، وَالْأَكْثَرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَغَيْرِهِمْ: يُسْتَحَبُّ إِعْلَامُ أَهْلِ الْمَيِّتِ، وَقَرَابَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ. ثُمَّ قَالُوا: وَالنَّعْيُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ هُوَ نَعْيُ الْجَاهِلِيَةِ، وَكَانَتْ عَادَتُهُمْ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ شَرِيفٌ، بَعَثُوا رَاكِبًا إِلَى الْقَبَائِلِ، يَقُولُ: نَعَايَا فُلَانٍ، أَوْ نَعَايَا الْعَرَبِ، أَيْ هَلَكَتِ الْعَرَبُ بِمَهْلِكِ فُلَانٍ، وَيَكُونُ مَعَ النَّعْيِ ضَجِيجٌ وَبُكَاءٌ).

قَالَ فِي [النِّهَايَةِ]: (فَإِنْ كَانَ عَالِمًا أَوْ زَاهِدًا، أَوْ مِمَّنْ يُتَبَرَّكُ بِهِ، وَقَدْ اسْتَحْسَنَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، النِّدَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ لِجِنَازَتِهِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ). اهـ.

وَلَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ التَّفْخِيمِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ حَالَ الْغُسْلِ وَالتَّكْفِينِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالدُّعَاءِ لَهُ حِينَئِذٍ. وَرُوِيَ: (يَا عَلِيُّ، اغْسِلِ الْمَوْتَى، فَإِنَّهُ مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، غُفِرَ لَهُ سَبْعُونَ مَغْفِرَةً، لَوْ قُسِّمَتْ مَغْفِرَةٌ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لَوَسِعَتْهُمْ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَقُولُ مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ: غُفْرَانَكَ يَا رَحْمَنُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْغُسْلِ). رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ فِي [كِتَابِ الْجَنَائِزِ].

وَقَالَ الْخُوَارِزْمِيُّ: سَمِعْتُ فِي [دَعَوَاتِ أَمَالِي الْوَبَرِيّ]، فِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: (وَقُلْ فِي غُسْلِ الْمَيِّتِ: عَفْوًا عَفْوًا، حَتَّى يَفْرُغَ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَبِيرَةً). وَفِي أُخْرَى: (طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، فَإِنْ كَفَّنَهُ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، فَأَدَّى فِيهِ الْأَمَانَةَ، وَلَمْ يُفْشِ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: (إِذَا رَأَى الْغَاسِلُ مِنَ الْمَيِّتِ مَا يُعْجِبُهُ، مِنِ اسْتِنَارَةِ وَجْهِهِ، وَطِيبِ رِيحِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، يُسْتَحَبُّ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَأَى مِنْهُ مَكْرُوهًا، كَسَوَادِ وَجْهِهِ، وَنَتْنٍ، وَتَحَوُّلِ صُورَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، حَرُمَ التَّحْدِيثُ بِهِ). وَقَالَ النَّوَوِيُّ: ثُمَّ إِنَّ جَمَاهِيرَ أَصْحَابِنَا، أَطْلَقُوا الْمَسْأَلَةَ كَمَا ذَكَرْتُهُ.

وَقَالَ أَبُو الْخَيْرِ الْيَمَنِيُّ، صَاحِبُ [الْبَيَانِ]: مِنْهُمْ: (لَوْ كَانَ الْمَيِّتُ مُبْتَدِعًا مُظْهِرًا لِلْبِدْعَةِ، وَرَأَى الْغَاسِلُ مِنْهُ مَا يَكْرَهُهُ، فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْقِيَاسُ، أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ فِي النَّاسِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ زَجْرًا لِلنَّاسِ عَنِ الْبِدْعَةِ. وَإِنْ رَأَى مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ، أَوْ مِمَّنْ يَتَجَاهَرُ بِالْفِسْقِ، يَنْبَغِي كِتْمَانُهُ، بَلْ يَجِبُ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِهِ أَمْثَالُه، إِلَّا لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ جِدًّا، فَلَا بَأْسَ بِذِكْرِ ذَلِكَ لَهُ، لِئَلَّا يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ).

فَصْلُ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْجِنَازَةِ

قَالَ بَكْرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا حَمَلْتَ السَّرِيرَ، فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ وَسَبِّحْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثِرُوا فِي الجَنَازَةِ، قَوْلَ: لَا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ). كَذَا فِي [الْفِرْدَوْسِ]، عَنْ أَنَسٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الصَّمْتُ فِي حَالِ حَمْلِ الْجِنَازَةِ، وَالسَّيْرِ مَعَهَا، فَيُكْرَهُ رَفْع الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، وَقِرَاءَة الْقُرْآنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى، فَلْيَذْكُرهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يُتَوَهَّمُ مِنْ فِعْلِهِ الْعَامَّة وَنَحْوهم.

فَيَنْبَغِي الاشْتِغَالُ بِالتَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَتَرْكِ اللَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَقْبَحِ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْوَقْتِ. (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اتَّبَعَ الْجِنَازَةَ أَكْثَرَ الصُّمَاتَ، وَأَكْثَرَ حَدِيث نَفْسِهِ).

وَكَانَ إِذَا شَهِدَ جِنَازَةً، رأيت عَلَيْهِ كَآبَةٌ، وَكَانَ إِذَا شَيَّعَ جِنَازَةً، عَلَا كَرْبهُ، وَأَقَلَّ الْكَلَامَ، وَأَكْثَرَ حَدِيث نَفْسِهِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ، وَهُوَ مَعَهَا: اسْتَغْفِرُوا لَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ).

وَفِي [السِّرَاجِيَّةِ]: وَقَوْلُهُمْ: (كُلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ)، وَنَحو ذَلِكَ، خَلْفَ الْجِنَازَةِ، بِدْعَةٌ. وَلَا بَأْسَ لِأَهْلِ الصِّدْقِ وَالْعَدَالَةِ، أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِخَيْرٍ، يُعَرِّفُونَهُ بِهِ، بَلْ يُسْتَحَبُّ ذَلِكَ.

فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (مُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ،

فَأُثْنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ. قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجِنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجِنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، أَوْ قَالَ: غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لِهَذَا وَجَبَتْ، وَلِهَذَا وَجَبَتْ؟، قَالَ: شَهَادَةُ الْقَوْمِ، الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ).

وَفِي [الْبُخَارِيِّ]: عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، أَوْ قَالَ: غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لِهَذَا وَجَبَتْ، وَلِهَذَا وَجَبَتْ؟، قَالَ: شَهَادَةُ الْقَوْمِ، الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَالْمُؤْمِنُونَ) بِزِيَادَةِ الْوَاوِ.

وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟، قَالَ: وَثَلَاثَةٌ. فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟، قَالَ: وَاثْنَانِ. ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ)

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَأَى جَنَازَةً، إِنْ مَرَّتْ بِهِ، أَنْ يَقُولَ: (سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)، أَوْ (سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ).

وَذَكَر الْقُشَيْرِيُّ: (أَنَّهُ قِيلَ لَهُ، -أَيْ الْإِمَام مَالِك-، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ، قَالَ: غَفَرَ لِي بِكَلِمَةٍ، كَانَ يَقُولُهَا عُثْمَان بْن عَفَّانَ، عِنْدَ رُؤْيَةِ الْجَنَائِزِ: سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ).

وَقَالَ الْإِمَامُ الرُّويَانِيُّ الشَّافِعِيُّ: (يَسْتَحِبُّ أَنْ يَدْعُو وَيَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ).

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ رَأَى جَنَازَةً، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، هَذَا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الثِّقَةُ، قَالَ: (مَنْ رَأَى جَنَازَةً فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثًا، هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ، وَرَسُولُهُ. اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، مِنْ يَوْمِ يَقُولُهَا، حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ).

وَيَنْبَغِي الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ وَالثَّنَاءُ، وَرِثَاؤُهُ بِخَيْرٍ، لَا كَذِبَ فِيهِ. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ، مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ، أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكُمْ، -أَوْ قَالَ: شَهَادَتَكُمْ-، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، يَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ، مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ بِخَيْرٍ، إِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي، عَلَى مَا عَلِمُوا، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا، وَيَقُولُ النَّاسُ خَيْرًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى عَبْدِي، وَغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِي فِيهِ).

فَصْلٌ: فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ

هِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، كَغُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَدَفْنِهِ، بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ. وَأَرْكَانُهَا: التَّكْبِيرَاتُ، وَالْقِيَامُ.

وَسُنَنُهَا: الثَّنَاءُ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ الثَّانِيَةِ، وَالدُّعَاءُ بَعْدَ الثَّالِثَةِ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ. وَتَكْبِيرَاتُهَا أَرْبَعٌ، وَإِنْ زَادَ إِمَامُهُ لَمْ يَتْبَعْهُ، وَلَكِنْ يَنْتَظِرُهُ لِلسَّلَامِ مَعَهُ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي غَيْرِ الْأُولَى، خِلَافًا لِكَثِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ بَلْخ.

وَصِفَتُهَا: أَنْ يُكَبِّرَ نَاوِيًا، الدُّعَاءُ لَهَا وَالصَّلَاةُ للهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، إِلَى آخِرِ الثَّنَاءِ، وَإِنْ قَرَأَ فِيهَا الْفَاتِحَةُ، بِقَصْدِ الثَّنَاءِ جَازَ ذَلِكَ، وَتَطْلُبُ لِلْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ.

وَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: لِتَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنَ السُّنَّةِ). وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

ثُمَّ كَبَّرَ ثَانِي، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ). كَمَا فِي التَّشَهُّدِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ ثَالِثَة، وَيَدْعُو بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ. وَإِنْ دَعَا بِالْمَأْثُورِ، فَهُوَ أَحْسَنُ وَأَعْظَمُ.

وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ الْكِتَاب، مَا فِي [صَحِيحِ مُسْلِمٍ]، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: (صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى جِنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، -أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ-، قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَعَذَابَ الْقَبْرِ).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ، أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ فِي حَدِيثِ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا)، رِوَايَة أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْأَشْهَلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، -كَمَا هِيَ فِي [التِّرْمِذِيِّ]-، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا).

وَزَادَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ فَتَوَفَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا تُضِلَّنَا).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سُئِلَ: كَيْفَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي عَلَى الْجِنَازَةِ؟، قَالَ: يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا

لِلْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا، وَعَلَانِيَتِهَا، جِئْنَا شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَهَا).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَامَ لِلْجِنَازَةِ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا قَالَ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ).

وَفِي [مُوَطَّأِ مَالِكٍ]، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (عَمَّنْ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَيْفَ يُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا، لَعَمْرُ اللَّهِ، أُخْبِرُكَ، أَتَّبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَإِذَا وُضِعَتْ كَبَّرْتُ، وَحَمِدْتُ اللَّهَ، وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ، ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَاّ أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ. اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِناً، فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً، فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ. اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ).

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

(وَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَأَدْخِلْهُ جَنَّتَكَ، وَقَدْ فَعَلْتَ).

وَعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: (حَضَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، صَلَّى بِنَا عَلَى جِنَازَةٍ بِالْأَبْوَاءِ، وَكَبَّرَ، ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، رَافِعًا صَوْتَهُ بِهَا، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، يَشْهَدُ أَنْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَصْبَحَ فَقِيرًا إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَصْبَحْتَ غَنِيًّا عَنْ عَذَابِهِ، تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، إِنْ كَانَ زَاكِيًا فَزَكِّهِ، وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فَاغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ. فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَمْ أَقْرَأْ عَلَيْهَا، إِلَّا لِتَعْلَمُوا أَنَّهَا سُنَّةٌ).

ثُمَّ يَدْعُو لَهُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْمَأْثُورِ الْمَذْكُورِ، إِنْ بَالِغًا عَاقِلًا، وَإِنْ كَانَ صَبِيًّا أَوْ مَجْنُونًا، قَالَ فِي الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا، وَاجْعَلْهُ لَنَا أَجْرًا وَذُخْرًا، وَاجْعَلْهُ لَنَا شَافِعًا مُشَفَّعًا). كَذَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ.

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: يَقُولُ ذَلِكَ بَعْدَ دُعَاءِ الْبَالِغِينَ. وَكَذَا فِي [أَذْكَارِ النَّوَوِيِّ]، قَالُوا يَقُولُ مَعَهُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا... إلخ). وَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: (فَإِنْ كَانَتْ امْرَأَةً، قَالَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ. ثُمَّ يُنَسِّقُ الْكَلَامَ إِلَى آخِرِهِ). ثم يُكَبِّرُ أَرْبَعَ، وَيُسَلِّمُ مِنْ غَيْرِ دُعَاءٍ. فِي ظَاهِرِ الرِّوَايَةِ.

وَاسْتَحْسَنَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. هَذَا وَبَعْضُ أَحْكَامِهَا وَتَفَارِيعِهَا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حَالِ الْحَمْلِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الدَّفْنِ وَبَعْدِهِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ). وَلَفْظ [الْمُسْتَدْرَكِ]: (الْمَيِّتُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَقُلْ الَّذِينَ يَضَعُونَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَيِّتُ الْقَبْرَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ). وَعَنْهُ أَيْضًا: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي لَحْدِهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: (لَمَّا وُضِعَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْقَبْرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ).

قَالَ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِيُّ: (أَيْ بِاسْمِ اللَّهِ وَضَعْنَاك، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَلَّمْنَاكَ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: (حَضَرْتُ ابْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي جِنَازَةٍ، فَلَمَّا وَضَعَهَا فِي اللَّحْدِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا أُخِذَ فِي تَسْوِيَةِ اللَّحْدِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَجِرْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَلَمَّا سَوَّى الْكَثِيبَ عَلَيْهَا قَامَ جَانِبَ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبَيْهَا، وَصَعِّدْ رُوحَهَا، وَلَقِّهَا مِنْكَ رِضْوَانًا، فَقُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: أَشَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْ شَيْءٌ قُلْتَ مِنْ رَأْيِكَ؟، فَقَالَ: إِنِّي إِذًا لَقَادِرٌ عَلَى الْقَوْلِ، بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَفِيمَا رَوَاهُ أَنَسٌ، مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ، حفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاضْطَجَعَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي؛ فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: (كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتَ فِي اللَّحْدِ، أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

(وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَفْسِحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ قَبْرِهِ، وَأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّهِ وَأَنْتَ عَنْهُ رَاضٍ غَيْرُ غَضْبَانَ).

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِذَا سَوَّى عَلَى الْمَيِّتِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَسْلَمَهُ إِلَيْكَ، الْأَهْلُ وَالْمَالُ وَالْعَشِيرَةُ، وَذَنْبُهُ عَظِيمٌ فَاغْفِرْ لَهُ).

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ كَانَ عَلَى الْقَبْرِ، أَنْ يَحْثُو ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ، بِيَدَيْهِ جَمِيعًا مِنَ التُّرَابِ، مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لِمَا رُوِيَ مَرْفُوعًا: (مَنْ حَثَى عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ احْتِسَابًا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ تُرَابَةٍ حَسَنَةً). وَيَقُولُ فِي الْأُولَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]). كَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا.

وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ: (وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي الْأُولَى: اللَّهُمَّ لَقِّنْهُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ حُجَّتَهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ، وَفِي الثَّالِثَةِ: اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبَيْهِ).

وَيُنْدَبُ أَنْ يَقْعُدُوا عِنْدَهُ مِقْدَارَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، لِمَا فِي [صَحِيحِ مُسْلِمٍ]، مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: (إِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي، قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَشْتَغِلُوا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَحِكَايَاتِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَالدُّعَاءِ لِلْمَيِّتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالثَّبَاتِ. عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ).

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دُفِنَ مَيِّتًا، وَقَفَ وَسَأَلَ اللَّهَ التَّثْبِيتَ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسْتَقْبِلُ الْمُؤْمِنُ مِنْ هَوْلِ الْآخِرَةِ، إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَفَ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، حِينَ فَرَغَ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ نَزَلَ بِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْزُولٍ بِهِ، جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبَيْهِ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ، وَاقْبَلْهُ مِنْكَ، بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَثَبِّتْ عِنْدَ السَّائِلِ مَنْطِقَهُ).

وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا سُئِلَ الْمَيِّتُ مَنْ رَبُّكَ؟، تَرَاءَى لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةٍ، فَيُشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ، أَيْ أَنَا رَبُّكَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ

اللَّه: فَهَذِهِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، فَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو بِالثَّبَاتِ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ مَنْطِقَهُ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ، وَلَا تَبْتَلِهِ فِي قَبْرِهِ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، االلَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ).

وَقَالَ الْآجُرِّيُّ: (يُسْتَحَبُّ الْوُقُوفُ بَعْدَ الدَّفْنِ قَلِيلاً، وَالدُّعَاء لِلْمَيِّتِ مُسْتَقْبِلُ وَجْهَهُ بِالثَّبَاتِ، فَيُقَالُ: اللَّهُمَّ هذا عَبْدُكَ، وَأَنْتَ اعْلَمُ بِهِ مِنَّا، وَلَا نَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ أَجْلَسْتَهُ لِتَسْأَلَهُ، فَثَبِّتْهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا ثَبَّتَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ).

وَهذِهِ (فَائِدَةٌ مُتَمِّمَةٌ): ذَكَرْتُهَا لِعَظِيمِ مَنْفَعَتِهَا، نَقَلَ الشَّيْخُ بُرْهَان الدِّينِ الْبَاجِيّ، فِي [مَوْلِدِهِ]، قَالَ: (قَالَ الْأَدِيبُ الْعَلَّامَةُ شِهَاب الدِّينِ أَبِي حَجْلَة الْحَنَفِيّ، فِي كِتَابِهِ [جِوَار الْخِيَار فِي دَارِ الْقَرَارِ]، رَوَى زَيْنُ الدِّينِ ابْن مِسْكِينٍ، عَنْ شَيْخِهِ ظَهِير الدِّينِ التُّونُسِيّ، عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ عِمَاد الدِّينِ السُّكَّرِيّ، عَنْ شَيْخِهِ الطُّوسِيّ: أَنَّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ رَأْسِ الْمَيِّتِ، بَعْدَ دَفْنِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَاهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَتُرَابِهِ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ، وَمَا ضَمَّهُ، أَنْ لَا تُعَذِّبْ هَذَا الْمَيِّت فِي قَبْرِهِ، وَيُكَرِّرُهَا ثَلَاث، لَمْ يُعَذَّبْ).

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُقَالُ بَعْدَ الدَّفْنِ التَّلْقِينُ: وَفِيهِ ثَلَاثَة أَقْوَالٍ: قِيلَ: هُوَ مَشْرُوعٌ، وَقِيلَ: لَا، وَقِيلَ: يُؤْمَرُ بِهِ، وَلَا يَنْهَ عَنْهُ. وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ لِحَقِيقَةِ (قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمَقْدِسِيّ: وَيُؤَيِّدُهُ مَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَسَمُرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، وَحَكِيمِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالُوا: (إِذَا سَاوَى عَلَى الْمَيِّتِ قَبْرَهُ: يَا فُلَانُ، قُلْ: لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَا فُلَانُ، قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، نَبِيِّي مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ إِسْنَادُهُ، لَهُ شَوَاهِدُ تُعَضِّدُهُ، وَعَمَلُ أَهْلِ الشَّامِ بِهِ قَدِيمًا يَنْصُرُهُ.

وَالْحَدِيثُ هُوَ: مَا أَسْنَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي [تَذْكِرَتِهِ]، إِلَى سَعِيدٍ الأَزْدِيِّ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقَالَ لِي: يَا سَعِيدُ، إِذَا أَنَا مِتُّ، فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا، فَإِنَّهُ قَالَ: إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَدَفَنْتُمُوهُ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَلْيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ سَيَسْمَعُ، فَلْيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ سَيَسْتَوِي قَاعِدًا، فَلْيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَرْشِدْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ. فَيَقُولُ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا؛ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ بَاعِثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا عِنْدَ ذَلِكَ، يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا نَصْنَعُ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فَيَكُونُ اللَّهُ حَجِيجَهُمَا دُونَهُ».

وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّ، عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ، بِاخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا: «فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ نَعْرِفْ أُمَّهُ؟، قَالَ: فَيَنْسُبُهُ إِلَى أُمِّهِ حَوَّاءَ».

وَذُكِرَ أَيْضًا فِي كِتَابِ [الْعَاقِبَةِ] لَهُ، قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ: «أَوْصَتْنِي أُمِّي عِنْدَ مَوْتِهَا، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِذَا دَفَنْتَنِي، فَقُمْ عِنْدَ قَبْرِي، فَقُلْ: يَا أُمَّ شَيْبَةَ، قُولِي: لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، رَأَيْتُهَا فِي الْمَنَامِ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، كِدْتُ أَنْ أَهْلِكُ، لَوْلَا تَدَارَكْتَنِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَقَدْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي يَا بُنَيَّ).

وَقَالَ الشُّرُنْبُلَالِيُّ: (وَكَيْفِيَّتُهُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، اُذْكُرْ دِينَك الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، شَهَادَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).

وَأَكْمَلُ مِنْهُ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ نَصْر الْمَقْدِسِيّ، مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: (إِذَا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ، يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ، وَيَقُولُ: يا يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، اُذْكُرْ الْعَهْدَ الَّذِي خَرَجْت عَلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، قُلْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِخْوَانًا، رَبِّيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

ثُمَّ الْمَذْكُورُ فِي الكَيْفِيَّتَيْنَ، (يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ)، بِالتَّذْكِيرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (ابْن فُلَانَةَ أَوْ حَوَّاء،) وَذَلِكَ دَلِيلُ الْجَوَازِ، وَلَوْ قَالَ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَمَةِ اللَّهِ)، أَوْ (يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ حَوَّاءَ)، أَوْ (يَا فُلَان) بِاسْمِهِ، ابْنَ أَمَةِ اللَّهِ)، أَوْ (ابْن حَوَّاءَ)، جَازَ ذَلِكَ.

وَفِي [الْأَذْكَارِ]: (وَأَمَّا تَلْقِينُ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ، فَمَا لَهُ مُسْتَنَدٌ، يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَلَا نَرَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). قَالَ النَّوَوِيُّ: (قُلْتُ: الصَّوَابُ أَنَّهُ لَا يُلَقَّنُ الصَّغِير مُطْلَقًا، سَوَاءٌ كَانَ رَضِيعًا أَوْ أَكْبَر مِنْهُ، مَا لَمْ يَبْلُغْ، وَيَصِير مُكَلَّفًا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ قَبْرًا فَلْيَزُرْهُ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا). يَعْنِي سُوءًا. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَيْسَ لِلْقُلُوبِ أَنْفَعُ مِنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، وَخُصُوصًا إِنْ كَانَتْ قَاسِيَةً).

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلَّمَا كَانَتْ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَاعِدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ إِذَا دَخَلْتُ الْمَقَابِرَ؟، قَالَ: قُولِي السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ).

وَزَادَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَتِهِ، بَعْد (لَلَاحِقُونَ): (أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ أَتَى الْبَقِيعَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُمْ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا مَرَّ بِالْمَقَابِرِ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (كَانَ إِذَا دَخَلَ الْجَبَّانَةَ، يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا الأَرْوَاحُ الفَانِيَةُ، وَالأَبْدَانُ البَالِيَةُ، والعِظَامُ النَّخِرَةُ، الَّتِي خَرَجَتْ مِن الدُّنْيَا، وَهِي بِاللَّه مُؤْمِنَةٌ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْهِمْ رُوحًا مِنْك وَسَلامًا مِنَّا).

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ، كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، إِلا عَرَفَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ مَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ، وَقَرَأَ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ وَهَبَ أَجْرَهَا لِلْأَمْوَاتِ، أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ الْأَمْوَاتِ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ، فَقَرَأَ سُورَةَ يس، خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ حَسَنَاتٌ).

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَرَأَ الْمُؤْمِنُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِأَهْلِ الْمَقَابِرِ، أَدْخَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ قَبْرٍ، مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، أَرْبَعِينَ نُورًا، وَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَضَاجِعَهُمْ، وَأَعْطَى اللَّهُ لِلْقَارِئِ ثَوَابَ سِتِّينَ نَبِيًّا، وَرَفَعَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مَيِّتٍ دَرَجَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ مَيِّتٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ).

وَثَبَتَ (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، عِنْدَ رَأْسِ الْمَيِّتِ، وَآخِرَهَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ). (وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ، وَاسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ، وَتَرَحَّمَ عَلَى الْأَمْوَاتِ، فَكَأَنَّمَا شَهِدَ جَنَائِزَهُمْ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ).

وَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ، وَالْعِظَامِ النَّخِرَةِ، الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا، وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ، أَدْخِلْ عَلَيْهَا رَوْحًا مِنْ عِنْدِكَ وَسَلَامًا، اسْتَغْفَرَ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ مَاتَ، مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا: (كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ مَاتَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَسَنَاتٍ).

فَصْلٌ: فِي زِيَارَةِ الْمَقَابِرِ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ الْمَقَابِرِ مُطْلَقًا، وَقِيلَ: فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ، مِنْ غَيْرِ وَطِئِ الْقُبُورِ، وَأَفْضَل أَوْقَاتِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالسَّبْتِ، وَالِاثْنَيْنِ، وَالْخَمِيسِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدِهِمَا، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَرَأَ يس، غُفِرَ لَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدِهِمَا، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَكُتِبَ بَرّاً).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: (بَلَغَنِي أَنَّ الْمَوْتَى يَعْلَمُونَ بِزُوَّارِهِمْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمًا قَبْلَهُ، وَيَوْمًا بَعْدَهُ).

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَمْشِي حَافِيًا، لِمَا فِي [أَبِي دَاوُدَ]، وَ[النَّسَائِيِّ]، وَ[ابْنِ مَاجَهْ]، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ مَعْبَدٍ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخَصَاصِيَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا أُمَاشِي النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَظَرَ فَإِذَا رَجُلٌ يَمْشِي بَيْنَ الْقُبُورِ، عَلَيْهِ نَعْلَانِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّيْنِ، اخْلَعْ سِبْتِيَّيْكَ). الْحَدِيث.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا رَأَى فِيهِ مِنَ الْخُيَلَاءِ، لَا يُنَافِي الِاسْتِحْبَابَ، لَا سِيَّمَا عَلَى مَذْهَبِنَا، مِنْ أَنَّ الْعِبْرَةَ لِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا لِخُصُوصِ السَّبَبِ.

وَقَالَ الشُّرُنْبُلَالِيُّ: وَالسُّنَّةُ زِيَارَتُهَا قَائِمًا، وَالدُّعَاءُ عِنْدَهَا قَائِمًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْبَقِيعِ.

وَإِذَا أَتَى الْقَبْرَ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَأْتِي مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، لَا رَأْسِهِ، لِأَنَّهُ أَتْعَبُ لِبَصَرِهِ، وَيَقِفُ وَيَسْتَقْبِلُهُ بِوَجْهِهِ، وَيَحْتَرِمُهُ كَمَا فِي الْحَيَاةِ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِمَّا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ يَقُولُ: (عَلَيْكُمْ السَّلَامُ)، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

ثُمَّ يَدعُو قَائِمًا طَوِيلاً، وَإِنْ جَلَسَ يَجْلِسُ بَعِيدًا مِنْهُ، أَوْ قَرِيبًا، بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ.

وَيقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ، مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَأَوَّلِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمُفْلِحُونَ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَآمَنَ الرَّسُولُ، وَيس، وَتَبَارَكَ، وَسُورَةَ الْقَدْرِ، وَ﴿أَلْهَاكُمُ﴾، وَالْكَافِرُونَ، وَالْإِخْلَاصِ، اثْنَيْ عَشَرَ مَرَّةً، أَوْ إِحْدَى عَشَرَ، أَوْ سَبْعًا، أَوْ ثَلَاثًا، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ.

ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَوْصِلْ ثَوَابَ مَا قَرَأْنَاهُ، إِلَى فُلَانٍ أَوْ إِلَيْهِمْ).

وَإِذَا مَرَّ بِقُبُورِ الْكُفَّارِ، يَنْبَغِي أَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِالنَّارِ.

فَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، (أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَأَيْنَ هُوَ؟، قَالَ: فِي النَّارِ. فَكَأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَبُوكَ؟، قَالَ لَهُ: حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ، فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ أَسْلَمَ. قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ، إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مَرَرْتُمْ بِقُبُورِنَا، وَقُبُورِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ).

وَيَنْبَغِي لَهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِي).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى رَجُلا قَدِ اتَّكَأَ عَلَى قَبْرٍ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ، لَا تُؤْذِ صَاحِبَ الْقَبْرِ).

وَعَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ قَالَ: (رَآنِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسًا عَلَى قَبْرٍ، قَالَ: انْزِلْ مِنَ الْقَبْرِ، لَا تُؤْذِ صَاحِبَ الْقَبْرِ، وَلَا يُؤْذِيكَ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ، لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ، -دِيَارَ ثَمُودَ- : لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ المُعَذَّبِينَ، إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الزَّكَاةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَعْطَيْتُمُ الزَّكَاةَ فَلَا تَنْسَوْا ثَوَابَهَا، أَنْ تَقُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ. فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى).

قَالَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُم اللَّهُ تَعَالَى: لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقَالَ: (صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ)، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أَيْ اُدْعُو لَهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ، لِأَنَّ لَفْظَ الصَّلَاةِ لَهُ مَخْصُوصٌ بِهِ، فَلَهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ لِمَنْ شَاءَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَيُكْرَهُ ذَلِكَ لَنَا، إِلَّا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ، وَقِيلَ: خِلَافُ الْأَوْلَى، وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ.

وَعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِبَعْضِ الْمُزَكِّينَ، بَعْدَ الْإِتْيَانِ بِالزَّكَاةِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي إِبِلِهِ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، وَأَصْحَابُهُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: (الاخْتِيَارُ أَنْ يَقُولَ آخِذُ الزَّكَاةِ مِنْ دَافِعِهَا: آجَرَكَ اللَّهُ فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُورًا، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: طَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَكَ، فِي قُلُوبِ الْأَبْرَارِ، وَزَكَّى عَمَلَكَ فِي عَمَلِ الْأَخْيَارِ، وَصَلَّى عَلَى رُوحِكَ فِي أَرْوَاحِ

الشُّهَدَاءِ). قَالَ النَّوَوِيُّ: (يُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَفَعَ زَكَاةً، أَوْ صَدَقَةً، أَوْ نَذْرًا، أَوْ كَفَّارَةً، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَلَمْ أَرَ لِعُلَمَائِنَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُصْلِحِينَ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الصِّيَامِ

فَصْلٌ: مَا يَقُولُهُ إِذَا رَأَى الْهِلَالِ: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالْإِسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالسَّكِينَةِ، وَالْعَافِيَةِ، وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ). وَعَنْ قَتَادَةَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا رَأَى هِلَالًا، قَالَ: هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ، ثَلَاثًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا، ثَلَاثًا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ، وَخَيْرِ الْقَدْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، ثَلَاثًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْهِلَالِ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هِلَالَ يُمْنٍ وَرُشْدٍ، وَآمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ فَعَدَلَكَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ، وَمِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: هِلَالُ خَيْرٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَكَذَا، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا وَكَذَا، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ، وَنُورِهِ وَبَرَكَتِهِ، وَهُدَاهُ وَطُهُورِهِ وَمُعَافَاتِهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، آمَنْتُ بِالَّذِي أَبْدَاكَ ثُمَّ يُعِيدُكَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا).

وَعَنْ قَتَادَةَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، صَرَفَ وَجْهَهُ عَنْهُ). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِي، فَإِذَا الْقَمَرُ حِينَ طَلَعَ، قَالَ: تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ). (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، إِذَا اسْتَهَلَّ رَمَضَانَ، اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَهَلَّ رَمَضَانَ، اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ،

وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالسَّكِينَةِ، وَالْعَافِيَةِ، وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ، وَدِفَاعِ الأَسْقَامِ، وَالْعَوْنِ عَلَى الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ، وَالْقِيَامِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا لِرَمَضَانَ، وَسَلِّمْهُ مِنَّا، حَتَّى يَنْقَضِي وَقَدْ غَفَرْتَ لَنَا).

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ الْوَاسِطِيِّ، قَالَ: (سَمِعْتُ الْمَسْعُودِيَّ، يَذْكُرُ، قَالَ: أَنَّ مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فِي التَّطَوُّعِ، حُفِظَ ذَلِكَ الْعَامَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الإِفْطَارِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ لَهَا الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَفْطَرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ). وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ بِزِيَادَةِ: (بِسْمِ اللَّهِ) فِي أَوَّلِهِ، وَزَادَ فِي غَيْرِهَا: (وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَفْطَرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ، دَعْوَةً لَا تُرَدُّ). قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: (سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: إِذَا أَفْطَرَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ، الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةً، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُفْطِرَ، فَلْيَقُلْ عِنْدَ أَوَّلِ لُقْمَةٍ: يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، اغْفِرْ لِي). وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ).

وَعَنْهُ أَيْضاً، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ، دَعَا لَهُمْ، فَقَالَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: (وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ). وَعَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ، قَالَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ).

فَصْلٌ: يُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ كَثْرَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالذِّكْرُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالِاشْتِغَالُ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْمُنْكَرَاتِ. وَإِذَا شَتَمَهُ أَحَدٌ، أَوْ سَفِهَ عَلَيْهِ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَر.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللّه، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفثْ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، أَوْ جَهِلَ عَلَيْك فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا: (خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ، وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالْقُبْلَةُ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ). وَهُوَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُجْتَهِدِينَ بِمُقْتَضَاهُ، وَحَمَلَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى فَقْدِ الصَّوَابِ.

وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَلْيُكْثِرْ مِمَّا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟، قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عفُوٌّ، تُحِبُّ الْعفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي). وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ فِيهَا مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَالذِّكْرِ، وَالدَّعوَاتِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ اجْتِهَادُهُ فِي يَوْمِهَا، كَاجْتِهَادِهِ فِي لَيْلَتِهَا).

وَيَنْبَغِي الدُّعَاءُ بِالْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَهُو شِعَارُ الْعَارِفِينَ، وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَكَذَا الْمُعْتَكِف يَنْبَغِي لَهُ مَا يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ بِزِيَادَةٍ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، مَعْرُوفٌ وَمَشْهُورٌ.

وَقَالَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى، سَيِّدِي أَبُو الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ، قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ الصَّمَدَانِيَّ: (مِنْ حَيْثُ بَلَغْتُ مَا فَاتَتْنِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهَا، بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ

أَوَّلُ رَمَضَانَ الْأَحَد، كَانَتْ لَيْلَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ الِاثْنَيْن، كَانَتْ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ الثُّلَاثَاء، كَانَتْ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ الْأَرْبِعَاء، كَانَتْ لَيْلَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ لَيْلَة الْخَمِيس، كَانَتْ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ الْجُمُعَة، كَانَتْ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ السَّبْت، كَانَتْ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ السَّفَرِ

اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْحَاضِر مِنَ الْأَذْكَارِ، يُسْتَحَبُّ لِلْمُسَافِرِ بِالتَّيْسِيرِ، مَعَ زِيَادَةٍ تَخُصُّهُ، فَإِذَا أَرَادَ السَّفَرَ إِلَى الْحَجِّ أَوْ غَيْرِهِ، يَنْبَغِي لَهُ الاسْتِخَارَة وَالِاسْتِشَارَة.

وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الاسْتِخَارَةِ، وقَوْلهُ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، دَلِيلٌ عَلَى الاسْتِشَارَةِ، وَهِيَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الاسْتِخَارَةِ، وَإِذَا اسْتَشَارَ وَاسْتَخَارَ، وَعَزَمَ عَلَى السَّفرِ، يَنْبَغِي أَنْ يَتعَلَّمَ أَحْكَام مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفرِهِ، وَإِنْ صَحِبَ مَعَهُ كِتَابًا فِي ذَلِكَ كَانَ أَحْسَنَ، وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ هَذَا، أَحْكَام الْمَنَاسِكِ وِكِتَابِهَا.

وَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْ بَيْتِهِ، يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ فِي الْأُولَى: الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّانِيَةِ: الْإِخْلَاص. وَقِيلَ: فِي كُلِّ رَكْعَةٍ أَحد الْمُعَوِّذَتَيْن. (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ، أَفْضَلُ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُمَا عِنْدَهُمْ، حِينَ يُرِيدُ سَفَرًا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ سَفرًا، قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَسِيرُ). وَقَدْ جَاءَ أَنَّ (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ، لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، لِقَوْلِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ، أَبِي الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيّ: (أَنَّهَا أَمَانٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ). وَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ بْنِ جَحْشَوَيْه: (أَرَدْتُ سَفَرًا، وَكُنْتُ خَائِفًا مِنْهُ، فَدَخَلْتُ عَلَى الْقَزْوِينِيّ، أَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ، فَقَالَ لِي، ابْتِدَاءً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ: (مَنْ أَرَادَ سَفَرًا، فَفَزِعَ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ وَحْشٍ، فَلْيَقْرَأ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، فَإِنَّهَا أَمَانٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فَقَرَأْتُهَا، فَلَمْ يَعْرِضْ لِي عَارِضٌ، حَتَّى الْآنَ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بَعْدَهَا بِمَا تَيَسَّرَ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ: (اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَعِينُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، اللَّهُمَّ ذَلِّلْ لِي صُعُوبَةَ أَمْرِي، وَسَهِّلْ عَلَيَّ مَشَقَّةَ سَفَرِي، وَارْزُقْنِي مِنَ الْخَيْرِ، أَكْثَرَ مِمَّا أَطْلُبُ، وَاصْرِفْ عَنِّي كُلَّ شَرٍّ، رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَنَوِّرْ لِي قَلْبِي، وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَحْفِظُكَ، وَأَسْتَوْدِعُكَ نَفْسِي وَدِينِي وَمَالِي وَأَهْلِي وَأَقَارِبِي، وَكُلَّ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ آخِرَةٍ وَدُنْيَا، فَاحْفَظْنَا أَجْمَعِينَ، مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا كَرِيمُ).

وَإِذَا نَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ: قَالَ مَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَفَرًا قَطُّ، إِلَّا قَالَ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ جُلُوسِهِ: اللَّهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ، وَإِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي، وَأَنْتَ رَجَائِي، اللَّهُمَّ اكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي، وَمَا لَا أَهْتَمُّ لَهُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، وَزَوِّدْنِي التَّقْوَى، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهْتُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي، اللَّهُمَّ اكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي، وَمَا لَا أَهْتَمُّ بِهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، وَزَوِّدْنِي التَّقْوَى، وَاغْفِرْ لِي، وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهْتُ).

وَزَادَ فِي أُخْرَى، فِي أَوَّلِهِ: (اللَّهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ، وَإِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، يُرِيدُ سَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ: فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ: بِسْمِ اللَّهِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا رُزِقَ خَيْرَ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ، وَصُرِفَ عَنْهُ شَرُّ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوَدِّعَ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ وَأَصْحَابَهُ وَجِيرَانَهُ، وَيَسْأَلُهُمُ الدُّعَاءَ لَهُ، وَيَدْعُو لَهُمْ، وَيَطْلُبُ الْوَصِيَّةَ مِنَ الْأَخْيَارِ، وَيُوصُوهُ أَيْضًا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا، فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ فِي دُعَائِهِمْ خَيْرًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْبَرَكَةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى إِخْوَانِهِ، فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونَهُ بِدُعَائِهِمْ، إِلَى دُعَائِهِ خَيْرًا).

وَيُسَنُّ أَنْ يَقُولَ لَهُ الَّذِي وَدَّعَهُ: مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا، أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدَعُهَا، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَآخِرَ عَمَلِكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ).

وَعَنْ قَزَعَةَ، قَالَ: (قَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَلُمَّ أُوَدِّعْكَ، كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ).

وَعَنْ سَالِمٍ، (أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ، إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي، أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيْشَ، قَالَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: (الْأَمَانَةُ هُنَا أَهْلُهُ وَمَنْ يَخْلُفُهُ، وَمَالُهُ الَّذِي يُودِعُهُ أَمِينَهُ). قَالَ: (وَذَكَرَ الدِّينَ، لِأَنَّ السَّفَرَ مَظِنَّةُ الْمَشَقَّةِ، فَرُبَّمَا كَانَ سَبَبًا لِإِهْمَالِ بَعْضِ أُمُورِ الدِّينِ).

وَعَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ، قَالَ: (قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا، أَوْ تَخْرُجَ مَكَانًا، تَقُولُ لِأَهْلِكَ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ، الَّذِي لَا يُخَيِّبُ وَدَائِعَهُ).

وَفِي لَفْظٍ: (لَا يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ). وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي. قَالَ: بِالتَّقْوَى، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُ كُنْتَ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ، فَأَوْصِنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبَعِيدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ).

وَعَنْه أَيْضًا، قَالَ: (لَمَّا وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحَبَشَةِ، شَيَّعَهُ وَزَوَّدَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ الطُفْ بِي فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ؛ فَإِنَّ تَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ، وَأَسْأَلُكَ الْيُسْرَ وَالْمُعَافَاةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، حِينَ وَجَّهَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: يَا أَخِي، أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ).

فَصْلٌ: وَإِذَا رَكِبَ دَابَّتَهُ، تَذَكَّرَ نِعْمَةَ رَبِّهِ، وَقَدْ أَرْشَدنَا إِلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى، بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢- ١٤].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَبِّحُوا اللَّهَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَسَمُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ). وَفِي آخَرَ: (فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَاذْكُرُوا اللَّهَ، كَمَا أَمَرَكُمْ).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: (شَهِدْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ، إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْدَفَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلاثًا، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا، وَسَبَّحَ اللَّهَ ثَلاثًا، وَهَلَّلَ اللَّهَ وَاحِدَةً، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: مَا مِنَ امْرِئٍ يَرْكَبُ دَابَّتَهُ، فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ، إِلا أَقْبَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَحِكَ إِلَيْهِ، كَمَا ضَحِكْتُ إِلَيْكَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ، خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ).

وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ: (وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجُيُوشُهُ، إِذَا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا).

وَرُوِيَ مَعْنَاهُ مَرْفُوعًا، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ، فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (وَيُرْوَى الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ أَيْضًا، -يَعْنِي يُرْوَى الْكَوْن بِالنُّونِ وَالرَّاءِ-، ثُمَّ قَالَ: وَكِلَاهُمَا لَهُ وَجْهٌ، وَيُقَالُ هُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، وَمِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، إِنَّمَا يَعْنِي الرُّجُوعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ). وَقَالَ غَيْرُهُ: (مَعْنَاهُ الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ، أَوِ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَافَرَ وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، قَالَ بِإِصْبَعِهِ، -وَمَدَّ شُعْبَةُ إِصْبَعَهُ -، قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ. اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا بِنُصْحِكَ، وَاقْلِبْنَا بِذِمَّةٍ، اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الْأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي مَالِنَا). (وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَالْحَامِلُ عَلَى الظُّهْرِ، وَالْمُسْتَعَانُ عَلَى الْأَمْرِ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَلَاغًا يَبْلُغُ خَيْرًا، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ رَاكِبٍ يَخْلُو فِي مَسِيرِهِ بِاللَّهِ وَذِكْرِهِ، إِلَّا رَدِفَهُ مَلَكٌ، وَلَا يَخْلُو بِشِعْرٍ وَنَحْوِهِ، إِلَّا رَدِفَهُ شَيْطَانٌ).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، رَدِفَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: تَغَنَّ، فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ، قَالَ لَهُ: تَمَنَّ).

فَصْلٌ: وَإِنْ رَكِبَ السَّفِينَةَ: ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى، (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْغَرَقِ إِذَا رَكِبُوا، أَنْ يَقُولُوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

قَالَ النَّوَوِيُّ: هَكَذَا هُوَ فِي النّسخِ: (إِذَا رَكِبُوا) لَمْ يَقُلْ السَّفِينَةَ. قُلْتُ: ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ، فِي [جَامِعِهِ الصَّغِيرِ]: (إِذَا رَكِبُوا الْبَحْرَ) فَتَمَّ الْأَمْر. وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا رَكِبُوا السُّفُنَ، أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ الْمَلِكِ، ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي السَّفَرِ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: ددَعْوَةُ الوَالِدِ على وَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الْمُسافِرِ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، ودَعْوَةُ الْمُسافِرِ). وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ.

فَصْلٌ: وَإِذَا صَعِدَ ثَنِيَّةً، أَوْ هَبَطَ وَادِيًا: قَالَ مَا صَحَّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجُيُوشُهُ، إِذَا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ). قَوْلُهُ: (ارْبَعُوا) بِالْمُوَحَّدَةِ الْمَفْتُوحَة، أَيْ ارْفُقُوا.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا عَلَا شَرَفًا مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الشَّرَفُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ). وَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ، فَكَانَ إِذَا هَبَطَ وَادِيًا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا خَرَجْتَ فِي سَفَرٍ، أَنْ تَكُونَ مِنْ أَمْثَلِ أَصْحَابِكَ هَيْئَةً، وَأَكْثَرِهِمْ زَادًا؟. فَقُلْتُ: نَعَمْ. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: فَاقْرَأْ هَذِهِ السُّوَرَ الْخَمْسَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وَافْتَحْ كُلَّ سُورَةٍ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قَالَ جُبَيْرٌ: وَكُنْتُ غَنِيًّا كَثِيرَ الْمَالِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَهُمْ فِي سَفَرٍ، فَأَكُونَ أَبَذَّهُمْ هَيْئَةً، وَأَقَلَّهُمْ زَادًا، فَمَا زِلْتُ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَرَأْتُ بِهِنَّ، أَكُونُ مِنْ أَحْسَنِهِمْ هَيْئَةً، وَأَكْثَرِهِمْ زَادًا، حَتَّى أَرْجِعَ مِنْ سَفَرِي ذَلِكَ).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (لَمَّا رَاحَ النَّاسُ مِنْ كُرَاعِ الْغَمِيمِ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ثَقُلَ عَلَيْنَا السَّيْرُ، وَاشْتَدَّ السَّفَرُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْظِمْ أَجْرَهُمْ وَذُخْرَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ اسْتَعِنْتُمْ بِالنَّسْلِ، لَخَفَّتْ أَجْسَادُكُمْ، وَقَطَعْتُمْ الْأَرْضَ، فَنَسَلَ الْمُسْلِمُونَ فَخَفَّتْ أَجْسَادُهُمْ). وَ(النَّسْلُ) بِفَتْحِ النُّونِ، وَسُكُونِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ: الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ.

فَصْلٌ: وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا، وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَعِينُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَا نَرَاهُمْ). وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ، يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَلْيُنَادِ: أَعِينُوا عِبَادَ اللَّهِ).

قَالَ: مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (قَالَ: إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، يَا عَبَّادَ اللَّهِ احْبِسُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا يَحْبِسُهُ).

فَصْلٌ: قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (حَكَى لِي بَعْضُ شُيُوخِنَا الْكِبَارِ فِي الْعِلْمِ: أَنَّهُ أَفْلَتَتْ لَهُ دَابَّة، أَظُنُّهَا بَغْلَة، وَكَانَ يُعْرَفُ هَذَا الْحَدِيث، فَقَالَهُ، فَحَبَسَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ. وَكُنْتُ أَنَا مَعَ جَمَاعَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنَّا بَهِيمَة، وَعَجِزُوا عَنْهَا، فَقُلْتُهُ، فَوَقَفَتْ فِي الْحَالِ، بِغَيْرِ سَبَبٍ، سِوَى هَذَا الْكَلَامِ).

وَإِذَا اسْتَصْعَبْتَ، قَالَ مَا قَالَ الْأُسْتَاذُ، الْمُجْمَعُ عَلَى جَلَالَتِهِ وَدِيَانَتِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ دِينَارٍ، الْبَصْرِيُّ التَّابِعِيُّ الْمَشْهُورُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: (لَيْسَ

رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى دَابَّةٍ صَعْبَةٍ، فَيَقُولُ فِي أُذُنِهَا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، إِلَّا وَقَفَتْ).

وَفِي آخِرِ [حُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، مِنْ كِتَابِ آدَابِ الصُّحْبَةِ، مِنَ الْأَحْيَاءِ]: (قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: إِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَابَّتُهُ، أَوْ سَاءَ خُلُقُ زَوْجَتِهِ، أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَلْيُؤَذِّنْ فِي أُذُنِهِ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ الْحُدَاءُ لِسُرْعَةِ السَّيْرِ، وَتَرْوِيحِ النُّفُوسِ وَتَنْشِيطِهَا، ثَبَتَ ذَلِكَ بِأَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ، وَإِذَا رَأَى قَرْيَةً أَوْ بِلَادًا، قَالَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

فَصْلٌ: فَعَنْ صُهَيْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا، إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ، وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ، وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَشْرَفَ عَلَى أَرْضٍ، يُرِيدُ دُخُولَهَا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ، وَخَيْرِ مَا جَمَعْتَ فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَمَعْتَ فِيهَا، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَيَاهَا، وَأَعِذْنَا مِنْ وَبَاهَا، وَحَبِّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا، وَحَبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إِلَيْنَا). وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِيهَا قَرَارًا، وَرِزْقًا حَسَنًا).

وَيَنْبَغِي أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الشُّهَدَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ، وَيَذْكُر اسْمَ مَنْ يَعْرِفهُ بِلَفْظِهِ، وَإِذَا خَافَ أُنَاسًا أَوْ غَيْرَهُمْ، يَقُولُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ).

وَيَدْعُو بِدُعَاءِ الْكَرْبِ وَنَحْوِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فَلْيَكْتُبْ بِسَوْطِهِ بَيْنَ أُذُنَيْ دَابَّتِهِ: ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، وَلْيَقُلْ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

فَصْلٌ: وَإِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلَانُ أَذَّنَ، (قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلَانُ، فَنَادَوْا بِالْأَذَانِ). (الْغِيلَانُ): جِنْسٌ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَهُمْ سَحَرَتُهُمْ، (تَغَوَّلَتْ): بِمَعْنَى تَلَوَّنَتْ فِي صُوَرٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يُقَالُ، عِنْدَ عُرُوضِ الشَّيَاطِينِ فِي الْعَوَارِضِ.

فَصْلٌ: وَإِذَا نَزَلْتَ مَنْزِلاً: قَالَ مَا صَرَحَ بِهِ لَهَا تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا، حَتَّى تَحِلَّ الرِّحَالُ. قَالَ: يَعْنِي سَبَّحْنَا بِاللِّسَانِ).

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَافَرَ، فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ، قَالَ: يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ). وَالْمُرَادُ (بِالْأَسْوَدِ): الشَّخْصُ. وَقِيلَ: الْعَظِيمُ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَ(سَاكِنُ الْبَلَدِ): الْجِنُّ. كَمَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ، وَقَالَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَالِدِ: إِبْلِيسُ، وَمَا وَلَدَ: الشَّيَاطِينُ.

وَفِي [تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ]، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: (بَلَغَنِي أَنَّهُ مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ). ذَكَرَهُ ابْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي [التَّمْهِيدِ].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: (خَرَجْتُ مِنْ حِمْصَ، فَآوَانِي اللَّيْلُ إِلَى الْبَقِيعَةِ، قَالَ: فَنَزَلْتُ فَحَضَرَنِي مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ مِنَ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْرُسُوهُ الْآنَ، حَتَّى يُصْبِحَ. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ رَكِبْتُ دَابَّتِي).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (رَافَقْتُ عِيسَى بْنَ مَكِينٍ، فِي طَرِيقِ الْحَجِّ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً عَنِ الرُّفْقَةِ، لِقَضَاءِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الرُّفْقَةِ، فَإِذَا عَلَيْهِم سُورٌ، مَنَعَنِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الرُّفْقَةِ، حَتَّى ضُرِبَ الطَّبْلَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعِيسَى بْنِ مَكِينٍ، فَقَالَ: مَا أَبِيتُ لَيْلَةً حَتَّى أَدُورَ حَوْلَ الرُّفْقَةِ. وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ

الَّتِي لَا تَنَامُ، واكْنُفْنَا بِكَنَفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدَعْتُكَ نَفْسِي وَدِينِي وَأَهْلِي وَمَالِي، إِنَّكَ لَا تُخَيِّبُ وَدَائِعَكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَكَانَ ابْنُ أَدْهَمَ يَقُولُهُ. وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (إِذَا كُنْتَ بِوَادٍ، تَخَافُ فِيهِ السَّبْعَ، قُلْ: أَعُوذُ بِدَانْيَالَ، وَالْجُبِّ، مِنْ شَرِّ الْأَسَدِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نَزَلَ أَحدُكُمْ مَنْزِلاً، فَقَالَ فِيهِ، فَلَا يَرْحَلْ مِنْهُ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ). (وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا لَمْ يَرْتَحِلْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَقُولَ إِذَا أَسْحَرَ، مَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ فِي سَفَرٍ، وَأَسْحَرَ، يَقُولُ: سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ). وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: (بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ). وَفِي أُخْرَى: (يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ). وَزَادَ بَعْضُ السَّلَفِ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

وَيَقُولُ بَعْدَ الصُّبْحِ، مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَذْكَارِ، مَا رَوَاهُ أَبُو بَرْزَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، -قَالَ الرَّاوِي: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ فِي سَفَرٍ-، رَفَعَ صَوْتَهُ، حَتَّى يَسْمَعَ أَصْحَابُهُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي، الَّذِي جَعَلْتَهُ عِصْمَةَ أَمْرِي. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ، الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي آخِرَتِي، الَّتِي جَعَلْتَ إِلَيْهَا مَرْجِعِي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْحَجِّ

فَصْلٌ: فِي الإِحْرَامِ وَالتَّلْبِيَةِ

اغْتَسَلَ أَوْ تَوَضَّأَ، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ، وَلَبِسَ إِزَارًا وَرِدَاءًا، وَتَطَيَّبَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الْأُولَى: الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّانِيَةِ: الْإِخْلَاصَ.

وَفِي [الظَّهْرِيَّةِ]: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ عُلَمَائِنَا يَقْرَءُونَ بَعْدَ الْكَافِرُونَ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْك رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، وَبَعْدَ الْإِخْلَاصِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

وَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا، قَالَ نَاوِيًا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لِي وَتَقَبَّلْهُ مِنِّي، نَوَيْت الْحَجَّ وَأَحْرَمْت بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى).

وَإِنْ إِحْرَامُهُ لِعُمْرَةٍ ذَكَرَهَا بَدَلَهُ، أَوْ لِقِرَانٍ ذَكَرَهُمَا.

وَفِي [مَرَاسِيلِ ابْنِ السُّنِّيِّ]: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ ضُبَاعَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ، لَمَّا أَرَادَتْ الْحَجَّ، أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ... إِلَخ).

وَزَادَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (وَأَعِنِّي عَلَيْهِ، وَبَارِكْ لِي فِيهِ). وَيَقُولُ بِلَا فَصْلٍ: (لَبَّيْك بِحَجَّةٍ، أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ بِهِمَا). (لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لَا شَرِيك لَك لَبَّيْك، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ لَك، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ).

وَحَكَى ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُهِلُّ مُلَبِّدًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَالْكِسَائِيُّ، وَالْفَرَّاءُ، وَثَعْلَبُ: (بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ مِنْ قَوْلِهِ: (إِنَّ الْحَمْدَ)؛ وَالْمَحْكِيُّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَآخَرِينَ بِفَتْحِهَا).

وَالتَّلْبِيَةُ مَعَ النِّيَّةِ شَرْطَانِ عِنْدَنَا، وَبعْض الشَّافِعِيَّةِ، وَمَذْهَبِهِمْ وَغيْرِهِمْ سُنِّيَّتُهَا، وَالْفَرْضُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَوْ بَعْضًا مِنْهَا، وَالسُّنَّةُ التَّثْلِيثُ.

وَالْمُسْتَحَبُّ كَثْرتُهَا، وَرَفْعُ الصَّوْتِ بِهَا بِلَا ضَررٍ. وَيُكْرَهُ النَّقْصُ مِنْهَا اتِّفَاقًا. وَيُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا.

فَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (أَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ التَّلْبِيَةَ. قَالَ: وَالنَّاسُ يَزِيدُونَ ذَا الْمَعَارِجِ، وَنَحْوه مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْمَعُ، فَلَا يَقُولُ لَهُمْ شَيْئًا).

وَمِنْ أَحْسَنِ الزِّيَادَةِ: أَنْ يَقُولَ، كَمَا جَاءَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَبَّيْكَ، إِلَهَ الْحَقِّ). وَكَمَا جَاءَ عَنْ عُمَرَ: (لَبَّيْكَ ذَا النَّعْمَاءِ، وَالْفَضْلِ الْحَسَنِ، لَبَّيْكَ مَرْهُوبًا مِنْكَ، وَمَرْغُوبًا إِلَيْكَ).

وَكَمَا ثَبَتَ عَنْ ابْنِهِ: (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ، إِلَهَ الْخَلْقِ لَبَّيْكَ، بِحَجَّةٍ حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا، لَبَّيْكَ، إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ). وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَالْمَأْثُورُ يُسْتَحَبُّ زِيَادَتُهُ، وَغَيْرُهُ جَائِزٌ وَحَسَنٌ.

وَإِنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَحَسَنٌ أَيْضاً. وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَ الْبَزَّارُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشْفَعُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]). كَذَا فِي [الْبُدُورِ السَّافِرَةِ] لِلسُّيُوطِيِّ.

وَقَالَ مُلَّا عَلِيٌّ الْقَارِيّ: (فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوَّلُ مَنْ قَالَ: بَلَى، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ: لَبَّيْكَ، فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَأَوَّلُ مَنْ لَبَّى فِي بَعْثِ الْأَشْبَاحِ).

وَإِنْ أَحْرَمَ مِنْ غَيْرِهِ، سَمَّاهُ فِي النِّيَّةِ وَالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ.

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ تَلْبِيَتِهِ، سَأَلَ اللَّهَ رِضْوَانَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ، وَاسْتَعَاذَ بِرَحْمَتِهِ مِنَ النَّارِ). وَمِنَ الْمَأْثُورِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك رِضَاك وَالْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِك مِنْ غَضَبِك وَالنَّارِ).

وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ أَحْرَمَ لَكَ شَعْرِي وَبَشَرِي، وَلَحْمِي وَدَمِي، مِنَ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ، وَكُلِّ شَيْءٍ حَرَّمْتَهُ عَلَى الْمُحْرِمِ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ الْكَرِيمِ).

وَفِي [شَرْحِ الْكَنْزِ]: اسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ التَّلْبِيَةِ: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى فَرْضِ الْحَجِّ، وَتَقَبَّلْهُ مِنِّي، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَفْدِكَ، الَّذِينَ رَضِيت عَنْهُمْ، وَارْتَضَيْت، وَقَبِلْتَ، اللَّهُمَّ قَدْ أَحْرَمَ لَك شَعْرِي، وَبَشَرِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَمُخِّي، وَعِظَامِي). قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: وَيَخْتِمُ دُعَاءَهُ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ التَّلْبِيَةِ، قَاعِدًا، وَقَائِمًا، وَمُضْطَجِعًا، وَمَاشِيًا، وَرَاكِبًا، وَنَازِلًا وَوَاقِفًا، وَسَائِرًا، وَطَاهِرًا وَمُحْدِثًا، جُنُبًا وَحَائِضًا، وَنُفَسَاءَ.

وَعِنْدَ تَغَيُّرِ الْحَالَاتِ، وَاخْتِلَافِهَا زَمَانًا وَمَكَانًا، وَكُلَّمَا عَلَا شَرَفًا، أَوْ هَبَطَ وَادِيًا.

وَعِنْدَ إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِالْأَسْحَارِ، وَدُبُرِ الصَّلَوَاتِ، فَرْضًا أَوْ نَفْلاً، وَعِنْدَ رُكُوبٍ وَنُزُولٍ، وَلِقَاءِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَعِنْدَ اسْتِيقَاظِهِ مِنَ النَّوْمِ، وَاسْتِعْطَافِ رَاحِلَتِهِ، وَفِي الْمَسَاجِدِ.

وَأَنْ يَقُولَ، إِذَا رَأَى مَا يُعْجِبُهُ: (لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ). اقْتِدَاءً بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا كَانُوا جَمَاعَةً، لَا يَمْشِي أَحَدٌ عَلَى تَلْبِيَةِ الْآخَرِينَ، بَلْ يُلَبِّي كُلُّ شَخْصٍ عَلَى حِدَةٍ.

وَيُسَنُّ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي مَسْجِدٍ، أَوْ مِصْرًا، أَوْ امْرَأَةً، لِمَا فِيهِ مِنْ خَوْفِ الرِّيَاءِ، وَالْأَذَى وَالْفِتْنَةِ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِهَا، ثُمَّ يَخْفِضَهُ.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْطَعَهَا بِكَلَامٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي خِلَالِهَا، جَازَ لَهُ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنْ يُؤَخِّرَ إِنْ لَمْ يَفُتْ، وَيُكْرَهُ لِغَيْرِهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ يُلَبِّي، حَتَّي يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ، أَو يَطُوفَ لِلْإِفَاضَةِ، أَوْ يَحْلِقَ، أَوْ يَمْضِي يَوْمِ النَّحْرِ.

وَالذَّبْحُ يَقُومُ مَقَامَ الرَّمْيِ، إِنْ كَانَ لِلْقِرَانِ أَو التَّمَتُّعِ، وَإِلَّا فَلَا.

وَإِنْ كَانَ مُعْتَمِرًا يَقْطَعُهُ عِنْدَ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ.

وَيَجُوزُ لِلْمُحْرِمِ إِنْشَادُ الشِّعْرِ، لَا إِثْمَ فِيهِ، بَلْ يُسْتَحَبُّ إِذَا جُعِلَ بِهِ نَشَاطٌ فِي الطَّاعَةِ.

وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهْ

ضَـرْبًا يُزِيـلُ الْهَـامَ عَـنْ مَقِيلِـهْ   وَيُـذْهِلُ الْخَلِيـلَ عَـنْ خَلِيلِـهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

وَهُــنَّ يَمْشِــينَ بِنَــا هَمِيسَــا   إِنْ تَصْـدُقِ الطَّيْـرُ نَنِـكْ لَمِيسَـا

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،: (كُنَّا نَنْشُدُ الْأَشْعَارَ فِي حَالَةِ الْإِحْرَامِ. فَقِيلَ لَهُ: مِثْلَ مَاذَا؟ فَقَالَ: مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ:

قَامَـتْ تُرِيكَ رَهْبَـةً أَنْ تَهْضِـمَا   سَــاقًا بَخَنْــدَاةً وَكَعْبًــا أَدْرَمَــا

وَ(الْبَخَنْدَاةُ) مِنَ النِّسَاءِ: التَّامَّةُ، وَ(الدَّرْمُ) فِي الْكَعْبِ أَنْ يُوَارِيَهُ اللَّحْمُ، فَلَا يَكُونُ لَهُ نُتُوءٌ ظَاهِرٌ.

فَصْــلٌ: وَإِذَا وَصَلَ أَوَّلَ الْحَرَمِ، فَعَلَيْهِ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَالدُّعَاءِ بِقَضَاءِ الْأَوْطَارِ، وَكَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ الْأَنْبِيَاءُ كَانُوا يَدْخُلُونَ الْحَرَمَ مُشَاةً). وَعَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (حَجَّ أَلْفٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، حَتَّى عَقَلُوا أَنْعَامَهُمْ بِذِي طُوًى).

وَفِعْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِدَفْعِ الْحَرَجِ، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْحَرَمَ حَرَمُكَ، وَحَرَمَ رَسُولِكَ، فَحَرِّمْ لَحْمِي وَدَمِي وَعَظْمِي عَلَى النَّارِ).

(اللَّهُمَّ أَمِّنِّي مِنْ عَذَابِكَ، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ).

وَيُثْنِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو لِوَالِدَيْهِ وَمَشَايِخِهِ، وَأَقَارِبِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَصْلٌ: وَإِذَا رَأَى ثَنِيَّاتَ مَكَّةَ: قَالَ: (اللَّهُمَّ اجْعَل بِهَا قَرَارًا، وَارْزُقْنِي فِيهَا رِزْقًا حَلالًا). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ مَنَايَانَا بِهَا، حَتَّى تُخْرِجْنَا مِنْهَا).

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ، عِنْدَ دُخُولِهِ، -يَعْنِي مَكَةَ-: اللَّهُمَّ الْبَلَدُ بَلَدُكَ، وَالْبَيْتُ بَيْتُكَ، جِئْتُكَ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ وَأَؤُمُّ طَاعَتَكَ، مُتَّبِعًا لِأَمْرِكَ، وَرَاضِيًا بِقَدَرِكَ، مُسَلِّمًا لِأَمْرِكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَيْكَ، الْمُشْفِقِ مِنْ عَذَابِكَ، أَنْ تَسْتَقْبِلَنِي بِعَفْوِكَ، وَأَنْ تَتَجَاوَزَ عَنِّي بِرَحْمَتِكَ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي جَنَّتَكَ).

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: (إِذَا دَخَلْتَ مَكَّةَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَالْبَلَدُ بَلَدُكَ، جِئْتُ فَارًّا مِنْكَ إِلَيْكَ، لِأُؤَدِّيَ فَرَائِضَكَ، مُتَّبِعًا لِأَمْرِكَ، رَاضِيًا بِقَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَحْفَظَنِي بِرَحْمَتِكَ، وَتَتَجَاوَزَ عَنِّي بِعَفْوِكَ، وَتُعِينَنِي عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِكَ).

فَصْلٌ: وَإِذَا بَلَغَ الرَّدْمَ: الْمُسَمَّى بِالدُّعَاءِ، يَقِفُ وَيَدعُو، كَمَا قَالَ مُلَّا عَلِيٍّ القَارِئِ، وَقَالَ: (أَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِيهِ، وَفِي غَيْرِهِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَيَكُونُ فِي دُخُولِهِ مُلَبِّيًا دَاعِيًا.

فَصْـلٌ: وَإِذَا أَتَى بَابَ السَّلَامِ: دَعَا بِمَا تَقَدَّمَ فِي فَضْلِ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ الْمُلَّا: (وَيُنَاسِبُ لِلْمَقَامِ، مَا رُوِيَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ،

وَإِلَيْكَ السَّلَامُ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ، وَأَدْخِلْنَا دَارَكَ دَارَ السَّلَامِ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

فَصْلٌ: وَإِذَا رَأَى الْبَيْتَ: يُسَنُّ لَهُ أَنْ يُكَبِّرَ وَيُهَلِّلَ وَيَدعو، لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يُسْتَجَابُ دُعَاءُ الْمُسْلِمِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ). وَلِحَدِيثِ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، قَالَ: اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا، وَتَعْظِيمًا، وَتَكْرِيمًا، وَبِرًّا، وَمَهَابَةً).

وَمِنَ الْمَأْثُورِ هُوَ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الْبَيْتِ، قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

ثُمَّ يَقُولُ، بِلَا رَفْعِ يَدٍ، عَلَى الْمَذْهَبِ: (اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا، وَتَعْظِيمًا، وَتَكْرِيمًا، وَبِرًّا، وَمَهَابَةً، وَزِدْ مِنْ شَرَفِهِ وَكَرَمِهِ، مِمَّنْ حَجَّهُ أَوْ اعْتَمَرَهُ، تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَبِرًّا). وَيَقُولُ أَيْضًا: (أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ، وَمِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ).

وَيَدعُو بِمَا بَدَأَ لَهُ، وَمِنْ أَهَمِّ الْأَدْعِيَةِ طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلَا حِسَابٍ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، الْمَلِكِ الْوَهَّابِ. ذُكِرَ فِي [الْمَنَاقِبِ]: (أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

أَوْصى رَجُلًا يُرِيدُ السَّفرَ، إِلَى مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ، أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الْبَيْتِ، بِاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ، فَإِذَا اُسْتُجِيبَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ، صَارَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ).

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي [حِلْيَتِهِ]، عَنْ نَصْرِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: (دَخَلْتُ أَنَا وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، -يَعْنِي الصَّادِقَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَقُلْتُ: إِنِّي أُرِيدُ دُخُولَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا أَدْعُو بِهِ، فَقَالَ: إِذَا بَلَغْتَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى الْحَائِطِ، ثُمَّ قُلْ: يَا سَابِقَ الْفَوْتِ، يَا سَامِعَ الصَّوْتِ، يَا كَاسِيَ الْعِظَامِ لَحْمًا بَعْدَ الْمَوْتِ، ثُمَّ ادْعُ بِمَا شِئْتَ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الطَّوَافِ

اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ أَذْكَارِ الطَّوَافِ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ)، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْوَارِدُ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَدْرَكْتُ النَّاسَ، مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَهُمْ يَقُولُونَ فِي الطَّوَافِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ).

(وَسُئِلَ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الطَّوَافِ، فَقَالَ: سَبِّحِ اللَّهَ وَأَذْكُرهُ، فَإِذَا فَرَغْتَ، فَاقْرَأْ مَا شِئْتَ).

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ، بَلْ كُلٌّ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ، فَجَمَعَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَلَمْ يُعَيِّنْ الْإِمَامُ مُحَمَّد، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِمَشَاهِدِ الْحَجِّ شَيْئًا مِنَ الدَّعَوَاتِ، لِأَنَّ تَوْقِيتَهَا يُذْهِبُ بِرِقَّةِ الْقَلْبِ، إِذْ

يَصِيرُ كَمَنْ يُكَرِّرُ مَحْفُوظًا، بَلْ يَدعُو بِمَا بَدَأَ لَهُ، وَيَذْكُرِ اللَّهَ بِمَا خَطَرَ لَهُ، مِمَّا يُوَافِقُ الشَّرْعَ، وَإِنْ أَتَى بِالْمَأْثُورِ فَحَسَنٌ.

قَالَ الْمُلَّا عَلِيٌّ: (لَكِنْ الْأَظْهَرُ اخْتِيَار الْمَأْثُور عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْتَحَبٌّ، وَالْمَرْوِيُّ عَنْ السَّلَفِ مُسْتَحْسَنٌ، وَيَجُوزُ الاكْتِفَاءُ بِمَا يَرِدُ عَلَى السَّالِكِ، إِنْ كَانَ أَهْلاً لِذَلِكَ). اهـ.

ثُمَّ الْوَارِدُ فِي كُلِّ مَحَلٍّ، أَفْضَل فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ، حَتَّى مِنَ التِّلَاوَةِ، عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ. فَإِذَا كَانَ الْمَأْثُورُ فِيهِ كَثِيرًا، وَالْوُقُوفُ أَيْضًا خَطِيرٌ، إِذْ هُوَ خِلَافُ سُنَّة مُوَالَاةِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ. فَيَنْبَغِي إِتْيَانٌ مِنْهُ بِمَا أَمْكَنَ.

فَمِنْ ذَلِكَ إِذَا حَاذَى الْحَجَر الْأَسْوَدِ فِي الِابْتِدَاءِ، وَفِي كُلِّ طَوَافِهِ، قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِيمَانًا بِكَ، وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

وَزَادَ بَعْضُهُمْ: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَسَطْتُ يَدِي، وَفِيمَا عِنْدَكَ عَظُمَتْ رَغْبَتِي، فَاقْبَلْ دَعْوَتِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، وَجُدْ لِي بِمَغْفِرَتِكَ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، (أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقُولُ إِذَا كَبَّرَ لِاسْتِلَامِ الْحَجَرِ: بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، عَلَى مَا هَدَانَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ، وَمَا يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ، الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ).

وَإِذَا حَاذَى الْمُلْتَزَمَ: دَعَا بِقَوْلِهِ: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ مَدَدْتُ يَدِي، وَفِيمَا عِنْدَكَ عَظُمَتْ رَغْبَتِي، فَاقْبَلْ دَعْوَتِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، وَجُدْ لِي بِمَغْفِرَتِكَ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ).

وَقَالَ بَعْدَهُ: (اللَّهُمَ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حُقُوقًا؛ فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَيَّ).

وَإِذَا كَانَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ: قَالَ: (اللَّهُمَّ، -أَوْ رَبِّ-، قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ). (لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَإِذَا حَاذَى الْبَابَ: قَالَ: (اللَّهُمَّ هَذَا الْبَيْتُ بَيْتُكَ، وَهَذَا الْحَرَمُ حَرَمُكَ، وَهَذَا الْأَمْنُ أَمْنُكَ، وَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِينَ بِكَ مِنَ النَّارِ).

وَلَا يَقْصِدُ مَقَام إِبْرَاهِيمَ، وَلَا يُرِيدُهُ بِالْعَائِذِ أَيْضًا، بَلْ يَقْصِدُ بِالْمَقَامِ هَذَا الْمَكَان، وَبِالْعَائِذِ جِنْس الْمُسْتَعِيذ، وَخُصُوصُ نَفْسَهُ.

وَقَالَ السُّرُوجِيُّ: (وَإِذَا حَاذَى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ، الْعَائِذُ اللَّائِذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ حَرِّمْ لُحُومَنَا وَبَشَرَتَنَا عَلَى النَّارِ).

وَإِذَا حَاذَى الرُّكْنَ الْعِرَاقِيَّ: قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشِّرْكِ وَالشَّكِّ وَالنِّفَاقِ وَالشِّقَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ).

وَإِذَا حَاذَى الْمِيزَابَ: قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَزُولُ، وَيَقِينًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، وَلَا بَاقِي إِلَّا وَجْهَكَ، وَاسْقِنِي بِكَأْسِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَرْبَةً هَنِيئَةً، لَا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا).

وَرُوِيَ عَنْهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ إِذَا حَاذَى مِيزَابَ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ فِي الطَّوَافِ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابِ).

وَإِذَا حَاذَى الرُّكْنَ الشَّامِيَّ: قَالَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَعَمَلًا مَقْبُولًا، وَتِجَارَةً لَنْ تَبُورَ، يَا عَزِيزُ، يَا غَفُورُ، يَا عَالِمُ مَا فِي الصُّدُورِ، أَخْرِجْنِي مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).

وَإِذَا أَتَى الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ: قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

(اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي، كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى كَلِيمِكَ، وَعِيسَى رُوحِكَ، وَمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَبِيِّكَ). (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا مَرَّ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالذُّلِّ، وَالْفَقْرِ، وَمَوَاقِفِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وُكِّلَ بِهِ، -يَعْنِي بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ-، سَبْعُونَ مَلَكًا، مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، قَالُوا: آمِينَ).

وَيَقُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، لِمَا وَرَدَ. وَيَقُولُ إِذَا قَرُبَ مِنَ الْحَجَرِ: (يَا وَاحِدُ، لَا

تَنْزِعْ مِنِّي نِعْمَةً، أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ). وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي طَوَافِهِ.

وَهكَذَا يَفْعَلُ فِي كُلِّ شَوْطٍ، كَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَيَقُولُ فِي رَمْلِهِ، فِي الْأَشْوَاطِ الثَّلَاثَةِ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا).

وَيَقُولَ فِي الْأَطْوَافِ الْأَرْبَعَةِ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ. اللَّهُمَّ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾).

وَمِنَ الْمَأْثُورِ عِنْدَ الْتِزَامِ الْمُلْتَزَمِ: (يَا وَاحِدُ يَا مَاجِدُ، لَا تُزِلْ عَنِّي نِعْمَةً، أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ).

وَدُعَاءُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْأَزْرَقِيُّ، فِي [تَارِيخِهِ]: (أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ نَزَلَ، ثُمَّ صَلَّى تُجَاهَ الْكَعْبَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى الْمُلْتَزَمَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سَرِيرَتِي، وَعَلَانِيَتِي، فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَمَا عِنْدِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي، فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَالرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ عَلَيَّ. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، قَدْ دَعَوْتَنِي بِدُعَاءٍ فَاسْتَجَبْتُ لَكَ، وَلَنْ يَدْعُوَنِي بِهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِكَ، إِلَّا كَشَفْتُ غُمُومَهُ، وَهُمُومَهُ، وَكَفَفْتُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَنَزَعْتُ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ، وَجَعَلْتُ الْغِنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَجَرْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُهَا).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ سَمِعَ الْخَضِرَ، يَقُولُ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْأَسْتَارِ: (يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنَ سَمْعٍ، يَا مَنْ لَا يَغْلَطُهُ السَّائِلُونَ، يَا مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ، أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ).

وَمِنْ الْمُسْتَحْسَنِ: (إِلَهِي وَقَفْتُ بِبَابِكَ، وَالْتَزَمْتُ بِأَعْتَابِكَ، أَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَاخْشَى عِقَابَكَ). (اللَّهُمَّ حَرِّمْ شَعْرِي وَجَسَدِي عَلَى النَّارِ). (اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ سُجُودٍ لِغَيْرِكَ، فَصُنْ وَجْهِي عَنْ مَسْأَلَةٍ لِغَيْرِكَ). (اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَعْتِقْ رِقَابَنَا، وِرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ، يَا كَرِيمُ، يَا غَفَّارُ، يَا عَزِيزُ، يَا جَبَّارُ. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَمِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْثُورَةِ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَكَ، وَيُكَافِئُ مَزِيدَكَ، أَحْمَدُكَ بِجَمِيعِ مَحَامِدِكَ، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَعَلَى جَمِيعِ نِعَمِكَ، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَعَلَى كُلِ حَالٍ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. اللَّهُمَّ أَعِذْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَقَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَكْرَمِ وَفْدِكَ عَلَيْكَ، وَأَلْزِمْنِي سَبِيلَ الاسْتِقَامَةِ، حَتَّى أَلْقَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

ثُمَّ يَدْعُو بِمَا أَحَبَّ.

وَيَدْعُو بَعْدَ رَكْعَتَيْ الطَّوَافِ، فِي الْمَقَامِ: بِمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَذَا بَلَدُكَ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَبَيْتُكَ الْحَرَامُ، وَأَنَا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، وَقَدْ جِئْتُ

طَالِبًا رَحْمَتَكَ، مُبْتَغِيًا مَرْضَاتِكَ، وَأَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ، فَاغْفِر وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وَبِدُعَاءِ آدَم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ دَعَا بِهِ فِيهِ أيضاً، وَعِنْد الرُّكْنَ الْيَمَانِيِّ، كَذَلِك وَبِمَا أَحبَّ.

فَصلٌ: فِي أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ وَأَحْوَالِهَا وَأَشْخَاصِهَا وَأَمَاكِنِهَا

أَمَّا الْأُولَى: فَمِنْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَشَهْرُ رَمَضَانَ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ، عِنْدَ جُلُوسِ الْإِمَامِ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِلَى أَنْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، أَوْ وَقْت الْعَصْرِ مِنْهَا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْمَشَايِخُ فِي [التَّتَارْخَانِيَّة].

وَقِيلَ: الْيَوْمُ كُلُّهُ، وَلَيْلَتُهَا كُلُّهَا، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ، قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ قَوْلًا، ذَكَرْتُهَا فِي [الْجَوَاهِرِ اللُّمْعَةِ فِي فَضَائِلِ الْجُمُعَةِ]. وَنِصْفُ اللَّيْلِ الثَّانِي، وَثُلُثُهُ الْأَوَّلِ، وَثُلُثُهُ الْأَخِيرِ، وَجَوْفُهُ. وَوَقْت السَّحَرِ، وَلَيْلَة الْعِيدَيْنِ، وَأَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، وَلَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: «وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ أَرْجَى ذَلِكَ». وَقَالَ الْمُلَّا: «وَفِيهِ نَظَرٌ، إِذْ لَا دَلِيلَ يَظْهَرُ عَلَى أَنَّهَا أَرْجَى، مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَكَذَا مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ».

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَمِنْهَا دُبُرِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ، وَفِي السُّجُودِ، وَعَقِبَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، لَا سِيَّمَا الْخَتْمُ، خُصُوصًا مِنَ الْقَارِئِ، وَعِنْدَ النِّدَاءِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَبَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ، لِمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ وَشِدَّةٌ، وَعِنْدَ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ، وَصِيَاحِ الدِّيكَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ،

وِالْتِحَامِ الْجُيُوشِ، وَشُرْبِ مَاء زَمْزَمَ، وَالْحُضُور عِنْدَ الْمَيِّتِ، وَعِنْد تَغْمِيضِهِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ قَوْلِ الْإِمَامِ: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، وَرُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ، وبَيْنَ الْجَلَالَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَالْمُضْطَرُّ، وَالْمَظْلُومُ، وَلَوْ فَاجِرًا أَوْ كَافِرًا، وَالْوَالِدُ إِذَا كَانَ مُحِقًّا، وَالْوَالِدَةُ بِالْأَوْلَى، كَمَا قَالَ الْمُلَّا، وَالْوَلَدُ الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرِيضُ، وَالْمُسَافِرُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَحِينَ يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ، وَالْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَالْمُسْلِمُ مَا لَمْ يَدْعُ بِظُلْمٍ وَقَطِيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ أُجِبْ، وَمَنْ دَعَا بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ مُطْلَقًا، وَدَعْوَةُ الْحَاجِّ لَا تُرَدُّ، حَتَّى يَصْدُرُ أَيْ يَرْجِعُ، وَللّهِ عُتَقَاءُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ.

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَقَدْ نُقِلَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ هُنَالِكَ، فِي خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا: فِي الطَّوَافِ، وَعِنْدَ الْمُلْتَزَمِ، وَتَحْتَ الْمِيزَابِ، وَفِي الْبَيْتِ، وَعِنْدَ زَمْزَمَ، وَعِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالسَّعْيِ، وَخَلْفَ الْمَقَامِ، وَفِي عَرَفَاتٍ، وَفِي الْمُزْدَلِفَةِ، وَفِي مِنًى، وَعِنْدَ الْجَمَرَاتِ الثَّلَاث).

وَزَادَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ: (عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَفِي الْحَطِيمِ، وَعِنْدَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ لِلْمُسْتَجَارِ، وَرُؤْيَةِ الْبَيْتِ، وَلَدَى السِّدْرَةِ بِعَرَفَاتٍ). وَقَدْ شَرَحْتُ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ، فِي مُؤَلَّفٍ أَنِيقٍ سَمَّيْتُهُ: [الْإِنَابَةُ فِي أَمَاكِنِ الإِجَابَةِ].

وَنَقَلَ بَعْضُهُمْ، عَنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ النَّقَّاشِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعِينَ بُقْعَةٍ مِنَ الْحَرَمِ، وُقِّتَ بَعْضَهَا وَالْبَعْضَ لَا، فَمِنْهَا مَا تَقَدَّمَ،

وَمِنْهَا عِنْدَ الدُّخُولِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَفِي دَارِ خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَفِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَارِ الْخَيْزرَانِ، وَمَسْجِدِ الشَّجَرَةِ، وَالْمُتَّكَا، وَجَبَلِ ثَوْرٍ، وَحِرَاءٍ، وَثَبِيرٍ، وَمَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَمَسْجِدِ الْكَبْشِ، وَمَسْجِدِ النَّحْرِ، وَمَسْجِدِ الْبَيْعَةِ، وَغَارِ الْمُرْسَلاَتِ، وَمَغَارَةِ الْفَتْحِ).

وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ النَّيْسَابُورِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ، خَمْسَة عَشَرَ، وَعَدَّ مِنْهَا: بَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَهُوَ الْعَقْدُ الَّذِي خَلْفَ الْمَقَامِ، عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَبَابُ إِبْرَاهِيمَ، وَبَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَعْرُوف بِبَابِ الْعَطَّارِينَ، وَقِيلَ: هُوَ بَابُ السَّلاَمِ، وَبَابُ الصَّفَا، وَمُجَاوِرُ الْمِنْبَرِ، حَيْثُ يَقِفُ الْمُحَمَّدِيُّونَ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْحَرَمَ مَحَلُّ تَعْظِيمٍ، وَفَضْلُهُ جَسِيمٍ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (أَنَّ الدُّعَاءَ مُسْتَجَابٌ فِي جَمِيعِهِ، فَمَنْ لَمْ يُكْثِرْ الدُّعَاء فِيهِ، فَهُوَ مَحْرُومٌ، خُصُوصًا فِي أَمَاكِنِ الْإِجَابَةِ مِنْهُ).

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ مِنْهَا مَا لَهُ دُعَاءٌ مَأْثُورٌ، وَمِنْهَا مَا لَيْسَ كَذَلِكَ. وَالْأَوَّلُ ذَكَرْتُ مِنْهُ: الطَّوَاف، وَالْمُلْتَزَم، وَالْمَقَام، وَالْحَجَر الْأَسْوَدِ، وَالرُّكْن الْيَمَانِيِّ، وَرُؤْيَة الْبَيْتِ. وَسَأَذْكُرُ مِنْهُ الْآنَ مَا لَيْسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِأَفْعَالِ الْحَجِّ، وَالْبَاقِي فِيهَا.

فَمِنْ ذَلِكَ الْحِجَر، وَمِنَ الْمَأْثُورِ فِيهِ، أَنْ يَقُولَ إِذَا دَخَلَهُ: (يَا رَبِّ، أَتَيْتُكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، مُؤَمِّلاً مَعْرُوفَكَ، فَأَنِلْنِي مَعْرُوفًا، مِنْ مَعْرُوفِكَ، تُغْنِينِي بِهِ عَنْ مَعْرُوفٍ مِنْ سِوَاكَ، يَا مَعْرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، (أَنَّهُ دَخَلَ، هُوَ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْبَيْتَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَجَافَ الْبَابَ، وَالْبَيْتَ إِذْ ذَاكَ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ، فَمَضَى حَتَّى أَتَى الْأُسْطُوَانَتَيْنِ، اللَّتَيْنِ تَلِيَانِ الْبَابَ، بَابَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ وَاسْتَغْفَرَهُ، ثُمَّ قَامَ حَتَّى أَتَى مَا اسْتَقْبَلَ مِنْ دُبُرِ الْكَعْبَةِ، فَوَضَعَ وَجْهَهُ وَخَدَّهُ عَلَيْهِ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ، وَاسْتَغْفَرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى كُلِّ رُكْنٍ، مِنْ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَالْمَسْأَلَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، ثُمَّ خَرَجَ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ، وَمِنَ الْأَشْرَفِ طَلَب رِضْوَانِ اللَّهِ وَقُرْبِهِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ كَمَا أَدْخَلْتَنِي بَيْتَكَ فَأَدْخِلْنِي جَنَّتَكَ). (اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَعْتِقْ رِقَابَنَا، وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ، يَا عَزِيزُ يَا جَبَّارُ). (اللَّهُمَّ يَا خَفِيَّ الْأَلْطَافِ، أَمِنَّا مِمَّا نَخَافُ).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). (﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]).

وَمِنْهَا أَيْضاً زَمْزَم: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ).

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ شَرِبَهُ، لِأَيِّ قَصْدٍ كَانَ، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَك، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْرَبُهُ لِكَذَا، وَيُعَيِّنُ مُرَادَهُ).

وَلَمَّا أَتَى الْإِمَامُ الْحِجَّةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَاسْتَقَى مِنْهُ شَرْبَةً، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْمَوَالِي، حَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ. وَهَا أَنَا أَشْرَبُهُ لِعَطَشِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ شَرِبَ). وَيَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ).

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (إِذَا شَرِبَ زَمْزَمَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَسِقَمٍ).

وَزَادَ بَعْضُهُمْ: (وَاغْسِلْ قَلْبِي مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَامْلَأْهُ مِنْ خَشْيَتِك، وَأَرْوِنِي يَوْم الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ، بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَيَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا، وَيُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَى فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ مَرَّةٍ، وَيَحْمَدُهُ فِي فَرَاغِهَا.

فَصْلٌ: فِي السَّعْيِ

يُسْتَحَبُّ إِذَا قَرُبَ مِنَ الصَّفَا، أَنْ يَقُولَ: (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ). ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَيَصْعَدُ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يَرَى الْبَيْتَ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ لِلدُّعَاءِ بَسْطًا، لَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَهَلَةُ مِنَ الرَّفْعِ، كَهَيْئَةِ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَيَقُولُ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَاللَّهِ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]).

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

(وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ، كَمَا هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ، أَنْ لَا تَنْزِعَهُ مِنِّي، حَتَّى تَتَوَفَّانِي، وَأَنَا مُسْلِمٌ).

(سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ). (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ، وَلِمَشَايِخِي، وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ). ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١- ١٨٢]. وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ ثَلَاثًا.

وَيُطِيلُ الْقِيَامَ عَلَى الصَّفَا، بِقَدْرِ سُورَةٍ مِنْ طِوَالِ الْمُفَصَّلِ، أَوْ بِقَدْرِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ آيَةٍ، مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

عَنْ نَافِعٍ، (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، كَانَ إِذَا رَقَى عَلَى الصَّفَا، كَبَّرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَيَصْنَعُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَذَلِكَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ التَّكْبِيرِ، وَسَبْعٌ مِنَ التَّهْلِيلِ، ثُمَّ يَدْعُو فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ ثُمَّ يَهْبِطُ. وَأَنَّهُ إِذَا رَقَى عَلَى الْمَرْوَةِ، فَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَ عَلَى الصَّفَا، يَصْنَعُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ سَعْيِهِ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الصَّفَا: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ).

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (وَمِنْ دُعَاءِ ابْنِ عُمَرَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَعِيمِ، وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ).

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، اللَّهُمَّ إِذْ هَدَيْتَنِي لِلإِسْلَامِ، فَلَا تَنْزِعْنِي مِنْهُ، وَلَا تَنْزِعْهُ مِنِّي حَتَّى تَتَوَفَّانِي عَلَى الإِسْلَامِ. اللَّهُمَّ لَا تُقَدِّمْنِي إِلَى الْعَذَابِ، وَلَا تُؤَخِّرْنِي لِسُوءِ الْفِتَنِ).

قَالَ: (وَيَدْعُو دُعَاءً كَثِيرًا، حَتَّى إِنَّهُ لَيُمِلُّنَا، وَإِنَّا لَشَبَابٌ).

قَالَ الْغَزَالِيُّ: (يَقُولُ فِي أَوَّلِهِ: الْحَمْدُ للهِ، بِمَحَامِدِهِ كُلِّهَا، عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّهَا).

وقَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَرَوَيْنَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عَلَى الصَّفَا: اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا بِدِينِكَ، وَطَوَاعِيَتِكَ، وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَجَنِّبْنَا حُدُودَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نُحِبُّكَ، وَنُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ، وَأَنْبِيَاءَكَ وَرُسَلَكَ، وَنُحِبُّ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ حَبِّبْنَا إِلَيْكَ، وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى أَنْبِيَائِكَ، وَرُسُلِكَ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ يَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى، وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ)

وَإِذَا هَبَطَ مِنَ الصَّفَا: قَالَ: (اللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَيَقُولُ بَيْنَ الْمِيلَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ: (رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمْ، إِنَكَ أَنْتَ الْأَعَزُ الْأَكْرَمُ). (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجّاً مَبْرُوراً، وَسَعْياً مَشْكُوراً، وَذَنْباً مَغْفُوراً). (اللَّهُمَّ ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.)

قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُخْتَارَةِ فِي السَّعْيِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، و وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْفَوْزَ بالجَنَّةِ، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّارِ).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى). (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ).

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ أَحَبَّ، وَيَقُولُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَنَحْوِهَا.

وَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ: فَعَلَ فِيهَا كَمَا فَعَلَ فِي الصَّفَا.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْتِمَ خَتْمَةً، فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ، فَمَنْ زَادَ فَحَسَنٌ، إِذْ الْحَسَنَةُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ.

فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ الْعَشْرِ الْأَوَلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. قَالَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَالْجُمْهُورُ: (هِيَ الْعَشْرُ). وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: (هِيَ أَيَّامُ الذَّبْحِ). وَمِنْهُمْ مَالِكٌ وَأَبُو يُوسُفَ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ، إِلَا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ).

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ: (مَا الْعَمَلُ، فِي أَيَّامٍ، أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ. قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا، مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا، بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا، بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا أَيَّامٌ جَلِيلَةٌ، فَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنَ الذِّكْرِ فِيهَا، لَا سِيَّمَا يَوْم عَرَفَةَ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ. عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ (أَنَّهُ رَأَى سَائِلاً، يَسْأَلُ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ. فَقَالَ: يَا عَاجِزُ، فِي هَذَا الْيَوْمِ، يُسْأَلُ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي [صَحِيحِهِ]: (وَكَانَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنًى، فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، فَيُكَبِّرُونَ، وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ، حَتَّى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيرًا). وَقَالَ أَيْضًا: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ، فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا).

وَمِمَّا يَنْبَغِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، هَذَا التَّهْلِيلُ، يُقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ اللَّيَالِي وَالدُّهُورِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْمَطَرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ لَمْحِ الْعُيُونِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ خَيْرٍ مِمَّا يَجْمَعُونَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَدَدَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا، إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِنًى ثُمَّ عَرَفَةَ

إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى مِنًى: يُسْتَحَبُّ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، مُتَوَجِّهًا إِلَى مِنًى، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، فَبَلِّغْنِي صَالِحَ أَمَلِي، وَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَهْلِ طَاعَتِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، لَيْلَةَ عَرَفَةَ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، لَيْسَ فِيهِ إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، سُبْحَانَ اللهِ، الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَوْطِئُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي النَّارِ سُلْطَانُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي الْهَوَاءِ رَحْمَتُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي الْقُبُورِ قَضَاؤُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ، سُبْحَانَ الَّذِي وَضَعَ الْأَرْضَ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ. قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قَالَ: نَعَمْ).

وَإِذَا سَارَ مِنْهَا إِلَى عَرَفَةَ: يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَوَجْهَكَ الْكَرِيمَ أَرَدْتُ، فَاجْعَلْ ذَنْبِي مَغْفُورًا، وَحَجِّي مَبْرُورًا، وَارْحَمْنِي، وَلَا تُخَيِّبْنِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَيُكْثِرُ مِنَ التَّلْبِيَةِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالاسْتِغْفَارِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، مِنْ مِنَى إِلَى عَرَفَاتٍ، مِنَّا الْمُلَبِّي، وَمِنَّا الْمُكَبِّرُ).

وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: (يُهَلِّلُ الْمُهَلِّلُ، فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَيُكَبِّرُ الْمُكَبِّرُ، فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ). وَكُلُّهَا حَسَنٌ، وَإِنْ كَانَ التَّلْبِيَةُ أَفْضَلُ.

وَيَشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، إِلَى آخِرِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: خَيْرُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ، مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَرَوَى مَالِكٌ وَغَيْرُهُ: (أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ قَوْلِي وَقَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي بِعَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا. اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِي اللَّيْلِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِي النَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ مَا تَهُبُّ بِهِ الرِّيَاحُ، وَمِنْ شَرِّ بَوَائِقِ الدَّهْرِ).

وَفِي [أَوْسَطِ الطَّبَرَانِيِّ]: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا الْخَيْرُ خَيْرُ الْآخِرَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَشِيَّةِ عَرَفَةَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَآبِي، وَلَكَ رَبِّي تُرَاثِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ).

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِعَرَفَةَ، يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، يَا رَبِّ).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: (شَهِدْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْم عَرَفَةَ، فَكَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ، قَوْلَهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قَالَ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، يَا رَبِّ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سَرِيرَتِي وَعَلَانِيَتِي، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، وَأَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ، الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ، وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْؤُلِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ).

وَرُوِي عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقِفُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَوْقِفِ، فَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ. ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مِائَةَ مَرَّةٍ. ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ، مِائَةَ مَرَّةٍ. إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مَلَائِكَتِي، مَا جَزَاءُ عَبْدِي هَذَا، سَبَّحَنِي، وَهَلَّلَنِي، وَكَبَّرَنِي، وَعَظَّمَنِي، وَعَرَّفَنِي، وَأَثْنَى عَلَيَّ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّي، اشْهَدُوا مَلَائِكَتِي، أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَشَفَّعْتُهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا، لَشَفَّعْتُهُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، أَلْفَ مَرَّةٍ، أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ).

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ، وَوَقَفَ بِعَرَفَةَ، يَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي بِالْهُدَى، وَقِنِي بِالتَّقْوَى).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَاعْصِمْنِي بِالتَّقْوَى). وَفِي أُخْرَى: (وَاغْفِرْ لِي فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا).

(ثُمَّ يَرُدُّ يَدَيْهِ، فَيَسْكُتُ، كَقَدْرِ مَا كَانَ إِنْسَانٌ قَارِئًا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، حَتَّى أَفَاضَ).

وَعَنْهُ أَيْضًا: (أَنَّهُ كَانَ يَخْفِضُ صَوْتَهُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَعَطَائِكَ، رِزْقًا طَيِّبًا مُبَارَكًا. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالدُّعَاءِ، وَقَضَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالِاسْتِجَابَةِ، وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ، وَلَا تَكْذِبُ عَهْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ خَيْرٍ، فَحَبِّبْهُ إِلَيْنَا، وَيَسِّرْهُ لَنَا، وَمَا كَرِهْتَ مِنْ شَيْءٍ، فَكَرِّهْهُ إِلَيْنَا، وَجَنِّبْنَاهُ، وَلَا تَنْزِعْ عَنَّا الْإِسْلَامَ، بَعْدَ إِذْ أَعْطَيْتَنَا).

وَعَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَتِيقٍ، قَالَ: (حَجَجْتُ فَتَوَسَّمْتُ رَجُلًا، أَقْتَدِي بِهِ، فَإِذَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ فِي الْمَوْقِفِ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِلَهًا وَاحِدًا، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَبُّنَا وَرَبُّ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ هَذَا، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ، وَهُوَ بِعَرَفَاتٍ: (لَا أَدَعُ هَذَا الْمَوْقِفَ، مَا وَجَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلاً، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ يَوْمٌ، أَكْثَرَ عِتْقاً لِلرِّقَابِ فِيهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اعْتِقْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَأَوْسِعْ لِي فِي الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَاصْرِفْ عَنِّي فَسَقَةَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّهُ عَامَّةُ مَا أَدْعُوكَ بِهِ).

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: (بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يُؤْمَرُ، أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ دُعَاءِ الْمُسْلِمِ، فِي الْمَوْقِفِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

فَصْلٌ: فِي الدُّعَاءِ بِعَرَفَاتٍ

(اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْبَلْ حَجَّتِي، وَتَعَبِي، وَنَصَبِي، فَلَا تَحْرِمْنِي الْأَجْرَ عَلَى مُصِيبَتِي، بِتَرْكِكَ الْقَبُولَ مِنِّي).

وَقَفَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ بِعَرَفَةَ، وَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ، وَرَأَى تَلَهُّفَهُمْ وَبُكَاءَهُمْ، فَبَسَطَ كَفَّيْهِ، وَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ:

يَا ذَا الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ الْأَوْحَدِ
إِنَّ الْعُصَاةَ تَجَمَّعُوا ... يَرْجُو نَوَالَكَ سَيِّدِي
قَصَدَتْكَ كُلَّ قَبِيلَةٍ ... مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
حَطُّوا إِلَيْكَ رِحَالَهُمْ ... يَسْتَشْفِعُونَ بِمُحَمَّدِ

فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: (يَا شَيْخُ، قَدْ أَقْبَلَ اللَّهُ ذُو الْعَرْشِ، عَلَى مَنْ رَأَيْتَهُمْ، مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ، وَشَفَّعَ فِيهِمْ خَيْرَ الْخَلْقِ، وَأَجَابَ السُّؤَالَ، وَعَمَّ الْجَمِيعَ بِالْفَضْلِ وَالنَّوَالِ).

وَعَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: (سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَفْضَل يَوْم عَرَفَةَ أَمِ الذِّكْرِ، قَالَ: لَا، بَلْ قِرَاءَة الْقُرْآنِ). وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الطَّوَافِ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَنَّ الْحُكْمَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْمَقَاصِدِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلْيُكْثِرْ مِنْ دُعَاءِ الْخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: (يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَا سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، يَا مَنْ لَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، يَا مَنْ لَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ، وَلَا تُضْجِرُهُ كَثْرَةُ السَّائِلِينَ، أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَهَذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ جَمْعَهُ فِي ذَلِكَ، مِنَ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، وَلِلْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَلَّفْتُ فِيهِ جُزْءًا لَطِيفًا: [اللَّآلِئُ الْمُفْرَدَاتُ فِي أَذْكَارِ عَرَفَاتٍ]، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا وُضِعَ فِي ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي الدُّعَاءُ بِهِ، مَعَ هَذَا، وَبِأَنْوَاعِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ مُنْفَرِدًا، وَبِجَمَاعَةٍ وَبِإِكْثَارٍ.

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَأَقَارِبِهِ، وَمَشَايِخِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَأَحْبَابِهِ. وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وَلْيَحْذَرْ كُلّ الْحَذَرِ فِي التَّقْصِيرِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يُمْكِنُ تَدَارُكَهُ.

وَلَا يَتَكَلَّفَ السَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا بَأْسَ بِقِرَاءَةِ مَا فِيهِ مِنْ تَسْجِيعٍ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَمِنْ الْأَدْعِيَةِ الْمُخْتَارَةِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي رَحْمَةً أَسْعَدُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحًا، لَا أَنْكُثُهَا أَبَدًا، وَأَلْزِمْنِي الاسْتِقَامَةَ، لَا أَزِيغُ عَنْهَا أَبَدًا).

(اللَّهُمَّ انْقُلْنِي مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ، وَأَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ). (وَنَوِّرْ قَلْبِي وَقَبْرِي، وَأَعِذْنِي مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، وَاجْمَعْ لِي الخَيْرَ كُلَّهُ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، وَالتَّلَفُّظ بِالتَّوْبَةِ عَنْ جَمِيعِ الْمُخَالَفَاتِ، مَعَ النَّدَمِ بِالْقَلْبِ، وَيُكْثِرَ مِنَ الْبُكَاءِ مَعَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَبْكِ فَلْيَتَبَاكَ، فَهُنَاكَ تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ، وَتُسْتَقَالُ الْعَثَرَاتُ، وَتُرْتَجَى الطَّلَبَاتُ، وَتُنْجَحُ الْمَقَاصِدُ، وَتُنْجَزُ

النِّيَّاتُ، وَأَنَّهُ لَمَجْمَعٌ عَظِيمٌ، وَمَوْقِفٌ جَسِيمٌ، وَمَنْزِلٌ كَرِيمٌ، يَجْتَمِعُ فِيهِ خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَأَوْلِيَائِهِ الْمُخْلَصِينَ، وَهُوَ أَشْرَفُ مَجَامِعِ الدُّنْيَا.

فَيَنْبَغِي الْإِلْحَاحُ فِيهِ، بِالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَالتَّكْرَارُ مَعَ اسْتِبْطَاءِ الْإِجَابَةِ، وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الْمُخَاصَمَةِ، وَالْمُشَاتَمَةِ، وَالْكَلَامِ الْقَبِيحِ، بَلْ وَمِنَ الْمُبَاحِ. وَفَتْحُ كُلِّ دُعَاءٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَتْمِهِ بِـ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَآمِينَ.

وَيَخْفِضُ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ، رَافِعًا يَدَيْهِ وَبَاسِطًا، وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَيُكْثِرُ مِنَ التَّلْبِيَةِ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، وَمِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَسْتَحِبَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَقُولَ، إِذَا دَنَا غُرُوبَ الشَّمْسِ: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَاجْعَلْنِي فَائِزًا بِالْقَبُولِ وَالرِّضْوَانِ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ).

وَإِذَا أَفَاضَ يُكْثِرُ التَّلْبِيَةَ، فَإِكْثَارِهَا مِثَالَكَ فِيهَا، وَقِرَاءَة الْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ، وَيَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ). وَيُكَرِّرُهُ وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَرْغَبُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، فَتَقَبَّلْ نُسُكِي، وَوَفِّقْنِي، وَارْزُقْنِي مِنَ الْخَيْرِ، أَكْثَرَ مِمَّا أَطْلُبُ، وَلَا تُخَيِّبْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ).

وَإِذَا كَانَ فِي الْمُزْدَلِفَةِ: فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وَقَدْ وَرَدَ: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَلْيُكْثِرْ مِنْهَا. وَإِذَا أَتَاهَا، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ مُزْدَلِفَة، جُمِعَتْ فِيهَا قُلُوبًا مُؤْتَلِفَةً، فَأَلِّفْ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَتوَكَّلَ عَلَيْكَ فكَفَيْتَهُ، وَآمَنَ بِكَ فَهَدَيْتَهُ).

وَيُكْثِرُ مِنَ التَّلْبِيَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْأَدْعِيَةِ. وَتقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى إِحْيَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. وَمِنَ الدُّعَاءِ الْمَذْكُور فِيهَا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ ترْزُقَنِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، جَوَامِعَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنْ تَصْلِحَ شَأْنِي كُلَّهُ، وَأَنْ تَصْرِفَ عَنِّي الشَّرَّ كُلَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرُكَ، وَلَا يَجُودُ بِهِ إِلَّا أَنْتَ).

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ فِي وُقُوفِهِ بِهَا، بَعْدَ الْفَجْرِ، أَنْ يُكَبِّرَ وَيُهَلِّلَ، وَيَحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُكْثِرَ التَّلْبِيَةَ، وَالاسْتِغْفَارَ، وَيَطْلُبَ إِرْضَاءَ الْخُصُومِ.

فَعَنْ جَابِرٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا).

فَكَانَ أَبُو يُوسُفَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَقُولُ فِي حَالِ الْوُقُوفِ بِهَا: (اللَّهُمَّ، إِنَّ هَذَا جَمْعٌ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَنِي فِيهِ جَوَامِعَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُعْطِيهَا غَيْرُكَ. اللَّهُمَّ رَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَرَبَّ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، وَرَبَّ الْمُعْجِزَاتِ الْعِظَامِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَلِّغَ رُوحَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَّا، أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ).

(وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصْلِحَ لِي دِينِي وَذُرِّيَّتِي، وَتَشْرَحَ صَدْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَأَنْ تَقِينِي جَوَامِعَ الشَّرِّ، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ).

(اللَّهُمَّ أَنْتَ خَيْرُ مَطْلُوبٍ، وَخَيْرُ مَرْغُوبٍ إِلَيْهِ، ولِكُلِّ وَفْدٍ جائِزَةٌ، أَسْأَلُك أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي فِي هَذَا الْمَقَامِ، أَنْ تَتَقَبَّلَ تَوْبَتِي، وَتَتَجاوزَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَتَجْمَعَ عَلَى الْهُدَى أَمْرِي، وَتَجْعَلَ الْيَقِينَ مِنَ الدُّنْيَا هَمِّي). اهـ.

وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي، وَأَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، وَأَوْسِعْ عَلَيَّ الرِّزْقَ الْحَلَالَ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَذَا الْمَوْقِفِ، وَارْزُقْنِيهِ أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنِي، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَيَدْعُو بِمَا أَرَادَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ كَمَا وَفقتَنا فِيهِ، وأَرَيْتَنَا إِيَّاهُ، فَوَفِّقْنَا لِذِكْرِكَ كَمَا هَدَيْتَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا، وارْحَمْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا بِقَوْلِكَ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٨- ١٩٩].

وَيُكْثِرُ مِنْ قِرَاءَةِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

وَيُنْدَبُ لَهُ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْكَمَالُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْجَمَالُ كُلُّهُ، وَلَكَ التَّقْدِيسُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا أَسْلَفْتُهُ، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ، وَارْزُقْنِي عَمَلاً صَالِحًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي، يَا ذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِخَوَاصِّ عِبادِكَ، وَأَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَيْكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَنِي جَوَامِعَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ، بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، وَأَنْ تُصْلِحَ حَالِي فِي الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَإِذَا دَفَعَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ: فَلْيَكُنْ بِالسَّكِينَةِ، وَالْوَقَارُ شِعَارُهُ، وَالتَّلْبِيَة وَالْأَذْكَار وَالدُّعَاء بِالْإِكْثَارِ. وَأَسْتَحَبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، أَنْ يَقُولَ فِي الدَّفْعِ: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفَضْتُ، وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْتُ، وَإِلَيْكَ تَوَجَّهتُ، فَاقْبَلْ نُسُكِي، وَعَظِّمْ أَجْرِي، وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَاسْتَجِبْ دَعْوَتِي، وَأَعْطِنِي سُؤْلِي). وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا وَصَلَ إِلَى المُحَسِّرِ أَسْرَعَ، قَائِلاً: (اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ). قَالَ الْأَذْرَعِيُّ الشَّافِعِيُّ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ، إِذَا أَتَى مُحَسِّرًا، الرَّجز الْمَشْهُور.

وَكَانَ عُمَرُ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقًا وَضِينُهَا　　مُعْرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ، عَنْ ابْنِهِ، بِزِيَادَةِ:

قَدْ ذَهَبَ الشَّحْمُ الَّذِي يَزِينُهَا　　إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا

وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

وَإِذَا أَتَى مِنًى: قَالَ: (الحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي بَلَّغَنِيهَا سَالِمًا مُعَافًى، اللَّهُمَّ هَذِهِ مِنَى قَدْ أَتَيْتُهَا وَأَنَا عَبْدُكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَوْلِيَائِكَ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْحِرْمَانِ وَالْمُصِيبَةِ فِي دِينِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

فَصْلٌ: وَعِنْدَ رَمْيِ الْجَمْرَةِ: يَرْفَعُ يَدَهُ، حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطِهِ، قَائِلاً مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ، وَرِضًا لِلرَّحْمَنِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا).

وَكَانَ عَلَيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي بِالْهُدَى، وَقِنِي بِالتَّقْوَى، وَاجْعَلِ الْآخِرَةَ خَيْرًا لِي مِنَ الْأُولَى).

وَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا). وَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، إِذَا رَمَى يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ).

وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، لِلدُّعَاءِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، بِخِلَافِ الْأُولَيَيْنِ، فَإِنَّهُ يَقِفُ عِنْدَهُمَا، بِقَدْرِ عِشْرِينَ آيَةً وَأَكْثَر، وَيَدْعُو بِمَا أَحَبَّ، وَيَقْطَعُ التَّلْبِيَةَ بِأَوَّلِ حَصَاةٍ مِنْهَا.

وَإِنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ: فَلْيَقُلْ عِنْدَ ذَكَاتِهِ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ قَبْلَ الذَّبْحِ، مَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَبَحَ يَوْمَ الْعِيدِ كَبْشَيْنِ، ثُمَّ قَالَ حِينَ وَجَّهَهُمَا: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾، مُسْلِمًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٣]، بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ، وَلَكَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ).

وَزَادَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، بَعْدَ الْآيَاتِ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: (تَقَبَّلْ مِنِّي)، أَوْ (مِنْ فُلَانٍ)، إِنْ لِغَيْرِهِ هَذَا النُّسك، أَوْ هَذِهِ الْأُضْحِيَّةَ، (وَاجْعَلْهَا قُرْبَانًا لِوَجْهِك، وَعَظِّمْ أَجْرِي عَلَيْهَا).

وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيَّام التَّشْرِيقِ أَيَّامُ، وَيَدْعُو بِالْقَبُولِ لَهُ، وَلِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُكْرَهُ الدُّعَاءُ بَيْنَ التَّسْمِيَةِ وَالذَّبْحِ، وَإِذَا حلَقَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُمْسِك نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ، وَيُكَبِّرُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، عَلَى مَا هَدَانَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَقَضَى نُسُكنَا. اللَّهُمَّ هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِك، فَاجْعَلْ لِي بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَامْحُ عَنِّي بِهَا سَيِّئَةً، وَارْفَعْ لِي بِهَا دَرَجَةً، فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ. اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي نَفْسِي، وَتَقَبَّلْ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَلِلْمُحَلِّقِينَ وَالْمُقَصِّرِينَ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، آمِينَ).

وَيَنْبَغِي (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي تَتِمُّ بِنِعْمَتِهِ الصَّالِحَات).

وَيُكَبِّرُ بَعْدَ الْحَلْقِ أَيْضًا، وَيَقُولُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي قَضَى عَنَّا نُسُكنَا. اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَتَوْفِيقًا وَعَوْنًا). وَيَدْعُو لَهُ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِمَشَايِخِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى).

(وَبَعَثَ مُنَادِيًا، يُنَادِي فِي أَيَّامِ مِنًى: لَا تَصُومُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ، أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَصَلَاةٍ)، وَفِي أُخْرَى: (وَبِعَالٍ)، أَيْ نِكَاحٍ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، (أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: يَوْمُ النَّحْرِ بَعْدَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ، فَارْفَعُوا رَغَبَاتِكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ فِيهِنَّ الدُّعَاءُ).

وَأَفْضَلُ الْأَذْكَارِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، يَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنْهَا، وَمِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: (يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقَالَ، فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

فَصْلٌ: وَتَقَدَّمَ الْوُقُوفُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَ الْجَمْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وَالسُّنَّةُ أَنْ يَقِفَ بَعْدَهُمَا، بِحَيْثُ لَا يُؤْذِي وَلَا يُؤْذَى. وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَيَحْمِدُ اللَّهَ تَعَالَى، وَيُهَلِّلُ، وَيُكَبِّرُ، وَيُسَبِّحُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو رَافِعًا يَدَيْهِ بَسْطًا، بِخُشُوعٍ وَتَضَرُّعٍ وَاسْتِغْفَارٍ، وَيَمْكُثُ كَذَلِكَ بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَقِرَاءَةِ ثَلَاثَةِ أَحْزَابٍ، أَوْ عِشْرِينَ آيَةً، دَاعِيًا لِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَرَادَ. وَتَقَدَّمَ أَذْكَارُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ.

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَذْكَارِ الْحَجِّ شَيْءٌ.

وَإِذَا نَفَرَ مِنْ مِنًى: يَأْتِي مِنْ أَذْكَارِ السَّفَرِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِمَا يُنَاسِبُ، وَزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ، وَنَحْوِهِ.

فَصْلٌ: إِذَا أَرَادَ الاِعْتِمَارِ

هِيَ مَا يَلِيقُ بِهَا مِنْ أَذْكَارِ الْحَجّ: فِي الْإِحْرَامِ، وَالطَّوَافِ، وَالسَّعْيِ، وَالْحَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: فِي طَوَافِ الْوَدَاعِ وَدُعَاءِ الْمُلْتَزَمِ

إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ، طَافَ بِالْبَيْتِ لِلْوَدَاعِ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَدَعَا عِنْدَهَا.

ثُمَّ أَتَى الْمُلْتَزَمَ: فَأَلْتَزَمَهُ، دَاعِيًا مُكَبِّرًا مُهَلِّلًا حَامِدًا، مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَائِلًا: (اللَّهُمَّ إِنَّ الْبَيْتَ بَيْتُكَ، وَالْعَبْدَ عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، حَمَلْتَنِي عَلَى مَا سَخَّرْتَ لِي مِنْ خَلْقِكَ، حَتَّى سَيَّرْتَنِي فِي بِلَادِكَ، وَبَلَّغْتَنِي بِنِعْمَتِكَ، حَتَّى أَعَنْتَنِي عَلَى قَضَاءِ مَنَاسِكِكَ، فَإِنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّي، فَازْدَدْ عَنِّي رِضًا، وَإِلَّا فَمِنْ الْآنَ، قَبْلَ أَنْ تَنْأَى عَنْ بَيْتِكَ دَارِي، هَذَا أَوَانُ انْصِرَافِي، إِنْ أَذِنْتَ لِي، غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِكَ، وَلَا بِبَيْتِكَ، وَلَا رَاغِبٍ عَنْكَ، وَلَا عَنْ بَيْتِكَ. اللَّهُمَّ فَاصْحَبْنِي بِالْعَافِيَةِ فِي بَدَنِي، وَالْعِصْمَةِ فِي دِينِي، وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبِي، وَارْزُقْنِي طَاعَتَكَ مَا أَبْقَيْتَنِي، وَاجْمَعْ لِي خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَإِنْ كَانَتْ حَائِضًا، يُسْتَحَبُّ لَهَا أَنْ تَقِفَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَتَدْعُو بِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوَةٍ، أَمْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ. ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ).

فَصْلٌ: فِي زِيَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَشْرَفِ الطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلِ الْوَسَائِلِ، لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ، لِنَيْلِ النَّفَحَاتِ، قَرِيبَةٌ مِنْ دَرجَةِ الْوَاجِبَاتِ، بَلْ قَالَ إِنَّهَا مِنْهَا، بَعْضٌ مِنَ السَّادَاتِ، لِمَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهَا، وَتَرْكُهَا غَفْلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَجَفْوَةٌ كَبِيرَةٌ.

وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَجَّ وَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَّاتِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ، وَلَمْ يَزُرْنِي، فَقَدْ جَفَانِي).

فَيُسْتَحَبُّ لِكُلِّ حَاجٍّ مُسْتَطِيعٍ، أَنْ يَتَوَجَّهَ لِزِيَارَتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا تَوَجَّهَ، أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، مُدَّة طَرِيقِهِ، بَلْ يَسْتَغْرِقُ أَوْقَات فَرَاغِهِ بِهَا، إِذَا مِنَ الْمَدِينَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُنَوَّرَةِ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُنِيخَ بِبَطْحَاءِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَهِيَ الْمُعَرَّسُ، وَيُصَلِّي بِهَا، تَأَسِيًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ شَدِيدَ الحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى أَشْجَارِهَا، وَمَا يُعْرَفُ بِهَا، دَعَا بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَةِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ، مَعَ مَزِيدِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَإِذَا وَصَلَ إِلَى حَرَمِهِ الشَّرِيفِ: قَالَ: (اللَّهُمَّ هَذَا حَرَمُ رَسُولِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي عَظَّمَهُ، وَدَعَاكَ أَنْ تَجْعَلَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، مِثْلَيْ مَا هُوَ

فِي حَرَمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَحَرِّمْنِي عَلَى النَّارِ، وَآمِنِّي مِنْ عَذَابِك، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، وَارْزُقْنِي فِيهِ حُسْنُ الْأَدَبِ، وَفِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكُ الْمُنْكَرَاتِ).

وَأَسْتَحِبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ هَذَا حَرَمُ رَسُولِك، فَاجْعَلْهُ لِي وِقَايَةً مِنَ النَّارِ، وَأَمَانًا مِنَ الْعَذَابِ، وَسُوءِ الْحِسَابِ).

وَالْأَفْضَلُ وَالْأَكْمَلُ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَيَدْخُلُهُ مَاشِيًا حَافِيًا إِنْ أَطَاقَ، تَوَاضُعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ تَوَاضُعًا كَانَ أَحْسَنَ، بَلْ لَمْ يَمْشِي هُنَاكَ عَلَى هُدْبِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، وَبَذْلِ الْمَجْهُودِ مِن تَوَاضُعِهِ وِانْكِسَارِهِ، لَكَانَ بَعْضُ بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ، بَلْ لَمْ يَفِ بِمِعْشَارِ عُشْرَ مِعْشَارٍ، مَا لَهُ لَدَيْهِ.

وَيُمَثِّلُ نَفْسَهُ، إِذَا مَشَى مَوْضِعِ أَقْدَامِ النُّبُوَّةِ، فَلَعَلَّهُ يُصِيبُهَا. وَلْيُحْضِرْ فِي قَلْبِهِ شَرَف الْبُقْعَةِ، وَمَنْ دَخَلَ بِهَا، وَأَنَّهَا مَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَنْبَعُ الْإِيمَانِ، وَأَصْلُ الْأَحْكَامِ، وَالَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ لِهِجْرَةِ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى الْقُبَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَلْيَسْتَحْضِرَ عِظَمَهَا وَفَضْلَهَا وَشَرَفَهَا، فَإِنَّهَا حَوَتْ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ بِالْإِجْمَاعِ، وَسَيِّدَ الْقُبُورِ بِلَا نِزَاعٍ، وَأَفْضَلَ الْخَلَائِقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَحَبَّهَا إِلَى مَوْلَاهُ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ.

وَإِذَا دَخَلَ بَابَ الْبَلَدَ، قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

(حَسْبِيَ اللَّهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَارْزُقْنِي فِي زِيَارَةِ نَبِيِّك، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا

رُزِقْتَهُ أَوْلِيَاءكَ، وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَأَنْقِذْنِي مِنَ النَّارِ، وَاغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، يَا خَيْرَ مَسْئُولٍ).

وَلِيَزْدَدْ خُشُوعًا وَتَوَاضُعًا، وَتَعْظِيمًا، مُتَمَلِيًا مِنْ هَيْبَةِ الْحَالِ بِهَا، مُسْتَشْعِرًا لِعَظَمَتِهِ، حَزِينًا مُتَأَسِفًا عَلَى فِرَاقِهِ، وَفِرَاقِ رُؤْيَتِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.

وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ، مِنَ الْحُضُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُثُولِ، وَلِيُخِفْ مِنَ الرَّدِّ، مَعَ رَجَاءِ الْقَبُولِ، وَزِيَادَةِ الصَّلَاةِ، وَالتَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ الرَّسُولِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتَوَسِّلاً بِهِ لِحُصُولِ الْمَأْمُولِ، وَلِيَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ، مِنْ غَيْرِ تَرَاخٍ، إِلَّا لِعُذْرٍ، وَيَزْدَادُ تَأَدُّبًا وَانْكِسَارًا.

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهُ، قَالَ مَا تَقَدَّمَ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَيَدْخُلُهُ مِنْ بَابِ جِبْرِيلَ، وَيَبْدَأُ بِتَحِيَّةٍ بِمُصَلَّاهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مِنَ الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنْهُمَا، حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَشَكَرَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنَّةِ الْجَسِيمَةِ، وَيَسْأَلُهُ تَمَامَهَا وَالْقَبُولَ، وَالْمَنَّ عَلَيْهِ بِنِهَايَةِ الْمَسْئُولِ.

ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ، مِنْ جِهَةِ رِجْلَيْهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُفْرِغًا قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ، لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنْ زِيَارَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، لِيُصْلِحَ قَلْبَهُ، لِلِاسْتِمْدَادِ مِنْهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلْيُلَاحِظَ مَعَ ذَلِكَ الِاسْتِمْدَادِ مِنْ عَفْوِهِ وَعَطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنْ يُسَامِحَهُ فِيمَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِزَالَتِهِ مِنْ قَلْبِهِ، وَلْيُكْمِلْ تَوَاضُعَهُ وَخُشُوعَهُ، وَافْتِقَارَهُ وَأَدَبَهُ، وَغَضَّهُ الطَّرْفِ، وَكَفَّهُ جَوَارِحِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَاضِعًا يَمِينَهِ عَلَى شِمَالِهِ، وَاقِفًا إِزَاءَ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، مُتَخَيِّلاً صُورَتَهُ الْعَظِيمَةِ، مُسْتَشْعِرًا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَالِمٌ بِحُضُورِهِ وَقِيَامِهِ، نَاظِرًا إِلَيْهِ، مُسْتَحْضِرًا لِجَلَالِ عَظَمَتِهِ، وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، مُذْهِبًا كُلّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْبَيْنِ.

قَائِلاً، مُقْتَصِدًا مِنْ غَيْرِ رَفْعِ صَوْتٍ، وَلَا خَفَاءً، بِحُضُورٍ وَحَيَاءٍ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ، أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وَهَذَا السَّلَامُ مِمَّا ثَبَتَ فِي الْأَثَرِ، وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ، كَابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ الْإِطَالَةَ، لَا عَلَى وَجْهِ الْمَلَالَةِ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ ذَوِي الْفَضَالَةِ.

فَإِذَا أَرَادَ الزِّيَادَةَ، قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَجِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيلَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الْمُتَّقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْمُذْنِبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَشِيراً لِلْمُؤْمِنِينَ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَعَلَى آلِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ، وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا، أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ وَأَجَلَّ، مَا جَزَى رَسُولاً عَنْ قَوْمِهِ، وَنَبِيًّا عَنْ أُمَتِهِ. وَصَلَّى عَلَيْكَ أَزْكَى وَأَعْلَا وَأَنْمَى صَلَاةٍ، صَلَّاهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفْتَ الْغُمَّةَ، وَأَقَمْتَ الْحُجَّةَ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدْتَ رَبَّكَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ. فَصَلَاةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَجَمِيعِ خَلْقِهِ، مِنْ أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، الَّذِي وَعَدْتَهُ، وَأَعْطِهِ الْمَنْزِلَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ، وَنِهَايَةَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَهُ السَّائِلُونَ، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَرُدَّنَا عَلَى أَعْقَابِنَا، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾، وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَذُرِّيَّتِنَا، ﴿وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

ثُمَّ يَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ، فَيَقُولُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، الشَّفَاعَة، ثَلَاثاً أَوْ أَكْثَرَ).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، -وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ-، مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، قَالَ: (سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ، يَقُولُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ثُمَّ قَالَ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ)، سَبْعِينَ مَرَّةً، نَادَاهُ مَلَكٌ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ)، وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ.

قَالَ: لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ بَدَلَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ)، (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

ثُمَّ يَتَأَخَّرُ إِلَى جِهَةِ يَمِينِهِ، قَدْرَ ذِرَاعٍ، فَيُسَلِّمُ عَلَى أَفْضَلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِخِلافَتِهِ بَعْدَهُ، سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، الْمُشَرَّفِ بِكَمَالِ الصِّدْقِ عَلَى التَّحْقِيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَائِلاً: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَجِيَّ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَزِيرَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَانِي رَسُولِ اللَّهِ فِي الْغَارِ، وَرَفِيقَهُ فِي الْأَسْفَارِ، وَأَمِينَهُ عَلَى الْأَسْرَارِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلَمَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ، وَعَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ أَحْسَنَ الرِّضَا).

ثُمَّ يَتَأَخَّرُ إِلَى يَمِينِهِ، كَمَا مَرَّ. فَيُسَلِّمَ عَلَى ثَانِي الْأَصْحَابِ، سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، الْفَارِقُ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالصَّوَابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قَائِلاً: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اسْتَجَابَ اللَّهُ فِيهِ دَعْوَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ كَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْبَعِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ نَطَقَ بِالصَّوَابِ، وَوَافَقَ قَوْلُهُ مِنَ الْكِتَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ حَمِيدًا، وَأَمَاتَهُ شَهِيدًا، جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ، وَخَلِيفَتِهِ، وَأُمَّتِهِ خَيْرًا، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وَقِيلَ: ثُمَّ يَرْجِعُ قَدْرَ نِصْفِ ذِرَاعٍ، وَيَقِفُ بَيْنَ الصِّدِّيقِ وَالْفَارُوقِ، فَيَقُولُ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَيْ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا خَلِيفَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا وَزِيرَيْ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا مُعِينَيْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ، وَالْقَائِمَيْنِ بِسُنَّتِهِ فِي أُمَّتِهِ، حَتَّى أَتَاكُمَا الْيَقِينُ، فَجَزَاكُمَا اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، مُرَافَقَتُهُ فِي جَنَّتِهِ، وَإِيَّانَا مَعَكُمَا، بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَجَزَاكُمَا اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، خَيْرَ الْجَزَاءِ، جِئْنَا يَا صَاحِبَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَائِرِينَ لِنَبِيِّنَا وَصِدِّيقِنَا وَفَارُوقِنَا، وَنَحْنُ نَتَوَسَّلُ بِكُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَشْفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ سَعْيَنَا، وَأَنْ يُحْيِيَنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَيُمِيتَنَا عَلَيْهَا بِفَضْلِهِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بِرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، آمِينَ).

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حِيَالِ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُمَجِّدُهُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، رَافِعًا يَدَيْهِ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِمَنْ أَرَادَ مِنْ مَشَايِخِهِ، وَأَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَمَنْ أَوْصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِذَا شَاءَ الْإِكْمَالَ، وَكَانَ مِنْ أَرْبَابِ الْكَمَالِ: فَلْيَقُلْ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِنَّةَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَا قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا طه السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا يس، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُزَّمِّلُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُدَّثِّرُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّاهِرِينَ،

السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّيِّبَاتِ الْمُبَرَّآتِ، أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ آتِهِ نِهَايَةَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَهُ السَّائِلُونَ، وَغَايَةَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤَمِّلَهُ الْآمِلُونَ، وَخَصَّهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ».

وَيُسْتَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ، وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. جِئْنَاكَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا، مُسْتَغْفِرِينَ مِنْ ذُنُوبِنَا، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِسَائِرِ طَلَبَاتِنَا، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ».

وَيَقُولُ الْبَيْتَيْنِ الْآتِيَيْنِ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا حَبِيبُكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَالشَّيْطَانُ عَدُوُّكَ، فَإِنْ غَفَرْتَ لِي، سُرَّ حَبِيبُكَ، وَفَازَ عَبْدُكَ، وَغَضِبَ عَدُوُّكَ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي، غَضِبَ حَبِيبُكَ، وَرَضِيَ عَدُوُّكَ، وَهَلَكَ عَبْدُكَ، وَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُغْضِبَ حَبِيبَكَ، وَتُرْضِيَ عَدُوَّكَ، وَتُهْلِكَ عَبْدُكَ. اللَّهُمَّ أَنَّ الْعَرَبَ الْكِرَامَ، إِذَا مَاتَ فِيهِمْ سَيِّدًا، عَتَقُوا عَلَى قَبْرِهِ، وَأَنَّ هَذَا قَبْرَ سَيِّدِ الْعَالَمِينَ، أَعْتِقْنِي عَلَى قَبْرِهِ».

وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ رَسُولَكَ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأُشْهِدُ الْمَلَائِكَةَ النَّازِلِينَ، عَلَى هَذِهِ الرَّوْضَةِ الْكَرِيمَةِ، الْعَاكِفِينَ عَلَيْهَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَخَبَرٍ عَمَّا كَانَ وَعَمَّا يَكُونُ، فَهُوَ حَقٌّ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا مِرَاءَ، وَإِنِّي مُقِرٌّ لَكَ يَا إِلَهِي، بِجِنَايَتِي وَمَعْصِيَتِي، فَاغْفِرْ لِي، وَامْنُنْ عَلَيَّ، بِالَّذِي مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، فَإِنَّكَ الْمَنَّانُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾).

وَقِيلَ: يَتَقَدَّمُ إِلَى حِيَالِ رَأْسِهِ الْكَرِيمِ، فَيَقِفُ بَيْنَ الْقَبْرِ الْعَظِيمِ وَالْأُسْطُوَانَةِ، الَّتِي هُنَالِكَ عَلَامَةً لِذَلِكَ، وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَيُثْنِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحْمَدُهُ وَيُمَجِّدُهُ، وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ مِنْ أَحْبَابِهِ.

قَالَ الْمُلَّا عَلِيٌّ: (وَهَذَا الْقِيلُ أَوْلَى مِمَّا تَقَدَّمَ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). اهـ. ثُمَّ قَالَ مَا مَعْنَاهُ: (مَعَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْقِيلَيْنِ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: (وَرَدَ أَنَّ الدُّعَاءَ هُنَاكَ، وَالتَّوَسُّلَ بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ أَصْلٌ عِنْدَ السَّلَفِ، وَالَّذِي لَمْ يُفْعَلْ، إِنَّمَا هُوَ هَذَا التَّرْتِيبُ الْمَخْصُوصُ).

وَأَقُولُ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَكْمَلُ وَأَشْمَلُ، وَمَنْ ضَاقَ وَقْتُهُ، عَنْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ مِنَ الزِّيَارَةِ، أَوْ عَجَزَ عَنْ حِفْظِهَا، اقْتَصَرَ عَلَى مَا تَيَسَّرَ.

وَأَقَلُّهُ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ). وَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِالسَّلَامِ، قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، أَوْ فُلَانٌ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَرُوِيَ عَنْ الْعُتْبِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ. - وَفِي رِوَايَةٍ: يَا خَيْرَ الرُّسُلِ، إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا صَادِقًا، وَقَالَ فِيهِ-. : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي. وَفِي رِوَايَةٍ: وَإِنِّي جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا رَبَّكَ مِنْ ذُنُوبِي. ثُمَّ بَكَى، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانْصَرَفَ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا عُتْبِيُّ، الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ، فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ. فَخَرَجْتُ خَلْفَهُ، فَلَمْ أَجِدْهُ).

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: (أَنَّهُمْ بَعْدَ دَفْنِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، جَاءَهُمْ أَعْرَابِيٌّ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْقَبْرِ، وَحَثَا مِنْ تُرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَوَعَيْنَا عَنْكَ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ الْآيَةَ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَجِئْتُكَ تَسْتَغْفِرَ لِي، فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ: أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ).

وَعَنِ الْأَصْمَعِيِّ، (أَنَّهُ رَأَى أَعْرَابِيًّا، وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ الْمُكَرَّمِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا حَبِيبُكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ... إِلَخ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ وَأَعْتَقَكَ، لِحُسْنِ هَذَا السُّؤَالِ).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ الْمَآثِرِ، وَالْمَشَاهِدِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَتَفْصِيل ذَلِكَ فِي الْمَنَاسِكِ الْمُبَيَّنَةِ، وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، مُدَّة إِقَامَتِهِ بِهَا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى أَرْبَعِينَ صَلَاةً، بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي [الْأَوْسَطِ]، بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي، أَرْبَعِينَ صَلَاةً، لَا يَفُوتُهُ صَلَاةٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ). (لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ): مِمَّا زَادَهُ الطَّبَرَانِيُّ. وَالْمُرَادُ مِنَ الصَّلَاةِ الْفَرِيضَةُ.

أَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَظَاهِرٌ لِحَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ، وَكَذَلِكَ عِنْدَنَا، لِكَوْنِهِمَا فِي حَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ. وَبِهِ قَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ، وَقَالَ بِاحْتِمَالِ غَيْرِهِ. فَيَنْبَغِي الْإِتْيَانُ بِهَا، وَلَوْ نَافِلَةً. فَفَضْلُ اللَّهِ أَوْسَعُ.

وَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُوَدِّعَ الْمَسْجِدَ بِرَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُو بِمَا أَحَبَّ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الشَّرِيفَ، فَيَزُورَ كَمَا مَرَّ، وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ، مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا، وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْقَبُولَ، وَالْوُصُولَ إِلَى الْأَهْلِ سَالِمًا، مِنْ بَلِيَّاتِ الدَّارَيْنِ.

وَيُوَدِّعِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِلاً: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بِنَبِيِّكَ، وَمَسْجِدِهِ وَحَرَمِهِ، وَيَسِّرْ لِي الْعَوْدَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ، سَبِيلاً سَهْلاً بِمَنِّكَ وَفَضْلِكَ، وَارْزُقْنِي الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرُدَّنَا سَالِمِينَ غَانِمِينَ إِلَى أَهْلِنَا، آمِنِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَيَجْتَهِدُ فِي الْبُكَاءِ تَحَسُّرًا عَلَى فِرَاقِهِ.

فَصْلٌ: وَيَأْتِي فِي رُجُوعِهِ بِالْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ، وَالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ بَعْدَ الْحَجِّ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا وَأَبُو طَلْحَةَ، وَصَفِيَّةُ رَدِيفَتُهُ عَلَى نَاقَتِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا قَفَلَ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، عَابِدُونَ، تَائِبُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (آيِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، تَايِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ). زَادَ الْمحَامِلِيُّ فِي رِوَايَتِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وَزَادَ غَيْرُهُ: (يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا، وَرِزْقًا حَسَنًا).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ، فَدَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: تَوْبًا تَوْبًا، لِرَبِّنَا أَوْبًا، لَا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا).

يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ)، أَوْ (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَمَعَ الشَّمْلَ بِكَ)، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ، فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَاكَ الْهَمَّ. فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلَامُ، سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ، وَكَفَّرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ).

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: تَقَبَّلَ اللهُ نُسُكَكَ، وَأَعْظَمَ أَجْرَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ).

وَيَنْبَغِي لِمَنْ يَتَلَقَّاهُ أَنْ يَسْأَلَهُ، أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، لِيَفُوزَ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ مَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا لَقِيتَ الْحَاجَّ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَصَافِحْهُ، وَمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (تَلَقَّوا الْحَاجَّ وَالْعُمَّارَ وَالْغُزَاةَ، فَمُرُوهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَدَنَّسُوا).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْجِهَادِ

أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَذْكَارِ سَفَرِهِ وَرُجُوعِهِ، فَتَقَدَّمَتْ فِي الْحَجِّ، وَأَمَّا مَا يَخُصُّهُ، فَسَأَذْكُرُ مِنْهُ مَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

يُسْتَحَبُّ طَلَبُ الشَّهَادَةِ، رَوَى أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي، عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ، مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ). وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ).

وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَحُثَّ أَمِيرَ سَرِيَّتِهِ، عَلَى تَقْوَى اللَّهِ، وَيُعَلِّمُهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا، عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا،

وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، -أَوْ خِلَالٍ-: فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ، مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ، الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ، وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ، لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ. قَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ. فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا، وَغَنِمْنَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ).

وَيَنْبَغِي إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً، أَنْ يُوَرِّي بِغَيْرِهَا، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً، إِذَا اُشْتُهِرَ عَنْهُمْ نَقْضِ الْعَهْدِ، كَمَا تَوَجَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَلَمْ يُعْلِمْهُمْ، بَلْ قَالَ: (اللَّهُمَّ اقْطَعْ خَبرنَا عَنْهُمْ).

وَيَنْبَغِي التَّحْرِيضُ عَلَى الْقِتَالِ بِالدُّعَاءِ وَنَحْوِه. فَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ، فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَأَكْرِمِ). وَفِي غَيْرِهَا: (فَارْحَمِ). وَفِي أُخْرَى: (فَبَارِكْ). وَفِي بَعْضٍ: (فَانْصُرِ).

فَصْلٌ: يَنْبَغِي التَّضَرُّع وَالِابْتِهَالُ، وَالْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ ذِي الْجَلَالِ، حَالَ التَّوَجُّهِ لِلْقِتَالِ، وَالتَّأَدُّبُ بِمَا نَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٥- ٤٧]

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَع شَيْء فِي آدَابِ الْقِتَالِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ

قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طُوبَى لِمَنْ أَكْثَرَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ لَهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ سَبْعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، كُلُّ حَسَنَةٍ مِنْهَا عَشَرَةُ أَضْعَافٍ، مَعَ الَّذِي لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَزِيدِ، وَالنَّفَقَةُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الذِّكْرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُضَعَّفُ فَوْقَ النَّفَقَةِ سَبْعَمِائَةِ ضِعْفٍ).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ، لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥- ٤٦]). هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ، قَالَ: (فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ، مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ). (وَيَهْتِفُ): بِفَتْحِ يَائِهِ وَكَسْرِ تَائِهِ، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَتَكَاثُرِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَقَلَّهُمْ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ لَا تُوَدِّعْ مِنِّي، اللَّهُمَّ لَا تَخْذُلْنِي، اللَّهُمَّ لَا تَتْرُكْنِي، اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي).

زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ، قَدْ أَتَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، تُجَادِلُ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (قَاتَلْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ، ثُمَّ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَرَجَعْتُ فَقَاتَلْتُ، ثُمَّ جِئْتُ، فَوَجَدْتُهُ كَذَلِكَ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ، الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا، وَاذْكُرِ اللَّهَ، وَإِنْ أَجْلَبُوا وَضَجُّوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُنَيْنٍ: (لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا تُبْتَلُونَ بِهِ مِنْهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ، وَقُلُوبُنَا وَقُلُوبُهُمْ بِيَدِكَ، وَإِنَّمَا تَغْلِبُهُمْ أَنْتَ، ثُمَّ الْزَمُوا الْأَرْضَ جُلُوسًا، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَثُورُوا وَكَبِّرُوا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ وَهُمْ عَبِيدُكَ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ، فَاهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ).

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: (شَهِدْنَا الْقِتَالَ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الْأَرْوَاحُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُقِرَّ عَيْنِي الْيَوْمَ، بِفَتْحٍ يَكُونُ فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَذُلُّ الْكُفْرِ، وَالشَّهَادَةُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (صَبَّحَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَيْبَرَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، -أَيِ الجَيْشُ. فَلَجَؤُوا إِلَى الْحِصْنِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ، عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، وَقَلَّ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ، حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُ بَعْضًا).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا غَزَا، قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ).

وَفِي رِوَايَةٍ صُهَيْبٍ: (رَبِّ وَبِكَ أُصُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). وَبَعْضُهَا بِزِيَادَةِ: (وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ، الَّذِي يَذْكُرُنِي، وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ). يَعْنِي: عِنْدَ الْقِتَالِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ بِفَضْلِ الذِّكْرِ حَالَ الْقِتَالِ.

وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثٍ، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ تُصْرَعُ، تَضْرِبُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا).

وَيُسْتَحَبُّ مُؤَكَّدًا أَنْ يَقْرَأَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَن يَدعُو بِدُعَاءِ الْكَرْبِ، وَبِمَا تَقَدَّمَ فِيهِ.

وَيَقُولُ: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اعْتَصَمْنَا بِاللَّهِ اسْتَعَنَّا بِاللَّهِ ، تَوَكَّلْنَا) (حَصَّنْتُنَا كُلَّنَا أَجْمَعِينَ، بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ، الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، دَفَعْتُ السُّوءَ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

(يَا قَدِيمُ الْإِحْسَانِ، يَا مَنْ إِحْسَانُهُ فَوْقَ كُلِّ إِحْسَانٍ، يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا مَنْ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَتَعَاظَمُهُ، انْصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَظْهِرْنَا عَلَيْهِمْ فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ عَامَّةٍ عَاجِلاً). فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورَاتِ، جَاءَ فِيهَا حَثٌّ أَكِيدٌ، وَهِي مُجَرَّبَةٌ. كَذَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

أَقُولُ: وَيَنْبَغِي الْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمَا التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ، وَكَذَا بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ.

فَصْلٌ: (وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَكْرَهُونَ الصَّوْتَ عِنْدَ الْقِتَالِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَكْرَهُونَ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ ثَلَاثٍ: عِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْجَنَائِزِ وَعِنْدَ الذِّكْرِ).

وَوَرَدَ مَرْفُوعًا: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّمْتَ، عِنْدَ ثَلَاثٍ: عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الزَّحفِ، وَعِنْدَ الْجِنَازَةِ). وَمِنَ الْمَرْفُوعِ الْحَسَنِ أَيْضًا: (فَإِذَا صَيَّحُوا وَأَجْلَبُوا، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ). وَهَذَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَصِيحُ وَاحِدٌ، إِمَّا إِنْ صَاحَ الْجُمْلَةُ، فَلَا بَأْسَ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ.

فَصْلٌ: وَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

(اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَا أَعْرَبُ الْعَرَبِ). وَفِي أُخْرَى: (أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ). جَدَّاتُهُ: وَهُنَّ سَبْعُ عَوَاتِكَ.

وَأَنَّ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا بَارَزَ مَرْحَبًا الخَيْبَرِيّ، قَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ　　كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، فِي حَالِ قِتَالِهِ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَى اللِّقَاحِ:

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ　　وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَابْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خلوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهْ　　الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهْ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهْ　　وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: (يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ شِعْرًا. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ).

وَفِي رِوَايَةٍ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ　　قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ

بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ

وَزَادَ فِي غَيْرِهَا:

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ　　كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

وَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُلَى لَقَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ، وَيَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى الْجِهَادِ). (وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ..) إِلَخ.

فَكُلُّ هَذَا وَنَحوه جَائِزٌ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ لِلْإِرْهَابِ وَالتَّنْشِيطِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٤].

وَفِي حَدِيثِ الْقُرَّاءِ، أَهْل بِئْرِ مَعُونَةَ، الَّذِين غَدَرَتْ الْكُفَّارُ بِهِم وَقَتَلُوهُمْ. (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ، طَعَنَ خَالَ أَنَسٍ، وَهُوَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ:

اللهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَسَقَطَ). فَيَنْبَغِي لِلْمُجَاهِدِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَيَتَخَلَّق بِهَا.

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَلَبَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَعَكْسِهَا

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيَعْتَرِفُ بِذَلِكَ، بِأَنَّهُ مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى، لَا بِحَوْلِ الْغَيْرِ وَقُوَّتِهِ، وَأَنَّهُ النَّاصِرُ الْحَقُّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ. اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ. اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ، الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ. اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، إِلَهَ الْحَقِّ، آمِينَ).

وَلْيَحْذَرْ مِنَ الْإِعْجَابِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وَإِنْ حَصَلَ عَكْسُ ذَلِكَ، فَزِعَ إِلَى الذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَالدُّعَاءِ، وَاسْتِنْجَازِ الْوَعْدِ بِالنَّصْرِ، وَإِظْهَارِ الدِّينِ. (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ).

وَلَمَّا رَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ، نَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ وَدَعَا، وَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ النَّصْر. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (انْهَزَمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْم أُحُد، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، بِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، يُرِيدُ أَنْ يَعْلُوَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ لَا يَعْلُونَ عَلَيْنَا. اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ لَيْسَ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، إِلَّا هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: (قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ، قَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، قَالَ: نَعَمْ، قُولُوا: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُو بِدُعَاءِ الْكَرْبِ وَنَحْوِهِ، مِمَّا تَقَدَّمَ. وَمَا سَيَأْتِي فِي أَمَاكِنِ الْخَوْفِ وَالْهَلَكَةِ.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، -يَعْنِي

أَصْحَابَهُ-، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ-، ثُمَّ تَقَدَّمْ فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ عَنْ طَلْحَةَ: (لَمَّا قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: حَسِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ، لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: (حَسّ مِثْل أُوْهِ).

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَهَدَ الظَّهْرُ جَهْدًا شَدِيدًا، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا بِظَهْرِهِمْ مِنَ الْجَهْدِ، فَتَحَيَّنَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَضِيقًا سَارَ النَّاسُ فِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مُرُّوا بِسْمِ اللَّهِ. فَجَعَلَ يَنْفُخُ بِظَهْرِهِمْ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ احْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِكَ، فَإِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ). (فَنَفَحَتْ الدَّابَّةُ): إِذَا رَمَتْ بِحَافِرِهَا، فَضَرَبَتْ بِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنَا عَلَى أَقْدَامِنَا، حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِنَغْنَمَ، فَقَدِمْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي بِنَا مِنَ الْجَهْدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ، فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ، فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ).

وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ، مَنْ ظَهَرَتْ مِنْهُ بَرَاعَةُ الْقِتَالِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ).

وَعَنْ عَلِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمِقْدَادِ، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ).

وَإِذَا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةٍ قَالَ مَا تَقَدَّمَ فِي الرُّجُوعِ مِنَ الْحَجِّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَغْزًى لَهُ، فَتَحَيَّنْتُ قَفْلَهُ، فَكَسَوْتُ عَرْشَ بَيْتِي نَمَطًا، فَلَمَّا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي نَصَرَكَ وَأَعَزَّكَ وَأَكْرَمَكَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ، فَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ أَتَى النَّمَطَ فَانْتَبَشَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ، فَجَعَلْتُهُ فِي وِسَادَتَيْنِ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾ [الحج: ٣٤]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي الطَّعَامِ، إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِسْمِ اللَّهِ)

وَرَوَى النَّسَائِيُّ، عَمَّنْ خَدَمَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً، تَصِلُ بِهَا نِعْمَةَ الْجَنَّةِ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ عَلَى أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ).

وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ

وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ، أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ، لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ، لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا. ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ وَأَكَلَ).

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنَ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ سَمَّى اللَّهَ لَكَفَاكُمْ).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا، فَقَرَّبَ طَعَامًا، فَلَمْ أَرَ طَعَامًا كَانَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ، أَوَّلَ مَا أَكَلْنَا، وَلَا أَقَلَّ بَرَكَةً فِي آخِرِهِ، قُلْنَا: كَيْفَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: لِأَنَّا ذَكَرْنَا اسْمَ اللَّهِ حِينَ أَكَلْنَا، ثُمَّ قَعَدَ بَعْدُ مَنْ أَكَلَ، وَلَمْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ طَعَامٍ لَا يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا هُوَ دَاءٌ، وَلَا بَرَكَةَ فِيهِ، وَكَفَّارَةُ ذَلِكَ، إِنْ كَانَتِ الْمَائِدَةُ مَوْضُوعَةٌ، أَنْ تُسَمِّيَ، وَتُعِيدَ يَدَكَ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ رُفِعَتْ، أَنْ تُسَمِّيَ، وَتَلْعَقَ أَصَابِعَكَ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أُتِيَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجُبْنَةٍ فِي تَبُوكَ، فَدَعَا بِسِكِّينٍ، فَسَمَّى وَقَطَعَ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ نَسِيَ أَنْ يُسَمِّيَ عَلَى طَعَامِهِ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِذَا فَرَغَ).

وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا، الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ، (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا، فَقَالَ: كُلُوا وَسَمُّوا اللَّهَ، فَأَكَلُوا، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلًا). وَعَنْهُ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلْ بِسْمِ اللَّهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا، يُسَمِّي عِنْدَ كُلِّ نَفَسٍ، وَيَشْكُرُ فِي آخِرِهِنَّ).

وَالْأَخْبَارُ فِي التَّسْمِيَةِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِهَا فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَإِنْ لَمْ يُسَمِّ، وَإِلَّا أَتَى بِمَا فِي الْحَدِيثِ.

وقَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَجْهَرَ بِالتَّسْمِيَةِ، لِيَكُون فِيهَا تَنْبِيهًا لِغَيْرِهِ عَلَى التَّسْمِيَةِ، وَيُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ أَيْضاً: وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَإِنْ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ)، كَفَاهُ وَحَصَلَتِ السُّنَّةُ، وَسَوَاءٌ فِي هَذَا الْجُنُبُ وَالْحَائِضُ وَغَيْرُهُمَا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُسَمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْآكِلِينَ. فَلَوْ سَمَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَجْزَأَ عَنِ الْبَاقِينَ. نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَلَمْ أَحْفَظْ شَيْءٌ لِعُلَمَائِنَا.

فَصْلٌ: فِي آدَابِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ فَاخْلَعُوا نِعَالَكُمْ، فَإِنَّهُ أَرْوَحُ لِأَقْدَامِكُمْ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قُرِّبَ لِأَحَدِكُمْ طَعَامُهُ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ، فَلْيَنْزِعْ نَعْلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَرْوَحُ لِلْقَدَمَيْنِ، وَهُوَ مِنَ السُّنَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْلَعُوا نِعَالَكُمْ عِنْدَ الطَّعَامِ، فَإِنَّهَا سُنَّةٌ جَمِيلَةٌ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَجْلِسُ لِلْأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ، مُقْعِيًا، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُوا جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامَ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الثَّلَاثَةَ وَالأَرْبَعَةَ، كُلُوا جَمِيعاً، وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِي الجَمَاعَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَعَامًا، فَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ نَوَاحِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلْ مِمَّا يَلِيكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ حَوَالَيْهَا، وَاعْفُوا رَأْسَهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَأْتِيهَا مِنْ فَوْقِهَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (كُلُوا فِي الْقَصْعَةِ مِنْ جَوَانِبِهَا، وَلا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِهَا). وَفِي أُخْرَى: (كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَذَرُوا ذُرْوَتَهَا، يُبَارَكْ فِيهَا).

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: (كُنْتُ آكُلُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ اللَّحْمَ مِنْ الْعَظْمِ، فَقَالَ: أَدْنِ الْعَظْمَ مِنْ فِيكَ، فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ).

وَعَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: انْهَشُوا اللَّحْمَ نَهْشًا، فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ، وَأَشْهَى وَأَمْرَأُ). قَالَ سُفْيَانُ: الشَّكُّ مِنِّي أَوْ مِنْهُ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقْطَعُوا اللَّحْمَ بِالسِّكِّينِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَنِيعِ الْأَعَاجِمِ، وَانْهَشُوهُ نَهْشًا، فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ).

وَعَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ، قَالَ: (أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ، مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَرُزِقْنَا تَمْرًا، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تُقَارِنُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنِ الْقِرَانِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَاعِلاً، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَعًا قَطُّ). وَعَنْهَا أَيْضاً، قَالَتْ: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ).

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْكُلُ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعَ، وَيَسْتَعِينُ بِالرَّابِعَةِ).

وَنَهَى عَنْ الْأَكْلِ بِالْأُصْبُعِ، وَقَالَ: أَكْلُ الشَّيْطَانِ، وَبِاثْنَيْنِ قَالَ: أَكْلُ الْجَبَابِرَةِ. وَكَانَ إِذَا أُتِيَ طَعَامُهُ، بَسَطَ السُّفْرَةَ عَلَى الْأَرْضِ، وَوَضَعَهُ عَلَيْهَا. وَلَمْ يَأْكُلْ عَلَى خُوَانٍ، وَلَا فِي سُكُرُّجَةٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ).

وَعَنْ هُلْبٍ الصَّحَابِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: إِنَّ مِنَ الطَّعَامِ طَعَامًا أَتَحَرَّجُ مِنْهُ، فَقَالَ: لا يَتَحَلَّجَنَّ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ ضَارَعْتَ بِهِ النَّصْرانِيَّةَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَشُمُّوا الطَّعَامَ كَمَا تَشُمُّهُ السِّبَاعُ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: (وَأُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاةً وَأَرْغِفَةً، فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَأْكُلُونَ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِلَحْمِ الظَّهْرِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَطْيَبِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيِّدُ طَعَامِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اللَّحْمُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيِّدُ إِدَامِكُمُ الْمِلْحُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ).

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أُتِيَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِضَبٍّ مَشْوِيٍّ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِيَأْكُلَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ ضَبٌّ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ فَأَكَلَ خَالِدٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْظُرُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلْ مَعَ صَاحِبِ الْبَلَاءِ تَوَاضُعًا لِرَبِّكَ وَإِيمَانًا).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ، فَقَالَ: كُلْ بِسْمِ اللَّهِ، ثِقَةً بِاللَّهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَى اللَّهِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْكُلُ الرُّطَبَ، وَيُلْقِي النَّوَى عَلَى الطَّبَقِ). (وَكَانَ يَأْكُلُ الْعِنَبَ خَرْطًا).

وَفِي [مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ]، مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا: (كُلُوا الْعِنَبَ حَبَّةً حَبَّةً، فَإِنَّهُ أَهْنَا وَأَمْرَأُ). وَأَمَّا مَا يُؤْثَرُ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ رَأَى سَلْمَانَ يَأْكُلُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فقال له: يَا سَلْمَانُ، كُلِ الْعِنَبَ دُو دُو). وَأَيْ ثِنْتَيْنِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ. فَقَدْ ذَكَرَ الصَّغَانِيُّ: أَنَّهُ بَاطِلٌ مَوْضُوعٌ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَسَقَطَتْ لُقْمَتُهُ، فَلْيُمِطْ مَا رَابَهُ مِنْهَا، ثُمَّ لِيَطْعَمْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ، حَتَّى يَلْعَقَهَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ، تَكُونُ الْبَرَكَةُ).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، فَيَبْدَأُ بِالْوُسْطَى، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ الإِبْهَامَ، وَكَانَ يَتْبَعُ مَا سَقَطَ مِنَ السُّفْرَةِ، وَيَقُولُ: مَنْ فَعَلَهُ غُفِرَ لَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكَلَ فِي قَصْعَةٍ، ثُمَّ لَحِسَهَا، اسْتَغْفَرَتْ لَهُ الْقَصْعَةُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَعِقَ الصَّحْفَةَ، وَلَعِقَ أَصَابِعَهُ، أَشْبَعَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ لَعْقَ الصِّحَافِ، يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ اللُّحُومِ شَيْئًا، فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ مِنْ رِيحِ وَضَرِهِ، وَلَا يُؤْذِي مَنْ حَذَاءَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ مِنْ وَضَرِ اللَّحْمِ).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي [إِحْيَائِهِ]: (مِنْ آدَابِ الطَّعَامِ: أَنَّ يَتَحَدَّثُوا فِي حَالِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، إِذَا رَفَعَ يَده بِالْمَعْرُوفِ، وَيَتَحَدَّثُوا بِحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ فِي الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِهَا).

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يَأْكُلُ مَعَهُ، قَبْلَ الاِكْتِفَاءِ: (كُلْ وَاشْرِبْ). وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَكْتَفِي.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الطَّوِيلِ الشَّامِلِ لِلْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا اشْتَدَّ جُوعُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَعَدَ عَلَى الطَّرِيقِ، يَسْتَقْرِئُ مَنْ مَرَّ بِهِ الْقُرْآنَ، مُعَرِّضًا بِأَنْ يُضَيِّفَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَجَاءَ بِهِمْ، فَأَرْوَاهُمْ أَجْمَعِينَ، مِنْ قَدَحِ لَبَنٍ.

وَذكَرَ الحَدِيثُ إِلَى أَنْ قَالَ: (بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ، حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لاَ أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قَالَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ).

عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ، وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقُونَ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ مَرَّتَيْنِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ثَلَاثًا، وَيَقُولُ: هُوَ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَشْرَبُ ثَلَاثَةَ أَنفَاسٍ يُسَمِّي اللَّهَ فِي أَوَّلِهِ وَيَحْمَدُ الله فِي آخِرِهِ).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي [الْهَدْيِ]: فِي هَذَا الشُّرْبِ حِكَمٌ جَمَّةٌ، وَفَوَائِدُ مُهِمَّةٌ، وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى مَجَامِعِهَا بِقَوْلِهِ: (إِنَّهُ أَرْوَى وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ، فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ، ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصَّ مَصًّا، وَلَا يَعُبَّ عَبًّا، فَإِنَّ الكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذا شَرِبْتُمُ المَاءَ، فاشْرَبُوهُ مَصّاً، وَلَا تَشْرَبُوهُ عبًّا، فإِنَّ العَبَّ يُورِثُ الكُبَادَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَرِبَ قَائِمًا فَلْيَسْتَقِئْ).

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ قَائِمًا.

وَكَانَ يَشْرَبُ قَاعِدًا غَالِبًا، وَيَشْرَبُ قَائِمًا لِعُذْرٍ. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فِي السِّقَا. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ. وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا شَرِبْتُمُ اللَّبَنَ، فَمَضْمِضُوا مِنْهُ، فَإِنَّ لَهُ دَسَمًا). (وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَبَنًا، وَأَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ شِمَالِهِ، وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ، وَعُمَرُ نَاحِيَتَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ، فَنَاوَلَهُ الْأَعْرَابِيَّ، وَقَالَ: الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ).

(وَكَانَ إِذَا شَرِبَ دَفَعَ الْبَقِيَّةَ لِمَنْ عَنْ يَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ يَسَارِهِ، بِشَرَفٍ أَوْ سِنٍّ، قَالَ لِصَاحِبِ الْيَمِينِ: الشَّرْبَةَ لَكَ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَهُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ، أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمدًا كَثِيرًا، طَيِّبًا مُباركًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى رَبَّنَا). وَفِي أُخْرَى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا). وَفِي غَيْرِهَا: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ إِذْ فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ، وَرُفِعَتْ مَائِدَتُهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ، خَدَمَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَمَانِيَ سِنِينَ، (أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ، وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ، وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ، وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ).

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَشْبَعْتَ وَأَرْوَيْتَ، لَكَ الْحَمْدُ، غَيْرَ مَكْفُورٍ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْكَ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الطَّعَامِ إِذَا فَرَغَ: الْحَمْدُ اللَّهِ، الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَهَدَانَا، وَالَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَكُلَّ الْإِحْسَانِ آتَانَا).

وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ عَوْفٍ: (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَنْعَمَ وَأَفْضَلَ، نَسْأَلُك بِرَحْمَتِك أَنْ تُجِيرَنَا مِنَ النَّارِ).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الطَّوِيل، الَّذِي قَدَّمَ فِيهِ أَبُو أَيُّوب خُبْزَاً وَلَحْمَاً وَبُسْرَاً وَرُطَبَاً وَتَمْرَاً، (قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَبُسْرٌ وَرُطَبٌ وَتَمْرٌ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ، الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هَذَا، فَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، وَبِبَرَكَةِ اللَّهِ، فَإِذَا شَبِعْتُمْ، فَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَأَنْعَمَ وَأَفْضَلَ، فَإِنَّ هَذَا كَفَافٌ بِهَذَا).

هَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ مَقْطُوعَاً، (كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَشْبَعْتَ وَأَرْوَيْتَ، وَرَزَقْتَ فَأَكْثَرْتَ فَزِدْنَا). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي كَفَانَا الْمُؤْونَةَ، وَأَوْسَعَ لَنَا الرِّزْقَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَأَشْبَعَنِي، وَسَقَانِي وَأَرْوَانِي، بِلَا حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الطَّعَامِ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَكَلَ فَشَبِعَ، وَشَرِبَ فَرَوِيَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنِي وَأَشْبَعَنِي، وَسَقَانِي وَأَرْوَانِي، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: (بِلَا حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). وَرُوِيَ: (وَمَا تَأَخَّرَ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، قَالَ: (دَعَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، مِنْ أَهْلِ قُبَاءٍ، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَهُ، أو يَدَيْهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا، وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُودَّعٍ رَبُّنَا، وَلَا مُكَافِئٍ وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، إِلَّا اللَّبَنُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ غَيْرِ اللَّبَنِ).

عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ رَسُولَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ بَيْنَ كُلِّ لُقْمَتَيْنِ). وَفِي حَدِيثٍ عَنْ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ مَرْفُوعًا: (مَنْ قَرَأَ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، أَمِنَ مِنْ كُلِّ مُخَوِّفٍ). وَهُوَ مُؤَيِّدٌ لِمَا قِيلَ إِنَّهَا أَمَانٌ مِنَ التُّخَمَةِ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُتْخَم مِنْ طَعَامٍ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَاّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ لَهُ قُلُوبُكُمْ).

وَرَوَى الدَّيْلَمِيُّ فِي [مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ]: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْلُ الْعِشَاءِ وَالنَّوْمُ عَلَيْهِ، قَسْوَةٌ فِي الْقَلْبِ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ، إِذَا أَدْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ، سَمَّى اللَّهَ، فَإِذَا أَخَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ، يَفْعَلُ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا شَرِبَ فِي الْإِنَاءِ، تَنَفَّسَ ثَلَاثَ أَنْفَاسٍ، يَحْمَدَ اللَّهَ فِي كُلِّ نَفَسٍ، وَيَشْكُرُهُ فِي آخِرِهِ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ فَرَغْتُمْ).

وَعَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: (حُدِّثْتُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَمَّى اللَّهُ عَلَى طَعَامِهِ، وَحَمِدَ اللَّهَ فِي آخِرِهِ، لَمْ يَسْأَلْ عَنْ شُكْرِ ذَلِكَ الطَّعَامِ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي سَقَانَا عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا).

وَفِي رِوَايَةِ مُحمَّدِ الْبَاقِرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ عَذْبًا فُرَاتًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا). وَتَقَدَّمَ فِي أَذْكَارِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، مَا هُوَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَهُمَا.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: (وَلِلتَّسْمِيَةِ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالحَمْدِ فِي آخِرِهِ، تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي نَفْعِهِ، وَاسْتِمْرَائِهِ، وَدَفْعِ مَضَرَّتِهِ).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِذَا جَمعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا، فَقَدْ كَمُلَ، إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، وَحَمِدَهُ فِي آخِرِهِ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي، وَكَانَ مِنْ حِلٍّ).

وَعَنِ الْمِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ الْمَشْهُورِ، قَالَ: (فَرَفَعَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ، (أَنَّهُ سَقَى رَسُولَ اللَّهِ، لَبَنًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ، فَمَرَّتْ عَلَيْهَا ثَمَانُونَ سَنَةً، لَمْ يُرَ لَهُ شَعْرَةً بَيْضَاءَ).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ، - بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَفَتْحِ الطَّاءِ-، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ بِمَاءٍ فِي جُمْجُمَةٍ، وَفِيهَا شَعْرَةٌ، فَأَخْرَجْتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ). قَالَ الرَّاوِي: (فَرَأَيْتُهُ ابْنَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ).

وَعَنْ جُرَيْجٍ، الْعَنْبَرِيِّ الْكُوفِيِّ، قَالَ: أُخْبِرْتُ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَبُولُ فِي قَدَحٍ مِنْ عِيدَانٍ، ثُمَّ وُضِعَ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَبَالَ، فَوُضِعَ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَجَاءَ فَأَرَادَهُ، فَإِذَا الْقَدَحُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ لِامْرَأَةٍ، يُقَالُ لَهَا بَرَكَةٌ، كَانَتْ تَخْدُمُهُ، لِأُمِّ حَبِيبَةَ، جَاءَتْ مَعَهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ: أَيْنَ الْبَوْلُ،

الَّذِي كَانَ فِي هَذَا الْقَدَحِ؟، قَالَتْ: شَرِبْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صِحَّةً يَا أُمَّ يُوسُفَ). وَكَانَتْ تُكَنَّى أُمَّ يُوسُفَ، فَمَا مَرِضَتْ قَطُّ، حَتَّى كَانَ مَرَضُهَا الَّذِي مَاتَتْ فِيهِ). وَلَفْظُ (صِحَّة): بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ صَحَّحَ اللَّهُ جَسَدَكِ، وَأَمَّا بِفَتْحِهَا فَدَاءُ الْإِبِلِ.

فَصْلٌ: فِي الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ أَكْرَمَ ضَيْفَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الضَّيْفُ يَأْتِي بِرِزْقِهِ، وَيَرْتَحِلُ بِذُنُوبِ الْقَوْمِ، يُمَحِّصُ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟، قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وَالْخَبَرُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ زَائِدَاً، عَلَى حَاجَةِ الصِّبْيَانِ، وَالتَّعْلِيلُ لِكَوْنِ الصَّغِيرِ مَجبُولاً عَلَى الْأَكْلِ، وَلَوْ كَانَ شَبِعَاً.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ).

عَنْ شِهَابِ بْنِ عَبَّادٍ، (أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ بِنَا، وَدَعَا لَنَا، وَقَالَ: مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟، فَأَشَرْنَا بِأَجْمَعِنَا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ عَائِذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَهَذَا الْأَشَجُّ؟، وَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ، بِضَرْبَةٍ لِوَجْهِهِ بِحَافِرِ حِمَارٍ، قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَخَلَّفَ بَعْدَ الْقَوْمِ، فَعَقَلَ رَوَاحِلَهُمْ، وَضَمَّ مَتَاعَهُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَيْبَتَهُ، فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ بِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَكْرِمُوا إِخْوَانَكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، أَشْبَهُ شَيْئَاً بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا، أَسْلَمُوا طَائِعِينَ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحُوا، قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ، وَضِيَافَتَهُمْ إِيَّاكُمْ؟، قَالُوا: خَيْرَ إِخْوَانٍ، أَلَانُوا فِرَاشَنَا، وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وَبَاتُوا، وَأَصْبَحُوا يُعَلِّمُونَا كِتَابَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْجَبَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرِحَ بِهَا).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ عَمَّارٌ، وَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: ائْذَنُوا لَهُ، مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَرْحَبًا يَا جُوَيْبِرُ، جَزَاكُم اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ خَيْرًا، أَوَ يْتُمُونِي إِذْ طَرَدَنِي النَّاسُ، وَنَصَرْتُمُونِي إِذْ خَذَلَنِي النَّاسُ، فَجَزَاكُم اللَّهُ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ خَيْرًا، فَقُلْتُ: بَلْ جَزَاكَ اللَّهُ عَنا خَيْرًا، بِكَ هَدَانَا اللَّهُ إِلى الإِسْلَامِ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا حُفْرَةِ النَّارِ، وَبِكَ نَرْجُو الدَّرَجَاتِ العُلَى مِن الجَنَّةِ).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَقَالَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ: مَرْحَباً بِنَبِيّ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَنْ مَعَهُ). الْحَدِيث الطَّوِيل، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ قَرِيبًا

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، نَحْو: (إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَم أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا، حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ).

فَصْلٌ: وَيَنْبَغِي لِلدَّاعِي إِنْ كَانَ لِلْمَدْعُو رَفِيقٌ مُلَازِمٌ لَهُ، مُضْطَرٌّ، أَنْ يَدْعُوَهُ مَعَهُ.

عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَارِسِيًّا، كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ: وَهَذِهِ؟، لِعَائِشَةَ، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَذِهِ؟، قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَذِهِ؟، قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ).

وَتَرْكُهُ الْإِجَابَةَ، أَوْ لِعُذْرٍ مَانِعٍ، وَإِجَابَتُهُ مَعَهَا لِحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ. وَإِنَّمَا لَمْ يَدْعُهَا الْفَارِسِيّ، لِكَوْنِ الطَّعَامِ قَلِيلاً، وَقَصَدَ تَوْفِيره لَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا دُعِيَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ [القصص: ٢٥]. كَمَا قَالَتْ ابْنَةُ شُعَيْب، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَحْوهُ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْ لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَغَدَّى عِنْدَنَا فَافْعَلْ. فَجِئْتُ فَبَلَّغْتُهُ، قَالَ: وَمَنْ عِنْدِي؟، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْهَضُوا).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَعَا رَجُلٌ النَّبِيَّ، صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ، قَالَ: بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلْ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ). وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السُّنِّيِّ وَغَيْرِهِ: (إِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَأْكُلْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا دَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ).

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ: (فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ). وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: فَلْيُصَلِّ: أَيْ فَلْيَدْعُ.

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ أَنْ يَقُولَ، إِذَا قَدَّمَهُ: (بِسْمِ اللَّهِ، أَوْ (كُلُوا)، أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: (صَنَعُوا لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَرِيدًا بِسَمْنٍ، فَقَالَ: خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ، وَأَشَارَ إِلَى ذِرْوَتِهَا، بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ).

وَعَنْهُ، قَالَ: (بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ فَجَاءَ مَعِي، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ أَسْرَعْتُ، فَأَعْلَمْتُ أَبَوَيَّ، فَخَرَجَا، فَتَلَقَّيَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَحَّبَا بِهِ، وَوَضَعْنَا لَهُ قَطِيفَةً، ثُمَّ قَالَ أَبِي لِأُمِّي: هَاتِ طَعَامَكِ، فَجَاءَتْ بِقَصْعَةٍ فِيهَا دَقِيقٌ، قَدْ عَصَدَتْهُ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ مِنْ حَوَالَيْهَا، وَذَرُوا ذُرْوَتَهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكَلْنَا مَعَهُ، وَفَضَلَ مِنْهَا فَضْلَةٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ).

وَعَنْهُ، قَالَ: (نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَبِي. قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ

يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأَخْيَارُ).

وَفِي قِصَّةِ أَبِي الْهَيْثَمِ: (فَأَخَذَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعِضَادَتَي الْبَيْتِ، وَقَالَ: أَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَكُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ، فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُمْ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (صَنَعَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَعَامًا فَدَعَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا، قَالَ: أَثِيبُوا أَخَاكُمْن قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِثَابَتُهُ؟، قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُخِلَ بَيْتُهُ، فَأُكِلَ طَعَامُهُ، وَشُرِبَ شَرَابُهُ، فَدَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إِثَابَتُهُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِمُكَافِئَةِ الْمَعْرُوفِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا فَلْيُكَافِئْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ، فَإِذَا ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً، فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ خَيْرًا إِلَّا الثَّنَاءَ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (قَالَ الْمُهَاجِرُونَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ، أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ، فَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، لَقَدْ خَشِينَا أَنْ قَدْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قَالَ: لَا، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اصْطَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفًا، فَجَازُوهُ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى مُجَازَاتِهِ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ شَكَرْتُمْ، فَإِنَ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ اصْطَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفًا، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ).

وَمِمَّا جاءَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (لَمَّا ذُبِحَتْ لَهُ دَاجِنٌ، فَقَالَ: جَزَاكُمُ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَيْرًا، وَلَا سِيَّمَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا سِيَّمَا آل عَمْرِو..) إلَخ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ، كَثِيرًا مَا يَقُولُ لِي: يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتْ أَبْيَاتُكِ؟، فَأَقُولُ: بِأَيِّ أَبْيَاتِي تُرِيدُ، فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: فِي الشُّكْرِ، فَأَقُولُ: نَعَمْ بِأَبِي وَأُمِّي، قَالَ الشَّاعِرُ:

ادْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْمًا فَتُدْرِكَهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا

يُجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَدْتَ وِصَالَهُ ... لَمْ تَلْفَ رَثًّا حَبْلَهُ وَاهِي الْقُوَى

قَالَتْ: (فَيَقُولُ: يَا عَائِشَةُ، إِذَا حَشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: لِعَبْدٍ مِنْ عَبِيدِهِ، اصْطَنَعَ فُلَانًا عَبْدًا مِنْ عِبَادِي، عِنْدَكَ مَعْرُوفًا، فَهَلْ شَكَرْتَهُ؟، فَيَقُولُ: عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ، فَشَكَرْتُكَ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذَا لَمْ تَشْكُرْ، مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ).

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ السَّلَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ، عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟، قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ، إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَاضْرِبُوا الهَامَ، تُورَثُوا الجِنَانَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُونَ الْجِنَانَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا). وَفِي غَيْرِهَا: (كَيْ تَعْلَمُوا).

وَفِي أُخْرَى: (السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ).

وَعَنْ هَانِئٍ بْنِ شُرَيْحٍ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ: بَذْلَ السَّلَامِ، وَحُسْنَ الْكَلَامِ). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ، حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ). وَرُوِيَ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ، مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، (كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، مِنْ الْمَسْجِدِ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ إِلَى بَيْتِهِ، فَلَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ، مُسْلِمٍ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَمَرَنَا نَبِيُّنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُفْشِيَ السَّلَامَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (مَنْ سَلَّمَ عَلَى عِشْرِينَ رَجُلًا، مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمٍ، جَمَاعَةً أَوْ فُرَادَى، ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَفِي لَيلَتِهِ مِثْلُ ذَلِكَ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَكُونَ السَّلَامُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، وَإِنَّ هَذَا عَرَفَنِي مِنْ بَيْنِكُمْ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، (أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ. قَالَ: فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمْرُرْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَاطٍ، وَلَا صَاحِبِ بِيعَةٍ، وَلَا مِسْكِينٍ، وَلَا أَحَدٍ إِلَاّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَوْماً، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا تَصْنَعُ فِي السُّوقِ، وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى الْبَيْعِ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلَا تَسُومُ بِهَا، وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ، قَالَ، وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هَاهُنَا نَتَحَدَّثْ، قَالَ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: يَا أَبَا بَطْنٍ، -وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ-، إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَا).

فَصْلٌ: فِي كَيْفِيَّةِ السَّلَامِ

أَنْ يَقُولَ الْبَادِئُ بِالسَّلَامِ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ). بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَإِنْ كَانَ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيَقُولُ الرَّادُّ: (وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ). فَيَأْتِي بِالْوَاوِ فِي أَوَّلِهِ.

لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: عِشْرُونَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَجَلَسَ، فَقَالَ: ثَلَاثُونَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (ثُمَّ أَتَى آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَرَكَاتُهُ، وَمَغْفِرَتُهُ، فَقَالَ: أَرْبَعُونَ، قَالَ: هَكَذَا تَكُونُ الْفَضَائِلُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْعَى دَوَابَّ أَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَرَكَاتُهُ، وَمَغْفِرَتُهُ، وَرِضْوَانُهُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُسَلِّمُ عَلَى هَذَا سَلَامًا، مَا تُسَلِّمُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ؟، فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ، هُوَ يَنْصَرِفُ بِأَجْرِ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا).

وَهَذَا يُعَارِضُهُ مَا وَرَدَ مَرْفُوعًا وَمُرْسَلًا وَمَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مِنْ: (أَنَّ مُنْتَهَى السَّلَامِ: وَبَرَكَاتُهُ، كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ: السَّلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُه: عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ. وَلِذَا قِيلَ: لِكُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَى، وَمُنْتَهَى السَّلَامِ: وَبَرَكَاتُهُ).

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسْتَحَبُّ لِلرَّادِّ أَنْ يَزِيدَ فِي الْجَوَابِ، إِلَّا إِذَا أَتَى الْمُسْلِّمُ بِتَمَامِ الْأَفْضَلِ.

وَذَلِكَ لِمَا جَاءَ عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: عَلَيْكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيَيْتَ هَذَيْنِ بِأَفْضَلِ مِمَّا حَيَّيْتَنِي؟، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَدَعْ لِي شَيْئًا، فَرَدَدْنَا عَلَيْكَ مِثْلَهَا). وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوِهَا: (زِدْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَلَمْ تَزِدْنِي شَيْئًا، قَالَ: مَا وَجَدْنَا لَهُ مَزِيدًا، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ كَمَا قَالَ).

كَمَا قَالَ فِي [السِّرَاجِيَّةِ]: يَنْبَغِي لِمَنْ سَلَّمَ عَلَى أَحَدٍ، أَنْ يُسَلِّمَ بِلَفْظِ الْجَمَاعَةِ، وَكَذَا الْجَوَاب، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ وَحْدَهُ.

وَفِي [كِفَايَةِ الشَّعْبِيِّ]: رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (سَلِّمُوا عَلَى مَنْ اسْتَقْبَلَكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَجِبْ هُوَ، يُجِيبَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ)، يَعْنِي الْكِرَام الْكَاتِبِينَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ)، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ حَرَمَ الْمَلَائِكَةَ عَنِ السَّلَامِ، وَحَرَمَ نَفْسَهُ عَنْ جَوَابِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْ كَانُوا مُسْتَغْنِينَ عَنْ تَسْلِيمِهِ، فَلَيْسَ بِمُسْتَغْنٍ عَنْ جَوَابُهِمْ، لِأَنَّ جَوَابَ الْمَلَائِكَةِ رَحْمَةٌ.

قُلْتُ: وَفِيهِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا مَرَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ، فَلْيَتَدَبَّرْ فِي بَدَائِعِ الْمَبَانِي، فِي أُمِّ الْمَعَانِي، أَنَّ السَّلَامَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، أَفْضَل مِنَ التَّنْكِير، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلَ لَهُ ثَلَاثِينَ، وَلِلثَّانِي عَشْرَة.

وَفِي [الظَّهِيرِيَّةِ]: (وَلَفْظُ السَّلَامِ فِي الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَوْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالتَّنْوِينِ، وَبِدُونِ هَذَيْنِ كَمَا يَقُولُ الْجُهَّالُ، لَا يَكُونُ سَلَامًا).

وَفِي [الْمَبْسُوطِ]: السُّنَّةُ فِي السَّلَامِ، أَنْ يَقُولَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)، وَ(سَلَام عَلَيْكُمْ)، وَالْمُجِيبُ يَقُولُ: (وَعَلَيْكُم وَالسَّلَامُ)، بِالْوَاوِ. وَلَوْ قَالَ: (عَلَيْكُمْ السَّلَامُ)، بِغَيْرِ الْوَاوِ، لَا يَسْقُطُ عَنْهُ فَرْضُ الرَّدِّ، لِأَنَّهُ كَالرَّادِّ عَلَيْهِ سَلَامهُ، فَلَا يَجُوزُ، وَلَوْ قَالَ: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، فَقَال الْمُجِيبُ: (عَلَيْكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، سَقَطَ عَنْهُ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَ سَلَامهُ مُقَابِل سَلَامهُ. وَمَا قَالَهُ مِنْ اشْتِرَاطِ الْوَاوِ.

وَفِي الْجَوَابِ جَزَمَ بِهِ الْمَتْبُولِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَجُمْهُورِهِمْ بِعَدَمِهِ. وَهُوَ الَّذِي رَجَّحَهُ النَّوَوِيُّ، وَإِلَيْهِ أَمِيلُ لَمّا تَقَدَّمَ، يَشْهَدُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ.

كَيْفَ وَقَدْ قَالَ فِي [الْمَبْسُوطِ]: وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يُسَلِّمُ ثَلَاثَ تَسْلِيمَات، إِحْدَاهُنَّ لِرَدِّ سَلَامِ الْإِمَامِ، وَهَذَا فَاسِدٌ. فَإِنَّ مَحْصُولَ الرَّدِّ حَاصِلٌ بَعْدَ التَّسْلِيمَةِ، إِذْ لَا فَرْقَ فِي الْجَوَابِ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ: (عَلَيْكُمْ السَّلَامُ)، وَبَيْنَ أَنْ يَقُولَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ). فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِالرَّدِّ.

وَفِي [عُمْدَةِ الْأَبْرَارِ]: لَوْ قَالَ: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، بِغَيْرِ الْأَلِفِ وَاللَّامُ، وَيَجْزِم الْمِيم، لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَا يَجِبُ الْجَوَاب. ذَكَرَهُ وَفِي رَوْضَةِ [الزَّنْدَوَسْتِيِّ]، وَبِنَحْوِهِ صَرَّحَ فِي [الضِّيَاءِ]: وَلَوْ قَالَ الْبَادِي: (عَلَيْكُمْ السَّلَامُ)، أَوْ (عَلَيْك السَّلَامُ)، فَمُقْتَضَى كَلَام [الْمَبْسُوطِ]: أَنَّهُ سَلَامٌ يَجِبُ رَدُّهُ.

وَبِهِ قَطَعَ الْوَاحِدِيُّ، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَاسْتَظْهَرَه النَّوَوِيُّ. ثُمَّ جَعَلَ فِيهِ احْتِمَال وَجْهَيْنِ، وَلَكِنَّ الْحَقّ الْأَوَّلِ.

وَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْمُهُ جَابِرُ بْنُ سُلَيْمٍ، أَوْ سَالِمُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى).

فَالنَّهْيُ فِيهِ لِلْكَرَاهَةِ، كَمَا قَالَهُ الْغَزَالِيُّ وَالنَّوَوِيُّ.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ: (وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ)، فَلَمْ أَرَ الْآنَ فِيهِ شَيْءٌ لِعُلَمَائِنَا. وَلِلشَّافِعِيَّةِ فِيهِ قَوْلَانِ مُرَجَّحَانِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا عَلَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ فِي الْجَوَابِ: (عَلَيْكُمْ)، لَمْ يَكُنْ جَوَابًا، فَلَوْ قَالَ: (وَعَلَيْكُمْ)، بِالْوَاوِ، فَهَلْ يَكُونُ؟، فِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا، عَلَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ فِي الْجَوَابِ: (عَلَيْكُمْ)، لَمْ يَكُنْ جَوَابًا، وَلَوْ قَالَ بِالْوَاوِ، فَهَلْ يَكُونُ؟، فِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا، وَلَمْ أَرَ الْآنَ فِيهِ شَيْئًا لِعُلَمَائِنَا.

وَأَقَلُّ السَّلَامِ وَرَدِّهِ، أَنْ يُسْمِعَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، وَإِنْ لَا، فَلَا يَجِبُ الرَّدُّ، وَلَا يَكْفِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَصَمَّ، فَيُحَرِّكُ لَهُ شَفَتَيْهِ مَعَ السَّلَامِ، أَوِ الرَّدِّ.

لِمَا رُوِيَ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا سَلَّمْتُمْ فَأَسْمِعُوا، وَإِذَا رَدَدْتُمْ فَأَسْمِعُوا، وَإِذَا قَعَدْتُمْ فَاقْعُدُوا بِالْأَمَانَةِ، وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ حَدِيثَ بَعْضٍ).

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسْمِعَ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، سَمَاعًا مُحَقَّقًا. وَلِهَذَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى يُفْهَمُ عَنْهُ.

وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْجَمْعِ.

وَإِذَا سَلَّمَ عَلَى مَنْ عِنْدِهِ نِيَام، فَالسُّنَّةُ أَنْ يُسْمِعَ الْيَقْظَان، وَلَا يُوقِظُ الْوَسْنَان. لِمَا فِي حَدِيثِ الْمِقْدَادِ، الطَّوِيلِ، قَالَ: (كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وِسَلَّم، نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا، لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ)، الْحَدِيث.

وَإِنْ كَانَ أَخْرَس، فَسَلَامُهُ وَرَدَ بِالْإِشَارَةِ، بِخِلَافِ النَّاطِق بَلْ هِيَ مِنْ دُونِ اللَّفْظِ مَكْرُوهَةٌ، لِقَوْلِهِ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكُفِّ).

وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللَّفْظِ فَحَسَنٌ. لِمَا رُوِيَ عَنِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ). وَهَذَا مَحْمَلُ الْحَدِيثِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبُو دَاوُدَ، قَالَ فِي رِوَايَتِهِ: (فَسَلَّمَ عَلَيْنَا).

وَالسُّنَّةُ أَنْ يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ، قَبْلَ الْكَلَامِ مُطْلَقًا، لِإِشَارَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

أَمَّا مَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ السَّلَامَ، فَلْيَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَلَا تَبْدَءُوا قَبْلَ اللَّهِ بِشَيْءٍ).

وَمَا عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السَّلَامُ قَبْلَ الكَلَامِ). وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: السَّلامُ قَبْلَ السُّؤَالِ، فَمَنْ بَدَأَكُمْ بِالسُّؤَالِ، قَبْلَ السَّلامِ فَلا تُجِيبُوهُ). فَالْكُلُّ ضَعِيفٌ جِدّاً.

وَفِي [الْمَنْحِ]: (إِذَا أَتَى رَجُلٌ دَارَ إِنْسَانٍ، يَجِبُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ قَبْلَ السَّلَامِ. ثُمَّ إِذَا دَخَلَ يُسَلِّمُ أَوَّلاً ثُمَّ يَتَكَلَّمُ. وَإِنَّ فِي الْفَضَاءِ يُسَلِّمُ أَوَّلاً ثُمَّ يَتَكَلَّمُ).

وَفِي [الْمَدَارِكِ]: (وَيُسَلِّمُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، وَرَاكِبِ الْفَرَسِ عَلَى رَاكِبِ الْحِمَارِ، وَالصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْأَقَلِّ عَلَى الْأَكْثَرِ، إِذَا الْتَقَيَا ابْتَدَرَا). اهـ.

وَاخْتُلِفَ فِيمَا إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمَا الْمِصْرَ، وَالْآخَرُ مِنَ الْقَرْيَةِ. وَأَصْلُ هَذَا قَوْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ). وَفِي أُخْرَى: (الْمَاشِي عَلَى الْقَائِمِ). وَفِي غَيْرِهَا: (الْقَاعِدِ وَالْمَاشِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَفْضَلُ).

وَيَظْهَرُ هَذَا كُلُّهُ، سُنَّةٌ وَأَدَبٌ، فَلَوْ عَكَسَ لَمْ يُكْرَهْ، كَمَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ، أَمَّا الْوَارِدُ وَكَيْفَ كَانَ هُوَ الَّذِي يُسَنُّ لَهُ الِابْتِدَاءُ بِالسَّلَامِ.

وَيُكْرَهُ أَنْ يَخُصَّ الْبَعْض بِالسَّلَامِ، لِمَا أَنَّهُ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَلِكَوْنِ الْقَصْد مِنْهُ الْمُؤَانَسَة وَالْمُؤَالَفَةِ، وَفِي التَّخْصِيصِ إِيحَاشٌ، وَلَوْ مَشَى فِي الشَّوَارِعِ الْمُطْرَقَةِ وَالسَّوْقِ، أَوْ نَحْوِهِمَا، يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ أَمْكَنَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ مَنْ يَعْرِفُهُ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْعَلُهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَلْعَبُونَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صِبْيَانُ).

وَفِي أُخْرَى: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْتَقْبَلَهُ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ وَخَدَمٌ، جَائِينَ مِنْ عُرْسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ).

وَفِي غَيْرِهَا: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَزُورُ الْأَنْصَارَ، فَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ بِرُءوسِهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ). وَمِنْ دُعَائِهِ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمْ).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، (أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى الصِّبْيَانِ، وَلَكِنْ لَا يُسْمِعُهُمْ).

وَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ عَلَى التَّسْلِيمِ عَلَيْهِمِ، لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَلِيَسْتَعْمِلُوا سُنَّتُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ، وَإِفْشَاؤُهُ وَفَوَائِدُهُ.

وَإِذَا دَخَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ، يَعُمَّهُمْ بِسَلَامٍ وَاحِدٍ، اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، فَإِنْ زَادَ بَعْضُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَيَكْفِي رَدُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَمَنْ زَادَ فَقَدْ أَحْسَنَ.

فَإِنْ كَانُوا جَمْعٌ، لَا يَنْتَشِرُ فِيهِم السَّلَام الْوَاحِدِ، فَسُنَّتُهُ أَنْ يُبْتَدَأَ بِهِ الدَّاخِلُ، فِي أَوَّلِ دُخُولِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُ مُؤَدِّيًا سُنَّةً فِي حَقِّ كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ. وَيَكْفِي رَدُّ بَعْضُ السَّامِعِينَ، فَإِنْ جَلَسَ سَقَطَتْ عَنْهُ سُنَّة الْبَاقِينَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ فِيمَا وَرَاءَ الْأَوَّلِينَ، مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَهَلْ يُسَنُّ لَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، أَمْ لَا؟. ذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِيهِ وَجْهَيْنِ: وَالْأَقْرَبُ السُّنِّيَّة.

عَنْ كَلَدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ، (أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، بَعَثَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي حَدِيثِ الْمُسِيءِ صَلَاتَهُ، (أَنَّهُ جَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى، كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّارٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا فَعَلِّمْنِي، قَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ، حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ، حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ، حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ اجْلِسْ، حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا).

قَالَ الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: (فَإِذَا فَعَلْتَ هَذَا فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُكَ، وَمَا انْتَقَصْتَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، فَإِنَّمَا انْتَقَصْتَهُ مِنْ صَلَاتِكَ). وَقَالَ فِيهِ: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذا لَقِيَ أَحَدُكُمْ مِرَارًا، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَمَاشَوْنَ، فَإِذَا اسْتَقْبَلَتْهُمْ شَجَرَةٌ أَوْ أَكَمَةٌ، فَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ الْتَقَوْا مِنْ وَرَائِهَا، سَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (كُنَّا نَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَّقْت بَيْنَنَا شَجَرَةٌ، أَوْ أَكَمَةٌ، فَإِذَا الْتَقَيْنَا، يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ).

قُلْتُ: فَمُجَرَّد الْغِيبَة تَسْتَلْزِمُ سُنِّيَّة السَّلَامِ، وَالصَّلَاة مِنْهَا، إِذْ هِيَ خُرُوجٌ مِنْ الْعَالِمِ الْمُلْكِيِّ إِلَى الْمَلَكُوتِيِّ.

(كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سَلَّمَ عَلَى مَنْ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ صَعِدَ، فَإِذَا اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ سَلَّمَ). وَبِهِ قَالَتِ الشَّافِعِيَّةُ.

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: لَا يُسَلِّمُ مِنْ حِينِ الْخُرُوجِ إِلَى الْفَرَاغِ، مِنَ الصَّلَاةِ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا خَرَجَ الْخَطِيبُ، فَلَا صَلَاةَ وَلَا كَلَامَ). وَفِي [الْمِنَح]: لَا يُسَلِّمُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ. كَمَا فِي [السِّرَاجِيَّةِ] وَغَيْرِهَا. وَرُوِيَ أَنَّهُ يُسَلِّمُ لِمَا فِي [السِّرَاجِ الْوَهَّاجِ].

وَيُسَنُّ بَعْثُ السَّلَامِ لِلْغَائِبِ، لِأَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ، وَيَلْزَمُ الرَّسُولُ التَّبْلِيغَ.

وَيَجِبُ الرَّدُّ عَلَى الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ. لِمَا عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ، يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ. فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَرَكَاتُهُ). وَلَمْ يَقَعْ (بَرَكَاتُهُ) فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ.

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُبَلِّغِ، أَنْ يَقُولَ: (وَعَلَيْكَ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ). لِمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: (بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، قَالَ: عَلَيْكَ، وَعَلَى أَبِيكَ السَّلَامُ).

وَهَذَا إِنْ كَانَ مُبْهَمًا، فَيُعْمَلُ بِهِ فِي الْفَضَائِلِ.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِي خَدِيجَةَ السَّلَامَ، فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ، (أَنَّ خَدِيجَةَ، خَرَجَتْ تَلْتَمِسُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَمَعَهَا غِذَاءٌ لَهُ، فَلَقِيَهَا جِبْرَئِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَسَأَلَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَابَتْهُ، وَظَنَّتْ أَنَّهُ بَعْضُ مَنْ يَغْتَالُهُ، ثُمَّ إِنَّهَا ذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هُوَ جَبْرَئِيلُ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَقِيَكِ وَمَعَكِ غِذَائِي، وَهُوَ حَيْسٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذِهِ خَدِيجَةُ، قَدْ جَاءَتْ تَحْمِلُ حَيْسًا مَعَهَا، وَاللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَهَا السَّلَامَ، وَتُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: اللَّهُ السَّلَامُ، وَمِنَ اللَّهِ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَلَى مَنْ سَمِعَ، إِلَّا الشَّيْطَانَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ؟، قَالَ: هُوَ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَبَّأَةٍ).

وَفِي [الْمُحِيطِ الرَّضَوِيِّ]: وَمَنْ بَلَّغَ غَيْرَهُ سَلَامًا مِنْ غَائِبٍ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ. هَكَذَا فَعَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَلَّغَهُ الْحَسَنُ، سَلَامَ أَبِيهِ، لِأَنَّهُ الْغَائِب يُحْسِنُ إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ، وَالرَّسُول بِالْإِيصَالِ.

فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجَازِيَهُمَا الْجَوَاب. قُلْتُ: وَمِثْلُ مَا مَرَّ، إِذَا أَتَاهُ كِتَابٌ فِيهِ السَّلَامُ، يَجِبُ الرَّدُّ حَالًا، كَمَا فِي [الْأَذْكَارِ]. وَهَذَا قَدْ أَهْمَلَهُ غَالِبُ النَّاسِ، فَلْيَنْتَبِهْ لَهُ وَنَحْوُهُ.

إِذَا رَأَى شَخْصًا مِنْ بَعِيدٍ، يُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالْإِشَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا، وَيَجِبُ الرَّدُّ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِمَا يَفْهَمُهُ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (يَا بُنَيَّ، إِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ، تَرْجُو خَيْرَهُ، فَعَجَّلَتْ بِكَ حَاجَةٌ، فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّكَ شَرِيكُهُمْ فِيمَا يَصْنَعُونَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: (قَالَ أَبِي: إِذَا مَرَرْتَ بِمَجْلِسٍ، فَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِنْ يَكُونُوا فِي خَيْرٍ كُنْتَ شَرِيكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا فِي غَيْرِ ذَلِكَ، كَانَ لَكَ أَجْرٌ. هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقّ مِنَ الْآخِرَةِ).

وَعَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلًا، قَالَ: (إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا، فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ، فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بِسَلَامٍ). فَهُوَ فِي الْخُرُوجِ، كَهُوَ فِي الدُّخُولِ.

لَكِنْ اُخْتُلِفَ فِي وُجُوبِ رَدِّهِ وَاسْتِحْبَابِهِ، فَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ، وَالْمُتَوَلِّي مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: يُسْتَحَبُّ.

قَالَ مُلَّا عَلِيٌّ قَارِي فِي [الْمِرْقَاةِ]: وَبِهِ صَرَّحَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: وَعَلَيْهِ بِأَنَّهُ دُعَاءٌ وَوَدَاعٌ، فَكَانَ جَوَابُهُ مُسْتَحَبًّا.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بِالْوُجُوبِ. وَإِذَا دَخَلَ بيتاً لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، أَوْ مَسْجِدًا كَذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: (السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَإِنْ قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، تَحِيَّةً مُبَارَكَةً طَيِّبَةً، كَانَ أَكْمَل كَمَا قَالَهُ الْوَلِيُّ ابْن رَسْلَانَ.

فَصْلٌ: فِي حُكْمِ السَّلَامِ

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ سُنَّةٌ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْغَيْرِ، وَهُوَ سُنَّةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيَّةُ.

وَهُوَ مُقْتَضَى كَلَامِ عُلَمَائِنَا، وَإِنْ لَمْ أَرَهُ صَرِيحًا لِلْقَطْعِ، بِأَنْ سَلَامَ الْوَاحِدِ مِنَ الْجَمَاعَةِ يَكْفِي عَنْهُمْ. أَمَّا وَجْهُ السُّنِّيَّةِ، فَلَا أَعْلَمُ فِيهَا خِلَافًا، مَعَ صَرْفِهِمْ الدَّلَائِلُ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا كَوْنُهَا عَلَى الْكِفَايَةِ. فَلِمَا عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، إِذَا مَرُّوا، أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ عَلَى الْقَوْمِ، أَجْزَأَ عَنْهُمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذا مَرَّ الْقَوْمُ عَلَى الْمَجْلِسِ، فَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، أَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَإِذَا رَدَّ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ، أَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُمْ). وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا.

وَهَذِهِ السُّنَّةُ مِنَ النَّفْلِ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْفَرْضِ، وَقَدْ نَظَمَ صُورَهُ السِّيُوطِيُّ، فِي قَوْلِهِ:

الْفَرْضُ أَفْضَلُ مِنْ تَطَوُّعِ نَافِلٍ   حَتَّى وَلَوْ جَاءَ مِنْهُ بِأَكْثَر

إِلَّا التَّطَهُّـرَ قَبْلَ وَقْـتٍ وَابْتِـدَا   بِالسَّــلَامِ كَـذَاكَ إِبْـرَا مُعْسِــر

وَوَجْهُ ذَلِكَ قَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (خَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ). وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ، مَنْ أَبْدَأُهُمْ بِالسَّلَامِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ، فَهُوَ أَوْلَى بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ). وَفِي أُخْرَى: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ: أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ).

وَفِي [الْمُحِيطِ الرَّضَوِيِّ]: وَثَوَابُ الْمُسْلِمِ أَكْثَر مِنْ ثَوَابِ الرَّادِّ. (لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لِلْبَادِي مِنْ الثَّوَابِ عَشْرَةٌ، وَلِلرَّادِّ وَاحِدٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لِلْبَادِي مِنْ الثَّوَابِ عِشْرُونَ).

وَفِي [فَتْحِ بَابِ الْعِنَايَةِ]، وَثَوَابُ هَذِهِ السَّنَةِ، أَفْضَلُ مِنَ الْفَرْضِ، الَّذِي هُوَ جَوَابُهُ، لِأَنَّهَا سَبَبٌ لَهُ، وَلِدَلَالِيَّتِهِ عَلَى التَّوَاضُعِ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْبَادِئُ بِالسَّلَامِ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبْرِ). كَذَا فِي [شُعَبِ الإِيمَانِ]. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ عَنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ. وَمَا فِي [الْفَتَاوَى الصُّوفِيَّةِ]، مِنْ قَوْلِهِ: اخْتَلَفُوا أَنَّ ثَوَابَ السَّلَامِ أَكْثَرَ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُبْتَدَأُ بِالْخَيْرِ، وَقِيلَ: ثَوَابُ الْجَوَابِ، لِأَنَّهُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفَرْضِ، ضَعِيفٌ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَيُسَنُّ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، لِمَن يَعْرِف وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ. لِمَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَإِذَا مَرَّ عَلَى مَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ، أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ، لَا يُجِيبُ لِاحْتِقَارِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، لَمْ أَقِفْ الْآنَ عَلَى شَيْءٍ فِيهِ لِعُلَمَائِنَا.

وَاسْتَحَبَّ النَّوَوِيُّ وَابْنُ رَسْلَانَ، السَّلَامُ عَلَيْهِ، وَعَدَم إِسَاءَةَ الظَّنِّ. بَلْ يَنْبَغِي حُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، بِأَنَّهُ رُبَّمَا أَجَابَ، وَلَمْ يَسْمَعْ أَوْ أَخَّرَهُ لِيَتَطَهَّرَ لَهُ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَيَمَّمُ لِذَلِكَ.

وَعَلَى تَقْدِيرِ عَدَمِ الرَّدِّ، يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ بِلُطْفٍ: (رَدُّ السَّلَامِ وَاجِبٌ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرُدَّ)، وَإِلَّا فَيَقُولُ: (أَبْرَأْتُهُ مِنْ حَقِّي فِي رَدِّ السَّلَامِ، وَجَعَلْتُهُ فِي حِلٍّ مِنْهُ)، وَنَحْو ذَلِكَ. يَقُولُ لِنَفْسِهِ: (رَدَّ عَلَيْكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ)، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ.

وَفِي [الْفَتْحِ] لِلْحَافِظِ: رَجَّحَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ الْمَقَالَةَ، الَّتِي زَيَّفَهَا النَّوَوِيُّ، بِأَنَّ مَفْسَدَةَ تَوْرِيطِ الْمُسْلِمِ فِي الْمَعْصِيَةِ، أَشَدُّ مِنْ تَرْكِ مَصْلَحَةِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ حَصَلَ امْتِثَالُ الْأَمْرِ، بِإِفْشَاءِ السَّلَامِ مَعَ غَيْرِهِ.

وَيَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: (وَهَذَا مُوَافِقٌ لِلْقَاعِدَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ، لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَهُوَ أَنْسَبُ بِمَذْهَبِ أَئِمَّتِنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

وَأَمَّا الثَّانِي: فَفَرْضُ كِفَايَةٍ، إِمَّا كَوْنُهَا فَرْضًا، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَجَابَ السَّلَامَ فَهُوَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ فَلَيْسَ مِنَّا).

وَلِأَنَّ الامْتِنَاعَ عَنْهُ إِهَانَةٌ بِالْمُسْلِمِ وَاسْتِخْفَافٌ، وَذَلِكَ حَرَامٌ. وَكَوْنُهُ عَلَى الْكِفَايَةِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَدِيثِ. فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً، كَفَى رَدٌّ وَاحِدٍ.

وَفِي [أَذْكَارِ ابْنِ رَسْلَانَ]: وَنُقِلَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ رَدِّ كُلِّهِمْ، وَإِنْ تَرَكَهُ الْكُلّ أَثِمُوا، وَلَوْ رَضِيَ الْمُسْلَمُ بِتَرْكِ الرَّدِّ، لَا يَسْقُطُ لِأَنَّهُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ مَازَجَهُ حَقّ غَيْرِهِ.

وَلَوْ سَلَّمَ عَلَى شَخْصٍ مَعَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَلَمْ يُسَمِّهِ، وَرَدَّ غَيْرُهُ كُفِيَ عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَصدَ الْمُسَلِّمُ التَّسلِيمَ عَلَى الْكُلِّ، يَكْتَفِي بِجَوَابِ الْوَاحِدِ.

وَإِنْ سَمَّى وَاحِدًا، فَقَال: السَّلَامُ عَلَيْك يَا زَيْدُ، فَأَجَابَهُ غَيْرُهُ، لَا يَسْقُطُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ خَاصَّةً، كَمَا فِي [الْمُحِيطِ الرَّضَوِيّ].

وَإِنْ لَمْ يُسَمِّ، وَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ)، وَأَشَارَ إِلَى رَجُلٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَرَدَّ غَيْرُهُ، سَقَطَ السَّلَامُ عَنِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، كَمَا فِي [الْمِنَح].

ثُمَّ الْوُجُوبُ شَرْطُهُ: التَّكْلِيفُ، فَلَوْ سَلَّمَ عَلَى صَبِيٍّ، لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْجَوَابُ، وَلَوْ بِالْعَكْسِ وَجَبَ، كَمَا صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ.

وَلَوْ سَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهِمْ صَبِيٌّ، فَرَدَّ الصَّبِيُّ دُونَهُمْ، ذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِيهِ قَوْلَيْنِ، وَصَحَّحَ فِي [شَرْحِ مُسْلِمٍ]، أَنَّهُ يَكْفِي عَنْهُمْ. وَلَمْ يَحْضُرْنِي بِشَيْءٍ لِلْحَنَفِيَّةِ. وَالْقَوْلُ بِالِاكْتِفَاءِ حَسَنٌ.

ثَمَّ نَصَّ الشَّافِعِيَّةُ، عَلَى الْوُجُوبِ عَلَى الْفَوْرِ، فَإِنْ أَخَّرَهُ ثُمَّ رَدَّ لَمْ يَعُدْ جَوَابًا، وَكَانَ آثِمًا بِتَرْكِ الرَّدِّ. وَلَمْ أَرَ فِيهِ شَيْئًا لِأَئِمَّتِنَا. وَسَيَأْتِي لَهُمْ بَعْض مَسَائِلٍ، تُشِيرُ إِلَى قُرْبٍ مِنْ هَذَا.

وَعَنْ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ، (أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طُهْرٍ. أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ).

وَهذَا يَدْفَعُ الْفَوْرِيَّة، إلَّا أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ غَيْر مَانِعٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ القَارِىء فِي [الْمِرْقَاةِ]: يُشْتَرَطُ فِي صِحَّةِ الْجوَابِ، أَنْ يَقعَ بَعْدَ السَّلَامِ، لَا أَنْ يَقعَا مَعًا. وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أَكْثَر النَّاسِ عَنْهَا غَافِلُونَ.

فَلَو الْتَقى رَجُلَانِ، كُلّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، دَفْعَة وَاحِدَة، يَجِبُ عَلَى كُلّ مِنْهُمَا الْجَوَاب.

وَلَوْ سَلَّمَ جَمَاعَةٌ عَلَى وَاحِدٍ، فَقَالَ: (وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ). قَاصِدًا الرَّدّ عَلَى جَمِيعِهِمْ أَجْزَأَهُ، كَمَا قَالَ الْمُتَوَلّي وَالْبَغَوِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ.

وَقَالَ فِي [الْمِصْبَاحِ]: هَذَا الْحُكْمُ لِمُسَلِّمٍ إذَا سَلَّمُوا دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلِهَذَا أَعْقَبَه الْمُتَوَلّي بِالْفَاءِ، فِي قَوْلِهِ: (وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ). أَمَّا لَوْ سَلَّمُوا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَكَانُوا كَثِيرِينَ، فَلَا يَحْصُلُ الرَّدّ لِكُلِّهِم.

إِذْ قَدْ مَرَّ أَنَّ شَرْطَ حُصُول الرَّدِّ، أَنْ يَقَعَ عَلَى الْفَوْرِ. قَالَ: وَهَذَا الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ غَيْرهُ، وَلَمْ أَقِفْ الْآنَ، عَلَى نَصٍّ لِمَشَايِخِنَا، لِقِلَّةِ الْبِضَاعَةِ.

فَصْلٌ: فِي مَسْنُونَاتِ وَمَكْرُوهَاتِ وَمُبَاحَاتِ السَّلَامِ

وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّهُ مَسْنُونٌ، وَيُسْتَحَبُّ إِفْشَاؤُهُ عَلَى كُلّ رِجلٍ، غَيْر مَشْهُورٍ بِبِدْعَةٍ، أَوْ فِسْقٍ، أَوْ كُفْرٍ، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، كَذَلِكَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَجَارِيَتِهِ، وَمَحَارِمِهِ. وَالْمَرْأَةُ مَعَ النِّسَاءِ، وَالرِّجَالُ كَذَلِكَ. وَمِنْهُ السّلَامُ عَلَى الْمَوْتَى، وَتَقدَّمَ.

وَأَنْوَاعُ هَذَا الْقِسْمِ غَيْر مُنْحَصِرَة، وَقَدْ يَخْتَلِفُ حُكْمُهُ، فَيُكْرَهُ أَوْ يُبَاحُ، وَهَذَانِ مُسْتَثْنَيَانِ مِنَ الْأَصْلِ، فَلَابُدَّ مِنْ بَيَانِهِمَا، بِحَسَبِ التَّيْسِيرِ.

فَأَمَّا الْمَكْرُوهُ، فَأَقُولُ فِي [النَّهرِ]، عَنْ صَدْرِ الدِّينِ الْغَزِّيِّ، قَالَ:

سَلَامُكَ مَكْرُوهٌ عَلَى مَنْ سَتَسْمَعُ ... وَمِنْ بَعْدَ مَا أُبْدِي يُسَنُّ وَيُشْرَعُ
مُصَلٍّ وَتَالٍ ذَاكِرٍ وَمُحَدِّثٍ ... خَطِيبٍ وَمَنْ يُصْغِي إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ
مُكَرِّرِ فِقْهٍ جَالِسٍ لِقَضَائِهِ وَمَنْ ... بَحَثُوا فِي الْفِقْهِ دَعْهُمْ لِيَنْفَعُوا
مُؤَذِّنٍ أَيْضًا أَوْ مُقِيمٍ مُدَرِّسٍ ... كَذَا الْأَجْنَبِيَّاتُ الْفَتِيَّاتُ امْنَعْ
وَلعَّابُ شِطْرَنْجٍ وَشِبْهٌ بِخُلُقِهِمْ ... وَمَنْ هُوَ مَعَ أَهْلٍ لَهُ يَتَمَتَّعُ
وَدَعْ كَافِرًا أَيْضًا وَمَكْشُوف عَوْرَةٍ ... وَمَنْ هُوَ فِي حَالِ التَّغَوُّطِ أَشْنَعُ
وَدَعْ آكِلًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ جَائِعًا ... وَتَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُ

وَزَادَ الْحَصْكَفِيُّ، وَقَالَ:

كَذَلِكَ أُسْتَاذٌ مُغَنٍّ مُطَيِّرٌ ... فَهَذَا خِتَامٌ وَالزِّيَادَةُ تَنْفَعُ

أَقُولُ: وَسَيَأْتِي زِيَادَةٌ عَلَى هَذَا أَيْضًا.

فَأَمَّا الْمُصَلِّي فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ، وَلَوْ رَدَّ بِالْقَوْلِ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ. وَلَوْ فَعَلَ بِالْإِشَارَةِ وَنَحْوِهَا، لَا تَبْطُلُ عَلَى الصَّحِيحِ، وَلَكِنْ تُكْرَهُ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا).

وَمَا وَرَدَ بِخِلَافِهِ، قَالَ الشَّافِعِيَّةُ، وَهُوَ مَنْسُوخٌ عِنْدَنَا. وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ، عَنْ الْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ: (إِنَّ الْمُصَلِّي يَرُدُّ السَّلَامَ كَلَامًا، إِذَا سُلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْطَعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ. وَالنَّاسُ عَلَى خِلَافِهِ).

وَأَمَّا الثَّانِي: فَالْأَصَحُّ أَنَّهُ يَجِبُ الرَّدّ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ فَرْضٌ، وَقِرَاءَة الْقُرْآنِ لَيْسَتْ بِفَرْضٍ، فَلَا يَدَعُ الْوَاجِبَ لِاشْتِغَالِهِ بِالنَّفْلِ، كَذَا فِي [الْمُحِيطِ الرَّضَوِيِّ]، وَغَيْرِهِ، وَسَامِعهُ مِثْلُهُ، وَبَعْضُهُمْ اخْتَارَ أَنَّهُ لَا يَرُدّ الْجَاهِرُ.

وَفِي [التَّتَارْخَانِيَّة]: وَإِذَا سَلَّمَ رَجُلٌ عَلَى الَّذِي يُصلِّي، أَوْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ: أَنَّهُ يَرُدُّ السَّلَامَ بِقَلْبِهِ. وَعَنْهُ: أَنَّهُ يَمْضِي عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَلَا يُشْغِلُ قَلْبَهُ، كَمَا لَا يَشْتَغِلُ لِسَانهُ. وَعِنْدَ أَبِي يُوسُفَ: يُجِيبُهُ بَعْدَ الْفَرَاغِ.

وَأَمَّا الذِّكْرُ فَيَشْتَمِل الْمُلَبِّي وَغَيْره، بِأَيِّ ذِكْرٍ كَانَ. قَالَ السُّرُوجِيُّ فِي [غَايَتِهِ فِي [كِتَابِ الصَّلَاةِ]: يُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى الذَّاكِرِ. اهـ. وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ.

أَمَّا الْمُحَدِّثُ وَالْخَطِيبُ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا الرَّدُّ، وَقِيلَ بِهِ. وَأَمَّا السَّامِعُ لِلْمُحَدِّثِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ لِإِسْمَاعِ الثَّانِي، عَلَى الْأَرْجَحِ.

وَأَمَّا مُكَرِّرُ الْفِقْهِ وَالْبَاحِثُونَ فِيهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ الرَّدّ، بِخِلَافِ الْجَالِسِ لِلْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ، إِذْ لَمْ يَجْلِسَا لِلرَّدِّ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمَا الْخِلَافُ، لَكِنْ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يُكَلِّفَهُمْ الْأُمَرَاء، أَوْ السَّلَاطِين، حَيْثُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا يَأْنَفُونَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْمُؤَذِّنُ وَالْمُقِيمُ، فَيَجِبُ الْجَوَاب عَلَيْهِمَا. وَقَالَ فِي [الْمَدَارِكِ]: وَلَا يَرُدُّ السَّلَامَ فِي الْخُطْبَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ جَهْرًا، وَرِوَايَةِ الْحَدِيث وَعِنْدَهُ، وَمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، وَالْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ.

أَمَّا الْأَجْنَبِيَّاتُ الْفَتَيَاتُ، أَيِ الشَّوَابُّ، فَفِي [الْمُحِيطِ الرَّضَوِيّ]: وَلَوْ سَلَّمَ الرَّجُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ، قِيلَ: يَجِبْ عَلَيْهَا الرَّدُّ، لِأَنَّهَا حَقُّ إِقَامَة الْفَرَائِضِ كَالرَّجُلِ.

وَقِيلَ: لَا يَجِبُ، لِأَنَّ سَلَامَ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ، يَكُونَ خَطَأً، لِأَنَّ الْمُسَلِّمَ طَلَبَ مِنْهَا الْجَوَاب، وَطَلَبَ الْجَوَاب مِنْهَا خَطَأ، لِأَنَّ صَوْتَهَا عَوْرَةٌ.

وَإِنْ عَطَسَتِ الْمَرْأَةُ، فَإِنْ كَانَتْ عَجُوزاً يُشَمِّتُهَا الرَّجُلُ. وَإِنْ كَانَتْ شَابَّةً، يَرُدُّ عَلَيْهَا فِي نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ الْجَوَابُ فِي رَدِّ سَلَامِهَا عَلَى الرَّجُلِ.

وَفِي [الِاخْتِيَارِ]: يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ رَدُّ سَلَامِ الرَّجُلِ، وَلَا تَرْفَعُ صَوْتَهَا، لِأَنَّهُ عَوْرَةٌ. وَإِنْ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ فَإِنْ كَانَتْ عَجُوزًا رَدَّ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ شَابَّةً سَلَّمَ فِي نَفْسِهِ.

وَفِي [الْخَانِيَّةِ]: إِذَا سَلَّمَتْ الْمَرْأَةُ الْأَجْنَبِيَّةُ عَلَى رَجُلٍ، إِنْ كَانَتْ عَجُوزًا رَدَّ السَّلَامُ عَلَيْهَا بِلِسَانِهِ، بِصَوْتٍ يُسْمَعُ، وَإِنْ كَانَتْ شَابَّةً، رَدَّ عَلَيْهَا فِي نَفْسِهِ. وَكَذَا الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ، فَالْجَوَابُ فِيهِ يَكُونُ عَلَى الْعَكْسِ.

ثُمَّ غَالِبُ كَلَامِهِمْ فِي الْمُفْرَدَةِ، أَمَّا الْجَمْعُ فَهَلْ يَكُونُ السَّلَامُ عَلَيْهِنَّ أَمْ لَا؟، وَالنَّظْمُ صَرِيحٌ فِي الْكَرَاهَةِ عَلَى الْأَجْنَبِيَّاتِ. وَقَدْ جَاءَ فِي أَحَادِيثٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَلَّمَ عَلَى الْجَمْعِ مِنْهُنَّ مُطْلَقًا.

وَفِي [فَتْحِ بَاب الْعِنَايَةِ]: وَيُسَلِّمُ الرَّجُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ، (لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَرَّ عَلَى نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ). رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. وَجَوَّزَ ذَلِكَ النَّوَوِيُّ بِسِرٍّ وَإِعْلَامٍ خَوْفِ الْفِتْنَةِ، بَلْ قَالَ فِي [شَرْحِ الْمُهَذَّبِ]: أَنَّهُ سُنَّةٌ. وَمِثْلُهُ سَلَامُ أَجْمَعِهُنَّ عَلَى الرَّجُلِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَرْسَلَانُ: وَأَمَّا الْأَمْرَدُ الْجَمِيلُ، فَقَدْ أَلْحَقَهُ الْعُلَمَاءُ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ بِالْمَرْأَةِ. فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَلْحَقَ بِهَا فِي السَّلَامِ خُصُوصًا، إِذَا خِيفَ الِافْتِتَانِ بِهِ. قُلْتُ: وَهُوَ حَسَنٌ صَوَابٌ.

وَأَمَّا لَعِبُ الشِّطْرَنْجِ، وَالْمُشْبِهِ لَهُ، كَمَنْ يَلْعَبُ النَّرْدَشِير، وَالشَّيش، وَالْمَنْقَلَة، وَنَحْوِ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِم بَأْسًا، ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ تَحْرِيمًا. فَلَمْ يَرَ أَبُو حَنِيفَةَ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ بَأْسًا، لِيُشْغِلَهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ.

وَكَرِهَهُ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّد، تَحْقِيرًا لَهُمْ. وَاخْتَارَهُ لِلْفَتْوَى لِمَا رُوِيَ: (أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَرَّ بِقَوْمٍ يَلْعَبُونَ الشَّطْرَنْجَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟).

وَفِي [الْمَدَارِكِ]: وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ: لَا يُسَلَّمُ عَلَى لَاعِبِ الشّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ، وَالْمُغْنِي، وَالْقَاعِدِ لِحَاجَةٍ، وَمُطَيِّرِ الْحَمَّامِ، وَالْعُرْيِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، مِنْ حَمَّامٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا مَنْ يَتَمَتَّعُ بِأَهْلِهِ، فَظَاهِرٌ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ مُطْلَقًا، عَلَى قَوْلِ أَبِي يُوسُفَ، وَيَجِبُ بِالْقَلْبِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ، عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ فِيمَنْ تَغَوَّطَ. وَهَذَا إِذَا كَانَ يَكْشِفُ الْعَوْرَة. أَمَّا بِغَيْرِهِ، فَيَنْبَغِي الْوُجُوبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ: فَلَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ، عِنْدَ كَافَّةِ الْأَنَامِ، مِنَّا وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْغَيْرِ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ).

وَنُقِلَ عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْبُدَاءَةِ بِالتَّحِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ). وَالْبَعْضُ مِنَّا، وَمِنَ الْغَيْرِ لَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْسًا. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَإِنْ كَانَتْ فَلَا بَأْسَ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُأْثَمُ بِالْبُدَاءَةِ. وَلَوْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ سَلَّمَ عَلَيْهِ تَبْجِيلاً كَفَرَ. وَقِيلَ: لَا. وَصَوَّبَهُ الزَّنْدَوَسْتِيُّ.

وَلَوْ اجْتَمَعَ مُسْلِمٌ أَوْ مُسْلِمُونَ وَكُفَّارٌ، يُسَلِّمُ وَيَنْوِي بِذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَلَّمَ عَلَى مَنْ هُمْ كَذَلِكَ. وَلَوْ قَالَ: (السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)، جَازَ كَمَا فِي [الْمُحِيطِ].

وَقَالَ قَتَادَةُ: (التَّسْلِيمُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، أَنْ تَقُولَ: السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى).

وَإِذَا سَلَّمَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، ثُمَّ بَانَ أَنَّهُ كَافِرٌ، يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ: مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (سَلَّمَ عَلَى يَهُودِيٍّ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: رُدَّ عَلَيَّ سَلَامِي، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ).

هَكَذَا ذَكَرَ الشَّافِعِيَّةُ، وَاخْتَارَهُ الْمُلَّا عَلِيٌّ فِي [الْمِرْقَاةِ]. وَقَالَ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي الْحَنَفِيَّةِ: وَأَيْضًا قَوَاعِد مَذْهَبِ إِمَامِنَا الْأَعْظَمِ لَا تَأْبَاهُ.

وَفِي [مُوطَّأِ الْإِمَامِ مَالِكٍ]: (أَنَّ مَالِكًا سُئِلَ عَنِ السَّلَامِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، هَلْ يَسْتَقِيلُهُ ذَلِكَ؟، فَقَالَ: هَذَا مَذْهَبُنَا)، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيّ مِنْ أَتْبَاعِهِ. وَذَكَرَ الشَّافِعِيَّةُ: أَنَّهُ لَوْ حَيَاهُ بِقَوْلِهِ: هَدَاكَ اللَّهُ أَو أَصْبَحَتْ بِالْخَيْرِ أَوْ السَّعَادَةِ، أَوْ نَحوِ ذَلِكَ جَازَ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ [الْمُحِيط] وَغَيْرهُ: بِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (أَرْشَدَكَ اللَّهُ)، أَوْ (هَدَاكَ اللَّهُ)، فَحَسَنٌ. وَإِذَا سَلَّمَ الْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ أَوْ الْمَجُوسِيُّ عَلَى الْمُسْلِمِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَقُولُ الْمُسَلِّمُ: (عَلَيْكَ)، وَلَا يَزِيدُ، وَيَنْوِي بِذَلِكَ السَّلَام، لِحَدِيثٍ مَرْفُوعٍ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَرُدُّوا عَلَيْهِمْ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مَجُوسِيًّا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]). رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ). وَفِي رِوَايَةٍ (عَلَيْكَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكَ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ).

وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَحَدَ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاث يَكْفِي، وَأَصَحُّ الرِّوَايَاتِ: (وَعَلَيْكُمْ).

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ لِكَافِرٍ كِتَابًا، فِيهِ سَلَامٌ، فَلْيَكْتُبْ عَلَى طَرِيقَةِ كَتبهِ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَلِكَ، وَطَرِيقَتِهِ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي كِتَابَتِهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِلَى هِرَقْلَ: (إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتبَعَ الْهُدَى).

(تَتِمَّةٌ): لَا بَأْسَ بِعِيَادَةِ الْكَافِرِ الَّذِي لِقَرَابَتِهِ، أَوْ جِوَارٍ، أَو صُحْبَةٍ. وَيَجِبُ عَنْ كَانَ يَرْجُو بِذَلِكَ إِسْلَامَهُ، كَمَا قَالَهُ السُّبْكِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ).

وَقَدْ (عَادَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَى).

فَيَنْبَغِي لِلْعَائِدِ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْكَافِرِ، وَيَحُثُّ الْمُسْلِمُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالصَّبْرِ وَالْوَصِيَّةِ وَنَحْوِهَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي عِيَادَةِ الْمَجُوسِيّ وَالْفَاسِقِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا لَا بَأْس بِهَا.

وَأَمَّا مَكْشُوفُ الْعَوْرَةِ فَظَاهِرٌ. وَهَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ؟. يَحْتَمِلُ كَالَّذِي بِهَذِهِ، وَهُوَ يَبُولُ أَوْ يَتَغَوَّطُ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَرُدُّ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ لَا بِلِسَانِهِ. وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: لَا يَرُدُّ أَصْلاً. وَقَالَ مُحَمَّدٌ: يَرُدُّ بَعْدَ الْفَرَاغِ، وَهُوَ أَحْسَنُ عِنْدِي.

وَأَمَّا مَنْ يَغْتَسِلُ مَسْتُورًا، فَيُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَيَرُدُّ.

لِمَا عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: (ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟، فَقُلْتُ: أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ).

وَأَمَّا الْأَكْلُ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُسَلِّمُ سَائِلاً، فَقَدْ قَالُوا: لَا يَجِبُ رَدُّ سَلَامِ السَّائِلِ، لِأَنَّهُ سَلَّمَ لِعَشَا سُؤَالِهِ لَا لِلتَّحِيَّةِ. أَمَّا الْأُسْتَاذُ، فَفِي [جَامِعِ الْفَتَاوَى]: وَلَا يُسَلِّمُ الْمُتَفَقِّهُ عَلَى أُسْتَاذِهِ، وَلَوْ فَعَلَ لَا يَجِبُ رَدُّهُ.

وَأَمَّا الْمُغْنِي، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ، وَمِثْل مُطَيِّرِ الْحَمَامِ. وَمِنَ الزَّائِدِ عَلَى مَا مرَّ، الْفَاسِق وَالْمُبْتَدِع. فَفِي [التَّتَارْخَانِيَّة]، نَقْلاً عَنْ [الْعَتَّابِيَّةِ]، وَعَنْ أَصْحَابِنَا: لَا يَسْلَمُ عَلَى الْفَاسِقِ الْمُعْلِن، وَلَا عَلَى الَّذِي يَتَغَنَّى، وَالَّذِي يُطَيِّرُ الْحَمَامَ.

وَقَالَ فِي [الْمِرْقَاةِ]: قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَجِبُ رَدُّ سَلَام الْفَاسِقِ وَالْمُبْتَدِعِ، بَلْ لَا يُسَنُّ، زَجْرًا لَهُمَا. ثُمَّ جَازَ هَجْرهمْ كَذَلِكَ. وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا: الْمُبْتَدِعُ، فَالْمُخْتَارُ فِيهِ أَنَّهُ لَا يُبْدَأُ بِالسَّلَامِ، إِلَّا لِعُذْرٍ وَخَوْف مَفْسَدَة.

وَاحْتَجَّ الْبُخَارِيُّ لِذَلِكَ، بِقِصَّةِ كَعْب بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تبُوكَ، هُوَ وَرَفِيقَانِ لَهُ.

قَالَ: (وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ كَلَامِنَا، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ، بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟، حَتَّى كَمَلَتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً، وَآذَنَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لَا تُسَلِّمُوا عَلَى شَرَبَةِ الْخَمْرِ).

وَيُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ لَهُ أَيْضًا، بِمَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ، لَا سِيَّمَا عَلَى مَذْهَبِنَا، مِنْ كَوْنِ الْأَحْمَر مَكْرُوهًا، تَحْرِيمًا عَلَى الظَّاهِرِ، وَمِثْل مَنْ ذَكَرَ الظّلمَة.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسَلِّمُ، وَيَنْوِي السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَعْنَى: (اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَقِيبٌ)، وَلَا بَأْس بِأَنْ يَسْتَرِدَّ سَلَامَهُ مِنْهُمَا، وَمِنْ الْمُبَاغِضِ وَالْمُتَكَبِّرِ، وَنَحْوِهِم، كَمَا قَالَهُ الْقَارِئُ فِي [الْمَرْقَاةِ].

وَمِنْهُ أَيْضًا كَانَ فِي الْحَمَّامِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ عُرَاة كَانُوا، أَوْ غَيْر عُرَاة، وَقَالَا: إِذَا كَانُوا مَسْتُورِينَ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَلَا.

قُلْتُ: زَادَ الشَّافِعِيَّةُ: الْمَجْنُونُ وَالنَّاعِسُ وَالنَّائِمُ، وَهَذَا يَتَمَشَّى أَيْضًا عَلَى مَذْهَبِنَا. بَلْ لَا يَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ فِيهِ خِلَافٌ.

وَعَن سُلْطَانِ الزَّاهِدِينَ، سَيِّدِي إِبْرَاهِيم بْنِ أَدْهَم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمَدَّنَا اللَّهُ مِنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (سَلِّمُوا عَلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، بِتَرْكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ). وَهَذَا حَقٌّ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِك مِنْ مَضَارٍّ لَهُ وَهَمٍّ، لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَرْبَاب الْقُلُوبِ.

وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَالرَّدُّ عَلَى الْأَجْنَبِيَّةِ، عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَالْعَجُوزَةِ، وَالْمُتَكَبِّرِ، وَالْمُبغضِ الَّذِي لَا يَرُدُّ. وَكُلَّمَا خَلَا عَنِ الْكَرَاهَةِ وَالاسْتِحْبَابِ.

فَصْلٌ: وَلَوْ ابْتَدَأَ بِغَيْرِ السَّلَامِ: لَا يَسْتَحِقُّ الْجَوَابَ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَعْبَئُوا بِهِ، وَيُتْرَكُ زَجْرًا لَهُ، لِتَرْكِهِ الاعْتِنَاء بِسُنَّةِ السَّلَامِ. وَلَوْ قَالَ بَعْدَهُ: (صَبَّحَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ)، وَنَحْوه، لَمْ يَرِدْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُو لَهُ، مُكَافَأَة لَا وُجُوبًا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: لَا تَبْرَحْ مِنْ مَنْزِلِكَ، أَنْتَ وَبَنُوكَ حَتَّى آتِيَكُمْ. فَأَتَاهُمْ بَعْدَ مَا أَضْحَى، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ؟، قَالُوا: بِخَيْرٍ، بِأَبِينَا وَأُمِّنَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، قَالَ: بِخَيْرٍ، أَحْمَدُ اللَّهَ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ عَقِيلًا، دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا يَزِيدَ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، قَالَ: بِخَيْرٍ، صَبَّحَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ بِخَيْرٍ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ إِذَا رَآهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، فَيَقُولُ: بِخَيْرٍ حَمَدًا لله، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: جَعَلَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِرَجُلٍ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ؟، قَالَ: أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ).

وَفِي [أُصُولِ الْأَمَانِي] لِلسُّيُوطِيّ، فِي [الْفِرْدَوْسِ]: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَقَدْ خَرَجَا مِنَ الْحَمَّامِ: طَابَ حَمَّامُكُمَا). لَكِنْ بَيَّضَ لَهُ وَلَدُهُ فِي [مُسْنَدِهِ]، فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ إِسْنَادٌ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ لِرَجُلٍ خَرَجَ مِنَ الحَمَّامِ: طَهُرْتَ، فَلَا نَجِسْتَ. وَهُنَاك رَجُلٌ مَجُوسِيّ، فَقَال: هَلَّا أَجَبْت أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَال: بِأَيِّ شَيْءٍ أُجِيبُهُ، قَالَ: قُلْ سَعِدْتَ فَلَا شَقِيتَ. فَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِي اللَّه عَنْه: الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ، خُذُوهَا وَلَم مِنْ أَفْوَاهِ الْمُشْرِكِينَ).

قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا الْمَحَلُّ لَا يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ. وَقَالَ إِنْسَانٌ لِصَاحِبِهِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَوَدَّةِ وَالْمُؤَالَفَةِ، وَاسْتِجْلَابِ الْوِدَادِ: (أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النَّعِيمَ)، وَنَحْو ذَلِكَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَلَا بَأْس بِهِ.

فَصْلٌ: فِي الْمُصَافَحَةِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ، فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا اللَّهَ تَعَالَى، وَاسْتَغْفَرَاهُ، غُفِرَ لَهُمَا).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ فِي اللَّهِ، يَسْتَقْبِلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَيُصَافِحُهُ، وَيُصَلِّيَانِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى تُغْفَرَ ذُنُوبُهُمَا، مَا تَقَدَّمَ مِنْهُمَا وَمَا تَأَخَّرَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهُمَا، وَلَا يَرُدَّ أَيْدِيَهُمَا حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهُمَا، وَلَا يَرُدَّ أَيْدِيَهُمَا، حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا).

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا، قَالَ: (مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِ رَجُلٍ فَفَارَقَهُ، حَتَّى قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾).

وَالْمُصَافَحَةُ سُنَّةٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِيلَ: مُسْتَحَبَّةٌ، وَقِيلَ: مُبَاحَةٌ.

وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِأَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَنِي لَهُ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟، قَالَ: نَعَمْ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (لَمَّا جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا الْتَقَى الرَّجُلَانِ الْمُسْلِمَانِ، فَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، فَإِنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ، أَحْسَنُهُمَا بِشْرًا بِصَاحِبِهِ، فَإِذَا تَصَافَحَا، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ، لِلْبَادِي مِنْهُمَا تِسْعُونَ، وَلِلْمُصَافِحِ عَشْرَةٌ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا الْتَقَيَا الْمُسْلِمَيْنِ، فَتَصَافَحَا وَتَكَاشَرَا، بِوُدٍّ وَنَصِيحَةٍ، تَنَاثَرَتْ خَطَايَاهُمَا بَيْنَهُمَا). وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: (وَيَضْحَك كُلٍّ مِنْهَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ، أَي يَبْتَسِم وَيُطْلَق وَجْهَه).

وَعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: (صَافَحَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَمَزَ عَلَى كَفِّي، فَقَالَ لِي: يَا بَرَاءُ، أَتَدْرِي لِمَ غَمَزْتُ عَلَى كَفِّكَ؟، قُلْتُ: لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِذَا صَافَحَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنَ، نَزَلَتْ عَلَيْهِمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لأَبَشِّهِمَا، وَأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا).

وَبِمَا ذُكِرَ تَبْيِينُ سُنِّيَّتِهَا، عِنْدَ اللِّقَاءِ مُطْلَقًا. وَأَمَّا تَخْصِيصُهَا بِوَقْتٍ، كَمَا اعْتَادَهُ بَعْضُ النَّاسِ، بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَبَعْدَ الصَّلَوَاتِ مُطْلَقًا، فَلَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرْعِ.

وَقَالَ عُلَمَاءُ الْأَرْبَعَة الْمَذَاهِب: أَنَّهَا بِدْعَةٌ. لَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ بِكَرَاهِيَتِهَا. وَالْآخرُ قَالَ بِإِبَاحَتِهَا. وَعَلَيْهِ النَّوَوِيُّ، وَابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَغَيْرِهِمَا.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي [الْمَجْمُوع]: وَاخْتَارَ أَنَّ مُصَافَحَةَ مَنْ كَانَ مَعَهُ، قَبْلَ الصَّلَاةِ مُبَاحَةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الصَّلَاةِ سُنَّةٌ.

وَأَنَّ الْمُصَافَحَةَ عِنْدَ اللِّقَاءِ سُنَّةٌ، وَأَفْتَى بِهَا حَمْزَةُ النَّاشِرِيُّ وَغَيْرُهُ، بِاسْتِحْبَابِهَا عَقِبَ الصَّلَوَاتِ مُطْلَقًا، لِأَنَّ الصَّلَوَاتَ غَيبَةٌ حُكْمِيَّةٌ، فَتُلْحَقُ بِالْغيبَة الْحِسِّيَّةِ.

وَفِي [الْبُخَارِيِّ]، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، قَالَ أَبُو جُحَيْفَة: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ، رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ، فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ،

قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ).

وَأَوْرَدَهُ غَيْرُ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ فِي [غَايَتِه]، وَقَالَ: (يُسْتَأْنَسُ بِذَلِكَ لِمَا تَطَابَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ، مِنَ الْمُصَافَحَةِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ، لَا سِيَّمَا فِي الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ، إِذَا اقْتَرَنَ بِهِ قَصْدٌ صَالِحٌ، مِنْ تَبَرُّكٍ أَوْ تَوَدُّدٍ أَوْ نَحْوِه).

وَقَدْ وُجِّهَ كَوْنُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، بِأَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، تَنْزِلُ فِيهَا وَتَصْعَدُ. فَاسْتُحِبَّ الْمُصَافَحَةَ لِلتَّبَرُّكِ بِمُصَافَحَتِهِمْ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْقَارِئُ فِي [الْمِرْقَاةِ]: وَمَعَ كَوْنِهَا مِنَ الْبِدَعِ، فَإِذَا مَدَّ مُسْلِّمٌ يَدَهُ إِلَيْهِ لِيُصَافِحَهُ، فَلَا يَنْبَغِي الْإِعْرَاض عَنْهُ، بِجَذْبِ الْيَدِ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ أَذًى، يَزِيدُ عَلَى مُرَاعَاةِ الْأَدَبِ. وَإِنْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ فِيهِ إِعَانَةٌ عَلَى الْبِدْعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُجَابَرَةِ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَمَا قَالَهُ النَّاشِرِيُّ، وَالْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ، أَحْسَنُ هُوَ عِنْدِي، مَا لَمْ يَخَفْ اعْتِقَاد الْوُجُوبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغُيُوبِ.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَسْتُ أُصَافِحُ النِّسَاءَ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُصَافِحُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى).

وَالْمُصَافَحَةُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الصَّفْحَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِفْضَاءُ بِصَفْحَة الْيَدِ إِلَى صَفْحَةِ الْيَدِ. وَفِي [الْقَامُوسِ]: الْمُصَافَحَةُ الْأَخْذُ بِالْيَدِ كَالتَّصَافُحِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا: وَضْعُ الْكَفِّ عَلَى الْكَفِّ بِلَا حَائِلٍ، مَعَ الْمُلَازَمَةِ إِلَى الْفَرَاغِ مِنَ السَّلَامِ.

فَصْلٌ: فِي أَحْكَامِ التَّقْبِيلِ

وَالسُّؤَالُ هَلْ يَشُدُّ كُلّ مِنْهُمَا عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ؟. قَوْلَانِ: وَهَلْ يُقَبِّلُ يَدَ نَفْسِهِ بَعْدَهَا؟. عِنْدَنَا لَا، وَعِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ قَوْلَانِ.

وَفِي [الْخَانِيَّةِ]: وَلَا بَأْس بِتَقْبِيلِ يَدِ الْعَالِمِ وَالسُّلْطَانِ الْعَادِلِ سُنَّةٌ. وَفِي يَدِ غَيْرِهِمَا كَلَامٌ. وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ.

وَفِي [التَّبْيِينِ]: رَخَّصَ الشَّيْخُ السَّرخْسِيُّ، وَبَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ: تَقْبِيلُ يَدِ الْعَالِمِ وَالْمُتَوَرِّعِ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ.

وَقَالَ أَبُو اللَّيْثِ: (أَنَّ التَّقْبِيلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: قُبْلَةِ الرَّحْمَةِ كَقُبْلَةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَقَبَّلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقُبْلَةِ التَّحِيَّةِ كَقُبْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقُبْلَةِ الشَّفَقَةِ كَقُبْلَةِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ، وَقُبْلَةِ الْمَوَدَّةِ كَقُبْلَةِ الرَّجُلِ أَخَاهُ عَلَى الْجَبْهَةِ، وَقُبْلَةِ الشَّهْوَةِ كَقُبْلَةِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ أَوْ أَمَتَهُ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ قُبْلَةَ الدِّيَانَةِ، وَهِيَ قُبْلَةُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ).

وَقَدْ اسْتَحَبَّهَا الشَّافِعِيَّةُ، لِلزُّهْدِ، وَالصَّلَاحِ، وَالْعِلْمِ، وَالشَّرَفِ، وَالصِّيَانَةِ، وَكِبَرِ السِّنِّ، وَالْقَرَابَةِ، وَنَحو ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ. بِخِلَافِهِ لِلْغِنَاءِ، وَالشَّوْكَةِ، وَالْوَجَاهَةِ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ شَدِيدًا. بَلْ أَشَارَ بَعْضُهُمْ لِحُرْمَتِهِ.

وَكَرِهَ مَالِكٌ تَقْبِيلَ يَدِ الْعَالِمِ، أَخْذًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا اشْتَرَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّرَاوِيلَ، وَقَالَ لِلْوَزَّانِ. -الْحَدِيث-، إِلَى أَنْ أَرَادَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ، فَجَذَبَ يَدَهُ. وَقَالَ: (لَا تُعَظِّمُونِي كَمَا يُعَظِّمُ الْأَعَاجِمُ مُلُوكُهَا).

وَلَهُمْ فِيهِ خِلَافٌ، وَالْأَحْسَنُ عِنْدِي قَوْلُ الشَّافِعِيَّةِ، لِمَا جَاءَ مِنْ طُرُقٍ، أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يُقَبِّلُونَ يَدَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، فِي قِصَّةِ الْأَعْرَابِيِّ، (أَنَّ أَعْرَابِيًّا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي أَنْ أُقَبِّلَ رَأْسَكَ وَرِجْلَيْكَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَفَعَلَ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ الذِّمَارِيِّ، قَالَ: (لَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، فَقُلْتُ: بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ، رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِي يَدَكَ أُقَبِّلُهَا، فَأَعْطَانِيهَا فَقَبَّلْتُهَا).

وَكَانَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ، سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ، يَأْتِي أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيَّ، وَيَقُولُ: (أَخْرِجْ لِي لِسَانَكَ، الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأُقَبِّلَهُ فَيُقَبِّلُهُ). وَأَفْعَالُ السَّلَفِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ.

وَأَمَّا تَقْبِيلُ الشَّخْصِ قَرِيبَهُ فِي خَدِّهِ، وَوَلَدَهُ الصَّغِيرِ، حَيْثُ شَاءَ، فَقَدْ وَرَدَ بِهِمَا مِنَ الْأَحَادِيثِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، قَبَّلَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟، وَقَبَّلَ خَدَّهَا).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ كَانَ يُقَبِّلُ ابْنَهُ سَالِمًا، وَيَقُولُ: اعْجَبُوا مِنْ شَيْخٍ يُقَبِّلُ شَيْخًا).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبَّلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ إِنْسَانًا مِنْهُمْ قَطُّ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: لَكِنَّا مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ، قَدْ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ؟).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ).

وَفِي [السِّرَاجِ الْوَهَّاجِ]: وَالصَّغِيرُ جِدًّا لَا تَكُونُ لَهُ عَوْرَةٌ، وَلَا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، لِأَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُقَبِّلُ ذَكَرَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فِي صِغَرِهِمَا. وَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ أَحَدِهِمَا ذَلِكَ، فَيَجُرَّهُ، وَالصَّبِيُّ يَضْحَكُ. كَذَا فِي [الْفَتَاوَى].

وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْبِيلَ الْقَرِيبِ كَمَا ذُكِرَ، عِنْدَ عَدَمِ خَوْفِ الْفِتْنَةِ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ.

وَقَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ يُكْرَهُ تَقْبِيلُ الْمَرْأَةِ فَمَ الْمَرْأَةِ، وَخَدَّهَا، عِنْدَ اللِّقَاءِ أَوْ الْوَدَاعِ. وَهَذِهِ الْكَرَاهِيَةُ أَيْضًا مُقَيَّدَةٌ بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَيَحْرُمُ، لَا سِيَّمَا فِي نِسَاءِ زَمَانِنَا، الَّذِي اسْتَغْنَى فِيهِ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ.

وَأَمَّا الْأَمْرَدُ فَحُكْمُهُ ظَاهِرٌ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْجُهَّالُ مِنْ تَقْبِيلِ نَفْسِهِ، إِذَا لَقِيَ غَيْرَهُ فَمَكْرُوهٌ، لَا رُخْصَةَ فِيهِ. وَهَذَا وَاقِعٌ كَثِيرٌ، وَالنَّاسُ عَنْهُ غَافِلُونَ.

وَأَمَّا تَقْبِيلُ الْمَيِّتِ الصَّالِحِ فَيُسْتَحَبُّ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، وَهُوَ مَيِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي. قَالَ: وَعَيْنَاهُ تُهْرِقَانِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ، مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ، فَقَدْ مِتَّهَا).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ؛ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ، لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ، حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا).

فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: (أَنَّ عُمَرَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ مَاتَ).

وَأَمَّا تَقْبِيلُ الْقَادِمِ مِنْ سَفَرٍ فِي وَجْهِهِ، وَمُعَانَقَتُهُ، فَقَدْ جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ.

فَقَدْ (عَانَقَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعْفَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَيْتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمْ مِنْ سَفَرٍ، عَانَقَ صَاحِبَهُ).

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: نَكْرَهُ الْمُعَانَقَةَ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ. قَالَ الطَّحَاوِيُّ: هَذَا قَوْلُهُمَا.

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: لَا بَأْسَ بِالتَّقْبِيلِ وَالْمُعَانَقَةِ. وَاسْتَدَلَّ لَهُمَا، بِمَا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَنْحَنِي بَعْضُنَا لِبَعْضٍ، إِذَا الْتَقَيْنَا؟، قَالَ: لَا. قِيلَ: فَيَلْتَزِمُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟، قَالَ: لَا. قِيلَ: فَيُصَافِحُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟، قَالَ: نَعَمْ).

وَالْخِلَافُ فِيمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا غَيْرُ الْإِزَارِ، أَمَّا إِذَا قَمِيصٌ وَنَحْوُهُ، فَلَا كَرَاهَةَ.

وَوَفَّقَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، فَقَالَ: الْمَكْرُوهُ مِنَ الْمُعَانَقَةِ، مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الشَّهْوَةِ، وَأَمَّا عَلَى وَجْهِ الْبِرِّ وَالْكَرَامَةِ فَجَائِزٌ. وَنَحْوُ هَذَا عَنِ الشَّافِعِيَّةِ، وَلَمْ يَجْعَلُوهَا سُنَّةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً.

أَمَّا تَقْبِيلُ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُلُوكِ، فَحَرَامٌ، وَفَاعِلُهُ وَالرَّاضِي بِهِ آثِمَانِ، لِأَنَّهُ يُشْبِهُ عِبَادَةَ الْوَثَنِ.

فَصْلٌ: وَأَمَّا السُّجُودُ لَهُمْ، فَذَكَرَ الصَّدْرُ الشَّهِيدُ: أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِهِ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ التَّحِيَّةَ. وَقَالَ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِيُّ: السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ كُفْرٌ. وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا يَكْفُرَ بِهِ، إِلَّا إِذَا قَصَدَ بِهِ الْعِبَادَةَ.

فَصْلٌ: أَمَّا حَنْيُ الظَّهْرِ فَمَكْرُوهٌ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَلَا عِبْرَةَ بِفِعْلِ النَّاسِ.

فَصْلٌ: أَمَّا الْقِيَامُ، فَقَالَ فِي [الْمِنَحِ]: أَمَّا الْقِيَامُ لِلْغَيْرِ حَرَامٌ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، خَرَجَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا، فَقُمْنَا لَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا).

وَعَنْ أَنَسٍ، (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ يَكْرَهُ الْقِيَامَ).

وَفِي [الْكِفَايَةِ]: وَأَمَّا الْقِيَامُ لِتَعْظِيمِ الْغَيْرِ، فَعَنْ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَكِيمِ، (أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، يَقُومُ لَهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَلَا يَقُومُ لِلْفُقَرَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَتَوَقَّعُونَ مِنِّي التَّعْظِيمَ، فَلَوْ تَرَكْتُ الْقِيَامَ لَهُمْ لَتَضَرَّرُوا، وَلَا يَتَوَقَّعُ الْفُقَرَاءُ وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ مِنِّي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَطْمَعُونَ فِي جَوَابِ السَّلَامِ، وَالتَّكَلُّمِ مَعَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَنَحْوِهِ، فَلَا يَتَضَرَّرُونَ بِتَرْكِ الْقِيَامِ).

وَكَانَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَقُومُ لِبَعْضِ الْعُصَاةِ أَحْيَانًا، لَا لِبَعْضِ الْمُطِيعِينَ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلْمَحُ مِنْ بَعْضِ الْمُطِيعِينَ الْكِبْرَ، وَمِنْ بَعْضِ الْعُصَاةِ الذُّلَّ، فَأُعَامِلُ كُلًّا بِحَسَبِ مَا فِي نَفْسِهِ. كَذَا فِي [الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ] لِلْمُنَاوِيّ.

وَفِي [جَامِعِ الْفَتَاوَى]: (لَا يُكْرَهُ قِيَامُ قَارِئَ الْقُرْآنِ لِلْجَائِي، إِذَا كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلتَّعْظِيمِ).

يَقُولُ الْفَقِيرُ كَانَ اللَّهُ لَهُ: أَنَّهُ عِنْدِي قِلَّةُ أَدَبٍ مِنَ العَارِفِينَ، وَغَفْلَةٌ مِن عَمَّا يَنْبَغِي لِلْكِتَابِ الْمُبِينِ.

وَفِي [الْمِرْقَاةِ]، عَنْ [شَرْحِ الشَّمَائِلِ] لِميرَكِ: (قَدْ قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ، كَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَجَعْفَرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَأَمَّا إِكْرَامُ الدَّاخِلِ بِالْقِيَامِ، فَالَّذِي نَخْتَارُهُ أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ، لِمَنْ كَانَ فِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ، مَنْ عِلْمٍ وَصَلَاحٍ وَشَرَفٍ، أَوْ وِلَايَةٍ مَصْحُوبَة بِصِيَانَةٍ، أَوْ لَهُ رَحِمَ مَعَ سَنٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَكُونُ هَذَا الْقِيَامُ، لِلْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ وَالاحْتِرَامِ وَالْإِعْظَامِ، وَعَلَى هَذَا الَّذِي اخْتَرْنَاهُ، اسْتَمَرَّ عَمَلُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَقَدْ جَمَعْتُ فِيهِ جُزْءًا. وَاخْتَصَرَهُ الْأَذْرَعِيّ، وَنَظَرَ فِيهِ، وَنَحوهُ لِابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ.

وَقَالَ اللَّقَانِيُّ فِي [هِدَايَةِ الْمُرِيدِ]: وَقَدْ حَضَرْتُ يَوْمًا، عِنْدَ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْن عَبْدِ السَّلَامِ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ، وَأُولِي الْجِدِّ فِي الدِّينِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِالْمُلُوكِ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَقَدِمْتُ لَهُ فُتْيَا: مَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الدِّينِ، وَفَّقَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقِيَامِ، الَّذِي أَحْدَثَهُ أَهْلُ زَمَانِنَا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي السَّلَفِ، هَلْ يَجُوزُ أَوْ لَا يَجُوزُ، أَمْ يَحْرُمُ؟.

فَكَتَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الْفُتْيَا: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا). وَتَرْكُ الْقِيَامِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، يُفْضِي إِلَى الْمُقَاطَعَةِ وَالْمُدَابَرَةِ، فَلَوْ قِيلَ بِوُجُوبِهِ مَا كَانَ بَعِيدًا. هَذَا نَصُّ مَا كَتَبَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

وَأَطَالَ الْكَلَامَ اللَّقَانِيُّ فِيهِ إِلَى أَنْ قَالَ: (ثُمَّ أَنَّهُ نَهْيُ تَنْزِيهٍ، إِذَا فُعِلَ تَعْظِيمًا لِمَنْ يُحِبُّهُ، لِأَنَّهُ يُشْبِهُ فِعْلَ الْجَبَابِرَةِ، وَيُوقِعُ الْفَسَادُ فِي قَلْبِ الَّذِي يُقَامُ لَهُ. وَمُبَاحٌ إِذَا إِجْلَالاً لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ.

وَمَنْدُوبٌ لِلْقَادِمِ مِنَ السَّفَرِ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، أَو يَشْكُرَ إِحْسَانَهُ، أَوْ الْقَادِمُ الْمُصَابُ لِيُعَزِّيهِ فِي مُصِيبَتِهِ، وَبِهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

وَبَيَّنَ قِيَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ، فَرَحًا بِهِ، وَقِيَامِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، لِيُهَنِّئَهُ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِحَضْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ. فَكَانَ كَعْبٌ يَقُولُ: لَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَكْرَهُ أَنْ يُقَامَ لَهُ، فَكَانَ إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، إِجْلَالاً لِكَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ.

وَكَانَ إِذَا قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَيْتِهِ، لَمْ يَزَالُوا قِيَامًا، حَتَّى يَدْخُلَ بَيْتَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَعْظِيمِهِ، قَبْلَ عِلْمِهِمْ بِكَرَاهَتِهِ ذَلِكَ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِلْأَنْصَارِ: (قُومُوا لِسَيِّدِكُمْ). قِيلَ تَعْظِيمًا، وَهُوَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ. وَقِيلَ: لِيُعِينُوهُ عَلَى النُّزُولِ عَنِ الدَّابَّةِ. وَأَطَالَ الْكَلَامَ فِيهَا.

يَقُولُ الْفَقِيرُ كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَهَذَا التَّفْصِيلُ عِنْدِي هُوَ أَحْسَنُ الْأَقَاوِيلِ. نَعَمْ، إِذَا كَانَ الشَّخْصُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ مُرَاقَبَةُ اللَّهِ وَشُهُودُهُ، فَالْأَلْيَقُ بِحَالِهِ مُرَاعَاةُ مَا للَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ. فَإِنْ كَانَ فِي الْقِيَامِ قَامَ، وَإِلَّا فَلَا، وَلَا عِبْرَةَ بِغَضَبِ الْغَيْرِ، رُبَّمَا يُخْشَى عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى مُرِيدٍ مِنْهُ ذَلِكَ، الْمَقْت وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَعَلَى هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَكَابِرِ الصُّوفِيَّةِ لِذَلِكَ. وَلَا تَطْلُبُ الْقِيَامَ مِمَّنْ تَرَى أَنَّهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعَلَّامِ، فَتُسْلَب مِنَ الْإِسْلَامِ.

فَصْلٌ: فِي زِيَارَةِ الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ وَالْأَحْبَابِ

زِيَارَةُ الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ وَالْأَحْبَابِ، مُسْتَحَبَّةٌ، كَبِرِّهِمْ وَصِلَّتِهِمْ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْف مَلَكٍ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ، كَمَا وَصَلَهُ فِيكَ فَصِلْهُ).

وَيُقَدِّمُ الْإِخْوَانَ فِي اللَّهِ عَلَى الْأَقَارِبِ، لِكَثْرَةِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِمْ.

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، (قَالَ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَرْفُوعًا: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (زَارَ رَجُلٌ أَخًا لَهُ فِي قريةٍ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ مَلَكًا عَلَى مَدْرَجَتِهِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟، قَالَ: أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تربُّها؟، قَالَ: لَا، إِنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ أَنَّ اللَّهَ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ أَتَى أَخَاهُ، يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إِلَاّ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ، وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ).

قَالَ الْحَسَنُ: (إِخْوَانُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِنَا، لِأَنَّ أَهْلَنَا يُذَكِّرُونَا بِالدُّنْيَا، وَإِخْوَانَنَا يُذَكِّرُونَا بِالْآخِرَةِ). وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: (الْعُلَمَاءُ أَرْحَم بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَقِيلَ كَيْفَ ذَلِكَ؟. قَالَ: لِأَنَّ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتَهُمْ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ).

وَعَنْ هَذَا، قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: قَالَ ابْنُ سَهْلٍ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ تَمْحُوهُ التَّوْبَةُ، وَعُقُوقُ الْأُسْتَاذِ لَا تَمْحُوهُ التَّوْبَةُ. كَذَا فِي [تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ]. فَحِينَئِذٍ يُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ زِيَارَةِ الْأَخْيَارِ.

(فَائِدَةٌ): قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: سُئِلَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، عَنْ (قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ)، كَيْفَ يَغْبِطُهُمْ؟، وَهُمْ فَوْقَهُمْ فِي الْمَحَلِّ.

قَالَ: لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ شُغِلُوا بِفَرْضِ الْبَلَاغِ، وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ، وَأُولَئِكَ لَمْ يُكَلَّفُوا بِذَلِكَ، فَلَمْ يُشْغِلْهُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْءٌ، فَلِذَلِكَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، وَإِنْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ أَعْلَى وَأَتَمَّ.

فَصْلٌ: فِي الِاسْتِئْذَانِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ: الْأُولَى يَسْتَنْصِتُونَ، وَالثَّانِيَةُ يَسْتَصْلِحُونَ، وَالثَّالِثَةُ يَأْذَنُونَ أَوْ يَرُدُّونَ).

وَقَالَ الْحَسَنُ: (الْأَوَّلُ إِعْلَامٌ، وَالثَّانِي مُؤَامَرَةٌ، وَالثَّالِثُ اسْتِئْذَانٌ بِالرُّجُوعِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (لَا تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَلَكِنِ ائْتُوهَا مِنْ جَوَانِبِهَا، فَاسْتَأْذِنُوا، فَإِنْ أُذِنَ لَكُمْ فَادْخُلُوا، وَإِلَّا فَارْجِعُوا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ، لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنَ الرُّكْنِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ).

وَهَذِهِ الدَّلَائِلُ تَقْتَضِي الْوُجُوبَ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى نَصِّ الْعُلَمَاءِ فِيهِ. وَفِي [الْخَانِيَّةِ]: «وإِذَا أَتَى الرَّجُلُ دَارَ إِنْسَانٍ، يَجِبُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ قَبْلَ السَّلَامِ، ثُمَّ إِذَا دَخَلَ يُسَلِّمُ».

فَالْوُجُوبُ فِيهَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ، لِمَا مَرَّ مِنْ دَلَائِلِه، وَيُمْكِنُ أَرَادَ بِهِ الْعُرْفَ، بِمَعْنَى يَنْبَغِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفِيهَا تَأْخِيرُ السَّلَامِ.

وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِيهِ أَقْوَالٌ، وَالصَّحِيحُ الْبُدَاءَةُ بِالسَّلَامِ. لِمَا عَنْ رِبعِيٍّ، حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عامِرٍ، «اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي بَيتٍ، فقالَ: أَلِجُ؟، فقالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِخادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَى هَذَا، فَعَلِّمْهُ الاِسْتِئذانَ، فقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ، أَأَدخُلُ؟، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فقالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدخُلُ؟، فأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ».

وَعَنْ كَلَدَةَ بْنِ الْحَنْبَلِ، الصَّحابِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَيتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعْ، فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ، أَيَدْخُلُ عُمَرُ؟».

فَكُلُّ هَذَا دَالٌّ عَلَى الْوُجُوبِ، وَعَلَى تَقْدِيمِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَالِهِمْ مُسْتَقِيمٌ، لِأَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ سَمِعُوا لِسفلِ بُيُوتِهِمْ وَصِغَرِهَا. أَمَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا، فَبِخِلَافِهِ.

فَيَنْبَغِي تَقْدِيمُ الاسْتِئْذَانِ، إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى حَالِهِمْ. وَاخْتَارَ الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيْهِ قَبْلَ الدُّخُولِ، قَدَّمَ السَّلَامَ، وَإِلَّا فَبِالْعَكْسِ، وَهُوَ حَسَنٌ أَيْضًا.

وَفِي [فَتْحِ الْبَارِي]: وَاخْتَلَفُوا هَلِ السَّلَامُ شَرْطٌ فِي الِاسْتِئْذَانِ، أَوْ لَا؟. ثُمَّ يَكُونُ مَا تُعُورِفَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، كَدَقِّ الْبَابِ أَوْ نَحْوِهِ، وَمِنْ قَوْلِ تَقْدِيمِ الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُتَقَدِّم، وَقَوْلِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، (أَنَّهُ أَتَى عُمَرَ، فَاسْتَأْذَنَ ثَلَاثًا، فَقَالَ: يَسْتَأْذِنُ أَبُو مُوسَى، يَسْتَأْذِنُ الْأَشْعَرِيُّ، يَسْتَأْذِنُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَرَجَعَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ: مَا رَدَّكَ؟، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَسْتَأْذِنُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ، وَإِلَّا فَلْيَرْجِعْ. قَالَ: ائْتِنِي بِبَيِّنَةٍ عَلَى هَذَا، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: هَذَا أُبَيٌّ، فَقَالَ أُبَيٌّ: يَا عُمَرُ، لَا تَكُنْ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا أَكُونُ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَإِذَا دَقَّ الْبَابَ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَيُجِيبُ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ التَّعْرِيفُ، وَلَوْ بِقَوْلِهِ: أَنَا (الْمُفْتِي) (الْقَاضِي)، وَنَحْوُهُ، لَا يَقْصِدُ الْفَخْرَ، وَلَا يَقُولُ أَنَا فَقَطْ. لِمَا عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟، فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: أَنَا أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَهُ).

وَإِذَا اسْتَأْذَنَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُجَبْ، وَظَنَّ عَدَم سَمَاعِهِ، فَهَلْ يَزِيدُ أَمْ لَا؟. قِيلَ: نَعَمْ، وَقِيلَ: أَنْ بِغَيْرِ اللَّفْظِ الْأَوَّلِ، فَأَعَادَ، وَإِلَّا فَلَا.

وَصَحَّحَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَالنَّوَوِيّ، الْعَدَم لِظَاهِرِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّنَّةِ. قُلْتُ: وَهُوَ أَيْضًا مَبْنِيٌّ عَلَى حَالِهِمْ، أَمَّا فِي زَمَانِنَا، فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ سَمِعُوا لَا يَزِيدُ، وَإِلَّا زَادَ.
وَإِذَا خَرَجَ عَبْدُهُ أَوْ أَمَتُهُ أَوْ صَبِيُّهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ. وَسِعَهُ الدُّخُولَ.

وَيَسْتَأْذِن لِكُلِّ بَيْتٍ، وَلَوْ بَيْت أُمِّهِ وَبَيْتِهِ.

لِمَا عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟، قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُوسَى، قَالَ: (أَرْسَلَنِي مُدْرِكٌ، أَوِ ابْنُ مُدْرِكٍ، إِلَى عَائِشَةَ، أَسْأَلُهَا عَنْ أَشْيَاءَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهَا، فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي الضُّحَى، فَقُلْتُ: أَقْعُدُ حَتَّى تَفْرَغَ، فَقَالُوا: هَيْهَاتَ. فَقُلْتُ: لَآذَنَّهَا: كَيْفَ أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا؟، فَقَالَ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ). فَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَالتَّثَاؤُبِ وَالْجُشَاءِ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، وَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ، أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ، أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ).

وَفِي أُخْرَى: (فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلْيُقَلْ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ).

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا عَطَسَ حَمَدَ اللَّهَ، فَيُقَالُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا قَالَ: رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَحِمَكَ اللَّهُ). وَرُوِيَ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا، وَالْأَصَحُّ الْأَوَّلُ.

وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: (صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَطَسْتُ، فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدِ ابْتَدَرَهَا بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا، أَيُّهُمْ يَصْعَدُ بِهَا).

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ بَيْتِهِ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْبَقِيعِ، فَعَطَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَلَّى يَدِي، ثُمَّ قَامَ كَالْمُتَحَيِّرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، قُلْتَ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: نَعَمْ، أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِذَا أَنْتَ عَطَسْتَ فَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لِكَرَمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِعِزِّ جَلَالِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: صَدَقَ عَبْدِي، صَدَقَ عَبْدِي، صَدَقَ عَبْدِي، مَغْفُورًا لَهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَأَنْتَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَحَدُهُمَا أَشْرَفُ مِنَ الْآخَرِ، فَعَطَسَ الشَّرِيفُ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ يُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَ الْآخَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتَهُ، فَقَالَ الشَّرِيفُ: عَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَ هَذَا فَشَمَّتَّهُ،: فَقَالَ: إِنَّ هَذَا ذَكَرَ اللَّهَ، فَذَكَرْتُهُ، وَإِنَّكَ نَسِيتَ اللَّهَ، فَنَسِيتُكَ).

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّكَ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، فَذَكَرَ بَعْضَ الْمَحَامِدِ، وَلْيَقُلْ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، وَلْيَرُدَّ: -يَعْنِي عَلَيْهِمْ-، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَلْيَقُلْ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، (أَنَّ رَجُلاً عَطَسَ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَال ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أَقُول: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُل حَالٍ).

قَالَ الْبَغَوِيُّ: (أَنَّ رَجُلاً عَطَسَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَر، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالمين، فَقَالَ ابْن عُمَر: لَوْلَا أَتْمَمْتَهَا: وَصَلَاةُ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ).

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ قَيْسٍ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (نِعْمَ الشَّيْءُ الْعُطَاسُ، يُخْرِجُ الرِّيحَ مِنَ الرَّأْسِ، وَيُصَلِّي فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ بَادَرَ الْعَاطِسَ بِالْحَمْدِ عُوفِيَ مِنْ وَجَعِ الْخَاصِرَةِ، وَلَمْ يَشْتَكِ ضِرْسَهُ أَبَدًا).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلاً عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَقَهُ رَجُلٌ إِلَى الْحَمْدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ بَدَرَ الْعَاطِسَ إِلَى مَحَامِدِ اللَّهِ، عُوفِيَ مِنْ وَجَعِ الدَّاءِ وَالدُّبَيْلَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَبَقَ الْعَاطِسَ بِالْحَمْدِ، أَمِنَ مِنَ الشَّوْصِ وَاللَّوْصِ وَالْعِلَّوْصِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَطَسَ أَوْ تَجَشَّأَ، أَوْ سَمِعَ عَطْسَةً أَوْ جُشَاءً، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ دَاءً، أَهْوَنُهَا الْجُذَامُ). وَفِي رِوَايَةٍ بِإِسْقَاطِ (أَوْ سَمِعَ عَطْسَةً أَوْ جُشَاءً). وَبِلَفْظِ: (دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (مَنْ قَالَ عِنْدَ كُلِّ عَطْسَةٍ سَمِعَهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى كُلِّ مَا كَانَ، لَمْ يَجِدْ وَجَعَ الضِّرْسِ، وَلَا الْأُذُنِ أَبَدًا). وَهَذَا أَوْثَقُ مِمَّا تَقَدَّمَ، لِأَنَّ رِجَالَهُ ثِقَاةٌ، وَلَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ، أَوْ ثَوْبَهُ، عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ ثَوْبِهِ وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ). وَرِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ: (خَمَّرَ وَجْهَهُ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ كَفَّيْهِ عَلَى وَجْهِهِ وَلْيُخْفِضْ صَوْتَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالتَّثَاؤُبِ وَالْعُطَاسِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (التَّثَاؤُبُ الرَّفِيعُ وَالْعَطْسَةُ الشَّدِيدَةُ مَنْ الشَّيْطَانِ). وَفِي أُخْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ: (إِذَا تَجَشَّأَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَطَسَ، فَلَا يَرْفَعْ بِهِمَا الصَّوْتَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُحِبُّ أَنْ يَرْفَعَ بِهِمَا الصَّوْتَ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَكْرَهُ الْعَطْسَةَ الشَّدِيدَةَ، فِي الْمَسْجِدِ).

وَعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: (قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَبْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ: شِدَّةُ الْغَضَبِ، وَشِدَّةُ الْعُطَاسِ، وَشِدَّةُ التَّثَاؤُبِ، وَالْقَيْءُ، وَالرُّعَافُ، وَالنَّجْوَى، وَالنَّوْمُ عِنْدَ الذِّكْرِ).

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، (أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، سَمِعَ ابْنَهُ عَطَسَ، فَقَالَ أَبٌ، فَقَالَ وَمَا أَبٌ، إِنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَهَا بَيْنَ الْعَطْسَةِ وَالْحَمْدِ). وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: (أَشْ) بَدَلَ (أَبٍ).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الْعُطَاسُ، وَالنُّعَاسُ، وَالتَّثَاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ، وَالْحَيْضُ، وَالْقَيْءُ، وَالرُّعَافُ، مِنَ الشَّيْطَانِ). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَي فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، وَلَا يَعْوِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْهُ). وَفِي أُخْرَى: (إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّهُ إِذَا فَتَحَ فَاهُ فَقَالَ: دَاهِ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (إِذَا تَثَاءَبْتَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَمْسِكْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْكَ). وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: (إِنَّ شَيْطَانًا يُسَمَّى أَهَاب، فَمَنْ عَطَسَ، فَلْيَخْفِضْ مِنْ صَوْتِهِ، وَلَا يَقُلْ: أَهَاب).

فَصْــلٌ: قَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اِتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْعَاطِسِ، أَنْ يَقُولَ عَقِبَ عُطَاسِهِ: (الْحَمْدُ للهِ). فَلَوْ قَالَ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، كَانَ أَحْسَنَ. وَلَوْ قَالَ: (الْحَمْدُ للهِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ)، كَانَ أَفْضَلَ.

قَالَ الْعَلْقَمِيُّ: اخْتَارَتْ طَائِفَةٌ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِ: (الْحَمْدُ للهِ)، كَافِي. كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ الْحَاكِمِ. قَالَ: وَجَمَعَ، يَعْنِي شَيْخُنَا السِّيُوطِيُّ، بَيْنَ جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ، فَقَالَ: يَقُولُ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ).

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: هُوَ حُبِّبَ، لَكِنْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ زَائِدٌ فِي بَعْضِهَا، قَالاَ: أَنْ يَأْتِي بِهَذَا غَالِبًا، أَوْ بِغَيْرِهِ إِحْسَانًا. قَالَ الْخُوَارَزْمِيُّ فِي صموعات، (أَن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ عَطَسَ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، كَانَتْ شِفَاءً إِلَى السَّنَةِ).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي [الْفَتْحِ]: (لَا أَصْلَ لِمَا اعْتَادَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مِنْ اسْتِكْمَالِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، بَعْدَ قَوْلِهِ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَذَا الْعُدُولُ مِنَ الْحَمْدِ إِلَى: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَمَّا تَقْدِيمُهَا عَلَى الْحَمْدِ مَكْرُوهٌ).

وَاسْتَحْسَنَ الْبَغَوِيُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَرَهُ غَيْرُهُ.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحَدٌ يَحْمَدِ اللَّهَ، وَيَقُولُ: يَرْحَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى. وَرَوَى ابْنُ زَنْجُوَيْهِ بِسَنَدٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: (إِذَا عَطَسْتَ وَلَيْس عِندَكَ أَحَدٌ، فَاحْمَدِ اللَّهِ، وَقُلْ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ، فَإِنَّهُ يُشَمِّتُكَ مَنْ سَمِعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وَإِذَا شُمِّتَ، تَقُولُ: (يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ)، أَوْ (يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ).

وَعَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، (أَنَّهُ كَانَ إِذَا عَطَسَ، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَالَ: يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ، وَيَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ).

(وَعَطَسَ الْحَسَنُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَرَدَّ الْقَوْمُ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ، وَيُدْخِلُكُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَكُمْ).

وَقَالَ قَاضِي خَانْ: (ثُمَّ يَقُولُ الْعَاطِسُ: غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ، أَوْ يَقُولَ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ، وَلَا يَقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ) اهـ. يَعْنِي بَدَلَهُ. وَأَمَّا الزِّيَادَةُ كَنَقْلِ الْحَسَنِ فَلَا مَنْعَ فِيهَا، إِلَّا أَنْ اعْتَقَدَ سُنِّيَّتَهَا.

أَمَّا وَإِذَا تَكَرَّرَ الْعَاطِسُ، يَحْمَدُ كُلَّ مَرَّةٍ، وَلَوْ زَادَ عَلَى الثَّلَاثَةِ.

وَإِنْ عَطَسَ فِي الصَّلَاةِ، حَمِدَ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ بِلَا نُطْقٍ، وَإِنْ نَطَقَ لَا تَفْسُدُ صَلَاتَهُ، كَمَا لَوْ قَالَ: (يَرْحَمَنِي اللَّهُ)، أَو (يَرْحَمُكَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ) بِخِلَافِ، مَا لَوْ قَالَ فِي جَوَابِ الْمُشَمِّتِ: (غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ).

وَلَوْ عَطَسَ فِي حَالَةٍ لَا يُطْلَبُ ذِكْرُ اللهِ فِيهَا، كَجِمَاعٍ وَخِلَافِهِ، يُؤَخِّرُ الْحَمْدَ، وَيُشَمِّتُ بَعْدُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ.

وَأَمَّا التَّشْمِيتُ فَفَرْضُ كِفَايَةٍ عِنْدَنَا، وَجُمْهُورِ الْحَنَابِلَةِ، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ. وَقَالَ الشَّافِعِيَّةُ: هُوَ سُنَّةٌ كِفَائِيَّةٌ. وَالْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى الْأَوَّلِ، تَقَدَّمَ مِنْهَا.

وَمِنْهَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ).

وَذَكَرَ تَشْمِيتَ الْعَاطِسِ.

وَفِـي رِوَايَـةٍ: (سِـتَّةٌ): (إِذَا لَقِيتَـهُ فَسَـلِّمْ عَلَيْـهِ، وَإِذَا دَعَـاكَ فَأَجِبْـهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، قَالَ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَشْرَبُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، لَا يَشْرَبُ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ، وَعَنِ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ رُكُوبِ الْمَيَاثِرِ، وَلِبَاسِ الْقَسِّيِّ وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالْإِسْتَبْرَقِ). أَخْرَجَاهُ فِي [الصَّحِيحِ]، مِنْ حَدِيثِ الشَّيْبَانِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ فِي [الْمَأْمُورَاتِ]: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَمِّتِ الْعَاطِسَ ثَلَاثاً، فَإِنْ زَادَ، فَإِنْ شِئْتَ فَشَمِّتْهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (شَمِّتْ أَخَاكَ ثَلَاثًا، فَإِنْ زَادَ، فَإِنَّمَا هِيَ نَزْلَةٌ، أَوْ زُكَامٌ).

وَفِي أُخْرَى: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُشَمِّتْهُ جَلِيسُهُ، وَإِنْ زَادَ عَلَى ثَلَاثَةٍ، فَهُوَ مَزْكُومٌ، وَلَا يُشَمَّتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ).

إِنَّمَا يَجِبُ إِذَا حَمِدَ، وَسُمِعَ الْحَمْدَ مِنْهُ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ، وَإِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ). وَذَاكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمْعِ، وَكَذَلِكَ الْجَوَابُ يَجِبْ إِسْمَاعُهُ، أَوْ تَحْرِيكُ الشَّفَةِ لِلْأَصَمِّ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ كَرَاهَةَ تَشْمِيتِهُ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ رَسْلَانَ، وَكَذَا مَنْ شَرِبَ مَاءً، فَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، يُقَالُ لَهُ: (هَنِيئاً مَرِيئاً)، فَإِنْ لَمْ يَحْمِدْ اللَّهَ، لَا يَدْعُو لَهُ.

(حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً عَطَسَ عِنْدَ الْأَوْزَاعِيِّ، فَلَم يَحمَدْ اللَّهَ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَيْفَ تقُولُ إذَا عَطَسْتَ؟، قَالَ: أَقُولُ: الْحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ).

فَيَنْبَغِي تَذْكِيرُهُ بِالْحَمْدِ، كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّخَعِيِّ، وَاخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ، وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: لَا يَفْعَلُ هَذَا، وَزَعَمَ أَنَّهُ جَهْلٌ مِنْ فَاعِلِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَظَاهِرُ السُّنَّةِ قَوْلُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ، وَاسْتَدَلَّ بِأَمْرٍ مِنَ الْحَدِيثِ. وَخَطَّأَ النَّوَوِيَّ، وَابْنَ الْعَرَبِيِّ، وَاسْتَصْوَبَ اسْتِحْبَابَهُ، مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ، وَهُوَ الْأَحْسَنُ. وَيُحْمَلُ تَرْكُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذَلِكَ، عَلَى أَنَّهُ كَافِرٌ أَوْ نَحْوهُ.

وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِ الْحَمْدِ لَا يُشَمَّتُ، وَلَوْ سَمِعَ التَّشْمِيتَ، وَلَمْ يُسْمِعْ الْعُطَاسَ وَلَا الْحَمْدَ. ذَكَرَ ابْنُ الْعَرَبِيّ فِيهِ قَوْلَيْنِ.

وَاسْتَظْهَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ مِنْهُمَا التَّشْمِيتَ، وَلَمْ أَقِفْ فِيهِ عَلَى نَصٍّ لِلْحَنَفِيَّةِ. وَإِنْ سَمِعَهُ الْبَعْضُ شَمَّتُوهُ، وَإِذَا تَكَرَّرَ الْعُطَاسُ مَعَ الْحَمْدِ فِي مَجْلِسٍ، يُشَمِّتُهُ ثَلَاثًا وَيَسْكُتُ. وَإِنْ شُمِّتَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، فَحَسَنٌ، كَمَا فِي [فَتَاوَى قَاضِي خَان].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَطَسَ عِنْدَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَزْكُومٌ). وَفِي أُخْرَى: (فِي الثَّالِثَةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَأَنَا شَاهِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، ثُمَّ عَطَسَ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا رَجُلٌ مَزْكُومٌ). وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (إِنَّهُ يَقُولُ لَهُ إِنَّكَ مَزْكُومٌ). وَرِوَايَةَ: (إِنَّكَ مَضْنُوكٌ).

وَاخْتُلِفَ مَتَى يَقُولُ ذَلِكَ، فَقِيلَ فِي الثَّلَاثَةِ، وَقِيلَ فِي الرَّابِعَةِ. فَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَالْأَصَحُّ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ. وَاسْتَحَبَّ النَّوَوِيُّ أَنَّ يَدْعُو لَهُ بِالْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَمَّتَهُ مَرَّةً. كَمَا إِذَا قَرَأَ سَجْدَةً مِرَارًا.

وَقَالَ الشَّاشِيُّ: فِي كُلِّ مَرَّةٍ، إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ زُكَامٌ بِهِ، فَيَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ. وَوَافَقَهُ الرَّافِعِيُّ. وَيَدْخُلُ فِي الْوُجُوبِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ.

وَتَشْمِيتُ الْأَجْنَبِيَّةِ، كَالسَّلَامِ عَلَيْهَا، وَقَدْ مَرَّ. وَلَوْ شَمَّتَ غَيْرَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَسَدَتْ صَلَاتُهُ، وَلَوْ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، جَوَابًا لَهُ، لَا تَفْسُدُ عَلَى الْأَصَحِّ، لِأَنَّهُ لَمْ يُتَعَارَفْ جَوَابًا، وَمَحَلُّ الْخِلَافِ إِذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ التَّفْهِيمَ، فَإِنْ أَرَادَهُ بَطَلَتْ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَكْرَهُ التَّشْمِيتَ وَغَيْرِهُ، إِلَّا إِذَا خِيفَ ضَرَرِهُ، كَمَا لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.

قَالَ مَكْحُولٌ: (كُنْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: (إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَعْطِسُ، مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ، فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ، فَشَمِّتْهُ، وَلَوْ مِنْ خَلْفِ سَبْعَةِ أَبْحُرٍ، وَمَنْ شَمَّتَ عَاطِسًا، ذَهَبَ عَنْهُ ذَاتُ الْجَنْبِ، وَوَجَعَ الضِّرْسِ، وَالْأُذُنَيْنِ). وَفِي سَنَدِهِ مَتْرُوكٌ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: (مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ، فَلَمْ يُشَمِّتْهُ، كَانَتْ لَهُ دَيْن، يُطَالِبهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَقَالَ فِي [شَرْحِ مُقَدِّمَةِ أَبِي اللَّيْثِ]، فِي كَيْفِيَّةِ التَّشْمِيتِ وَصُورَتِهِ، أَنْ يَقُولَ الْمُشَمِّتُ: (يَرْحَمُكَ اللَّهُ)، أَوْ يَقُولَ: (الْحَمْدُ للهِ)، أَوْ يَقُولَ: (رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ).

قَالَ ابْنُ رَسْلَانَ: وَأَمَّا الصَّبِيُّ فَإِنَّهُ إِنْ عَطَسَ وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، يُقَالُ لَهُ: (رَحِمَكَ اللَّهُ وَبَارَكَ اللَّهُ عَنْكَ). وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، يُقَالُ: (يَهْدِيكَ اللَّهُ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ). وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: (إِذَا شَمَّتَكَ الْمُشْرِكُ، فَقُلْ لَهُ: هَدَاكَ اللَّهُ).

وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى ذِكْرِهِ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَذْمُومٌ، كَمَا أَنَّ الْعُطَاسَ مَحْمُودٌ، لِمَا مَرَّ مِنَ الْحَدِيثِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ الْعُطَاسِ مَحْمُودٌ، وَهُوَ حِفْظُهُ الْجِسْمِ الْحَاصِلَةِ، مِنْ خِفَّةِ الْأَخْلَاطِ النَّاشِئَةِ مِنْ تَنْظِيفِ الْغِذَاءِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ شَرْعًا وَطَبْعًا، لِتَضْعِيفِ الشَّهْوَةِ، وَتَسْهِيلِ الطَّاعَةِ، وَتَعْدِيلِ الْمِزَاجِ.

وَضِدّهُ التَّثَاؤُب، وَلِذَا وَرَدَ: (مَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ). وَلَا تَثَاءَبَ، كَمَا فِي [مَعَانِي الْأَخْبَارِ] لِلكلباذِيّ. وَقَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ: (وَالْعَطْسَةُ تَنَفُّس الرُّوحِ، وَتَحَبُّبه إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

وَمِثْلُ التَّثَاؤُبِ الْجُشَاء، وَقَدْ وَرَدَ مَا تَقَدَّمَ فِيهِ، وَلَمْ أَرَ لِلْعُلَمَاءِ شَيْئًا.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ التَّثَاؤُبِ، وَيَحْمَدُهُ مَعَ ذَلِكَ الْجُشَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرُوا فِي سَامِعِهَا شَيْئًا. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سَامِعِ الْجُشَاءِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَلَا بَأْسَ بِالْعَمَلِ بِهِ، مَعَ اعْتِقَادِ إِبَاحَتِهِ.

ثُمَّ السُّنَّةُ وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْفَمِ، عِنْدَ الْعُطَاسِ وَالتَّثَاؤُبِ، مَعَ خَفْضِ الصَّوْتِ. بِالْأَوَّلِ وَرَدَ الثَّانِي، بِكَظْمِ الْفَمِ قَبْلَ الْوَضْعِ، وَإِلَّا فَكُرِهُ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّ تَغْطِيَةَ الْفَمِ مَكْرُوهَةٌ فِيهَا، وَإِنَّمَا تُبَاحُ لِلضَّرُورَةِ، وَهِيَ تَنْدَفِعُ بِرَدِّهِمْ إِنْ أَمْكَنَ.

وَاخْتُلِفَ هَلْ يُغَطِّيهِ بِيَمِينِهِ أَمْ بِيَسَارِهِ، بِظَهْرِ الْيَدِ أَمْ بِبَطْنِهَا؟.

وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُغَطِّيهِ بِظَهْرِ يُمْنَاهُ فِي الْقِيَامِ، وَبِبَطْنِ يُسْرَاهُ فِي الْجُلُوسِ فِي الصَّلَاةِ. وَتَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ فِي الْحَدِيثِ وَضْعُ الْكَفَّيْنِ عَلَى الْوَجْهِ وَتَخْمِيرِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَالثَّوْبُ فِي فِعْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَصْــلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَدَّثَ حَدِيثًا، فَعَطَسَ عِنْدَهُ فَهُوَ حَقٌّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَصْدَقُ الْحَدِيثِ مَا عُطِسَ عِنْدَهُ). وَوَرَدَ مَرْفُوعًا: الْفَأْلُ مُرْسَلٌ، وَالْعُطَاسُ شَاهِدٌ).

وقَالَ عَطَاءُ: (الْعَطْسَةُ الْوَاحِدَةُ شَاهِدُ عَدْلٍ، وَالْعَطْسَتَانِ شَاهِدَانِ، وَمَا زَادَ فَبِحِسَابِ ذَلِكَ).

وَقَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ: (لِلرُّوحِ كَشْف غِطَاء مِنَ الْمَلَكُوتِ، وَذكره هُنَالِكَ، وَإِذَا تَحَرَّكَ لِذَلِكَ، تَنَفَّس وَهُوَ عُطَاسُهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْت، كَانَ وَقْت حَقّ يُحَقِّق الْحَدِيث).

وَيُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ. وَوَرَد مَرْفُوعًا: (مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْعُطَاسُ عِنْدَ الدُّعَاءِ). وَعَنْ عَطَاءٍ: (أَنَّ مِمَّا يَسْعَد بِهِ الْعُطَاسُ عِنْدَ الدُّعَاءِ).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (عَطَسَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثلاث عَطْسَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُثْمَانُ، أَلا أُبَشِّرُكَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُخْبِرُنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، أَيمَا مُؤْمِن يَعْطِسُ ثلاث عَطْسَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، إِلا كَانَ الإِيمَانُ ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَعْطِسُ ثَلاثَ عَطْسَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، إِلا كَانَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ ثَابِتًا).

قَالَ السُّيُوطِيُّ: سُئِلَ النَّوَوِيُّ، هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ النَّاسُ عِنْدَ الْحَدِيثِ، إِذَا عَطَسَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ صَدَقَ الْمُحَدِّثُ، هَلْ لَهُ أَصْلٌ؟، فَأَجَابَ: نَعَمْ، لَهُ أَصْلٌ أَصِيلٌ. رَوَى أَبُو يَعْلَى فِي [مُسْنَدِهِ]، بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ حَسَنٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ هُنَا فِي [الْأَذْكَارِ]. اهـ.

فَصْلٌ: فِي مَدْحِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَهُوَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ، نُصَّ فِي الْمَدْحِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِ الْمَمْدُوحِ، بِنَوْعٍ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ، وَهُوَ مَا مُدِحَ اللَّهُ وَالرَّسُول وَالْأَنْبِيَاء، وَالْغَيْر.

فَالْأَوَّلُ: ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَمَطْلُوبٌ فَرْضًا وَنَدْبًا. وَوَاقِعٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ. فَالَّذِي مِنْهُ لِنَفْسِهِ، مَشْحُونٌ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْأَثَرُ.

وَسُئِلَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ يَقْبُحْ إِطْلَاقه مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ وُرُودِ الشَّرْعِ، يَقْبُحُ مِنْ غَيْرِهِ، فأنشدوا:

يَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي ... وَتَفعلهُ فَيَحسُنُ مِنْك ذَاكَا

وَالَّذِي مِنْهُ لِغَيْرِهِ، كَثِيرٌ أَيْضًا، لِمُعَيَّنٍ وَغَيْرِهِ، مُفْرَدًا وَجَمْعًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: كَذَلِكَ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، أَنَا أَعْلَمُكُمْ، وَأَتْقَاكُمْ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي

حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. وَقَالَ شُعَيْبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

وَأَمَّا مَدْحُ نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَثِيرٌ لَا يُتَوَهَّم فِيهِ، فَقَدْ أَثْنَى عَلَى الصَّحَابَةِ وَأُمَّتِهِ، وَغَيْرِهِمَا، مُفْرَدًا وَجَمْعًا مُعَيَّنًا، وَغَيْر ذَلِكَ. كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاء، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَدَبَّرَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

وَالثَّالِثُ: أَيضًا كَذَلِك، فَمَدْحُ اللَّهِ الْغَيْرَ مَرْغُوبٌ فِيهِ، وَلِلرَّسُولِ وَالْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا عَمَلُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَأَمَّا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ). فَمَعْنَاهُ: لَا تَصِفُونِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ مِنَ صِفَاتٍ تُؤَدّي إِلَى الْكُفْرِ، كَمَا وَصَفَتْ النَّصَارَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِمَا لَيْسَ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِ ابْن اللَّهِ تَعَالَى، فَكَفَرُوا بِذَلِك.

وَمَدْحُهُ لِمِثْلِهِ إِنْ كَانَ بِغَيْرِ حُضُورٍ، فَجَائِزٌ بِشُرُوطٍ، أَنْ لَا يُفْرِطَ فِيهِ إِلَى حَدّ الكَذِبِ، كَمَا يُشِيرُ إِلَى هَذَا قَوْلُهُ: (لَا تُطْرُونِي) الْحَدِيث. وَلَوْ جَازَ لِأَحَدٍ ذَلِك، لَكَانَ الأَجْدَرُ بِهِ سَيّد الْكَائِنَاتِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَأَيْضًا مَبْنِيٌّ ذَلِك عَلَى التَّقْوَى وَالْوَرَعِ، وَلَا سَبِيلَ لِمَا عِنْدَ اللَّه، فَالْأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: (أَحْسَبُه كَذَا)، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ الصَّحِيحِ، وَبِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونَ فَاسِقًا، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَحْدُثُ لَهُ كِبْرٌ، وَلَا عُجْبٌ بِذَلِك وَلَا غُرُورٌ، فَيَحْمِلهُ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ وَالْإِدْبَارِ، وَالرِّضَى عَنِ النَّفْسِ، وَالْفَرَح بِهِ. قَلَّ مَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ إِلَّا مَنْ أَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِمُحَاسَبَةِ أَنْفَاسِهِ، وَمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ، فَيُكْرَهُ ذَلِك.

وَيَرُدُّهُ بِإِذْلَالِ الْمَادِحِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِقَوْلِهِ: (فَاحْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ). وَكَمَا فَعَلَ عُمَرُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَ أُثْنِيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: (أَتُهْلِكُنِي وَتُهْلِكُ نَفْسَكَ). وَكَقَوْلِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ، حِينَ مُدِحَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا، تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِمَقْتِكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ على مَقْتِهِ).

أَوْ يَقُولُ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَمَّا أُثْنِيَ عَلَيْهِ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيرًا مِمَّا يَظُنُّونَ). قَالَ الثَّوْرِيُّ: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، لَمْ يَضُرَّهُ مَدْحُ النَّاسِ).

أَوْ يَرَى الْفَعَّالُ هُوَ اللهُ، فَيَنْبَسِطُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ، فَإِنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ، وَهَذَا حَالُ كُمَّلِ الْعَارِفِينَ، وَحَالُ أَكْمَلِيَّةِ الِانْبِسَاطِ مِنَ الْمَدْحِ، وَالِانْقِبَاضِ مِنَ الذَّمِّ، جَرْيًا عَلَى اقْتِضَاءِ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ.

فَيَنْبَغِي مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لَا الْجَوَارِحِ، فَإِنَّ أَعْمَالَهَا مَعَ إِهْمَالِهِ مِنْ مَسَاخِرِ الشَّيْطَانِ، وَهَذَا مِنْ عِلْمِ الْقُلُوبِ، الَّذِي يُقَالُ: (إِنَّ تَعَلُّمَ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ، أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ، إِذْ بِهِ تَحْيَا عِبَادَةُ الْعُمرِ، وَبِجَهْلِهِ تَمُوتُ).

وَلِذَا قَالَ الْأُسْتَاذُ الْأَكْبَرُ، أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (من لَمْ يَدْخُلْ فِي طَرِيقَتِنَا هَذِهِ، مَاتَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْكَبَائِرِ).

وَمِنَ الشُّرُوطِ: أَنْ لَا يَكُونَ لِغَرَضٍ حَرَامٍ، أَوْ مُؤَدِّيًا إِلَى فَسَادٍ، كَمَدْحِ أَمْرَدٍ، أَوْ امْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ لِتَحْرِيكِ الشَّهْوَةِ، أَوْ تَلَذُّذِ النَّفْسِ، وَتَطْيِيبِ الْمَجْلِسِ وَالإِضْحَاكِ، وَمَدْحِ الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ، لِجَلْبِ الْحَرَامِ مِنْهُمْ، وَالتَّسَلُّطِ عَلَى ظُلْمِ النَّاسِ، وَنَحْوِهِ. فَإِنْ خَلَا عَنْ ذَلِكَ فَجَائِزٌ.

بَلْ يُنْدَبُ إِذَا كَانَ تَحْرِيضٌ لِسَامِعٍ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِهِ، أَوْ الْمُتَبَرِّك، أَوْ نَحْو ذَلِك مِنَ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (بِقَوْلِهِ لِلصَّدِيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْت مِنْهُمْ)، أَيْ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ إِزَارَهُمْ خُيَلَاءَ. وَكَان يَزْدَادُ مِنَ الْخَيْرِ بِذَلِكَ، أَوْ تُنْكِرُ نَفْسَهُ وَيُبَيِّنُ ذَلِك. وَإِنْ كَانَ فِي جِهَةٍ، فَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ بِإِطْلَاقِ ذَلِكَ وَاسْتِحْبَابِهِ، وَأُخْرَى بِكَرَاهَتِه وَامْتِنَاعِهِ، وَكَذَلِكَ الْآثَارُ. فَالْأُولَى لَا تَنْحَصِرُ، وَمِنْهَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مُدِحَ الْمُؤْمِنُ فِي وَجْهِهِ، رَبَا الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ).

وَقَدْ وَرَدَ: مَدْحُ آلِ بَيْتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُوجِبُ شَفَاعَتَهُ. وَقَدْ مُدِحَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَتَابِعُوهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَمِنَ الثَّانِيَةِ: (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا مُدِحَ النَّاسُ غَضِبَ الرَّبُّ، وَاهْتَزَّ لِذَلِكَ الْعَرْشُ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ، فَقَالَ: أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ). (وَيُطْرِيهِ): بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَكَسْرِ ثَالِثِهِ، مَعَ سُكُونِ وَسَطِهِ، مِنَ الْإِطْرَاءِ: وَهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدْحِ وَالزِّيَادَةِ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا ذُكر عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رجلٌ خَيْرًا. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، -يَقُولُهُ مِرَارًا-، إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحسِبَ كَذَا وَكَذَا، -إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ-، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَاللَّهِ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا).

وَعَنِ الْمِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ).

وَفِي [الْجَامِعِ]: (احْثُوا التُّرَابَ فِي وَجهِ الْمَدَّاحِينَ). وَفِيهِ: (احْثُوا فِي أَفْوَاهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ).

وَقَدْ أُخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ، وَمَشَى عَلَى ظَاهِرِهِ الْمِقْدَادُ وَجَمَاعَةٌ. وَقَالَ الْآخَرُونَ: الْمَدَّاحُونَ هُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَدْحَ النَّاسِ عَادَةً، يَسْتَأْكِلُونَ بِهِ، أَمَّا مَنْ مَدَحَ عَلَى أَمْرٍ، أَحْسَن تَرْغِيبًا فِي الاقْتِدَاءِ بِهِ، وِامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، فَلَيْس بِمَدَّاحٍ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ خَيِّبُوهُمْ فَلَا تُعْطُوهُمْ. وَقِيلَ: إِذَا مُدِحْتُمْ، فَاذْكُرُوا أَنَّكُمْ مِنْ تُرَابٍ، فَتَوَاضَعُوا وَلَا تُعْجَبُوا. وَضَعَّفَهُ النَّوَوِيُّ. وَقِيلَ: عِيبُوهُ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا مَدَحْتَ أَخَاكَ، فَكَأَنَّمَا أَمَرَرْتَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَ رَمِيضًا). أَيْ حَدِيدًا.

وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْإِبَاحَة وَالْمَنْع، كَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ، إِنْ كَانَ الْمَمْدُوحُ مِنَ الْكُمَّلِ، الَّذِينَ لَا يُفْتَنُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَعْجَبُونَ، لِرِيَاضَةِ نَفْسِهِ وَمَعْرِفَتِهَا، فَلَا يُكْرَهُ مَدحُهُ، وَإِلَّا فَيُكْرَهُ شَدِيدًا.

وَذَلِكَ كَأَنْ يَكُونَ كَمَنْ حَكَى عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ، (أَنَّهُ كَانَ مُقْبِلاً عَلَى الْعِبَادَةِ، مَعَ الدَّأْبِ فِيهَا، فَرَأَى إِنْسَانًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَيَعْجَبُ مِنْ مَزِيدِ اجْتِهَادِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، لَا يُعْجِبُكَ مِنْ أَمْرِي مَا تَرَى، فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيسُ رَبَّهُ، سَبْعِينَ عَامًا، فَلَمْ يُفِدْهُ ذَلِكَ شَيْئًا).

وَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ: (إِذَا تَصَدَّقَ الْإِنْسَانُ بِصَدَقَةٍ، فَيَنْبَغِي لِلْآخِذِ أَنْ يَنْظُرَ، فَإِنْ كَانَ الدَّافِعُ مِمَّنْ يُحِبُّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا وَنَشْرَهَا، فَيَنْبَغِي لِلْآخِذِ أَنْ يُخْفِيَهَا، لِأَنَّ قَضَاءَ حَقِّهِ أَلاَّ يَنْصُرَهُ عَلَى الظُّلْمِ، وَطَلَبُهُ الشُّكْرَ ظُلْمٌ. وَإِنْ عَلِمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الشُّكْرَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَهُ، وَيُظْهِرَ صَدَقَتَهُ).

وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ حَدِيثُ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (مَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا فَوَجَدَ، فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَإِنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَ، فَإِنَّهُ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ). وَمِثْلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُ غَيْرَهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مُقْتَدى بِهِ.

وَأَمَّا مَدْحُ الْمَيِّتِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، فَمَطْلُوبٌ خُصُوصًا مِنَ الصَّادِقِ الْعَالِمِ بِهِ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ لَهُ الْجَنَّةَ، كَمَا مَرَّ فِي أَذْكَارِ الْمَوْتِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَهْلُ الْجَنَّةِ، مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ، مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُ).

وَأَمَّا مَدْحُهُ لِنَفْسِهِ فَقَبِيحٌ، إِلَّا فِي مَوَاضِعٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، (أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، سَأَلَتْهُ مَا سَمَّيْتَ ابْنَتَكَ؟، قَالَ: سَمَّيْتُهَا بَرَّةَ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ، سَمَّيْتَ بَرَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ. فَقَالَ: وَمَا نُسَمِّيهَا؟، قَالَ: سَمُّوهَا زَيْنَبَ).

قِيلَ لِحَكِيمٍ: (مَا الصِّدْقُ الْقَبِيحُ؟، قَالَ: ثَنَاءُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ). وَقِيل لِآخَرَ: (مَا الَّذِي لَا يَحْسُنُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا؟ قَالَ: مَدْحُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ).

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ نَعْتُهُ، بِنَحْوِ: مُحيي الدِّينِ، وَشَمْسِ الدِّينِ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ رَسْلَانَ. وَفِي مَدْحِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَالتَّلَامِذَةِ وَالتَّصَانِيفِ، وَنَحْوِهَا.

وَمَا يَسْتَلْزِمُ مَدْح نَفْسِهِ، كَمَا فِي مُخْتَصَرِ الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. فَأَوَّل كَقَوْلِهِ: أَنَا عَالِمٌ، أَوْ عَابِدٌ زاهِدٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ: أَحْقَرُ النَّاسِ، وَأَذَلُّهُمْ، وَأَعْصَاهُمْ، وَنَحْوُهُ. وَقَبِيحُهُ إِذَا قُصِدَ بِهِ الْفَخْرُ، وَالتَّرَفُّعُ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَغَيْرِهِ.

وَقَد يُحْسَنُ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةٌ. فَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالنُّصْحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّأَدُّبِ، وَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَالتَّحْدِيثِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى. فَفِي الْأَثَرِ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَاظَمْ بِالْعِلْمِ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنَ الثَّانِيَةِ: التَّعْرِيفُ، وَكَوْنُهُ لِدَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ أَوْ غَيْرِهِ، لِيُعْطَى حَقَّهُ، أَو يُتَأَدَّبُ مَعَهُ، إِنْ خَاف أَنْ يَحْصُلَ لَهُمْ بَلَاءٌ بِإِيذَائِهِ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ وَلِيًّا، وَهُوَ قَدْ يَعْلَمُ وِلَايَتَهُ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَقَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَمِنَ الْأَوَّلِ مَا مَرَّ عَنْ يُوسُفَ وَشُعَيْبٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَمِنَ الثَّانِي (قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ).

وَأَمَّا الْآثَارُ فَكَثِيرَةٌ: فَمِنْهَا قَوْلُ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ حُصِرَ: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَلَهُ

الْجَنَّةُ، فَجَهَّزْتُهُمْ؟، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا؟، فَصَدَّقُوهُ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَيَّ: لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغَضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ).

وَعن أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: (خَطَبَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي، لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْبَدَنَةِ إِذَا رَجَفَتْ، فَقَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ بِهَا سَقَطْتَ). وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ إِلَى يَوْمِنَا.

فَصْلٌ: لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِمَا مَرَّ فِي [الشِّفَا]

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا نَادَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ).

وَحَدِيثُ مُعَاذ بْن جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ). وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ: (لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَعْدَيْكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا النَّدَامَى). وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ لِأُمِّ هَانِئٍ: (مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ).

فَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ سُنَنِ الزَّوَائِدِ عِنْدَنَا، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، أَوْ فَعَلَ مَعَهُ جَمِيلاً: (حَفِظَكَ اللَّهُ)، أَوْ (جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا)، وَنَحْوهُ، لِمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

فَلَا بَأْسَ أَنْ يَقُولَ لِلْعَالِمِ أَوْ الصَّالِحِ: (فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)، أَوْ (جُعِلْتُ فِدَاكَ)، أَوْ (فَدَيْتُكَ)، وَنَحْوهُ.

لِقَوْلِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي). وَقَوْلُ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، خُصُوصًا فِي أَشْعَارِهِمْ.

فَصْلٌ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فَيَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ إِذَا اُضْطُرَّتْ إِلَى خِطَابِ الْأَجْنَبِيِّ، أَنْ تَغْلُظَ صَوْتَهَا، وَلَا تُلِينهُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ.

قَالَ ابْنُ الْهُمَامِ: (وَحَيْثُ أَبَحْنَا لَهَا الْخُرُوجَ، فَإِنَّمَا يُبَاحُ بِشَرْطِ عَدَمِ الزِّينَةِ، وَتَغْيِيرِ الْهَيْئَةِ، إِلَى مَا لَا يَكُونُ دَاعِيَةً إِلَى نَظَرِ الرِّجَالِ، وَالِاسْتِمَالَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فَإِنْ قُلْتَ: نِسَاءُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ يُؤْمَرْنَ بِذَلِكَ؟، قُلْتُ: لَهُنَّ حُكْمُ الْأُمَّهَاتِ فِي وُجُوبِ الِاحْتِرَامِ، وَتَحْرِيم

نِكَاحِهِنَّ، لَا فِي الْخَلْوَةِ وَالنَّظَرِ، وَنَحْوِهِمَا، وَتَحْرِيم نِكَاح بَنَاتِهِنَّ. كَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ.

(تَتِمَّةٌ): هَلْ يُقَالُ لَهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنَاتِ، يَجْرِي عَلَى الْخِلَافِ فِي النِّسَاءِ، يَدْخُلْنَ فِي خِطَابِ الرِّجَالِ أَمْ لَا. وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أَنَا أُمُّ رِجَالِكُمْ، لَا أُمُّ نِسَائِكُمْ).

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلنَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبُو الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَصَحِّ. وَهَلْ يُقَالُ لِأَخْوَاتِهِنَّ وَبَنَاتِهِنَّ خَالَاتٌ وَأَخَوَاتٌ، خِلَافٌ. وَلَا يُقَالُ لِآبَائِهِنَّ وَجَدَّاتِهِنَّ، أَجْدَادُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَّاتُهُمْ.

فَصْــلٌ: وَيَنْبَغِي إِذَا مَرَّ بِشَيْءٍ مَنْدُوبٌ أَوْ مُبَاحٌ، أَنْ يَقُولَ: (سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ)، وَنَحْوُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. وَعَنْ دُكَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: (أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَسْأَلُهُ الطَّعَامَ، فَقَالَ لِعُمَرَ: قُمْ فَأَعْطِهِمْ، فَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً).

فَصْلٌ: فِي أذْكَارِ النِّكَاحِ

يُسْتَحَبُّ لِلْخَاطِبِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنْ يَبْدَأَ بِالتَّسْمِيَةِ، وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذَلِكَ، لَا بَرَكَةَ فِيهِ. وَيَقُولُ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

وَاسْتَحَبَّ الْمَاوَرْدِيُّ قِرَاءَةَ آيَةٍ مُخْتَصَّةٍ بِالنِّكَاحِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. ثُمَّ: (جِئْتُكُمْ رَاغِبًا فِي فَتَاتِكُمْ)، أَوْ (كَرِيمَتِكُمْ)، أَوْ (خَاطِبًا فُلَانَة بِنْت فُلَانٍ)، أَوْ نَحْوهُ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، إِنَّ فُلَانًا يَخْطُبُ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَنْكَحْتُمُوهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ رَدَدْتُمُوهُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ).

وَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، (أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا خَطَبَ فَاطِمَةَ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وَبَارِكْ فِي سَتْرِهِمَا).

وَيُسْتَحَبُّ عَرْضُ مَنْ كَانَ إِلَيْهِ نِكَاحهَا، كَبِنْتِهِ وَأُخْتِهِ، عَلَى مَنْ يَكُونُ كُفُؤًا إِلَيْهَا.

فَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا تُوُفِّيَ زَوْجُ بِنْتِهِ حَفْصَةَ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا

أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ، حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ، فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ أُزَوِّجَ كَرِيمَتَيَّ عُثْمَانَ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَقَفَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى قَبْرِ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ. فَقَالَ: زَوِّجُوا عُثْمَانَ، فَلَوْ كُنَّ عَشْرًا، لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ).

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَأَفْعَلُ مَاذَا ؟، قُلْتُ: تَنْكِحُ، قَالَ: أَتُحِبِّينَ. قَالَ: إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي).

وَاعْلَمْ أَنْ الْعَرْضَ مِنْ أَجَلِّ الْخَيْرَاتِ، وَلَا يُوَفَّقُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَهُوَ رُبَّمَا يَكُونُ فَرْضًا، لَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا، الَّذِي فِيهِ الْقَبِيحُ مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ، فَضْلاً عَنْ عَوَامِّهِمْ.

فَافْعَلْ ذَلِكَ إِنْ أَرَدْتَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَلَا تَقْتَدِ بِمَنْ شَمَلَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ رَدُّهم لِلْكُفْرِ، خَوْفًا مِنْ كَدَرِ الدُّنْيَا، وَلَوْ صَلَحَتْ نِيَّاتُهُمْ، لاسْتَقَامَتْ أُمُورهُمْ، كَمَا يُشَاهَدُ فِيمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، قَاصِدًا وَجْه اللَّهِ، وَالْكَفَّ عَنْ مَحَارِمِهِ، كَيْفَ وَقَدْ الْتَزَمَ ذَلِكَ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. وَلَكِنْ قَدْ غَلَبَ الْهَوَى، فَصَارَ الْجُلُّ عَلَى السِّوَى، فَحَالُنَا كَمَا قَالَ سُلْطَانُ الزَّاهِدِينَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا   فَلا دِينُنَا يَبْقَى وَلا مَا نُرَقِّعُ

وَإِذَا أَرَادُوا الْعَقْدَ، أَنْ يُخْطَبَ خُطْبَةً قَبْلَهُ، تَكُونُ أَطْوَل مِمَّا عِنْدَ الخِطْبَةِ، وَسَوَاءٌ فِيهَا الزَّوْج وَغَيْره. وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْأَرْبَعَةِ. وَحُكِيَ عَنْ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ: (أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْعَقْدُ إِلَّا بِهَا). وَالْمُحَقِّقُونَ لَا يَعُدُّونَ خِلَافهُ خَارِقًا لِلإِجْمَاعِ.

وَأَفْضَلُ الْخُطَبِ: لِمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أُخْرَى بَعْد قَوْلِهِ: (وَرَسُولُهُ): (أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا).

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: (نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ، وَيُطِيعُ رَسُولَهُ، وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ، وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ). وَيَنْبَغِي الْجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ.

وَكَانَ الْقَفَّالُ يَقُولُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، يَقْضِي فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ، وَلَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ، وَلَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ وَلَا يَتَفَرَّقَانِ، إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَكِتَابٍ قَدْ سَبَقَ، وَإِنْ مِمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَّرَ، أَنْ خَطَبَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، فُلَانَةَ، عَلَى صَدَاقٍ كَذَا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لِي وَلَكُمْ أَجْمَعِينَ).

وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ ذِكْرِ الْأَبِ وَالْجَدِّ، وَالْإِشَارَةُ لِمَنْ لَا يُعْرَفُ لَهُ ذَلِكَ. وَالِاحْتِيَاطُ أَنْ يَذْكُرَ الْمَحَلَّةَ أَيْضًا.

وَيَنْبَغِي إِيضَاحُ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ خَطَبَ، فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ قَالَ: (أَنْكَحْنَاكَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ).

وَمِنْ خُطَبِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُطْبَتُهُ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، لَمَّا زَوَّجَهَا عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْدَ أَنْ خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ.

قَالَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَاوِي ذَلِكَ: (دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ، اخْرُجْ، وَادْعُ لِي أَبَا بَكْرٍ، وَابْنَ الْخَطَّابِ،

وَعُثْمَانَ بْنَ عفَّانَ، وَعَبْدَ الرَّحمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَبعِدَّةٍ مِنَ الْأَنْصارِ. قَالَ: فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ، وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا فِي حَاجَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْمَحْمُودُ بِنِعْمَتِهِ وَبِقُدْرَتِهِ، الْمُطَاعُ بِسُلْطَانِهِ، الْمَرْهُوبُ مِنْ عَذَابِهِ وَسَطْوَتِهِ، الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ فِيمَا عِنْدَهُ، أَمْرُهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدرتِهِ، وَمَيَّزَهُمْ بِأَحْكَامِهِ، وَأَعَزَّهُمْ بِدِينِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَبَارَكَ اسْمهُ، جَعَلَ الْمُصَاهَرَةَ نَسَبًا لَاحِقًا، وَأَمْرًا مُفْتَرَضًا، وَشَجَّ بِهَا الأَرْحَامَ، وَأَلْزَمَهَا لِلأَنَامِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وَأَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى يَجْرِي إِلَى قَضَائِهِ، وَقَضَاؤُهُ يجْرِي إِلَى قَدَرِهِ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ، وَلِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي، أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ بِنْتَ خَدِيجَةَ، إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ إِيَّاهَا، عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: رَضِيتُ بِذَلِكَ. ثُمَّ دَعَا بِطَبَقٍ فِيهِ بُسْرٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَقَالَ انْهَبُوا، فَنَهَبْنَا، فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْهَبُ، إِذْ دَخَلَ عَلِيُّ بْن أَبِي طَالِبٍ، عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيّ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا، عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، إِنْ رَضِيتَ، فَقَالَ: رَضِيتُ بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَمَعَ اللَّهُ

شَمْلَكُمَا، وَأَسْعَدَ جَدَّكُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيرًا طَيِّبًا. قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَخْرَجَ مِنْهُمَا الكَثِيرَ الطَّيِّبَ).

وَفِي [الِاسْتِيعَابِ]، لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا خَطَبَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ فِي الْعَقْدِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَتَبَ إِلَيَّ، أَنْ أُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ أَصْدَقْتُهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، ثُمَّ سَكَبَ الدَّنَانِيرَ، بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ، فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ. فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَأَرَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَقُومُوا، فَقَالَ: اجْلِسُوا، فَإِنَّ سُنَّةَ الأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا، أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيجِ. فَدَعَا بِطَعَامٍ، فَأَكَلُوا، ثُمَّ تَفَرَّقُوا).

وَلَا خُطْبَةَ عَلَى الزَّوْجِ، بَلْ يَقُولُ: (قَبِلْتُ نِكَاحَهَا، بِالْمَهْرِ الْمَذْكُورِ)، وَنَحْوُهُ. وَلَوْ حَمِدَ اللَّهَ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ، فَلَا بَأْسَ.

وَدَلِيلُ الْإِجْمَاعِ عَلَى كَوْنِ الْخُطْبَةِ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ. (أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) ، وَنَحْوُهُ. وَفِعْلُ عُمَرَ الْمُتَقَدِّمِ.

وَالسُّنَّةُ فِي التَّهْنِئَةِ، أَنْ يُقَالَ عقِبَ ذَلِكَ: (بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَع بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ)، وَيُقَالُ لِكُلّ مِنْهُمَا: (بَارَكَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ). وَتَقَدَّمَ (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، حِينَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ). وَقَالَ لِجَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا قَالَ كَذَلِكَ: (بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَفَّأَ الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُل مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَالْأُلْفَةِ، وَالطَّائِرِ الْمَيْمُونِ، وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ، بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، دَفِّفُوا عَلَى رَأْسِهِ، فَجِئَ بِدُفٍّ، فَضُرِبَ بِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى الْخَيْرِ، وَالْأُلْفَةِ، وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ وَالطَّائِرِ الْمَيْمُونِ).
وَلَمَّا أُهْدِيَتْ عَائِشَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: (عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ). وَ(الطَّائِرُ): الحَظُّ.

وَاخْتُلِفَ فِي قَوْلِ: (بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ)، فَكَرِهَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ، لِمَا عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ تَزَوَّجَ، فَقِيلَ لَهُ: بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ، قَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ).

وَرَخَصَّهُ ابْنُ السُّنِيِّ، لِمَا عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَسْرُورًا: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرانَ، وَآسِيَةَ بِنْتَ مُزَاحِمٍ فِيْ الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ، يَا رَسُول اللَّهِ).

(وَالرَّفَّاءُ) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالْمَدِّ: الِاجْتِمَاعُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا زَوَّجَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْبَيْتَ، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ: ائْتِينِي بِمَاءٍ. فَقَامَتْ إِلَى قَعْبٍ فِي الْبَيْتِ، فَأَتَتْ فِيهِ بِمَاءٍ، فَأَخَذَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَقَدَّمِي، فَتَقَدَّمَتْ، فَنَضَحَ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ، وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا: أَدْبِرِي، فَأَدْبَرَتْ، فَصَبَّ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ، وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ايتُونِي بِمَاءٍ. قَالَ عَلِيٌّ: فَعَلِمْتُ الَّذِي يُرِيدُ، فَقُمْتُ، فَمَلأْتُ الْقَعْبَ مَاءً، وَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: تَقَدَّمْ، فَصَبَّ عَلَى رَأْسِي، وَبَيْنَ ثَدْيَيَّ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهُ بِكَ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثُمَّ قَالَ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرْتُ، فَصَبَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهُ بِكَ وَذُرِّيَّتَهُ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: ادْخُلْ بِأَهْلِكَ، بِسْمِ اللهِ وَالْبَرَكَةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (يَا عَلِيُّ، ادْخُلْ بِأَهْلِكَ وَالْبَرَكَةِ). وَفِي أُخْرَى: (فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْبِنَاءِ قَالَ: لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي، فَدَعَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي شِبْلِهِمَا).

فكُلُّ ذلكَ مُستَحبٌّ، وَيُسْتَحبُّ إِذَا دَخل عَلى امْرَأَتِهِ لَيْلَة زِفَافِهَا، أَنْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَحْمَدَهُ تَيْسِير ذَلِك، وَيُصَلِّي عَلى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَقُولُ مَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ، فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهَا، وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي أَهْلِي، وَبَارِكْ لَهُمْ فِيَّ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْهَا، وَارْزُقْهَا مِنِّي، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا مَا جَمَعْتَ فِي خَيْرٍ، وَفَرِّقْ بَيْنَنَا إِذَا فَرَّقْتَ عَلَى خَيْرٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعَلِّمُهُمْ، إِذَا دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ، فَتَقُومُ مِنْ خَلْفِهِ، فَيُصَلِّيَانِ رَكْعَتَيْنِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي أَهْلِي، وَبَارِكْ لِأَهْلِي فِيَّ، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُمْ مِنِّي، وَارْزُقْنِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا مَا جَمَّعْتَ فِي خَيْرٍ، وَفَرِّقْ بَيْنَنَا إِذَا فَرَّقْتَ إِلَى خَيْرٍ).

وَيُسْتَحَبُّ مُلَاعَبَةُ الْأَهْلِ، وَالِانْبِسَاطُ قَبْلَ الْوَطْءِ. لِمَا عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟، قُلْتُ: ثَيِّبًا، فَقَالَ: هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا، تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ). وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ). (وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَلَا بِنِسَائِهِ أَلْيَنَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، ضَحَّاكًا بَسَّامًا).

وَإِذَا أَرَادَ الْوِقَاعَ: يُسَنُّ لَهُ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ فِي [الصَّحِيحَيْنِ]، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: (لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا). وَلَيْسَ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُمُومِ، عِنْدَ أَحْمَدَ، بَلْ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ عَلَى الْأَشْهَرِ. أَوْ لَا يُطْعَنُ فِيهِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ عَلَى مَا قِيلَ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِمَا وَرَدَ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ، يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا). وَنَحْوُهُ. وَقَدْ جَرَّبْنَاهُ، وَصَحَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: (فَمَنْ نَسِيَ التَّسْمِيَةَ حَتَّى أَوْلَجَ، فَيَقُولُ: جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، وَيَتْرُك اسْمَ اللَّهِ، تَنْزِيهًا لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنْ بَرَكَةِ الِاتِّبَاعِ).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: (وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَبْدَأَ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَقْرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أَوَّلاً، وَيُكَبِّرُ وَيُهَلِّلُ، وَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنْ تُخْرِجَ ذَلِكَ مِنْ صُلْبِي. وَإِذَا قَرُبْتَ مِنَ الْإِنْزَالِ، فَقُلْ فِي نَفْسِكَ، وَلَا تُحَرِّكْ شَفَتَيْكَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ﴿الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُغَطِّي رَأْسَهُ وَيَغُضّ صَوْتَهُ، وَيَقُولُ لِلْمَرْأَةِ عَلَيْك السَّكِينَة).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (مَا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحَدًا مِنْ نِسَائِهِ، إِلَّا مُقَنَّعًا، يُرْخِي الثَّوْبَ عَلَى رَأْسِهِ، وَلَا رَأَيْتُ مِنْهُ، وَلَا رَأَى مِنِّي). وَعَنْهَا أَيْضًا، (مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ قَطُّ).

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ، (لَمَّا بَنَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَيْنَب، فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ).

وَفِي [مُسْلِمٍ]: (فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟، فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟، فَيَقُولُ: بِخَيْرٍ)

وَفِي حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَمَاتَ الصَّبِيُّ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَا يَنْعَيَنَّ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ أَحَدٌ ابْنَهُ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَنْعَاهُ لَهُ، فَهَيَّأَتِ الصَّبِيَّ وَوَضَعَتْهُ، وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ ابْنِي؟، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا كَانَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ السَّاعَةَ، قَالَ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ. فَأَتَتْهُ بِعَشَائِهِ فَأَصَابَ مِنْهُ، ثُمَّ قَامَتْ فَتَطَيَّبَتْ وَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَأَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ طَعِمَ، وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا قَوْمًا عَارِيَةً لَهُمْ، فَسَأَلُوهُمْ إِيَّاهَا، أَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُم؟، فَقَالَ: لَا، قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ أَعَارَكَ ابْنَكَ

عَارِيَةً، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ، فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ وَاصْبِرْ، فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَا وَقَعْتُ بِمَا وَقَعْتُ بِهِ، نَعَيْتِ إِلَيَّ ابْنِي، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا). فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَيْرَةِ وَالْأُلْفَةِ

عَنْ مَيْمُونَةَ، مَوْلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُرَشٍ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَعِيرٍ فَنَادَتْ: يَا عَائِشَةُ، أَعِينِينِي بِدَعْوَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُسْكِنِينِي بِهَا، أَوْ تُطَمْئِنِينِي بِهَا، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا: ضَعِي يَدَكِ الْيُمْنَى عَلَى فُؤَادِكِ، فَامْسَحِيهِ، وَقُولِي: بِسْمِ اللَّهِ، دَاوِنِي بِدَوَائِكَ، وَاشْفِنِي بِشِفَائِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ مَنْ سِوَاكَ، وَاحْذَرْ عَنِّي أَذَاكَ، قَالَتْ: فَدَعَوْتُ بِهِ فَوَجَدْتُهُ جَيِّدًا).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي السُّوقِ، إِذَا امْرَأَةٌ قَدْ أَخَذَتْ بِعِنَانِ دَابَّتِهِ، وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي لَا يَقْرُبُنِي، فَفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَمَرَّ زَوْجُهَا، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا، جَاءَتْ تَشْكُو مِنْكَ جَفَاءً، تَشْكُو مِنْكَ أَنَّكَ لَا تَقْرُبُهَا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ إِنَّ عَهْدِي بِهَا لَهَذِهِ اللَّيْلَةُ، وَبَكَتِ الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ: كَذِبَ، فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَخَذَ بِرَأْسِهِ وَبِرَأْسِهَا، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَدْنِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ. قَالَ جَابِرٌ: فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ

نَلْبَثَ، ثُمَّ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالسُّوقِ، فَإِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ تَحْمِلُ أَدَمًا، فَلَمَّا رَأَتْهُ طَرَحَتِ الأَدَمَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَشَرٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، إِلا أَنْتَ).

يَنْبَغِي لِلزَّوْجِ أَنْ يُحْسِنُ الْعِشْرَةَ، وَأَنْ لَا يَذْكُرَ لِأَصْهَارِهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْوَطْء، لَا تَصْرِيحًا وَلَا تَعْرِيضًا.

فَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَكَانِهِ مِنْ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ فَسَأَلَهُ).

لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَالْأَجْنَبِيُّ لَهُ وَسَاعٌ، أَنْ يَقُولَ: أَتَيْتُ أَهْلِي، وَنَحْو ذَلِكَ، وَكَذَا الْمَرْأَةُ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حِينَ سُئِلَتْ عَنِ الْغُسْلِ: (فَعَلْتُهُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاغْتَسَلْنَا). وَمَا ذَكَرَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِحَاجَةٍ.

فَصْلٌ: فِي أَذْكَارِ الْوِلَادَةِ

فَيَنْبَغِي مِنَ الْإِكْثَارِ مِنْ دُعَاءِ الْكَرْبِ وَالْفَرَجِ، وَقَدْ أُمِرُوا، عَنْ فَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ أُمَّ سَلَمَةَ، وَزَيْنَب بِنْت جَحْشٍ، أَنْ يَأْتِيَاهَا فَيَقْرَأ عَلَيْهَا آيَة الْكُرْسِيِّ، وَ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وَيُعَوِّذَاهَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ).

وَالْمُرَادُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا عَسُرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدُهَا، أَخَذَ إِنَاءً لَطِيفًا يَكْتُبُ فِيهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. وَ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]. ثُمَّ يُغْسَلُ، وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مِنْهُ، وَيَنْضَحُ عَلَى بَطْنِهَا وَفَرْجِهَا).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ زِيَادَةَ: فِي أَوَّلِهِ: (بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَلِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). وَقَالَ سُفْيَانُ: (يُكْتَبُ بِالْعَسَلِ وَالزَّعْفَرَانِ).

وَعَن هُنَيْدٍ الْخُزَاعِيّ الصَّحَابِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَرَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بظَبْيَةٍ قَدْ عَضَّلَهَا وَلَدُهَا، فقَالَ: يَا وَلَدُ، اخْرُجْ بِصُرَاخٍ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تَدْعُوكَ، فوَلَدَتْ).

وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي [تَفْسِيرِهِ]: (يُسْتَحَبُّ لِلْقَابِلَةِ، إِذَا أَخَذَتْ الْوَلِيدَ مِنْ الْمَرْأَةِ، أَنْ تَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَهَذَا أَوَّلُ أَحْوَالِهِ مِنَ الدُّنْيَا. وَإِذَا مَاتَ وَأُدْخِلَ الْقَبْرَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ أَيَّامِهِ مِنَ الدُّنْيَا).

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ، حِينَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ فَاطِمَةُ).

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، لَمْ يَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ).

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (كَانَ يُؤَذِّنُ فِي الْيُمْنَى، وَيُقِيمُ فِي الْيُسْرَى إِذَا وُلِدَ الصَّبِيُّ). فَالْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ سُنَّةٌ. وَيُسْتَحَبُّ أَن يَسْتَقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةَ فِيهِمَا، وَيَقْرَأُ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي [تُحْفَتِهِ]: وَوَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَ فِي أُذُنِ مَوْلُودٍ الْإِخْلَاصَ). فَيُسَنُّ ذَلِكَ أَيْضًا تَبْصِرَةً وَاعْتِبَارًا، وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

أَذَانُ الْمَرْءِ حِيْنَ الطِّفْل يَأْتِي وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ
دَلِيـلٌ أَنَّ مَحْيَـاهُ قَلِيـلٌ كَمَا بَيْنَ الأَذَانِ إِلَى الصَّلَاةِ

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ، وَيُحَنِّكُهُمْ).

وَعَنْ أَسْمَاءَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ: (حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ، فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ، فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فكانَ أَوَّلَ شيءٍ دخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ، فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ فِي جَوْفِهِ رِيقُ، رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، ثُمَّ بَارَكَ عَلَيْهِ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَحْنِيكُ الطِّفْلِ يَوْمَ وِلَادَتِهِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلاً، فَامْرَأَةٌ صَالِحَةٌ، تَمْضُغُ التَّمْرَةَ، وَيُفْتَحُ فَاهُ، وَيُدَلِّكُ بِهَا حَنَكَهُ، وَيُنْزِلُ قَلِيلاً مِنْهُ فِي جَوْفِهِ، فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ تَمْرَة، فَبِشَيءٍ حُلْوٍ. وَقِيلَ: بِرُطَبَةٍ أَوْ مُوزَةٍ، عَن لَمْ يَكُنْ فَلَعْقَة مِنْ عَسَلٍ، وَبَعْضُهُمْ أَعْقَبَ الْعَسَل بِالتَّمْرَةِ وَالرُّطَبِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَوِّذُهُ مَا يُعَوُّذُ بِهِ الصِّبْيَانُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، فِي [الْأَوْسَطِ]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (سَبْعَةٌ مِنَ السُّنَةِ، فِي الصَّبِيِّ يَوْمَ السَّابعِ: يُسَمَّى، ويُخْتَنُ، وَيُمَاطُ عَنْهُ الْأَذَى، وتُثْقَبُ أُذُنُهُ، ويُعَقُّ عَنْهُ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، ويُلَطَّخُ بِدَمِ عَقِيقَتِهِ، وَيُتَصَدَّقُ بِوَزْنِ شَعَرِهِ فِي رَأْسِهِ، ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً).

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (عَقَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، شَاتَيْنِ يَوْمَ السَّابعِ، وَقَالَ: اذْبَحُوا عَلَى اسْمِهِ، وَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، مِنْكَ وَلَكَ، هَذِهِ عَقِيقَةُ فُلَانٍ).

وِفِي [التِّرْمِذِيّ]: (عَقَّ بِشَاةٍ، وَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ احْلِقِي رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقِي بِزِنَةِ شَعَرِهِ فِضَّةً، قَالَ: فَوَزَنَتْهُ، فَكَانَ وَزْنُهُ دِرْهَمًا، أَوْ بَعْضَ دِرْهَمٍ).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْعَقِيقَةِ، فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: بِسُنِّيَّتِهَا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فَمَنْ شَاءَ فَعَلَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِبَاحَةِ.

وَقَالَ فِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (وَلَا يُعَقُّ عَنِ الْغُلَامِ وَلا جَارِيَةٍ). وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى الْكَرَاهَةِ.

وَنَحْوهُ مَا فِي [الْمُوَطَّإِ]: وَهِيَ أَنْ تُذْبَحَ شَاةً عَنِ الْمَوْلُودِ، عَنْ حَلْقِ رَأْسِهِ، يَوْمَ السَّابِعَةِ، وَالْأَوْلَى شَاتَانِ عَنِ الذَّكَرِ، وَوَاحِدَة عَنِ الْأُنْثَى. وَإِنْ قَدَّمَهَا عَنِ السَّابعِ وَآخِرِهَا، جَازَ لَكِنْ الْأَوْلَى أَفْضَل. وَيُسْتَحَبُّ فَصْلُ لَحْمِهَا بِغَيْرِ كَسْرٍ لِلْعَظْمِ، تَفَاؤُلاً بِسَلَامَةِ أَعْضَاء الْوَلَدِ، وَيَأْكُلُ وَيُطْعِمُ وَيَتَصَدَّقُ.

وَيُسْتَحَبُّ التَّهْنِئَةُ وَجَوَابُهَا، وَأَنْ تَكُونَ بِمَا جَاءَ عَنْ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ عَلَّمَ إِنْسَانًا التَّهْنِئَةَ، فَقَالَ: قُلْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَشَكَرْت

الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ وَرُزِقْت بِرَّهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قُلْ جعَلَهُ اللَّهُ مُبَارَكًا عَلَيْك، وَعَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ويحييه بِقَوْلِهِ جزَاكَ اللَّهُ خيْرَ، أَوْ أَثَابَكَ اللَّهُ، أَوْ رَزَقَك مِثْلَهُ، وَنَحْوه).

(تَتِمَّةٌ مُفِيدَةٌ): عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَهُ، (بُكَاءُ الصَّبِيِّ إِلَى شَهْرَيْنِ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَإِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، الْثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَإِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِسَنَتَيْنِ اِسْتِغْفَارٌ لِلْوَالِدَيْنِ، فَإِذَا اسْتَسْقَى أَنْبَعَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ضَرِيعِ أُمِّهِ، عَيْنًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُ، فَيُجْزِيهِ عَنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ).

أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَهُوَ عِنْدَ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُسْتَمْلِي، فِي [طَبَقَاتِ الْبَلَخِيِّينَ]، بِلَفْظِ: (بُكَاءُ الصَّبِيِّ إِلَى شَهْرَيْنِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، الْيَقِينُ بِاللَّهِ، وَإِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، الصَّلاةُ عَلَيَّ، وَإِلَى سَنَتَيْنِ، اِسْتِغْفَارٌ لِلْوَالِدَيْنِ، وَكُلَّمَا اسْتَسْقَى شَرْبَةً مِنَ الْوَالِدَةِ، أَنْبَعَ اللَّهُ فِي صَدْرِهَا، عَيْنًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَخْرُجُ إِلَى ثَدْيِهَا، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، فَيَشْرَبُ).

وَفِي لَفْظٍ لِغَيْرِهَا: (وَلَا تَضْرِبُوا أَطْفَالَكُمْ عَلَى بُكَائِهِمْ سَنَةً، فَإِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْهَا، يَشْهَدَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يُصَلِّي عليَّ، وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَدْعُو لِوَالِدَيْهِ).

وَفِي أُخْرَى: (بُكَاءُ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَوْحِيدٌ، وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ صَلاةٌ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ اسْتِغْفَارٌ لِوَالِدَيْهِ). كَذَا فِي [الْقَوْلِ الْبَدِيعِ] لِلسَّخَاوِيِّ.

فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ التَّسْمِيَةِ وَالأَسْمَاءِ

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ بِتَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَوَضْعِ الأَذَى عَنْهُ، وَالعَقِّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ). وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (وُلِدَ لِأَبِي طَلْحَةَ غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أُتِيَ بِالْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ وُلِدَ، فَوَضَعَهُ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى فَخِذِهِ، وَأَبُو أُسَيْدٍ جَالِسٌ، فَلَهَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَمَرَ أَبُو أُسَيْدٍ بِابْنِهِ، فَاحْتُمِلَ مِنْ فَخِذِ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفَاقَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟. فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: قَلَبْنَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا اسْمُهُ؟. قَالَ: فُلَانٌ. قَالَ: لَا، لَكِنِ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ، فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ الْمُنْذِرَ).

وَعَنْ يَاسِرِ بْنِ سُوَيْدٍ الْجُهَنِيِّ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَّهَهُ فِي خَيْلٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، وَامْرَأَتُهُ حَامِلٌ، فَوُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَحَمَلَتْهُ أُمُّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ وُلِدَ هَذَا الْمَوْلُودُ، وَأَبُوهُ فِي الْخَيْلِ، فَسَمِّهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ

أَكْثِرْ رِجَالَهُمْ، وَأَقِلَّ أَيَامَاهُمْ، وَلَا تُحوِجْهُمْ، وَلَا تُرِ أَحْدَاثَهُمْ خَصَاصَةً، فَقَالَ: سَمِّهِ مُسْرِعًا، فَقَدْ أَسْرَعَ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُوَ أَسْرَع).

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَقْتِ التَّسْمِيَةِ، وَالْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ وَقْتَهَا يَوْم الْوِلَادَةِ، وَيَوْم السَّابعِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

وَمَنْ وَلَدَ مَيِّتًا لَا يُسَمَّى، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، خِلَافًا لِمُحَمَّدٍ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، كَذَا فِي [الْمِنح]، عَنِ الْحظْرِ وَالْإِبَاحَةِ، وَالَّذِي اخْتَارَهُ. وَفِي [الْجَنَائِزِ]: أَنَّهُ يُسَمَّى. وَهُوَ قَوْلُهُ أَيْضًا، وَهُوَ أَبُو يُوسُفَ.

وَأَمَّا السِّقْطُ فَمَنْ جَعَلَهُ كَالْمَوْلُودِ مَيِّتًا، يَنْبَغِي أَنْ يُسَمِّي عَلَى قَوْلِهِ أَيْضًا، وَهُوَ الْأَحْسَنُ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيَّةُ.

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (سَمُّوا أَسْقَاطَكُمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ أَفْرَاطِكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (سَمُّوا السِّقْطَ، يُثَقِّلِ اللَّه بِهِ مِيزَانكُمْ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَضَاعُونِي فَلَمْ يُسَمُّونِي).

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يزيد بْنُ مُعَاوِيَةَ: (أَنَّ السَّقْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَأَيْتُه يَقُول أَنْتَ ضَيَّعْتَنِي، وَتَرَكْتَنِي لَا اسْم لِي). قَالَ عُمَرُ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: (كَيْفَ يَدْرِي أَغُلَامٌ هُوَ أَمْ جَارِيَةٌ؟، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا يَجْمَعُهُمَا، كَحَمْزَة وَعُمَارَة وَعَنْبَسَةَ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُسَمِّي بِمَا يَصْلُحُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، كِهِنْدٍ وَخَارِجَةَ وَطَلْحَةَ وَعُمَيْرَةَ، وَنَحو ذَلِكَ. وَيَنْبَغِي تَحْسِينُ الِاسْمِ، لِأَنَّهُ مِنْ حُقُوقِ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ، فَلْيُحْسِنِ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذا بَلَغ فَلْيُزَوِّجْهُ، فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ، فَأَصابَ إِثْمًا، فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا بَعَثْتُمْ إِلَيَّ رَسُولاً، فَابْعَثُوهُ حَسَنَ الاسْمِ).

فَصْلٌ: فِي أَحَبِّ مَا يُسَمَّى بِهِ وَمَا يَجُوزُ وَمَا يُكْرَهُ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا تُعُبِّدَ بِهِ، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ هَمَّامٌ وَحَارِثٌ). وَوَرَدَ مَرْفُوعًا: (إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غلامٌ، فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقُلْنَا: نُكَنِّيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا كَرَامَةَ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم، فَقَالَ سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ). وَوَرَدَ مِنْ طُرُقٍ: (سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلَاثَةٌ). وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلاثَةُ أَوْلادٍ، فَلَمْ يُسَمِّ أَحَدَهُمْ مُحَمَّدًا، فَقَدْ جَهِلَ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ: إِلَّا لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَلْيَدْخُل الْجَنَّةَ، تكْرِمَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَنَحوهُ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصرِيّ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيُوقِفُ الْعَبْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْمُهُ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: عَبْدِي أَمَا اسْتَحَيْتَ مِنّي، وَأَنْتَ تَعْصِينِي، وَاسْمُك اسْمُ حَبِيبِي، فَيُنَكِّسُ الْعَبْدُ رَأْسَهُ حَيَاءً، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ فعَلْت، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ، خُذْ بِيَدِ عَبْدِي، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أُعَذِّبَ بِالنَّارِ، مَنْ اسْمُهُ اسْمُ حَبِيبِي).

وَقَالَ مَالِكٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (سَمِعْت أَهْلَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ فِيهِمْ اسْمُ مُحَمَّدٍ، إِلَّا نَمَى وَرُزِقُوا).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، أَنَّهُ قَالَ: (أَخرَجَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ التَّوْحِيدِ، مِنْ النَّارِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ، مَنْ وَافَقَ اسْمُهُ اسْمَ نَبِيٍّ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مَنْ وَافَقَ اسْمُهُ اسْمَ نَبِيٍّ، قَالَ: أَنْتُمْ الْمُسْلِمُونَ، وَأَنَا السَّلَامُ، وَأَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَا الْمُؤْمِنُ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ بِبَرَكَةِ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمَّوْا بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيَّ، حَمْزَة أَحَبّ الْأَسْمَاءِ).

وَإِنَّمَا كَانَ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: (عَبْد اللَّه)، وَ(عَبْد الرَّحْمَنِ). لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، الَّتِي هِيَ عَيْنُ حَقِيقَةِ الْعَبْدِ، الْمُسْتَوْجِبَةُ لِلُطَفِ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ، وَكَذَا لَمْ يُسَمِّ اللَّهُ اسْمَ نَبِيِّهِ، فِي أَشْرَفِ مَعَاهَدِ قُرْبِهِ، إِلَّا قَالَ: ﴿سُبْحَانَ

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وَمِنْ هُنَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَـدْعُنِي إِلَّا بِيَـا عَبْـدَهَا ... فَإِنَّــهُ أَشْــرَفُ أَسْــمَائِي

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّ لِشَرَفِ الإِضَافَةِ، كَفَى عِنْدَ ذَوِي اللَّطَافَةِ.

وَقَالَ آخَرُ:

كَفَـى شَـرَفًا إِنِّـي مُضَـافٌ إِلَـيْكُمْ ... وَإِنِّي بِكُمْ أُدْعَى وَأُرْعَى وَأُعْرَفْ

وَتَخْصِيصُ الِاسْمَيْنِ لِإِضَافَتِهِمَا إِلَى أَشْرَفِ الْأَسْمَاءِ، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّسْمِيَةِ بِمُحَمَّدٍ فَضَائِلُ، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا ذَوُو النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ. وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ تَعَالَى، إِذْ لَا يَخْتَارُ لِنَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا مَا هُوَ أَفْضَلُ. كَيْفَ وَهُوَ مُخْتَارُهُ مِنَ الْوُجُودِ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي تَسْمِيَةِ وَلَدِهِ مُحَمَّد: (أَسْمَيْتُهُ مُحَمَّدًا، بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ).

فَيُسْتَحَبُّ التَّسَمِّي بِهِ وَبِمَا مَرَّ، وَكُلُّ اسْمٍ لَائِقٍ بِالْمُسَمَّى، وَيُرْجَى لَهُ الْخَيْرِيَّةُ، فَكُلُّ مُسَمَّى لَهُ مِنْ اسْمِهِ نَصِيبٌ، وَيَكُونُ التَّفَاؤُل بِهِ حَسَنًا. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَفَاءَلُ وَلا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الاسْمُ الْحَسَنُ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَأَلَ عَنِ اسْمِ الرَّجُلِ، وَكَانَ حَسَنًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ كَرِهَهُ، فَإِذَا نَزَلَ بِالْقَرْيَةِ، سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا، فَإِنْ كَانَ اسْمُهَا حَسَنًا، سُرَّ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ).

وَمِنْ هُنَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا قَالَ، (لَمَّا قَالَ لِرَجُلٍ: مَا اسْمُكَ؟، قَالَ: جَمْرَةُ، فَقَالَ: ابْنُ مَنْ؟، فَقَالَ: ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ: مِمَّنْ؟، قَالَ: مِنَ الْحُرَقَةِ، قَالَ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟، قَالَ: بِحَرَّةِ النَّارِ، قَالَ: بِأَيِّهَا؟، قَالَ: بِذَاتِ لَظًى، قَالَ عُمَرُ: أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدِ احْتَرَقُوا. فَكَانَ كَمَا قَالَهُ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّسْمِيَةُ بِكُلِّ اسْمٍ مَحْبُوبٍ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي أُصُولِهِ مِنْ ذَلِكَ خُصُوصًا، إِذَا وَافَقَ بَعْضَ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَأَمَّا مَا يَجُوزُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَكُلُّ اسْمٍ لَائِقٍ بِالْمُسَمَّى، مِمَّا لَا فَخْرَ فِيهِ، وَلَا كِبْرَ وَلَا عُجْبَ.

وَقَالَ فِي [الرَّاجِيَّةِ]: التَّسْمِيَةُ بِاسْمٍ يُوجَدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، كَالْعَلِيِّ وَالْكَبِيرِ وَالرَّشِيدِ وَالْبَدِيعِ، جَائِزٌ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ. فَيُرَادُ فِي حَقِّ الْعِبَادِ، غَيْرَ مَا يُرَادُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا مَا يُكْرَهُ فَكُلُّ اسْمٍ، نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ، أَوْ كَانَ فِيهِ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ وَافْتِخَارًا، وَتَفَاؤُلًا، قَبِيحٌ أَوْ كَذِبٌ. وَتَقَدَّمَ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُهُ الشَّارِعُ.

وَفِي [مُسْلِمٍ]: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُسَمِّ غُلَامَكَ رَبَاحًا، وَلَا يَسَارًا، وَلَا أَفْلَحَ، وَلَا نَافِعًا. فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلَا يَكُونُ، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعٌ، فَلَا تَزِيدَنَّ عَلَيْهَا).

وَنُهِيَ عَنْ تَسْمِيَةِ: (بَرَكَة)، وَلَمْ أَرَ لِذَلِكَ كَلَامًا لِلْحَنَفِيَّةِ، وَقَدْ كَرِهَهُ الشَّافِعِيُّ تَنْزِيهًا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَخْنَى) بَدَلَ (أَخْنَع). وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (أَغْيَظُ رَجُلٍ

عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْيَبُهُ، رَجُلٌ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ). قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى (أَخْنَعَ) وَ(أَخْنَى): أَوْضَعُ وَأَذَلُّ وَأَرْذَلُ.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَلِكُ الْأَمْلَاكِ مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ). وَقَدْ حَرَّمَ الشَّافِعِيَّةُ ذَلِكَ، وَأَلْحَقُوا بِهِ مِلْك الْمُلُوكِ، وَأَلْحَق بَعْضُهُمْ قَاضِي الْقُضَاةِ، وَأَفْضَل الْقُضَاةِ، وَأَقْبَحُ مِنْهُ حاكِم الْحُكَّامِ، وَلَمْ يَلْحقْهُ آخَرُونَ، وَلَمْ أَرَ لِعُلَمَائِنَا فِيهِ شَيْئًا، وَالْحَمْل يَحْتَاجُ إِلَى تَدَبُّرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ أَحْسَن.

وَذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ فِي [مِنْهَاجِهِ]: (جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا الطَّبِيبَ، وَلَكِنْ قُولُوا: الرَّفِيقَ). وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبِيبَ هُوَ الْعَالِمُ بِالدَّاءِ وَالدَّوَاء حَقِيقَة، وَهُوَ مُنْقَذر فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، إِنَّمَا هُوَ رَفِيقٌ يَرْفُق بِهِ، حَيْثُ الْحَمِيَّة وَنَحْوهَا.

وَكَرِهَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، التَّسْمِيَةُ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، خِلَافًا لِلْجُمْهُورِ، بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ، كَمَا مَرَّ لَا سِيَّمَا مُحمَّدٌ. إِنَّمَا يَنْبَغِي إِكْرَامُ الْمُسَمَّى بِهَا، (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذا سَمَّيْتُمُ الوَلَدَ مُحمَّداً، فأكْرِمُوهُ، وأوْسِعُوا لَهُ فِي المَجْلِسِ، وَلَا تُقَبِّحُوا لَهُ وَجْهاً).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا سَمَّيْتُمْ مُحَمَّدًا، فَلَا تَضْرِبُوهُ وَلَا تَحْرِمُوهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُسَمُّوا أَوْلَادكُمْ مُحَمَّداً، ثُمَّ تَلْعَنُونَهُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَسُبُّونَهُمْ).

وَاخْتُلِفَ فِي التَّسْمِيَةِ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ، فَكَرِهَهُ الْبَعْضُ، وعُزِيَ لِمَالِكٍ، وَيَشْهَدُ لَهُ خَبَرُ: (تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلا تَسَمَّوا بِأَسْمَاءِ المَلائِكَةِ). وَعَنْهُ كَرَاهَة التَّسْمِيَةِ بِ(جِبْرِيلَ)، وَ(طَه) وَ(يس). وَلَمْ يَرَ الجُمْهُورُ بِذَلِك بَأْسًا.

وَيكُونُ كَرَاهَة شَدِيدَة أَنْ تُسَمَّى الْبِنْت بِستِّ النَّاسِ، وَستِّ الْبَيْتِ، وَستِّ الْعَرَبِ، أَوْ الْعُلَمَاء أَوْ الْقُضَاة، وَنَحْوهَا، لِأَنَّهُ كَذِبٌ، وَلَا تُعْرَفُ السِّتّ إِلَّا فِي الْعَدَدِ.

فَصْلٌ: فِي تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْمَكْرُوهِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ. فَمِنْهَا حَدِيثُ الْمُنْذِرِ الْمُتَقَدِّمِ. وَمِنْهَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ زَيْنَب، كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ، فَقِيلَ لَهَا: تُزَكِّي نَفْسَهَا، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ اسْمُهَا بَرَّةُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ مِنْ عِنْدَ بَرَّةَ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ، عَنْ أَبِيهِ، (أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟، قَالَ حَزْنٌ قَالَ: أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ، وَقَالَ: أَنْتِ جَمِيلَةُ). (وَكَانَ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُقَالُ لَهُ أَصْرَمُ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟، فَقُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: بَلْ هُوَ حَسَنٌ، ثُمَّ وُلِدَ الْحُسَيْنُ، فَسَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟، فَقُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ، فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُرَاهُ، فَقَالَ: أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟، قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ. ثُمَّ قَالَ: سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ: شَبَّرُ، وَشَبِيرُ، وَمُشَبِّرٌ. إِنِّي سَمَّيْتُ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ، بِتَسْمِيَةِ وَلَدِ هَارُونَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (جَبْرٍ وَجُبَيْرٍ وَمُجَبَّرٍ). وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

عَنْ عَائِشَةَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُغَيِّرُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: (وَغَيَّرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْمَ الْعَاصِ، وَعَزِيزٍ، وَعَتَلَةَ، وَشَيْطَانٍ، وَالْحَكَمِ، وَغُرَابٍ، وَحُبَابٍ، وَشِهَابٍ، فَسَمَّاهُ هِشَامًا، وَسَمَّى حَرْبًا سَلْمًا، وَسَمَّى الْمُضْطَجِعَ الْمُنْبَعِثَ، وَأَرْضًا تُسَمَّى عَفِرَةَ سَمَّاهَا خَضِرَةَ، وَشَعْبَ الضَّلَالَةِ، سَمَّاهُ شَعْبَ الْهُدَى، وَبَنُو الزِّنْيَةِ، سَمَّاهُمْ بَنِي الرِّشْدَةِ، وَسَمَّى بَنِي مُغْوِيَةَ، بَنِي رِشْدَةَ).

وَقَالَ نَافِعٌ: (كَانَ اسْمُ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ قَلِيلًا، فَسَمَّاهُ عُمَرُ كَثِيرًا). فَالْحَاصِلُ أَنَّ تَغْيِيرَ الِاسْمِ الْمَكْرُوهِ، مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ شَرْعًا.

فَصْلٌ: وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَعَثَتْنِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقِطْفٍ مِنْ عِنَبٍ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ أُبَلِّغَهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا جِئْتُ بِهِ أَخَذَ أُذُنِي، وَقَالَ: يَا غُدَرُ). وَمَعْنَاهُ: يَا غُلَامُ.

وَفِي حَدِيثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، (أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ، أَوْ سَادِسٌ. وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَشَرَةٍ، قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي، فَلَا أَدْرِي، قَالَ:

وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ، بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ، أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ؟، قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِيهِمْ؟، قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عَرَضُوا فَأَبَوْا، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، وَايْمُ اللَّهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ، إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ: يَعْنِي، حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ، أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟، قَالَتْ: لَا، وَقُرَّةِ عَيْنِي، لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا، قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي يَمِينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، يَا لَئِيمُ). وَقَوْلُهُ: (فَجَدَّعَ): دَعَا عَلَيْهِ بِقَطْعِ الْأَنْفِ، وَنَحْوِه.

فَصْلٌ: فِي نِدَاءِ مَنْ لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ

عَنِ ابْنِ الْخَصَاصِيَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَظَرَ فَرَأَى رَجُلاً يَمْشِي فِي الْقُبُورِ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ، وَيْحَكَ أَلْقِ سِبْتِيَّتَيْكَ. فَنَظَرَ الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَرَمَى بِهِمَا).

عَنْ جارِيَةَ، -الْجِيمِ وَالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ-، (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذا لَمْ يَحْفَظِ اسْمَ الرَّجُلِ، قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ).

عَنْ حُمَيْدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْوَرْدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (رَآنِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآنِي رَجُلٌ أَحْمَرُ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُو الْوَرْدِ)

وَعَن الصِّدِّيق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (إنه مَرَّ بِهِ إِنْسَانٌ، وَمَعَه ثَوْب، قَال: يَا صَاحِبَ الثَّوْبِ، أتبيعه، فَقَال: لَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَال: لَا، وَيَرْحَمُكَ اللَّهُ).

فَيَنْبَغِي أَنْ يُنَادِيَ مَنْ لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ، بِمَا لَا يَتَأَذَّى بِهِ، وَلَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا مَلَقَ، كَيَا أَخِي، يَا فَقِيهُ، يا فَقِيرُ، يَا سَيِّدِي، يَا صَاحِبَ الشَّيْءِ الْفُلَانِيّ. وَنَحْو ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ حَالِهَا.

فَصْلٌ: يُكْرَهُ أَنْ يُنَادِيَ التَّبَع مَتْبُوعهُ بِاسْمِهِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى رَجُلًا مَعَهُ غُلَامٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: مَنْ هَذا؟، قَالَ: أَبِي. قَالَ: فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ).

وَعَنْ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ، الْعَبْدِ الصَّالِحِ، الْمُتَّفَقِ عَلَى صَلَاحِهِ، عُبَيْد اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ، -بِفَتْحِ الزَّايِ وَإِسْكَانِ الْحاءِ الْمُهْمَلَةِ-، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (يُقَالُ مِنَ الْعُقُوقِ، أَنْ تُسَمِّيَ أَبَاكَ بِاسْمِهِ، وَأَنْ تَمْشِي أَمَامهُ فِي طَرِيقٍ).

وَقَدْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى كَرَاهَةِ ذَلِك، وَمِثْلهُ الْمَرْأَة مَعَ زَوْجِهَا، وَالشَّخْص مَعَ أَخِيهِ الْكَبِيرِ، لِأَنَّهُ حُرْمَةٌ كَالْوَالِدِ. وَلَيْس ذَلِكَ شَأْن الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَخْيار، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. إِذْ قَالَ يُوسُفُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ رَسْلَانَ: (وَعَدَّهُ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ، مِنَ الْأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ لِلْفَقْرِ).

فَصْلٌ: فِي تَرْخِيمِ الِاسْمِ وَتَصْغِيرِهِ إِذَا لَمْ يَتَأَذَّى بِهِ: قَدْ ثَبَتَ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ صَحِيحَةٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَخَّمَ وَصَغَّرَ أَسْمَاءَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَمِنْ ذَلِكَ: (يَا أَبَا هِرٍّ). وَلِعَائِشَةَ: (يَا عَايِشُ) وَ(يَا عُوَيِّشُ). وَلِأَنْجَشَةَ: (يَا أَنْجَشُ). وَلِعُثْمَانَ: (اكْتُبْ عُثَيْمُ). وَلِشَبِيبٍ: (يَا شُبَيْبُ). وَلِأُسَامَةَ: (يَا أُسَيْمُ). وَلِلْمِقْدَادِ: (يَا قُدَيْمُ).

وَحَدِيثُهُ عَنْ جَدِّهِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ كَرِبَ، (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ، إِنْ مِتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا جَابِيًا وَلَا عَرِيفًا).

فَصْلٌ: فِي تَسْمِيَةِ الْأَعْمَى بَصِيرًا: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الْبَصِيرِ، الَّذِي فِي بَنِي وَاقِفٍ نَعُودُهُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى).

فَصْلٌ: فِي الْكُنْيَةِ وَالْكُنَى

إِنَّ هَذَا الْبَابَ أَشْهُر أَنْ يُذْكَرَ، والسُّنَّةُ مَمْلُوءَةٌ بِذَلِكَ وَالْأَثَرُ، وَعَلَيْهِ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ. وَقَد كَنَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِلصَّدِيقِ، فِي قِصَّةِ الْغَارِ: (يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا). وَقَوْلُهُ لِعُمَرَ: (يَا أَبَا حَفْصٍ، أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ بِأَبِي حَفْصٍ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

فَيُسْتَحَبُّ التَّكَنِّي لِأَهْلِ الْفَضْلِ، وَالْأَوْلَى التَّكَنِّي بِأَكْبَرِ الْأَوْلَادِ، والتَّكْنِيَةُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَكْبَرِ أَوْلَادِهِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَسَيَأْتِي حَدِيثُ أَبِي شُرَيْحٍ فِي ذَلِكَ.

وَعَنْ أُمِّ عَيَّاشٍ، قَالَتْ: (وَلَدَتْ رُقَيَّةُ لِعُثْمَانَ غُلَامًا، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَ اللَّهِ، وَكَنَى عُثْمَانَ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ).

وَيَجُوزُ التَّكَنِّي بِغَيْرِ الْأَوْلَادِ، ومَكْنِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ، وَعُمَر بِأَبِي حَفْصٍ، وَعَلِيّ بِأَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْر ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَلَقَدْ كَانَتْ لِلصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُنَى قَبْلَ أَنْ يُولَدَ لَهُمْ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَنَّاهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَلَمْ يُولَدْ لَهُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ: فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللَّهِ). قَالَ الرَّاوِي: يَعْنِي بِابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ،

وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تُكْنَى أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. أَمَّا مَا رُوِيَ عَنْهَا، أَنَّهَا أَسْقَطَتْ مِنَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِقْطًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَنَّانِي أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، ضَعِيفٌ.

فَالتَّكْنِيَّةُ مَطْلُوبَةٌ، وَلَوِ الْمُكَنَّى صَغِيرًا، (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَادِرُوا بِكُنَى أَوْلَادِكُمْ، قَبْلَ أَنْ تُسْرِعَ إِلَيْهِمُ أَلْقَابُ السُّوءِ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ، يُقَالُ لَهُ عُمَيْرٌ، -قَالَ الرَّاوِي: أَحْسَبُهُ قَالَ: فَطِيمٌ-، وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا جَاءَ يَقُولُ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟، أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟. نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ).

وَلَا بَأْسَ بِالتَّكَنِّي بِأَبِي فُلَانٍ، أَوْ أَبِي فُلَانَة، أَوْ بِأُمِّ فُلَان، أَوْ أُمٍّ فَلَانَة. لِمَا جَاءَ مِنَ السُّنَّةِ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ الْأُمَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ كَانَ لِلُقْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَلَاث كُنَى: أَبُو عُمَرَ، وَأَبُو لَيْلَى، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ. وَهَذَا الْبَابُ وَاسِعٌ جِدًّا.

وَلَا بَأْسَ بِتَغْيِيرِ الْكُنْيَةِ. فَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ بْنِ هَانِئٍ الْحَارِثِي الصَّحَابِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ قَوْمِهِ، سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟، قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، (أَنَّ رَجُلا كَانَ اسْمُهُ أَسْوَدَ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبْيَضَ). (أَنَّ ابْنًا، لِعُمَرَ، تَكَنَّى أَبَا عِيسَى، فَنَهَاهُ عُمَرُ. وَقَالَ: إِنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ). (كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الْكَعْبَةِ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي، فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ).

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ، فَمَذْهَبُنَا وَمَالِكٌ، جَوَاز التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ، مُطْلَقًا، وَبِهِ قَالَ النَّوَوِيُّ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا مُطْلَقًا. وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ لِمَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَيَجُوزُ لِغَيْرِهِ. وَاخْتَارَهُ الرَّافِعِيُّ وَالْإِسْنَوِيُّ. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِي فَلَا يُكَنِّي بِكُنْيَتِي، وَمَنِ اكْتَنَى بِكُنْيَتِي فَلَا يَتَسَمَّى بِاسْمِي).

وَعَن مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنَفِيَّة، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي وَلَدٌ بَعْدَكَ، أُسَمِّيهِ مُحَمَّد، وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَلِيٍّ).

وَدَلِيلُنَا وَمَالِكٌ، إِطْبَاقُ النَّاسِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّكَنِّي بِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِحَيَاتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِئَلَّا يَتَكَنَّى بِهَا الْيَهُود، فَيُؤْذُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَذِنَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ، وَفِي ذَلِكَ إِذْنًا صَرِيحًا. وَكَنَّى أَيْضًا بِذَلِكَ.

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، (أَتَى بِهِ أَبُوهُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ، وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا، وَكَنَّاهُ بِأَبِي الْقَاسِمِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ وَلَدْتُ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا، وَكَنَّيْتُهُ أَبَا الْقَاسِمِ، فَذُكِرَ لِي أَنَّكَ تَكْرَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي، وَحَرَّمَ كُنْيَتِي. أَوْ مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنْيَتِي، وَأَحَلَّ اسْمِي).

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَبْنَاءِ وُجُوهِ الصَّحَابَةِ، تَكْنُوا بِذَلِكَ مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ الأَشْعَثِ، مُحَمَّدُ بْنُ التنشر. فَهَؤُلاءِ كُلُّهُمْ كُنَّوا بِذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَيَجُوزُ تَكْنِيَةُ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ وَالْمُبْتَدِعِ، إِذَا لَمْ يُعْرَفْ إِلَّا بِهَا، وَخِيفَ فِتْنَةٌ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. ذَكَرَهَا بِهَا لِكَوْنِهِ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ. وَلِكَرَاهَةِ اسْمِهِ، لِأَنَّهُ عَبْدُ الْعُزَّى.

وَقَد كَنَّى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابْنُ أَبِي سَلُولٍ بِأَبِي الْحُبَابِ، (وَقَالَ لِأُسْقُفِ نَجْرَانَ: أَسْلِمْ أَبَا الْحَارِثِ). (وَقَالَ: هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ). وَقَدْ ثَبَتَ فِي أَحَادِيثٍ تَكْنِيَةُ أَبِي طَالِبٍ.

وَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِنَصْرَانِيٍّ: (يَا أَبَا حَسَّانَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ). وَهَذَا تَأَلُّفٌ لِلْإِسْلَامِ، وَإِلَّا فَلَا يُكَنَّى الْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ، فَإِن كَنَّى بِكُنْيَةٍ قَبِيحَةٍ، وَرَعًا لَهَا وَزَجْرًا، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَصْلٌ: فِي تَلْقِيبِ الأَلْقَابِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرْفُوعًا: (مَا مِنْ رَجُلٍ رَمَى رَجُلًا بِكَلِمَةٍ، يَشِينُهُ بِهَا، إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي طِينَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا). وَعَنْ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ، الصَّحَابِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (مَنْ دَعَا رَجُلًا بِغَيْرِ اسْمِهِ، لَعَنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ). رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي [عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ] مَرْفُوعًا.

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ التَّلْقِيبِ بِمَا يَكْرَهُ، سَوَاءٌ كَانَ صِفَةً لَهُ، كَالْأَعْمَشِ، وَالْأَعْرَجِ، وَالْأَعْمَى، وَالأَبْرَصِ، وَالْأَجْزَمِ، وَالْأَصَمِّ، وَالْأَبْكَمِ، وَالْمُقْعَدِ، وَالزَّمِنِ، وَنَحْوِهِ، أَوْ لِغَيْرِهِ، مِمَّا يَلْحَقُهُ ذَلِكَ، كَابْنِ الأَفْطَسِ، وَالْأَشْتَرِ وَالْأَقْطَعِ، وَنَحْوِهِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ، لِلتَّعْرِيفِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يُكْرَهُ إِذَا لَمْ يَكْرَه، إِذَا أَمِنَ الْإِطْرَاء.

وَيُسْتَحَبُّ التَّلْقِيبُ بِاللَّقَبِ الْحَسَنِ. فَقَدَ لَقَّبَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا).

وَقِيلَ: فِي وَجْهِ تَلْقِيبِهِ غَيْر ذَلِكَ، وَمِنْ أَلْقَابِهِ: الصِّدِّيقُ، وَالْأَوَّاهُ، وَذُو الْخَلَّالِ، وَأَمِيرُ الْمَسَاكِينِ. وَلُقِّبَ عُمَرَ بِالْفَارُوقِ، وَعُثْمَانَ بِذِي النُّورَيْنِ، وَعَلِيًّا بِأَبِي تُرَاب، وَحَمْزَة بِأَسَدِ اللَّهِ، وَجَعْفَرٌ بِذِي الْجَنَاحَيْنِ.

وَكَانَ الخِرْبَاق فِي يَدَيْهِ طُولٌ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُوهُ بِذِي الْيَدَيْنِ، وَلُقِّبَتْ قَبِيلَتَيْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِالْأَنْصَارِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى خُلَفَائِهِمْ.

وَعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمٍ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْجِبُهُ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ، بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَحَبِّ كُنَاهُ).

فَصْلٌ: فِي تَوَابِعِ مَا سَبَقَ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: (وَجَدْتُ فِي كِتَابِ جَدِّي، الَّذِي حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا أَفْصَحَ أَوْلَادُكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ لَا تُبَالُوا مَتَى مَاتُوا، وَإِذَا أَثْغَرُوا، فَمُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا أَفْصَحَ فَعَلِّمَه هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِي، قَالَ: (كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يُلَقِّنُوا الصَّبِيَّ، حِينَ يُعَرِّبُ، أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ). وَقَالَ فِي [خِزَانَةِ الْأَكْمَلِ]: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلَقِّنُوا الطِّفْلَ، فِي ابْتِدَاءِ طَلَاقِ لِسَانِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ، لِيَكُونَ أَوَّل هَذْيِهِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللهُ لَهُ: وَيَنْبَغِي أَوَّلُ إِفْصَاحِهِ بِلَفْظِ الْجَلَالَة فَقَطْ، لِأَنَّهَا الَّتِي يُمْكِنهُ الْقُدْرَة عَلَيْهَا، لِعَدَمِ التَّرْكِيبِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَدِّبُوا أَوْلَادكُمْ عَلى ثَلاثِ خِصَالٍ: حُبّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ أَهْل بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاّ ظِلُّهُ، مَعَ أَنْبِيائِهِ وَأَصْفِيائِهِ).

وَيَنْبَغِي الدُّعَاءُ لِلْأَوْلَادِ وَالزَّوْجَةِ وَالتَّبع بِالصَّلاحِ. وَإِذَا زَوَّجَ وَلَدَهُ، فَلْيَقُلْ مَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا جَعَلَكَ اللَّهُ عليَّ فِتْنَةً فِي الدُّنيا، وَلَا فِي الآخِرَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ).

وَفِي أُخْرَى: (إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيراً، فلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنامِهِ، ولْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ثَوْبًا بِدِينَارٍ، أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، إِلَّا لَمْ يَبْلُغْ رُكْبَتَيْهِ، حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ).

(اضْرِبُوا عَلَى الصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاعْزِلُوا فِرَاشَهُ لِتِسْعٍ، وَزَوِّجُوهُ لِسَبْعَ عَشْرَةَ إِنْ كَانَ، فَإِذَا فَعَلَ فَلْيُجْلِسْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: لَا جَعَلَكَ اللَّهُ عَلَيَّ فِتْنَةً فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ).

فَصْلٌ: فِي الأَذْكَارِ الْمُتَفَرِّقَةِ

هَذَا الْبَابُ لَا ضَابِطَ لَهُ، وَلَا تَرْتِيبَ فِيهِ.

فَصْلٌ: فِي الذِّكْرِ عِنْدَ الْبِشَارَةِ

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، أَنَّهَا قَالَتْ: (فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ، كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ).

وَفِي حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَرْسَلَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِلَى عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يَسْتَأْذِنُهَا أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ عُمَرُ: مَا لَدَيْكَ ؟، قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذِنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يُسَرُّ بِهِ، خَرَّ سَاجِدًا، شَاكِرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَجَدَ وَأَطَالَ فِي سُجُودِهِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذلِكَ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ، أَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْراً، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ).

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، عِنْدَ الْبِشَارَةِ بِمَا يَسُرُّ.

وَاسْتَحَبَّ أَبُو يُوسُفَ وَالشَّافِعِيُّ، أَنْ يَسْجُدَ شُكْرًا، وَلَمْ يَرَهَا أَبُو حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. بَلْ أَقَلّ ذَلِكَ عِنْدَهُ رَكْعَتَانِ، وَاسْتَحْسَن قَوْلهُمَا بَعْض الْمَشَايِخِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: تُكبّر بَعْدَ الصَّلَاةِ، لِخَوْف اعْتِقَادِ وُجُوبِهَا، أَو سُنِّيَّتِهَا.

فَصْلٌ: مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ صِيَاحَ الدِّيكِ وَنَهِيقَ الْحِمَارِ وَنُبَاحَ الْكَلْبِ وَهَدِيرَ الْحَمَّامِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ،، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا نَهِقَ الْحِمَارُ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). وَفِي أُخْرَى: (لَنْ يَنْهَقَ الْحِمَارُ حَتَّى يَرَى شَيْطَانًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلُّوا عَلَيَّ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ، مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْوَحْشَةَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَ حَمَامٍ، يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَ هَدِيلِهِ).

(تَتِمَّةٌ): اتِّخَاذُ الدِّيكِ مَطْلُوبٌ، خُصُوصًا الْأَبْيَض. فَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (اتَّخِذُوا الدِّيكَ الْأَبْيَضَ، فَإِنَّ دَارًا فِيهَا دِيكٌ أَبْيَضُ، لَا يَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ، وَلَا سَاحِرٌ، وَلَا الدُّوَيرَاتُ حَوْلَهَا).

وَفِيهِ: (الدِّيكُ يُؤذِنُ بِالصَّلاةِ، مَنِ اتَّخَذَ دِيكًا أَبْيَضَ، حُفِظَ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَساحِرٍ وَكاهِنٍ). وَفِيهِ: (الدِّيكُ الْأَبْيَضُ صَدِيقِي، وَصَدِيقُ صَدِيقِي، وَعَدُوُّ عَدُوِّي، يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ، وَتِسْعَ دُورٍ حَوْلَهَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (عَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ، يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ، وَسَبْعَ دُورٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الدِّيكُ الْأَبْيَضُ الْأَفْرَقُ حَبِيبِي، وَحَبِيبُ حَبِيبِي جِبْرِيلَ، يَحْرُسُ بَيْتَهُ، وَسِتَّةَ عَشَرَ بَيْتًا مِنْ جِيرَانِهِ: أَرْبَعَةٌ عَنِ الْيَمِينِ، وَأَرْبَعَةٌ عَنِ الشِّمَالِ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ قُدَّامَ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ خَلْفٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ).

فَيَنْبَغِي اتِّخَاذُهَا لِذَلِكَ، وِلِخَصَائِص مِنْهَا مَعْرِفَةُ الْوَقْتِ اللَّيْلِيِّ، لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ. إِذْ لَا تَخْتَلِفُ أَوْقَاتُهُ الْمُعْتَادَةِ، طَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَ.

أَمَّا الْحِمَارُ وَالْكَلْبُ فَلَا بَأْسَ بِاتِّخَاذِهِمَا لِحَاجَةٍ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهَا السُّنَّة، وَعَلَيْهِ عَمَلُ الْأُمَّة.

وَأَمَّا الْحَمَّامُ فَذَلِكَ لِمَا مَرَّ. وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (اتَّخِذُوا هَذِهِ الْحَمَامَ الْمَقَاصِيصَ، فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّهَا تُلْهِي الْجِنَّ عَنْ صِبْيَانِكُمْ). وَلَكِنْ يَجُوزُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ حَرَمِ مَكَّةَ عِنْدَنَا.

وَمِمَّا يُتَّخَذُ الْغَنَم، فَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (اتَّخِذُوا الغَنَمَ فَإِنَّهَا بَرَكَةٌ). وَفِيهِ: (عَلَيْكُمْ بِالْغَنَمِ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ ، فَصَلُّوا فِي مُرَاحِهَا، وَامْسَحُوا رُغَامَهَا).

وَفِيهِ: (مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، عِنْدَهُمْ شَاةٌ، إِلَّا وَفِي بَيْتِهِمْ بَرَكَةٌ). وَفِيهِ: (مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، تَرُوحُ عَلَيْهِمْ ثُلَّةٌ مِنَ الْغَنَمِ، إِلاَّ بَاتَتِ المَلَائِكَةُ، تُصَلِّي عَلَيْهِمْ حَتَّى تُصْبِحَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْحَرِيقِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ يُطْفِئ النَّار). وَفِي رِوَايَةٍ: (أُطْفُوا الْحَرِيقَ بِالتَّكْبِيرِ). وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءِ الْكَرْبِ، وَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ.

وَذَكَرَ الطَّبَرَانِيُّ فِي [تَفْسِيرِهِ]: (إِذَا كَتَبْتَ أَسْمَاءَ أَهْلِ الْكَهْفِ، فِي شَيْءٍ، وَأُلْقِيَ فِي الْحَرِيقِ، طُفِي، وَهِي: مَكْسَلْمِينَا، وَتَمْلِيخَا، وَمَرْطُونَس، وَبَنْيُونَس، وَسَارَيُونَس، ودَنْوَانَس، وَكِينشيطيونَس، وَهُوَ الرَّاعِي، وَاسْمُ الْكَلْبِ قِطْمِيرٌ، وَإِنْ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَأَحَاطَتْ بِهِ، قَالَ مَا قَالَ الْخَلِيلُ، عَلَى نَبِيِّنَا، وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبُنَا اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

فُصْلٌ: فِي ذِكْرِ الْمَجْلِسِ وَالْقِيَامِ مِنْهُ

الذِّكْرُ فِيهِ مَطْلُوبٌ، وَتَرْكُهُ مَذْمُومٌ، وَتَقَدَّمَ أَوَّلُ الْكِتَابِ أَحَادِيثُ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ. (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا، لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا قَطُّ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَلَّ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ، حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ، مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، –وَفِي رِوَايَةٍ: (مَعَاصِيكَ)–، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، –وَفِي رِوَايَةٍ: (مُصِيبَاتِ)–. اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا).

وَعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، (أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ مَجْلِسًا، كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَكُنْ، إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ،

وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ طَاعَتِكَ، مَا يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتَكَ، وَارْزُقْنِي خَشْيَتِكَ، مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ رَحْمَتَكَ، وَارْزُقْنِي مِنَ الْيَقِينِ، مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي، اللَّهُمَّ اجْعَل ثَأْرِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ عَادَانِي، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، اللَّهُمَّ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي. فَسُئِلَ عَنْهُنَّ ابْنُ عُمَرَ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْتِمُ بِهِنَّ مَجْلِسَهُ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى صَلَاةً، تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ، كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ).

وَفِي [الْجَامِعِ]: عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، لَا يَقُولُهُنَّ مِنْ أَحَدٍ، حِينَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ، فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ).

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهَا، فِي أَوَّلِهِ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ). وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْن أَبِي الْعَاصِ نَحْوهَا.

وَروَتْ عَائِشَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِلاّ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاث مَرَّاتِ. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَلَفْظهُ: (إِذا جَلَسَ أَحدكُمْ فِي مجْلِسٍ فَلَا يَبْرَحَنَّ مِنْهُ، حَتَّى يَقُول ثَلَاث مَرَّات: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ).

وَرَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ (مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، كَثُرَ فِيهِ لَغطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غفرَ اللَّهُ لَهُ، مَا كَانَ فِي مَجْلِسهِ ذَلِكَ).

وَنَحْوهُ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَخَرَةٍ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَض، قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ كَلِمَاتٌ أَحْدَثْتَهُنَّ؟، قَالَ: أَجَلْ، جَاءَنِي جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هُنَّ كَفَّارَاتُ الْمَجْلِسِ). قَوْلُهُ: (بِأَخَرَةٍ)، بِفَتْح الْهَمْزَةِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَة، وَبِالْقَصْرِ فِي أُخْرَى.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ، فَخَاضُوا فِي حَدِيثٍ، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ يَتفَرَّقُوا، إِلَّا غفرَ اللَّهُ لَهُمْ مَا خَاضُوا فِيهِ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَشْرًا، إِلَى خَمْسَ عَشْرَةَ).

وَعَنْ ابْنِ نَاسِخ الْحَضْرَمِيّ، (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ، اسْتَغْفَرَ عِشْرِينَ مَرَّةً، فَأَعْلَنَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ عَنْهُنَّ؟، فَقَالَ: أُمِرْتُ بِهِنَّ).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ، بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَقْرَأْ آخِرَ مَجْلِسِهِ، أَوْ حِينَ يَقُومُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢]).

وَرَوَاهُ الشَّعْبِيُّ مُرْسَلاً، (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، فَلْيَقُلْ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ فِي الطَّرِيقِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا سَلَكَ رَجُلٌ طَرِيقًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا مَشَى أَحَدِكُمْ مِنْ مَشْيٍ، لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَتَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ بِتَبُوكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْهَدْ جَنَازَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيِّ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَوَضَعَ جَنَاحَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى الْجِبَالِ، فَتَوَاضَعَتْ، وَوَضَعَ جَنَاحَهُ الْأَيْسَرَ عَلَى الْأَرْضِ، فَتَوَاضَعَتْ، حَتَّى نَظَرَ

إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وَجِبْرِيلُ وَالْمَلائِكَةُ، عَلَيْهِمْ السَّلامُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، بِمَا بَلَّغَ مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ؟، قَالَ: بِقِرَاءَتِهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قَائِمًا وَقَاعِدًا وَرَاكِبًا وَمَاشِيًا).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيِّ؛ أَفَتُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَ بِجَنَاحَيْهِ الأَرْضَ؛ فَلَمْ تَبْقَ شَجَرَةٌ وَلا أَكَمَةٌ، إِلَّا تَضَعْضَعَتْ، وَرُفِعَ سَرِيرَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَخَلْفَهُ صَفَّانِ مِنَ الْمَلائِكَةِ، فِي كُلِّ صَفٍّ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا جِبْرِيلُ، بِمَ نَالَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنَ اللَّهِ؟، قَالَ: بِحُبِّهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَقِرَاءَتِهِ إِيَّاهَا جَائِيًا وَذَاهِبًا، وَقَائِمًا وَقَاعِدًا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (سِتُّونَ أَلْفَ مَلَكٍ).

وَرِوَايَات هذَا، وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً، فَفِي بَابِهَا كَافِيَة.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: (قَالَ أَهْلُ الْعَالِيَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَابُدَّ لَنَا مِنَ الْمَجَالِسَ، قَالَ: فَأَدُّوا حَقَّ الْمَجَالِسِ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الْمَجَالِسِ؟، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ كَثِيرًا، وَإِرْشَاد السَّبِيلِ، وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ).

وَقَدْ نَظَمَ آدَابَ الطَّرِيقِ، الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، وَأَوْصَلَهَا إِلَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَدَبًا مِنَ الْأَحَادِيثِ، فَقَالَ:

جَمَعْتُ آدَابَ مَنْ رَامَ الْجُلُوس عَلَى ... الطَّرِيقِ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَانَا

افْشِ السَّلامَ وَأَحْسِنْ فِي الْكَلامِ ... وَشَمِّتْ عَاطِسًا وَسَلامًا رُدَّ إِحْسَانَا

فِي الْحَمْلِ عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِنْ ... وَأَغِثْ لَهْفَانًا اهْدِ سَبِيلاً وَاهْدِ حَيْرَانَا

بِالْعُرْفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكْرٍ وَكُفَّ أَذَى وَغُضَّ طَرَفًا وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلَانَا

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ فِي السُّوقِ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ). رَوَاهُ الْحَاكِمُ مِنْ طُرُقٍ، وَزَادَ فِي طَرِيقٍ: (وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ).

وَفِي أُخْرَى: (أَنَّ مُحَمَّدًا بْنَ وَاسِعٍ، أَحَدُ رُوَاتِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَيْتُكَ بِهَدِيَّةٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَكَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ يَرْكَبُ فِي مَوْكِبِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ السُّوقَ، فَيَقُولُهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ). وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرْفُوعًا.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ، وَغَيْرُهُمْ، يَدْخُلُونَ السُّوقَ، قَاصِدِينَ لِنَيْلِ فَضِيلَةِ هَذَا الذِّكْرِ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ اللَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَيْ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَيْ أَلْفِ دَرَجَةٍ).

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ السُّوقَ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ فِيهَا، يَمِينًا فَاجِرَةً، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً).

وَعَنْ أَبِي سِنَانٍ، قَالَ: (أَتَى رَجُلٌ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَشَكَى إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا أَكَادُ أَشْتَرِي شَيْئًا، إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ، وَمَا أَرْبَحُ شَيْئًا، حَتَّى اشْتَدَّ حَالِي، وَضَاقَ ذَرْعِي، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: إِنِّي أَقُولُ لَكَ، قَالَ فُلَانٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دُونَكُمْ الغنمة الْبَارِدَة، مَنْ دَخَلَ مِنْكُمْ السُّوقَ، فَلَا يَتَوَسَّطُهَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ فِي وَسَطِهَا، وَلَا يَضْرِبُ يَدهُ إِلَى شِرَاءٍ وَلَا بَيْعٍ، حَتَّى يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ اللَّغْوِ، وَالْفِسْقِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِي السُّوقِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ كَاذِبَةٍ، أَوْ يَمِينٍ فَاجِرَةٍ، أَوْ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ. اللَّهُمَّ أَنِّي لَا آخُذُ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَ، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وُقِيتَ، أَقْضِي إِلَيَّ الْخَيْر، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْأَلُكَ بُشْرَى يَوْمِي هَذَا، وَفَرْحَةً وَمَغْفَرَةً. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ هَذَا فِي السُّوقِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ عَشَر نَسَمَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ أَلْف حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ أَلْفُ دَرَجَةٍ، وَرَأَى الْبَرَكَةَ فِي تِجَارَتِهِ، وَجُنِّبَ الْغِنَى).

وَقَالَ الْحَسَنُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (ذِكْرُ اللَّهِ فِي السُّوقِ، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوَّلُ ضَوْءٍ كَضَوْءِ الْقَمَرِ، وَبُرْهَان كَبُرْهَانِ الشَّمْسِ، وَمَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي السُّوقِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ أَهْلِهَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ الْجَارِيَةَ، أَوِ الْغُلَامَ، أَوِ الدَّابَّةَ، فَلْيَأْخُذْ نَاصِيَتَهُ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ، وَخَيْرَ مَا

جُبِلَ عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ). وَفِي أُخْرَى: (إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيراً، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ثَوْبًا بِدِينَارٍ، أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ حِينَ يَلْبَسُهُ، إِلَّا لَمْ يَبْلُغْ رُكْبَتَيْهِ، حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَجَاءَهُ مَالٌ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ).

وَتَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: (مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِنٌّ مِنَ الْإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ. فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهُ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَفَّى اللَّهُ بِكَ). وَفِي أُخْرَى: (أَوْفَاكَ اللَّهُ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ مِنْ سُوقِهِ، أَنْ يَقْرَأَ عَشَرَ آيَاتٍ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً).

فَصْلٌ: فِي اسْتِحْبَابِ قَوْلِ: (أَصَبْتَ) وَ(أَحْسَنْتَ) لِمَنْ فَعَلَ فِعْلاً حَسَنًا

فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟، قُلْتُ: ثَيِّبًا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ. أَوْ قَالَ: تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟. قُلْتُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ -يَعْنِي أَبَاهُ- تُوفِّيَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ أَوْ سَبْعًا-، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ، تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، وَتُصْلِحُهُنَّ، قَالَ: أَصَبْتَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي مُوسَى: بِمَ أَهْلَلْتَ؟، فَقُلْتُ: لَبَّيْتُ بِإِهْلَالٍ كَإِهْلَالِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنْتَ).

وَعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ رَجُلٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ: أَجِبْ عَنِّي، فَكَتَبَ جَوَابَهُ، ثُمَّ قَرَأَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يُشَاوِرُهُ).

وَقَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ، لَمَّا مَالَ عَنْ بَعِيرِهِ وَرغمه: (حَفِظَكَ اللَّهُ).

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ حِينَ أَتَاهُ، وَأَنْشَدَ:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجُدُودَنَا ... وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

(فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى؟، قُلْتُ: إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى). فَلَمَّا أَنْشَدْتُهُ:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ   أَرِيبٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

(فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ). قَالَ: (وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، وَكَانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ نَبَتَتْ. وَكَانَ ثَغْرُهُ يَتَلَأْلَؤُ وَيُبْرِقُ، وَعَاشَ مِائَةَ وَاثْنَيْ عَشَرَةَ سَنَةً).

فَصْــلٌ: عَنْ ابْنٍ لِكِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: (ضَحِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: (اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُنَّ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَدَخَلَ عُمَرُ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ، تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي، وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا، قُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

زَادَ فِي رِوَايَةٍ: (ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلأَخِ فِي اللَّهِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَمِمَّنْ هُوَ، فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ). وَفِي رِوَايَةٍ بَعْدَ (أَبِيهِ): (وَمَنْزِلَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ). وَفِي أُخْرَى: (إِذَا آخَيْتَ رَجُلاً، فَسَلْهُ عَنِ اسْمِهِ، واسْمِ أَبِيهِ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا حَفِظْتَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ شَهِدْتَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ).
وَفِي رِوَايَةٍ: (فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ).

عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْلَمْتَهُ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ لَهُ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، تَقُولُهَا: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

(قَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ، ثُمَّ حَوَّلَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُحِبَّ فِيكَ، وَأَنْتَ لِي مُبغِضٌ).

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا آخَى أَخَا فِي اللَّهِ، أَخَذَ بِيَدِهِ، فَاسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شُهَدَاءَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْعَلْ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْنَا شَهِيدًا بِالْإِيمَانِ، وَقَدْ سَبَقَتْ لَنَا مِنْكَ الْحُسْنَى، غَيْرَ مَغْلُولٍ عَلَيْنَا، وَلَا قَاسِيَةٍ قُلُوبُنَا، وَلَا قَائِلِينَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، وَلَا سَائِلِينَ مَا لَيْسَ لَنَا بِعِلْمٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحْبَبْتَ رَجُلًا فَلَا تُمَارِهِ، وَلَا تُشَارِهُ، وَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ أَحَدًا، فَعَسَى أَنْ تُوَافِي لَهُ عَدُوًّا فَيُخْبِرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَيُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ). وَلِبَعْضِهِمْ شِعْرٌ:

خَالِقِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِ الرِّضَا   تَمْلِكُ الْأَحْرَار مِنْ غَيْرِ ثَمَنْ
لَا تَقُلْ فِي الْحِلْمِ جَهْلٌ   فَازَ أَهْلُ الْحِلْمِ فِي كُلِّ زَمَنْ

فِصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ كَظْمِ الْغَيْظِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. قَالَ: (الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوا عُصِمُوا، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا). وَفِي أُخْرَى: (مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ، عِنْدَ الْغَضَبِ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَآذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ).

وَمِنْ صِفَاتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لا يَغْضَبُ إِلَّا للهِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا صَلاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا، وَقَالَ فِيمَا قَالَ: أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ، خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ، مِنْهُمُ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ، بَطِيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفَيْءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْكُتْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ، وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩- ٢٠٠]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، سَكَنَ غَضَبُهُ).

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ). وَرَوَى نَحْوَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: (يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ.. إِلَخ. قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأْمُرُهُ، فَأَبَى وَضَحِكَ، وَجَعَلَ يَزْدَادُ غَضَبًا).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا غَضْبَى، فَأَخَذَ بِطَرَفِ الْمِفْصَلِ مِنْ أَنْفِي، فَعَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُوَيِّشُ، قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ).

وَعَنْهَا قَالَتْ: (كُنْتُ إِذَا غَضِبْتُ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِطَرْفِ أَنْفِي. قَالَ: يَا عُوَيِّشُ، قُولِي: وَرَبَّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، أَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ).

وَيَنْبَغِي إِذَا غَضِبَ إِنْسَانٌ، أَنْ يَقُولَ كَقَوْلِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ مَا فِي حَدِيثٍ، مِنْ قَوْلِهِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: سَلُونِي، فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: (فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ سَمِعَ قَوْلَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ ذَلِكَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَشَاطَ السُّلْطَانُ، تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ).

فَصْلٌ: فِي فُحْشِ اللِّسَانِ وَالْعَفْوِ وَالإِعْرَاضِ وَالصَّبْرِ

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَرْبَ لِسَانِي، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ). وَ(الذَّرْبُ): بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وَالرَّاءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فَمَا رُوِيَ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، سَأَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ، ثُمَّ ذَهَبَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ، كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ،

وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ، يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ).

وَعَنْهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ، مَا لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ).

وَلَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: (لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). وَمِنْ جَلِيلِ عَفْوِهِ، عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّتْهُ.

وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَافُوا تَسْقُطُ الضَّغَائِنُ بَيْنَكُمْ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تمَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْعُسْرَةِ).

وَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، حِينَ الْقِسْمَةِ: (إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ). لَمْ يَزِدْ فِي جَوَابِهِ، أَنْ بَيَّنَ لَهُ جَهْلَهُ، وَوَعَظَ نَفْسَهُ، وَذَكَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ: (وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ). وَنَهَى عَنْ قَتْلِهِ.

وَلَمَّا قَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، لِعُمَرَ: (هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ، حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ).

وَعَنْ عِصَامِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ، قَالَ: (دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَرَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَأَعْجَبَنِي سَمْتُهُ، وَحُسْنُ رُوَائِهِ، فَأَثَارَ مِنِّي الْحَسَدُ، مَا كَانَ يُجِنُّهُ صَدْرِي، لِأَبِيهِ مِنَ الْبُغْضِ، فَقُلْتُ: أَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: نَعَمْ، فَبَالَغْتُ فِي شَتْمِهِ، وَشَتْمِ أَبِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةَ عَاطِفٍ رَءُوفٍ، وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٩- ٢٠١]. ثُمَّ قَالَ لِي: خَفِّضْ عَلَيْكَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ، إِنَّكَ لَوْ اسْتَعَنْتَ بِنَا أَعَنَاكَ، وَلَوِ اسْتَرْفَدْتَنَا أَرْفَدْنَاكَ، وَلَوِ اسْتَرْشَدْتَنَا أَرْشَدْنَاكَ، فَتَوَسَّمَ فِيَّ النَّدَمَ، عَلَى مَا فَرَطَ مِنِّي، فَقَالَ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، أَمِنْ أَهْلِ الشَّأْمِ أَنْتَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ وَبَيَّاكَ، وَعَافَاكَ، انْبَسِطْ إِلَيْنَا فِي حَوَائِجِكَ، وَمَا يَعْرِضُ لَكَ، تَجِدْنَا عِنْدَ أَفْضَلِ ظَنِّكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ عِصَامٌ: فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ، بِمَا رَحُبَتْ، وَوَدِدْتُ أَنَّهَا سَاخَتْ بِي، ثُمَّ تَسَلَّلْتُ مِنْهُ لِوَاذًا، وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ).

وَهَذَا جُزْءٌ مِنْ عَظِيمِ حِلْمِ جَدِّهِ وَعَفْوِهِ. وَلَقَدْ كَانَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَصْلٌ: الدُّعَاءِ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ أَوْ ظَلَمَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ خَالَفَ حُكْمًا شَرْعِيًّا

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جِدًّا، جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ وَالسُّنَّةُ، وَعَمِلَ بِهِ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ، مِنْ الْأُمَّةِ. قَالَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْم الأَحْزَابِ: شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَأَجْوَافَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ).

(وَدَعَا عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا الْقُرَّاءَ، وَأَدَامَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِمْ شَهْرًا: اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ).

(وَجَاءَتْ الْحُمَّى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى رَعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ، فَأَتَتْهُمْ، فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ سَبْعَمِائَةٍ، بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَشَرًا).

وَحِينَ وَضَعُوا سَلَا الْجُذُورِ عَلَى ظَهْرِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، ثَلَاثًا، ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَبِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ بَدْرٍ، قَلِيبِ بَدْرٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً).

(وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ اُشْدُدْ وَطْأَتَك عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَ، مُخَالِفُونَ لَهُ).

(وَدَعَا عَلَى كِسْرَى، حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ، أَنْ يُمَزِّقَ اللهُ مُلْكَهُ).

وَدَعَا سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى مَنْ قَالَ فِي حَقِّهِ: (كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ). قَالَ سَعْدٌ: (أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ). فَكَانَ بَعْد ذَلِكَ يَقُولُ: (شَيْخٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْهُ دَعْوَةُ سَعْدٍ).

قَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رَأَيْتُهُ بَعْد ذَلِكَ، شَيْخٌ كَبِيرٌ، سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي، فِي الطَّرِيقِ فَيَغْمِزُهُنَّ).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ، قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (قَدْ بَلَغَ عُمَرًا، أَنَّ فُلَانًا بَاعَ خَمْرًا، فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ فُلَانًا، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَجَمَلُوهَا)، بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ وَمِيمٍ خَفِيفَةٍ: أَيْ إِذَا أَبْوْهَا.

فَصْلُ: التَّبَرِّي مِنَ الْعُصَاةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]. وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، قَالَ: (وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَرِيءَ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ). وَ(الصَّالِقَةُ): الَّتِي تَصِيحُ بِشِدَّةٍ، وَ(الْحَالِقَةُ): الَّتِي تَحْلِقُ رَأْسَهَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَ(الشَّاقَّةُ): الَّتِي تَشُقُّ ثِيَابَهَا.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْم أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ، مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، (فَقُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي). وَ(أُنُفٌ): بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالنُّونِ، بِمَعْنَى: مُسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا قَدَرٌ، وَهَذَا كَذِبٌ وَكُفْرٌ، بَلْ لَا شَيْءَ إِلَّا بِهِمَا، سِوَى ذَاتِهِ تَعَالَى.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَائِشَةَ: يَا عَائِشَةُ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، هُمْ أَصْحَابُ الْبِدَعِ، وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، وَلَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بِرَاءٌ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا رَأَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ، كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ، كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَصَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ، إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ).

وَفِي [الْجَامِعِ]: (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ، فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ).

وَاعْلَمْ يَا أَخِي، أَنَّ هَذَا النَّظَرَ، فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَرَاحَتِهِمَا، وَلَا يُوَفَّقُ لَهُ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْخَيْر. وَلَقَدْ فَشَى فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمَذْمُومِ مِنْهُ، وَهُوَ قَبِيحٌ أَيْ قَبِيح، حَتَّى يُؤَدِّيَ صَاحِبهُ الْإِشْرَاف عَلَى الْكُفْرِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ:

مُقَسِّمُ الرِّزْقِ هَلْ ضَاقَتْ بِي الْقِسَم ... مَا أَنْتَ مُتَّهَمٌ قُلْ لِي مَنْ ذَاكَ اتُّهِمُ
إِنْ كَانَ نَجْمِي نَحْسًا أَنْتَ مُنَجِّمُهُ ... وَأَنْتَ فِي الْحَالَتَيْنِ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
أَعْطَيْتَنِي حِكَمًا لَم تُعْطِنِي وِرقًا ... قُلْ لِي بِلَا وِرق هَلْ تَنْفَعُ الْحِكَمُ
فَخُذْ مِنَ الْعِلْمِ شَطْرًا وَأَعْطِنِي بَدَلًا ... وَلَا تَكِلْنِي إِلَى وُجُودِهِ عَدَمُ

فَانْظُرْ مَا رَوَى إِلَيْهِ النَّظَرُ الْقَبِيحِ، حَتَّى أَبْرَزَ مِنْهُ كَلامًا قَرِيبًا مِنَ الْكُفْرِ. وَلَقَدْ أَجَادَ، وَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ أَجَابَهُ، بِقَوْلِهِ:

قُلْ لِلَّبِيبِ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ الْقِسَم ... فِي الرِّزْقِ وَاشْعَلَتْ فِي صَدْرِهِ الْحِكَم
تُعَارِضُ اللهَ فِي أَحْكَامِهِ سَفَهًا ... واللَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ الْخَصْمُ وَالْحُكْم
لَمْ لَوْ كُنْتَ ذَا حِكَمٍ تَعْتَرِض حُكْمًا ... عَدْلُ الْقَضَاءِ حَكِيمٌ لَيْسَ يُتَّهَمُ
لَوْ نَظَرْتَ بِعَيْنِ الْعَقْلِ مُجْتَهِدًا ... لِمُعْدَمٍ مَا لَهُ مَالٌ وَلَا حُكْمُ

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِمَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا وَمُكَافَأَتِه

أَمَّا الْمُكَافَأَةُ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَحَادِيثُهَا، فِي أَذْكَارِ الْأَكْلِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى يَعْلَم أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ).

وَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (قَالَتْ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُول اللَّهِ، ذَهَبَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَحْسَنَ بَذْلًا لِكَثِيرٍ، ولَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ، وَلَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأ، فَقَالَ النَّبِيُّ: أَلَيْسَ تُثْنُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَتَدْعُونَ لَهُمْ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ بِذَاكَ).

عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (أَتَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟، فَأُخْبِرَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ). زَادَ الْبُخَارِيّ: (فِي الدِّينِ). قَالَ فِي [جَامِعِ الْأُصُولِ]: قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: وَحَكَى أَبُو مَسْعُودٍ، قَالَ: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ). قَالَ: لَمْ أَجِدْهُ فِي الْكِتَابَيْنِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ، قَالَ: (اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَفِيهِ شَعْرَةٌ، فَرَفَعْتُهَا، فَنَاوَلْتُهُ، فَقَالَ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ). قَالَ الرَّاوِي: (فَرَأَيْتُهُ ابْنَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ شَعَرَةٌ بَيْضَاءُ).

وَعَنْ قَتَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى أَعْدَادٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ لِسَيِّدِ الكَائِنَاتِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا، فَانْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ، حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ، مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ، حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ، مَالَ مَيْلَةً، هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟، قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ،

قَالَ: مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟، قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ، قَالَ: حَفِظَكَ اللَّهُ، بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى خَيْبَرَ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَيَا عَامِرُ، لَوْ أَسْمَعْتَنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ، فَنَزَلَ يَحْدُو بِهِمْ، يُذَكِّرُ: تَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَذَكَرَ شِعْرًا غَيْرَ هَذَا، وَلَكِنِّي لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟، قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْلَا مَتَّعْتَنَا بِهِ، فَلَمَّا صَافَّ الْقَوْمَ، قَاتَلُوهُمْ فَأُصِيبَ عَامِرٌ بِقَائِمَةِ سَيْفِ نَفْسِهِ، فَمَاتَ).

وَذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ السَّائِقُ؟، قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ، إِلَّا اسْتُشْهِدَ).

وَعَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْطَاهُ دِينَارًا لِيَشْتَرِيَ لَهُ شَاةَ أُضْحِيَّةٍ، فَاشْتَرَى بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَأَتَى النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشَاةٍ وَدِينَارٍ، فَدَعَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، فَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ، لَرَبِحَ فِيهِ).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي زَمَانِ الْقَيْظِ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَغْتَسِلُ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَتَرَهُ بِكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ،

مِنْ جَانِبِ الْكِسَاءِ، وَهُوَ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْتُرِ الْعَبَّاسَ، وَوَلَدَهُ مِنَ النَّارِ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْأَحْزَابِ، مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ اللَّيْلَةَ، جَعَلَهُ اللَّهُ رَفِيقًا لِمُحَمَّدٍ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ يَقُومُ، فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَأْتِنِي بِخَبَرِهِمْ، وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَرْجِعَ، قَالَ: فِي لَيْلَةٍ قُرَّةٍ شَدِيدَةِ الْقُرِّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى يَرْجِعَ).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: (جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَافِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ، فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ لِخَثْعَمَ، يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَةُ، وَيُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟، فَنَفَرْتُ إِلَيْهِ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِسٍ، مِنْ أَحْمَسَ، فَكَسَرْنَا، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَأَخْبَرْنَاهُ، فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَبَرَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ، وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (سَمِعَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: يَرْحِمَهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا).

وَعَنْهَا أَيْضًا، (تَهَجَّدَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ، يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَصَوْتُ عَبَّادٍ).

قَالَ: عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،إِذَا اجْتَهَدَ لِأَحَدٍ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ صَلَاةَ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلَا فُجَّارٍ).

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ؛ قَالَ: (قَالَ لِي أَنَسُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، تَدْرِي مَا كُنَّا نَقُولُ لِلرَّجُلِ، إِذَا أَحْسَنَ فِينَا؟، كُنَّا نَقُولُ لَهُ: جَعَلَ اللهُ عَلَيْكَ صَلاةَ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، وَلَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلا فُجَّارٍ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى زَمْزَمَ، وَهُمْ يَسْقُونَ، وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اعْمَلُوا، فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ).

وَتَقَدَّمَ دُعَاؤُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَنْ اسْتَقْرَضَ مِنْهُ. وَالنَّقْلُ فِي الْبَابِ كَثِيرٌ، وَعَلَيْهِ عَمْلُ الْكَافَةِ.

وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ). وَهَذَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا فَعَلَ بِهِ مَعْرُوفًا، فَلَا يَدْعُو لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَنَحْوِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَيَدْعُو لَهُ بِالْهِدَايَةِ وَالْعَافِيَةِ، وَكَثْرَة الْمَالِ وَالْوَلَدِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيْشًا، اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا، وَأْتِ بِهِمْ). وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ (اسْتَسْقَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَقَاهُ يَهُودِيٌّ، فَقَال لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَمَّلَكَ اللَّهُ، فَمَا رَأَى الشَّيْبَ حَتَّى مَاتَ).

فَصْـــلٌ: عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، نَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ، عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَه: أُقَاسِمَكَ مَالِي، وَأُنْزِلَ لَكَ عَنْ إِحْدَى امْرَأَتَيَّ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (أَمَرَ أَبِي بِخَزِيرَةٍ، فَصُنِعَتْ، ثُمَّ أَمَرَنِي، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ بِمَنْزِلِهِ، فَقَالَ: مَاذَا مَعكَ يَا جَابِرُ، أَلَحْمٌ ذَا؟، قُلْتُ: لَا، فَأَتَيْتُ أَبِي، فَقَالَ لِي: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَهُ يَقُولُ شَيْئًا؟، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، قَالَ لِي: مَاذَا مَعَكَ يَا جَابِرُ، أَلَحْمٌ ذَا؟، قَالَ لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَكُونَ اشْتَهَى اللَّحْمَ، فَأَمَرَ بِشَاةٍ لَنَا دَاجِنٌ، فَذُبِحَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَشُوِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَنِي، فَأَتَيْتُ بِهَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَاذَا مَعَكَ يَا جَابِرُ؟، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: جَزَى اللَّهُ الْأَنْصَارَ عَنَّا خَيْرًا، وَلَا سِيَّمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَسَعْدُ بْن عُبَادَةَ).

وَعَنْ أُمِّ حَكِيمِ بِنْتِ وَدَاعٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا جَزَاءُ الْغَنِيِّ مِنَ الْفَقِيرِ؟، قَالَ: النَّصِيحَةُ وَالدُّعَاءُ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالَ لِمَنْ أُهْدِي لَهُ بِهَدِيَّةٍ

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاةٌ، قَالَ: أَقْسِمِيهَا، فَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمُ، تَقُولُ الْخَادِمُ: قَالُوا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ، نَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا).

وَيَنْبَغِي لِمَنْ رَدَّ الْهَدِيَّةَ، لِأَمْرٍ شَرْعِيٍّ، أَنْ يُعْتَذَرَ لِلْمهدِي. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (أَهْدَى الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِمَارَ وَحْشٍ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَرَدَّهُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّا مُحْرِمُونَ، لَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ).

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: (خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ، فَابْتَعْتُ حُلَّةَ ذِي يَزَنَ، فَأَهْدَيْتُهَا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَخَذْتُ مِنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَذىً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَسَحَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ، مَا تَكْرَهُ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، (أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ، أَخَذَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَكُنْ بِكَ السُّوءُ، يَا أَبَا أَيُّوبَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: (أَخَذَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ لِحْيَةِ رَجُلٍ، أَوْ رَأْسِهِ شَيْئًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ السُّوءَ، فَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ: صَرَفَ اللَّهُ عَنَّا السُّوءَ مُنْذُ أَسْلَمْنَا، وَلَكِنْ إِذَا أُخِذَ عَنْكَ شَيْءٌ، فَقُلْ: أَخَذَتْ يَدَاكَ خَيْرًا).

قَالَ الْحَسَنُ: (لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَخذَ مِنْ رَأْسِي شَيْئًا، قُلْت: صَرَفَ اللَّهُ عَنْك السُّوءَ). (وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، إِذَا أُخِذَ مِنْ لِحْيَتِهِ، أَمْ مِنْ رَأْسِهِ، قَالَ: لَا عَدِمْتُ نَافِعًا).

فَصْلٌ: فِيمَا يَقُولُ إِذَا اعْتَذَرَ

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الرُّؤَاسِيِّ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، ارْضَ عَنِّي، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثَلَاثًا، قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّ الرَّبَّ لَيُرَضَّى فَيَرْضَى، فَارْضَ عَنِّي، قَالَ: فَرَضِيَ عَنِّي).

وَاعْلَمْ أَنَّ الِاعْتِذَارَ مُسْتَحَبٌّ، عِنْدَ أَكْثَرِ الْأَخْيَارِ، وَقَالَ الْقَلِيلُ بِالْوُجُوبِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلاً، فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقّاً أَوْ مُبْطِلاً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ).

وَفِي أُخْرَى: (مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ بِمَعْذِرَةٍ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ، مِثْل صَاحِبِ مَكْسٍ).

وَلِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ نَظْمٌ فِي ذَلِكَ:

إِذَا اعْتَذَرَ الْمُسِيءُ إِلَيْكَ يَوْمًا ... تَجَاوَزْ عَنْ مَسَاوِيهِ الْكَثِيرَهْ
فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ رَوَى حَدِيثًا ... بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مُغِيرَهْ
عَنِ الْمُخْتَارِ إِنَّ اللَّهَ يَمْحُو ... بِعُذْرٍ وَاحِدٍ أَلْفَيْ كَبِيرَهْ

فَصْلٌ: فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ وَمِنْ أَعْظَمِهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ).

وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَالْمُرَادُ بِالْعَهْدِ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَالِقِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ.

فَالْأَوَّلُ: هُوَ النَّذْرُ، وَهُوَ فَرْضٌ عَنْ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَقِّقِي الْحَنَفِيَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]، وَقَالَ كَثِيرٌ بِوُجُوبِه.

وَالثَّانِي: مَا يَلْتَزِم لِلْمُحَارِبِ وَنَحْوِهِ، وَلَا يَجُوزُ خَلْفُهُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ. وَأَمَّا الْوَعْدُ لِلْغَيْرِ، فَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْوَفَاء بِهِ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْد الْعَزِيزِ. وَحُكِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْوُجُوب، وَاخْتَارَهُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ.

وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ: إِنْ ارْتَبَطَ الْوَعْدُ بِسَبَبٍ، كَقَوْلِهِ: نَتَزَوَّجُ وَلَكِ كَذَا وَكَذَا، إِنِّي أَحْلِفُ أَنَّكَ لَا تُؤْذِينِي وَلَك كَذَا، وَجَبَ الْوَفَاءُ، وَإِنْ كَانَ مُطَلِّقًا لِإِثْمٍ، هُوَ إِنَّمَا لَمْ يُحْبَبْ عَلَى قَوْلِ الْحَنَفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُعَلَّقًا.

قَالَ فِي [ذَخِيرَةِ النَّاظِرِ]، وَفِي [الْعُتْبِيَّةِ]، وَعْدَانِ يَأْتِيهِ لَا يَأْثَمُ، وَلَا يَلْزَمُ الْوَفَاء بِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ مُعَلَّقًا كَذَا فِي [كِفَايَةِ الْبَزَّازِيَّةِ]، وَفِي بَيْعِ الْوَفَا كَمَا ذَكَرَهُ الزَّيْلَعِيُّ، وَقَدْ عُدَّ فِي الزَّوَاجِرِ، عَدَم الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ مِنَ الْكَبَائِرِ.

وَقَالَ السَّخَاوِيُّ: جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (الْأَنْبِيَاءُ لَا يُخْلِفُونَ الْوَعْدَ). وَالْحَاصِلُ أَنَّ خَلْفَهُ مَذْمُومًا شَرْعًا، وَطَبْعًا وَعَادَةً وَسَمْعًا.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّظَرِ فِي الْمِرْآةِ وَفِعْلُ مَا لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ وَتَسْرِيحُ اللِّحْيَةِ

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي). وَفِي رِوَايَةٍ:

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (كَانَ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي). وَفِي أُخْرَى: عَنْهَا، (الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي). وَنَحْوُهُ. وَهَذِهِ رِوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَزَادَ: (وَاحْرِمْنِي عَنِ النَّارِ).

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا نَظَرَ فِي الْمَرْآةِ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَمَّلَنِي، وَأَحْسَنَ صُورَتِي، وَأَزَانَ مِنِّي، مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي، اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي، وَلَا تَجْعَلْنِي مَقِيتًا). بِفَتْحِ الْمِيمِ، أَيْ مَمْقُوتًا.

وَعَنْهُ، (كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْمِرْآةِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَزَانَ مِنِّي مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي).

وَعَنْ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ، قَالَتْ: (سَمِعْتُ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى إِخْوَانِهِ، أَوْ قَالَتْ: إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ، فَنَظَرَ فِي رَكْوَةٍ مِنْ مَاءٍ، إِلَى لِمَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الْجَمَالَ، فَلَمَّا أَتَى، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ الْقَائِلُ الْفَاعِلُ، حِينَ نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِكَ؟، قَالَ يَقُولُ لَهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الْجَمَالَ، إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ، فَلْيُهَيِّئْ مِنْ نَفْسِهِ).

وَفِي [فَضَائِلِ رَمَضَانَ]، لِلْأُجْهُورِيِّ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اسْتَعْمَلَ الْمُشْطَ، قَرَأَ فِي يَمِينِهِ: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَفِي شَمَالِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. وَقَالَ: مَنْ قَرَأَهَا، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ جَمِيعَ الْأُمُورِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْحِجَامَةِ

(وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، عِنْدَ الْحِجَامَةِ، كَانَتْ لَهُ مَنْفَعَةُ حِجَامَتِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَتْ مَنْفَعَتُهَا مَنْفَعَةَ حِجَامَتَيْنِ).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الفراء: قَالَ: (قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ: أُرِيدُ أَنْ أَحْتَجِمَ، فَقَالَ: اسْتَخِرِ اللهَ، فَإِذَا كَانَ عَنِ الشَّرِّ، فَاقْرَأْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ يَحْجُبُ).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحِجَامَةَ مُسْتَحَبَّةٌ، بَلْ قَدْ تَكُونُ فَرْضًا، وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: (أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، مَا مَرَرْتُ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، إِلَّا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِجَامَةُ تَنْفَعُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، أَلَا فَاحْتَجِمُوا).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْتَجِمُ عَلَى هَامَتِهِ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَيَقُولُ: مَنْ أَهْرَاقَ مِنْهُ هَذِهِ الدِّمَاءَ، فَلَا يَضُرُّهُ أَلَّا يَتَدَاوَى بِشَيْءٍ لِشَيْءٍ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْتَجِمُ فِي الْأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ، وَكَانَ يَحْتَجِمُ لِسَبْعَ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِجَامَةُ فِي الرَّأْسِ، هِيَ الْمُغِيثَةُ، أَمَرَنِي بِهَا جِبْرِيلُ، حِينَ أَكَلْتُ لَحْمَ الْيَهُودِيَّةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحِجَامَةَ فِي الرَّأْسِ، شِفَاءٌ مِنْ سَبْعٍ، إِذَا مَا نَوَى صَاحِبُهَا: مِنَ الْجُنُونِ، وَالصُّدَاعِ، وَالْجُذَامِ، وَالْبَرَصِ، وَالنُّعَاسِ، وَوجعِ الضِّرْسِ، وَظُلْمَةٍ يَجِدُهَا فِي عَيْنَيْهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُكْرَهُ فِي أَوَّلِ الْهِلَالِ، فَلَا يُرْجَى نَفْعُها، حَتَّى يَنْقُصَ الْهِلَالُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ احْتَجَمَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ، كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ). وَرُوِيَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ: (احْتَجِمُوا لِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَسَبْعَ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ. لَا يَتَبَيَّغْ بِكُمُ الدَّمُ، فَيَقْتُلَكُمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحِجامَةُ يَوْمَ الأَحَدِ شِفاءٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِجَامَةُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ، دَوَاءٌ لَدَاءِ السَّنَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ احْتَجَمَ يَوْمَ الْأَرْبعاءِ، أَوْ يَوْمَ السَّبْتِ، فَرَأَى فِي جَسَدِهِ وَضَحاً، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ احْتَجَمَ يَوْمَ الخَمِيسِ، فَمَرِضَ فِيهِ، مَاتَ فِيهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً، لَا يَحْتَجِمُ فِيهَا أَحَدٌ، إلا مَاتَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَحْتَجِمْ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَفِيهَا سَاعَةٌ، مَنِ احْتَجَمَ فِيهَا، فَأَصَابَهُ وَضَحٌ فِيهِ، فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ).

وَعَنْ نَافِعٍ، (أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: يَا نَافِعُ، تَبَيَّغَ بِيَ الدَّمُ، فَالْتَمِسْ لِي حَجَّامًا، وَاجْعَلْهُ رَفِيقًا، إِنِ اسْتَطَعْتَ، وَلَا تَجْعَلْهُ شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَا صَبِيًّا صَغِيرًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: الْحِجَامَةُ عَلَى الرِّيقِ، أَمْثَلُ، وَفِيهَا بَرَكَةٌ وَشِفَاءٌ، وَبَرَكَةٌ، وَيَزِيدُ فِي الْعَقْلِ، وَيَزِيدُ الْحَافِظَ حِفْظًا، فَاحْتَجِمُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَاجْتَنِبُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمَ السَّبْتِ، وَيَوْمَ الْأَحَدِ، تَحرِّيًا، وَاحْتَجِمُوا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَالثُّلَاثَاءِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي

عَافَى اللَّهُ فِيهِ أَيُّوبَ، وَضَرَبَهُ بِالْبَلَاءِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْدُو جُذَامٌ، وَلَا بَرَصٌ، إِلَّا يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، أَوْ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ).

قَالَ الْخُوَارِزْمِيُّ: سَمِعَ الْحَدِيثَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ، أَبُو عُمَرَ، مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ النَّيْسَابُورِيّ، قَالَ: فَقُلْتُ: (أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ. فَاقْتَصَدْتُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، فَأَصَابَنِي البَرَصُ فِي أَعْضَائِي كُلِّهَا، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَنَامِ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ حَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالِاسْتِهَانَةَ بِحَدِيثِي، فَقُلْتُ: تُبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْتَبَهْتُ وَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ تَعَالَى، وَذَهَبَ ذَلِكَ عَنِّي).

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْحِجَامَةَ مَطْلُوبَةٌ شَرْعًا وَطِبًّا، فِي وَقْتِهَا وَمَكَانِهَا، لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

فَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ، فِي [نَوَادِرِ الْأُصُولِ]: وَهَذِهِ الْمُغَالَاةُ الَّتِي بَقِيَتْ فِي أَفْوَاهِ الْعَامَّةِ، أَنَّ الْبَدَنَ يَضْعُفُ وَيَضُرُّهُ إِخْرَاجُ الدَّمِ مِنْهُ، وَالرَّجُلُ إِذَا جَاوَزَ الْخَمْسِينَ، يُسْتَحَبُّ لَهُ تَقْلِيلُ الْحِجَامَةِ، فَذَلِكَ غَلَطٌ، وَهُوَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ النُّورَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَر، عَلَى مَا رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَجَدْتُ فِي التَّوْرَاةِ، أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ نُورَانِ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَتْبَعُهُ نُورٌ وَاحِدٌ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ نُورٌ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ تَبِعَهُ نُورَانِ، فَتَجْتَمِعُ حَرَارَةُ النُّورِ، وَحَرَارَةُ الدَّمِ، فَإِذَا لَمْ يَحْتَجِمْ تَغْلُبُ عَلَيْهِ الْحَرَارَةُ فَيَمُوتُ) . فَلِذَلِكَ يُسْتَحَبُّ الْحِجَامَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَصْلٌ فِي التَّدَهُّنِ

وَفِي [الْجَامِعِ]: (مَنِ ادَّهَنَ، وَلَمْ يُسَمِّ، ادَّهَنَ مَعَهُ سِتُّونَ شَيْطَانًا). (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ فِيهِ شِفَاءً مِنْ سَبْعِينَ دَاءً، مِنْهَا الْجُذَام). (إِذَا ادَّهَنَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِحَاجِبَيْهِ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِالصُّدَاعِ).

وَفِيهِ: (كَانَ إِذَا دهَنَ، صَبَّ فِي رَاحَتِهِ الْيُسْرَى، فَيَبْدَأُ بِحَاجِبَيْهِ، ثُمَّ عَيْنَيْهِ ثُمَّ رَأْسِهِ). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَهَنَ لِحْيَتَهُ، بَدَأَ بِعَنْفَقَتِهِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِطَنِينِ الْأُذْنِ وَخَرِيرِ الْكَوْثَرِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا طَنَّتْ أُذُنُ أَحَدِكُمْ، فَلْيَذْكُرْنِي، وَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، وَلْيَقُلْ: ذَكَرَ اللَّهُ بِخَيرٍ مَنْ ذَكَرَنِي). وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ طَنِينِ الْأُذُنِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، ذَكَرَ اللَّهُ بِخَيرٍ مَنْ ذَكَرَنِي). وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (إِذَا جَعَلْتَ إِصْبَعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ، سَمِعْتَ خَرِيرَ الكَوْثَرِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِخَدَرِ الرِّجْلِ

وَعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ حَنَشٍ، قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدَاهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ). وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ: (يَا مُحَمَّدَاهُ، فَقَامَ فَمَشَى). وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (خَدِرَتْ رِجْلُ رَجُلٍ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ،

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَذَهَبَ خَدَرَهُ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، وَقَدْ خَدِرَتْ رِجْلَاهُ، فَنَقَعَهُمَا فِي الْمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِي تَذَكَّرْتُ قَوْلَهَا   فَنَادَيْتُ لِابْنِي بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ
دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي   لَأَلْقَيْتُ نَفْسِي نَحْوَهَا فَقَضَيْتُ

فَقُلْتُ: (يَا أَبَا بَكْرٍ، تُنْشِدُ مِثْلَ هَذَا الشِّعْرَ؟ فَقَالَ: يَا لُكَعُ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا كَلَامٌ حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ).

وَعَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ،- أَحَدُ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ، الَّذِيْنَ رَوَى عَنْهُم فِي [صَحِيحِهِ]-، قَالَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَعْجَبُونَ، مِنْ حُسْنِ بَيْتِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَتَخْدُرُ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينَ رِجْلُهُ فَإِنْ   لَمْ يَقُلْ يَا عُتْبُ لَمْ يَذْهَبِ الْخَدَرُ

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلضَّالَّةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]. مُجَرَّبَةٌ فِي رَدِّهَا. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ فِي الضَّالَّةِ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَادَّ الضَّالَّةِ، وَهَادِي الضَّلَالَةِ، أَنْتَ تَهْدِي مِنَ الضَّلَالَةِ، ارْدُدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي، بِقُدْرَتِكَ وَسُلْطَانِكَ، فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلزِّرَاعَةِ

وَالْمُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مَنْ يُلْقِي الْبَذْرَ فِي الْأَرْضِ، أَنْ يَقْرَأَ بَعْدَ الِاسْتِعَاذَةِ: (﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، ثُمَّ يَقُولُ: بَلِ اللَّهُ الزَّارِعُ، وَالْمُنْبِتُ وَالْمُبَلِّغُ. اللَّهُمَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنَا ثَمَرَهُ، وَجَنِّبْنَا ضَرَرَهُ، وَاجْعَلْنَا لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ). وَيُقَالُ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَمَانٌ لِذَلِكَ الزَّرْعِ، مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ، الدُّود وَالْجَرَاد، وَغَيْرِهُمَا، سَمِعْنَاهُ مِنْ ثِقَةٍ، وَجُرِّبَ، فَوُجِدَ كَذَلِكَ.

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (مَنْ زَرَعَ زَرْعًا، فَأَكَلَ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ عَافِيَةٌ، كَانَ لَهُ صَدَقَةً).

وَمَا يُقَالُ لِلْجَرَادِ: عَنْ جَابِرٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا دَعَا عَلَى الْجَرَادِ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهْلِكْ كِبَارَهُ، وَاقْتُلْ صِغَارَهُ، وَأَفْسِدْ بَيْضَهُ، وَاقْطَعْ دَابِرَهُ، وَخُذْ بِأَفْوَاهِهِ، عَنْ مَعَايِشِنَا وَأَرْزَاقِنَا، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَدْعُو عَلَى جُنْدٍ مِنْ أَجْنَادِ اللَّهِ، بِقَطْعِ دَابِرِهِ، قَالَ: إِنَّ الْجَرَادَ، نَثْرَةُ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ).

وَوَرَدَ: (الْجَرَادُ مِنْ صَيْدِ الْبَحْرِ). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مَكْتُوبٌ عَلَى الْجَرَادَةِ بِالسِّرْيَانِيِّ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، الْجَرَادُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِي، أُسَلِّطُهُ عَلَى مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي).

وَمَا يُقَالُ لِلْبَرَاغِيثِ: رَوَى الْمُسْتَغْفِرِيُّ فِي [الدَّعَوَاتِ]، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا آذَاكَ الْبُرْغُوثُ، فَخُذْ قَدَحًا مِنْ مَاءٍ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. فَإِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ، فَكفُّوا شَرَّكُمْ وَآذاكُمْ عنَّا، ثُمَّ تَرُشُّهُ حَوْلَ فِرَاشِك، فَإِنَّك تَبِيت آمِنًا مِنْ شَرِّهَا».

مَا يُقَالُ لِرُؤْيَةِ الْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ، جَاؤُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ. قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ. ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ». وَفِي أُخْرَى: «أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أُتِيَ بِبَاكُورَةِ، وَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، ثُمَّ عَلَى شَفَتَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ، فَأَرِنَا آخِرَهُ، ثُمَّ يُعْطِيهِ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصِّبْيَانِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الْفَاكِهَةِ، فَقَبَّلَهَا، وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا بَلَّغْتنَا أَوَّلَهَا، فَبَلِّغْنَا آخِرَهَا». وَفِي أُخْرَى: «إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الْفَاكِهَةِ، وَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَطْعَمْتَنَا أَوَّلَهَا، فَأَطْعِمْنَا آخِرَهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيهَا».

فَصْلٌ: فِيمَا يُنَاطُ بِالدَّابَّةِ

تَقَدَّمَ فِي الْحَجِّ، مَا يُقَالُ بَعْدَ الرُّكُوبِ، (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَابَّتُهُ، أَوْ سَاءَ خُلُقُ زَوْجَتِهِ، أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلْيُؤَذِّنْ فِي أُذُنه). وَتَقَدَّمَ أَيْضًا غَيْرُ هَذَا.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، فَمَا سَقَطْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ أَنْ كَانَ لَا يَثْبت عَلَيْهَا).

وَعَنْ أَبِي الْمُلَيْحِ، التَّابِعِيّ الْمَشْهُور، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: (كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ الذُّبَابِ). وَرُوِيَ أَيْضًا نَحْوُهُ عَنْ أَبِيهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ الذُّبَابِ).

وَعَنْ سُحَيْمِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: (كُنَّا نَعْرِضُ الْمَصَاحِفَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ أَعْرَابِيَّةٌ، إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَتْ: أَطْلُبُ رَاقِيًا، فَإِنَّ فُلَانًا قَدْ لَقَعَ فَرَسَكَ بِعَيْنِهِ، فَتَرَكَهُ يَدُورُ، كَأَنَّهُ فَلَكٌ، وَلَمْ تَأْكُلُ وَلَمْ تَشْرَبْ، وَلَا تَرثُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ: وَلَا تَطْلُبْ رَاقِيًا، وَلَكِنِ اذْهَبْ، وَاتْفل فِي مَنْخَرِهِ الْأَيْمَنِ أَرْبَعًا، وَفِي الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، لَا بَأْسَ أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا يَذْهب الضُّرَّ إِلَّا أَنْتَ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: صَنَعْتُ الَّذِي أَمَرْتَنِي، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَرَاثَ).

وَعَنْ جُعَيْلٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: (غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ ضَعِيفَةٍ ضَعِيفَةٍ، فَلَحِقَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: سِرْ يَا صَاحِبَ النَّاقَةِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ضَعِيفَةٌ، فَضَرَبَهَا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِيهَا، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَا أَمْلِكُ رَأْسَهَا، إِنْ تَقدُمَ النَّاسَ، وَلَقَدْ بِعْتُ مِنْ بَطْنِهَا، بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا).

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ، وَقَدْ دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ).

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ: (أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، كَانَ رَفِيقَ أَبِي بَصِيرٍ، فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فِي مُحَارَبَةِ قُرَيْشٍ، وَتُوُفِّيَ أَبُو بَصِيرٍ، رَجَعَ الْوَلِيدُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَعَثَرَ بِحَرَّتِهَا فَانْقَطَعَتْ إِصْبَعُهُ، فَأَنْشَدَ هَذَا الرّجَزَ:

يَا نَفْسُ، إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي　　هَذِهِ حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَتْ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ لَقِيتِ　　إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهَا هُدِيتِ

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِدُخُولِ الْحَمَّامِ

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (أَوَّلُ مَنْ صُنِعَتْ لَهُ النُّورَةُ، وَدَخَلَ الْحَمَّامَ، سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، فَلَمَّا دَخَلَهُ وَوَجَدَ حَرَّهُ، وَغَمَّهُ، قَالَ: أَوَّهْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، أَوَّهْ، أَوَّهْ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَوَّهْ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نِعْمَ الْبَيْتُ الْحَمَّامُ، يَدْخُلُهُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ، لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِنَ النَّارِ).

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ، قَالَ: (كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ. (وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ، تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ).

وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصَابَهُ كَرْبُ الْحَمَّامِ، يَقُولُ: (يَا بَرُّ، يَا رَحِيمُ، مُنَّ عَلَيْنَا، وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ). وَلَمْ يَكُنْ الْحَمَّام بِأَرْضِ الْعَرَبِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا نُقِلَ مِنْ أَنَّهُ دَخَلَ حَمَّامَ الْجُحْفَةِ، فَلَا أَصْلَ لَهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْحَمَّامَ مُبَاحٌ، عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَقْبَحهُ بَعْضُهُمْ. وَمَنَعَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ الْمَرْأَةَ مِنْهُ. وَقَال قَاضِ خَانْ: دُخُولُ الْحَمَّامِ مَشْرُوعٌ، لِلنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ جَمِيعًا. خِلَافًا لِمَا قَالَهُ بَعْضُ النَّاسِ.

وَرُوِيَ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ الْحَمَّامَ وَتَنَوَّرَ). (وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ حَمَّامَ حِمْصَ). لَكِنْ إِنَّمَا يُبَاحُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِنْسَانٌ مَكْشُوف الْعَوْرَةِ. وَقَالَ ابْنُ الْهُمَامِ فِي [بَابِ النَّفَقَةِ]: وَعَلَى ذَلِكَ خِلَافٌ فِي مَنعِهِنَّ مِنْ دُخُولِهِ، لِلْعِلْمِ بِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُنَّ مَكْشُوف الْعَوْرَةِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُؤَيِّدُ قَوْلَ الْفَقِيهِ، مِنْهَا فِي النَّسَائِيّ، وَالتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ، وَالْحَاكِمِ وَصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ، إِلَّا بِمِئْزَرٍ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: الْحَمَّامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي). رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَرَدَّ اسْتِثْنَاءَ النُّفَسَاءِ وَالْمَرِيضَةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُ الْأَعَاجِمِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا بُيُوتًا، يُقَالُ لَهَا الْحَمَّامَاتُ، فَلَا يَدْخُلَنَّهَا الرِّجَالُ إِلَّا بِالْإِزَارِ، وَامْنَعُوهَا النِّسَاءَ، إِلَّا مَرِيضَةً أَوْ نُفَسَاءَ). إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ. وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (مَنْ دَخَلَ الْحَمَّامَ بِغَيْرِ مِئْزَرٍ، لَعَنَهُ الْمَلَكَانِ).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَدْخُلُ الْحَمَّامَ، بَلْ يَقْصِدُ بِهِ التَّنَظُّفَ الْمَحْبُوبَ، تَزَيُّنًا لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يُعْطِي الْحَمَّامِيّ الْأُجْرَةَ قَبْلَ الدُّخُولِ، فَإِنَّ مَا يَسْتَوْفِيهِ مَجْهُولٌ، وَكَذَا مَا يَنْتَظِرُهُ الْحَمَّامِيُّ، فَتَسْلِيمِ الْأُجْرَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ دَفْعِ لِلْجَهَالَةِ، مِنْ أَحَدِ الْعِوَضَيْنِ، وَتَطْيِيبٌ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ يُقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى عِنْدَ الدُّخُولِ، وَيَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). ثُمَّ يَدْخُلُ وَقْتَ الْخَلْوَةِ. ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وَفِي [مُعْجَمِ الْبِقَاعِيّ] ، مِنْ تَرْجَمَةِ عَمِّهِ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْتَسِلَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، وَلَا يَضُرُّهُ، فَلْيَقُلْ: يَا مَاءُ، لَا تُؤْذِينِي، أَشْتَكِيكِ غَدًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،

فَكُنْتُ إِذَا اغْتَسَلْتُ فَقُلْتُهُ، فَوَجَدَتُهُ صَحِيحًا، مَعَ أَنِّي لَا أَغْتَسِلُ إِلَّا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، وَرُبَّمَا اغْتَسَلُ وَالثَّلْج يَسْقُطُ عَلَى رَأْسِي). اهـ.

وَإِذَا خِيفَ ضَرَرُ مَاءِ شَرِبَهُ، يَقُولُ: (يَا مَاءُ، مَاءُ زَمْزَمَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ). كَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ زَرُّوقٌ. وَعَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، قَالَ: (مَن أَرَادَ أَن يَشرَبَ مَاءً فِي جَوفِ اللَّيلِ، فَليَقُلْ: يَا مَاءُ، مَاءُ بَيْتِ المَقدِسِ يُقرِئُكَ السَّلامَ، ثُمَّ يَشرَبُ، فَإِنَّهُ أَمَانٌ). كَذَا فِي [الْبَحْرِ الْعَمِيقِ].

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ

وَإِذَا نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، يَسْتَحِبُّ أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١- ١٩٤]. لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ السَّابِقِ، فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ.

وَرُوِيَ عَنْهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (بَيْنَمَا رَجُلٌ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ، إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ، وَإِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَكِ رَبًّا وَخَالِقًا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَنَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَغَفَرَ لَهُ). ذَكَرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ.

وَلَيْسَ النَّظَرُ لِلسَّمَاءِ مَمنُوعًا، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدَةِ، بَلْ يُسْتَحَبُّ ذَلِكَ أَحْيَانًا لِلِاتِّبَاعِ، وَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ، مِنْ عَدَمِ مِنْهُمْ، فَذَاكَ الْحَالِ، وَالْجَمْع طَرِيق أَرْبَابِ الْكَمَالِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: (لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ، ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى دَابَّةٍ، فَقَالَ: ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ، وَقَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ، وَقَالَ لِقُثَمَ: ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَى مِنْ عَمِّهِ، أَنْ حَمَلَ قُثَمَ وَتَرَكَهُ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي ثَلاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ، فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ: مَا فَعَلَ قُثَمُ؟، قَالَ: اسْتُشْهِدَ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ، قَالَ: أَجَلْ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ

تَقَدَّمَ أَوَّلَ الْكِتَابِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ، فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهِ دُونَ الْمَوْتِ شَيْئًا).
وَفِي رِوَايَةٍ: (فَيَرَى فِيهَا آفَةً دُونَ الْمَوْتِ، وَقَرَأَ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾).

وَفِي أُخْرَى: (مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ، فَأَرَادَ بَقَائَهَا، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ). وَفِي غَيْرِهَا: (مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ نِعْمَةً، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ رِزْقُهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيُبَرِّكْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَخِيهِ، مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ).

اخْتُلِفَ فِي الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ، فَقِيلَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ). وَقِيلَ: (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ). وَتَقَدَّمَ مَرْفُوعًا: (اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَلَا تَضُرَّهُ).

فَصْلٌ: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الِاسْتِغْسَالُ أَنْ يُقَالُ لِلْمُعَايِنِ بِالْاِسْتِحْسَانِ: اغْسِلْ دَاخِلَ إِزَارِكَ، مِمَّا يَلِي الْجِلْد، ثُمَّ يُصَبُّ عَلَى الْمَعِينِ، وَهُوَ الْمَنظُورُ إِلَيْهِ. وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: (رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ. فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ. فَلُبِطَ سَهْلٌ. فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؟، وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهِ أَحَداً؟، قَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامِراً، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟، أَلَاّ بَرَّكْتَ، اغْتَسِلْ لَهُ، فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ. فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ).

وَفِي أُخْرَى: (ثُمَّ أَمَرَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَظُهُور عَقِبَيْهِ، وَغَسَلَ صَدْرَهُ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَاف قَدَمَيْهِ، ظَاهِرُهُمَا فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَصُبَّ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ. قَالَ: وَأَمَرَهُ، فَحَسَى مِنْهُ حَسَوَاتٍ، فَقَامَ فَرَاحَ مَعَ الرَّاكِبِ). وَ(لُبِطَ): بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَكَسْر الثَّانِيَةِ، وَطَاءٌ مُهْمَلَةٌ، أَيْ: صُرِعَ لِحِينِهِ مَرَضًا.

قَالَ الْعُلَمَاءُ، فِي كَيْفِيَّةِ الْوُضُوءِ الْمَذْكُورِ: أَنْ يُؤْتَى بِقَدَحِ مَاءٍ، وَلَا يُوضَعُ الْقَدَحُ فِي الْأَرْضِ، فَيَأْخُذَ مِنْهُ غَرْفَةً، فَيَتَمَضْمَضُ بِهَا، ثُمَّ يَمُجَّهَا فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مِنْهُ مَاءً يَغْسِلُ وَجْهَهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِشِمَالِهِ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ كَفَّهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ بِيَمِينِهِ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ مَرْفِقَهُ الْأَيْسَرِ، وَلَا يَغْسِلُ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ الْيُسْرَى، ثُمَّ رُكْبَتَهُ الْيَمِينِ، ثُمَّ الْيُسْرَى، عَلَى الصِّفَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَهُوَ الطَّرَفُ الْمُتَدَلِّي، الَّذِي يَلِي حِقْوَهُ الْأَيْمَنَ. وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ دَاخِلَةَ الْإِزَارِ، كِنَايَةٌ عَنِ الْفَرجِ، وَجُمْهُور الْعُلَمَاءِ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذَا صَبَّهُ مِنْ خَلْفِهِ، عَلَى رَأْسِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ الْعَقْلُ حِكْمَتَهُ، وَلَا مَنع مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُحِيطُ عِلْمًا بِالْأَشْيَاءِ، سِوَى خَالِقِهَا جَلَّ وَعَلَا.

عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: (خَرَجْتُ أَنَا وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، نَلْتَمِسُ الْخَمْرَ، فَأَصَبْنَا غَدِيرًا خَمِرًا، فَكَانَ أَحَدُنَا يَسْتَحِي أَنْ يَتَجَرَّدَ، وَأَحَدٌ يَرَاهُ، فَاسْتَتَرَ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ فَعَلَ، نَزَعَ جُبَّةَ صُوفٍ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَنِي خَلْقُهُ، فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنٍ، فَأَخَذَتْهُ قَعْقَعَةٌ، فَدَعَوْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: قُومُوا بِنَا، فَرَفَعَ عَنْ سَاقَيْهِ، حَتَّى خَاضَ إِلَيْهِ الْمَاءَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ

إِلَى وَضح سَاقِي النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللهُمَّ أَذْهِبْ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا وَوَصَبَهَا، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَخِيهِ، شَيْئًا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ).

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَبْهَانِيُّ، فِي كِتَابِهِ [الْحُجَّة فِي التَّوْحِيدِ]، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَافَقَهُ مُغْتَمًّا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا هَذَا الْغَمُّ الَّذِي أَرَاهُ فِي وَجْهِكَ؟، قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَصَابَتْهُمَا عَيْنٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، صَدِّقْ بِالْعَيْنِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، ثُمَّ قَالَ: أَفَلَا عَوَّذْتَهُمَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، قَالَ: وَمَا هُنَّ يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، ذَا الْمَنِّ الْقَدِيمِ، ذَا الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَذَا الْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، وَالدَّعَوَاتِ الْمُسْتَجَابَاتِ، عَافِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، مِنْ أنفس الْجِنّ، وَأَعْين الْإِنْس، فَقَالَهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَا يَلْعَبَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَوِّذُوا أَنْفُسَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ، بِهَذَا التَّعْوِيذِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّذِ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِ).

وَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْن الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي كِتَابِهِ [التَّعْلِيق فِي الْمَذْهَب]: (نَظَرَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَى قَوْمِهِ يَوْمًا، فَاسْتَكْثَرَهُمْ وَأَعْجَبُوهُ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَأَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: أَنَّكَ عِنْتَهُمْ، وَلَوْ أَنَّكَ إِذْ عِنْتَهُمْ حَصَّنْتَهُمْ لَمْ يَهْلِكُوا؛ قَالَ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُحَصِّنُهُمْ؟، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: تَقُولُ: حَصَّنْتُكُمْ بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ، الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، وَدَفَعْتُ عَنْكُمُ السُّوءَ، بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ القَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذَا نَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَأَعْجَبَهُ سَمْتُهُمْ، وَحُسْنُ حَالِهِمْ، حَصَّنَهُمْ بِهَذَا الْمَذْكُورِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (عَجِبْتُ مِمَّنْ يُبْتَلَى بِأَرْبَعٍ، كَيْفَ يَغْفُلُ عَنْ أَرْبَعٍ، عَجِبْتُ لِمَنْ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ، مِنْ أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ، فَأُعْجِبَ بِهِ، كَيْفَ لَا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ مِنْ أَمْرٍ، كَيْفَ لَا يَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ، كَيْفَ لَا يَقُولُ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]. وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥]. وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَصَابَهُ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، كَيْفَ لَا يَقُولُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ). زَادَ فِي رِوَايَةٍ: (رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ). وَإِنْ كَانَ مُحْرِمًا، قَالَ: (لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ). لِمَا وَرَدَ. (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلَ

أَحَـدُكُمْ رَبَّـهُ مَسْـأَلَةً، فَتَعَـرَّفَ الْإِجَابَـةَ، فَلْيَقُـلِ: الْحَمْـدُ لِلَّهِ، الَّـذِي بِنِعْمَتِـهِ، تَـتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا عَرَفَ الْإِجَابَةَ مِنْ نَفْسِهِ، فَشُفِيَ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِعِزَّتِهِ، وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ).

وَعَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: (سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ الْمُتْعَةِ، فَأَمَرَنِي بِهَا، فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ، كَأَنَّ إِنْسَانًا يُنَادِي: حَجٌّ مَبْرُورٌ، وَمُتْعَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ، وَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، وَأَجْعَلُ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا ذَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِلَّا كَانَ قَدْ أَعْطَى خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةٍ، فَحَمِدَ الله عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْحَمْدُ أَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَإِنْ عَظُمَتْ).

وَفِي أُخْرَى: (مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ، مِنْ نِعْمَةٍ، فَقَالَ: الحَمدُ لِلَّهِ، إِلَّا أَدَّى شُكْرَهَا، فَإِنْ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، جَدَّدَ اللَّه له ثَوَابَهَا، فَإِنْ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، غَفَرَ الله لَهُ ذُنُوبَهُ).

عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَمْرِو بْنِ مِلْحَانَ الْمُزَنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا، يَقُولُ: هَا خَضِرَةَ،

فَقَالَ: يَا لَبَّيْكَ، نَحْنُ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ صَوْتًا، فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ: قَدْ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا تَطَيَّرَ مِنْ شَيْءٍ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ). وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الطِّيَرَةِ، فَقَالَ: أَصْدَقُهَا الْفَأْلُ، وَلَا يَرُدَّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ الطِّيَرَةِ، شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ، إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَجَّعَتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالُوا: وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟، قَالَ: يَقُولُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ). وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِكَ). قَالَ كَعْبٌ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَرَأْسُ التَّوَكُّلِ، وَكَنْزُ الْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَقُولَنَّ عِنْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَمْضِي، إِلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ).

وَفِي [مَرَاسِيلِ أَبِي دَاوُدَ]: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَيْسَ عَبْدٌ إِلَّا سَيَدْخُلُ قَلْبَهُ طِيَرَة، فَإِذَا أَحَسَّ بِذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَاعْلَمْ أَنَّ أَخذَ الْفَأْلِ مُسْتَحْسَنٌ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، كَأَمْرٍ لِأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الطِّيَرَةُ وَالتَّطَيُّرُ تَحْرُمَانِ، لِمَا وَرَدَ مِنْ طُرُقٍ. (لَا عَدْوى، ولَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَّةَ، ولَا صَفر، ولَا غُول) . وَلِأَنَّهَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ تَعَالَى، وَهُوَ حَرَامٌ.

وَأَمَّا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آخِرُ أَرْبَعَاء مِنَ الشَّهْرِ، يَوْم نَحْسٍ مُسْتَمِرّ). فَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ بِهِ، مُعْتَقِدًا مَا عَلَيْهِ الْمُنَجِّمُونَ.

وَأَمَّا مَنْ اعْتَقَدَ الْأُمُور بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ النَّافِعُ الضَّارُّ، لَا غَيْرُهُ، فَلَا نُحُوسَةَ فِي حَقِّهِ. وَأَمَّا حَدِيثُ: (إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ، فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ). فَلَيْسَ مِنَ التَّطَيُّرِ، كَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا بُلِيَ بِالأَسْرِ

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ مَالِك الْأَشْجَعِيّ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أُسِرَ ابْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ لَهُ: أَرْسِلْ إِلَيْهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ، فَأَكَبَّ عَوْفٌ يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بِالْقَيْدِ، فَسَقَطَ الْقَيْدُ عَنْهُ فَخَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لَهُمْ فَرَكِبَهَا، فَأَقْبَلَ، فَإِذَا هُوَ بِسَرْحِ الْقَوْمِ، فَصَاحَ بِهَا، فَأَتبعَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، فَلَمْ يَفْجَأْ أَبَوَيْهِ، إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالْبَابِ. فَقَالَ أَبُوهُ: عَوْفٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: وَاسَوْأَتَاه، وَعَوْفٌ كَيْفُ يَقْدُمُ؛ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْقَيْدِ؛ فَاسْتَبَقَ الأَبُ الْبَابَ وَالْخَادِمُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَوْفٌ قَدْ مَلَأَ الفِنَاءَ إِبِلاً، فَقَصَّ عَلَى أَبِيهِ أَمْرَهُ، فَأَتَى أَبُوهُ

رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ وَخَبَرِ الإِبِلِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِإِبِلِكَ. وَنَزَلَتْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]).

وَعَنْ ابْنِ الْأَشْعَثِ، قَالَ: (سَمِعْتُ الْفُضَيْلِ، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يَفْدِيهِ، فَأَبَوا عَلَيْهِ، إِلَّا بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، لَمْ يُطِقْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ إِلَيْهِ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِهِ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. فَكَتَبَ بِهَا الرَّجُلُ إِلَى ابْنِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُهَا، فَغَفَلَ الْعَدُوُّ عَنْهُ، فَاسْتَاقَ أَرْبَعِينَ بَعِيرًا، فَقَدِمَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلأَمَانِ مِنَ الدَّجَّالِ

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ، لَمْ يَضُرَّهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ). وَفِي غَيْرِهَا: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا، عُصِمَ مِنَ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ). وَفِي أُخْرَى: (قَالَ: مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ الْآوَاخِرِ مِنَ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ). وَفِي غَيْرِهَا: (مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ، إِلَى آخِرِهِ). وَفِي لَفْظٍ: (مَنْ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَهَا) الْحَدِيث.

فَصْلٌ: مَا يُسْتَحَبُّ لِكَبِيرِ الْبَلَدِ بَعْدَ مَوْتِ الْوَالِي

يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَخْطُبَ لَهُم وَيَعِظَهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، وَفِيهِ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ، فِي خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ، الْمَذْكُور فِي [الصَّحِيح]، بِطُرُقٍ مِنْهُ لَمَّا قَالَ عُمَرُ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَمُوتُ، حَتَّى يُفْنَى الْمُنَافِقِينَ. فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ.

فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا شَعَرْتُ أَنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ ذُو شَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَايِعُوهُ فَبَايَعُوهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ). وَفِي أُخْرَى: (فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَرَ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ، فَضَجَّ النَّاسُ وَبَكَوْا بُكَاءً كَثِيرًا).

وَلَفْظ رِوَايَة الْبَزَّار: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ إِلَهَكُمْ، الَّذِي تَعْبُدُونَ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ قَدْ مَاتَ، وَإِنْ كَانَ إِلَهُكُمُ اللَّهَ، الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَقَدْ خَطَبَ بِنَحْوِ خُطْبَتِهِ، عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى مَكَّةَ. وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، قَامَ جَرِير، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الْآنَ).

فَصْلٌ: الاقْتِصَادِ فِي الْعِلْمِ وَالْوَعْظِ

وَاسْتِنْصَاتِ الْحَاضِرِينَ. الْمُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ عِلْمًا أَوْ وَعْظًا، أَوْ خَطَبَ أَوْ دَعَا، أَوْ نَحْو ذَلِكَ، مَعَ جَمَاعَةٍ أَنْ لَا يُطَوِّلَ عَلَيْهِمْ، لِئَلَّا يَمَلُّوا، وَيُذْهِبُ حَلَاوَةَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَفُوتُ الْمَقْصُودُ، وَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى مَحْذُورٍ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ لِذَلِكَ، وَوُقُوعِهِمْ فِي الْخَطِيبِ. وَنَحْوُهُ.

(كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ، يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ، أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَخَوَّلُنَا بِهَا؛ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا).

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ). مَئِنَّة: بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ، فُنُونٍ مُشَدَّدَةٍ: أَيْ عَلَامَةً عَلَى فِقْهِهِ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: (إِن طَالَ الْمَجْلِسُ، كَانَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمُعَاذٍ، حِينَ طَوَّلَ الصَّلَاةَ بِالْجَمَاعَةِ: أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا). (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ).

ثُمَّ الْوَعْظُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا، لَكِنْ بِلَا كَذِبٍ وَقَلْبٍ سَاهٍ، وَتَطْوِيلٍ وَتَكْلِيفٍ وَسَجْعٍ. وَمِثْلُهُ الْخُطْبَةُ، بِخِلَافِ حَالِ أَهْلِ زَمَانِنَا. وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، اسْتَنْصِتِ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ).

فَصْلٌ: فِي نَهْيِ الشَّخْصِ أَنْ يُخَاطِبَ غَيْرَهُ بِمَا لَمْ يَفْهَمْهُ أَوْ يَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ، أُمِرْنَا أَنْ نُخَاطِبَ النَّاسَ، عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ). وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ قَوْمًا بِحَدِيثٍ، لَا

يفهمونه، إِلَّا كَانَ فتْنَة عَلَيْهِم). وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً، لَا تَبْلُغه عُقُولُهُمْ، إِلاّ كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ).

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (كُلُّ عَبْدٍ بِمِعْيَارِ عَقْلِهِ، وَزْنٌ لَهُ بِمِيزَانِ فَهْمِهِ، حَتَّى تَسْلَمَ مِنْهُ، وَيَنْتَفِعُ مِنْك، وَإِلَّا وَقَعَ الْإِنْكَارُ لِتَفَاوُتِ الْمِعْيَارِ).

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَنَسِيَهُ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ فَنَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَهُ عَلَيَّ خَلَفًا مِنْ حَدِيثِهِ، وَعَسَى أَنْ يَذْكُرَهُ). وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ، مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ).

وَاخْتُلِفَ هَلْ يَتَضَاعَفُ مَا يَحْصُلُ لِلدَّالِّ أَمْ لَا. كَمَا فِي حَدِيثِ: (﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ). وَحَدِيثُ: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا، مَا سِرْتُمْ شِبْرًا،

وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ). وَمُخْتَارُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ حُصُولُهُ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَفَضْل اللهُ أَكْبَر.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

وَأَحَادِيثُ الْبَابِ لَا تُحْصَرُ، وَلَا يَسْتَوِي فِي الدَّلَالَةِ، مَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَمَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ، كَمَا فِي الْوَعْظِ، وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَأَمَّا إِهْمَالُ ذَلِكَ ظَنًّا أَنَّهُ مِنَ الْحَيَاءِ، فَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ، قَوْلُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا أَعْطَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعْلَيْهِ، وَقَالَ: (مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ. -أَوْ كَمَا قَالَ-. فَقَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِئَلَّا يَتَّكِلُوا، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ إِذَنْ).

وَعَنْهُ (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَامَ لِيُصَلِّيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنَّ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ). وَتَقَدَّمَ أَيضًا حَدِيثُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فِي ذَلِكَ.

وَمِنَ الدَّلَالَةِ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ، وَيَعْرِفُ مَنْ يَعْلَمُ بِذَلِكَ، أَوْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، أَنْ يَدُلَّهُ عَلَيْهِ، لِمَا مَرَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَلِأَنَّهُ مِنَ النَّصِيحَةِ.

عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: (أَتَيْتُ عَائِشَةَ، أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَلْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ).

وَلَمَّا أَرَادَ سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، أَنْ يَسْأَلَ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَسْأَلُهُ عَنْ ذلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَنْ؟، قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ، قَالَ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الْحَرِيرِ، فَقَالَتِ: ائْتِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَلْهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَلِ ابْنَ عُمَرَ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو حَفْصٍ، يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا، مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ). وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَفِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى الطَّرِيقِ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ لَبَنٍ، أَوْ مَنِيحَةَ وَرِقٍ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا، فَهُوَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ). وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: (وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ، فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ، صَدَقَةٌ). وَفِيهِ: (تَهْدِي الْأَعْمَى صَدَقَة). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ فَاعِلِينَ، فَرُدُّوا السَّلَامَ، وَغُضُّوا الأَبْصَارَ، وَاهْدُوا السَّبِيلَ، وَأَعِينُوا عَلَى الْحُمُولَةِ).

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا دُعِيَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى

يُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَالَ لَهُ غَيْرُهُ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ أَوْ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، أَو اذْهَبِي مَعِي إِلَى حَاكِمِ

الْمُسْلِمِينَ، أَوْ الْمُفْتِي، لِفَصْلِ الْخُصُومَةِ، أَنْ يَقُولَ: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)، أَوْ (سَمْعًا وَطَاعَةً)، أَوْ (نَعَمْ وَكَرَامَةً)، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. كما قَالَ النَّوَوِيُّ: فِي الْآيَاتِ وُجُوبُ الْحُضُورِ، وَتَحْرِيمُ الِامْتِنَاعِ، وَاسْتِحْبَابُ قَوْلِ: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)، كَمَا قَالَهُ السُّيُوطِيُّ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْمَالِكِيَّةُ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونُ الْحَاكِمُ فَاسِقًا، أَوْ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ، وَنَحْوُ مَا مَرَّ أَنَّ يَقُولَ: بَيْنِي وَبَيْنَك الشَّرْعُ، أَمْ امْشِ بِنَا إِلَى الشَّرْعِ، وَنَحْوُهُ. لَكِن عِنْدِي مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيُضِيفُهُ إِلَى قُضَاةِ زَمَانِنَا عَالِمًا بِحَالِهِم، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، يُخْشَى عَلَيْهِ الْكُفْرُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِجَعْلِهِ سَخَط اللَّهِ وَمَقْتِهِ شَرْعًا لَهُ تَعَالَى، نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَمِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ مِنِّي مُنْكَرٌ.

فَلَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، الَّذِي مَا اجْتَمَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ، مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ، إِلَّا وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ الْبَحْرُ الزَّخَّار، وَأَنَّهُ الْفَرْدُ الَّذِي لَا يُدَانَى فِي التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ. الشَّيْخُ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْمُلْتَانِيّ، تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِالْفَيْضِ الرَّبَّانِيّ، يَقُولُ: لَا أَشُكُّ فِي قُضَاةِ زَمَانِنَا، أَنَّهُمْ كُفَّارٌ.

وَيَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِك بِقَوَاطِعِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ، وَلَعَلَّ مِنْ ذَلِك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وَلَكِنْ بَعْدَ تَحْقِيقٍ وَتَدْقِيقٍ، بِأُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْآيَةِ، وَتَحْقِيقُ هَذَا وَبَسْطُهُ، لَيْسَ هَذَا مَحَلَّهُ، وَلَكِنْ نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَتَدَبَّرَ أَحْوَالَهُمْ، عَرِفَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ:

قُضَاةُ زَمَانِنَا صَارُوْا لُصُوْصَا   عُمُوْمًا فِي الْقَضَايَا لَا خُصُوْصَا
يَرَوْنَ الْغَنَم أَمْوَال الْيَتَامَى   كَأَنَّهُمْ تَلُوا فِيهِ نُصُوصَا
خَشِيْنَا مِنْهُمُ لَوْ صَافَحُوْنَا   لَلَصُّوْا مِنْ خَواتِمِنَا فُصُوْصَا

وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ] لِلسُّيُوطِيِّ: «عجَّ حَجَرٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَالَ: يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي، عبدتُكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ، ثُمَّ جعَلْتَنِي فِي أُسِّ كَنِيفٍ، فَقَالَ: أَوَ ما تَرْضَى أَنْ عَدَلْتُ بِكَ عَنْ مَجَالِسِ الْقُضَاةِ؟».

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا، وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْظِ الشَّدِيدِ، وَالزَّجْرِ الْأَكِيدِ، لاَ يَنْتَبِهُ إِلَّا مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، وَنَلْتَمِسُ مِنْ فَضْلِكَ، أَنْ لَا تُقَرِّبْنَا مِنْهُمْ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا خَاصَمَهُ غَيْرُهُ

فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ»، أَوْ «خَفِ اللَّهَ»، أَوْ «رَاقِبِ اللَّهَ»، أَوْ «أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ»، وَنَحْو ذَلِكَ. يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا». «وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَاللُّطْفَ»، وَنَحْوهُ. وَلَئِنْ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ، فَيَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَلِيقُ، أَوْ بِمَا يَقْرُبُ مِنَ الْكُفْرِ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، «إِنَّ رَجُلًا جَاءَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ ائْتَمَنَهُ عَلَى بَعْضِ الْأَمَانَةِ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ. فَانْتَهَرْتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَذْكُرُكَ إِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، إِذَا نُشِدْتُ بِكَ».

وَفِي النَّهْيِ، لِأَبِي حَسَّانٍ، «وَقَفَ يَهُودِيٌّ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ، فَقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَزَلَ مِنْ دَابَّتِهِ، وَخَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَصَّ عَلَيْهِ حَاجَتَهُ،

فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مِنْ أَكْبَرِ الذَّنْبِ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَقُولُ: عَلَيْكَ نَفْسَكَ).

وَيَنْبَغِي إِذَا قَالَ لَهُ غَيْرُهُ مَا فَعَلَتهُ، خِلَافَ الْحَدِيثِ، أَنْ لَا يَقُولُ: لَا أَلْتَزِمُ الْحَدِيثَ، أَوْ لَا أَعْمَلُ بِهِ، أَوْ لَا أَقُولُ بِهِ، وَنَحْوهُ. وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ مَتْرُوك الظَّاهِرِ، بَلْ يَقُولُ هُوَ مُؤَوَّلٌ، أَوْ مَتْرُوك الظَّاهِرِ، أَوْ نَحْو ذَلِكَ.

فَصْلٌ: مَا يَقُولُهُ الْمُقْتَدَى بِهِ: إِذَا فَعَلَ مَا ظَاهِرهُ خَطَأٌ، مَعَ كَوْنِهِ صَوَابًا، وَسُؤَالُ التَّابِعِ لَهُ عَنْهُ، وَنَحْوهُ. يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ وَالْقَاضِي وَالْمُفْتِي، وَالْمُعَلِّم وَالشَّيْخ الْمُرَبِّي، وَمَنْ يُقْتَدَى بِهِ، بَلْ غَيْرُهُ، أَنْ يَجْتَنِبَ مَوَاضِع التُّهْمَةِ وَالرِّيبَةِ، فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِه، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَمِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ، إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ).

لِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مَفَاسِد كَثِيرَة، مِنْهَا ظَنُّ الْجَوْرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَائِرًا، أَمَّا عَمَلُهُ وَاعْتِقَادُ نَقْصِهِ، وَإِطْلَاق الْأَلْسِنَةِ بِغَيْبَتِهِ وَذَمِّهِ، وَنُفُور النَّاسِ عَنْهُ، وَعَدَم أَخْذِهِمْ بِقَوْلِهِ وَفَتْوَاه. فَيَنْبَغِي لَهُ الِاجْتِنَابُ رَأْسًا، إِلَّا إِذَا كَانَ لِمَصْلَحَةٍ، فَيَفْعَلهُ قَائِلًا لَيْسَ ذَلِكَ بِحَرَامٍ، أَمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّذِي فَعَلَتهُ، وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ حَقِيقَة ذَلِكَ، وَهِيَ كَذَا وَكَذَا.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ، وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَقَرَأَ، وَرَكَعَ، وَرَكَعَ

النَّاسُ خَلْفَهُ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى، فَسَجَدَ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، حَتَّى فَرَغَ مَنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا، لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي).

وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَدِيثٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ، لِانْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ. فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا).

وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا، وَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (أَنَّ عَلِيًّا شَرِبَ قَائِمًا، وَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَ ذَلِكَ، كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ). وَعَنْ هَذَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ:

إِذَا رُمْتَ تَشْرَبْ فَاقْعُدْ تَفُزْ　　بِسُنَّةِ صَفْوَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ
وَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبَهُ قَائِماً　　وَلَكِنَّهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ

فَصْلٌ: وَيُسْتَحَبُّ لِلتَّابِعِ إِذَا رَأَى مِنْ مَتْبُوعِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، مِمَّنْ يَقْتَدِي بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، أَوْ تَرْكًا لِلْأَفْضَلِ، أَنْ يَسْأَلَهُ بِنِيَّةِ الاسْتِرْشَادِ، فَإِنْ فَعَلَهُ نَاسِيًا تَدَارَكَهُ، وَلَوْ لَمْ يُبَيِّنْهُ لَهُ، وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: (دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ عَرَفَةَ. حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ، نَزَلَ، فَبَالَ، فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: الصَّلَاةَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَمَامَكَ).

وَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]: عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: (أَنَّهُ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا. قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟، أَوْ قَالَ: مُسْلِمًا.فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، أَوْ قَالَ: مُسْلِمًا. قَالَ: إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى الْخَلَاءَ، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ، فَأُتِيَ بِالطَّعَامِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَتَوَضَّأُ؟، قَالَ: لَمْ أُصَلِّ فَأَتَوَضَّأَ).

عَنْ بُرَيْدَة، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ، بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ، قَالَ: عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ). وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قِصَّة مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فَصْلُ: فِي الْحَثِّ عَلَى الْمُشَاوَرَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَفِي قِرَاءةِ ابْن عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فِي بَعْضِ الْأَمْرِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَرَادَ أَمْرًا، فَشَاوَرَ فِيهِ امْرَأً مُسْلِمًا، وَفَّقَهُ اللَّهُ لِأَرْشَدِ أُمُورِهِ).

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. وَجَعَلَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْخِلَافَةَ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ النَّوَازِلِ، شُورَى.

وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ، وَهُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ رَأْيًا وَعَقْلاً بِهَا، حَتَّى لَقَدْ اخْتَلَفَ إِنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ، أَمْ مُسْتَحَبَّةٌ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَلَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ:

شَاوِرْ صَدِيقَكَ فِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلِ   وَاقْبَلْ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَفَضِّلِ
فَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِذَاكَ نَبِيَّهُ   فِي قَوْلِهِ (شَاوِرْهُمْ) و(تَوَكَّلْ)

وَقَالَ آخِرٌ:

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَالَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا   وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ فِيْهَا مَا نَأَى وَدَنَا   وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلا بِمِرْآةِ

فَيَنْبَغِي لِمَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ، أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ، وَخِبْرَتِهِ، وَحِذْقِهِ، وَنَصِيحَتِهِ، وَوَرَعِهِ، وَشَفَقَتِهِ. فَإِذَا كَانَ فِي أَمْرِ الدِّينِ فَعَالِمًا، أَوْ فِي الدُّنْيَا فَمُجَرِّبًا. وَيُنْدَبُ

أَنْ يَسْتَشِيرَ جَمَاعَةً، وَيُعَرِّفُ لَهُمْ مُرَادَهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَمَفْسَدَةٌ، إِنْ عَلِمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَيَتَأَكَّدُ طَلَبُ الْمُشَاوَرَةِ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ. وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِيهِ، وَفِي مُشَاوَرَاتِ عُمَرَ أَصْحَابَهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَرُجُوعِهِ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، إِنْ لَمْ تَظْهَرْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ. وَإِنْ اسْتَشَارَهُ فَلْيُشِرْهُ إِنْ كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ، وَيَبْذُلُ وُسْعَهُ. لِمَا رَوَى جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعاً: (إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ). وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ، فَإِذَا اسْتُشِيرَ فَلْيُشِرْ بِمَا هُوَ صَانِعٌ لِنَفْسِهِ). وَفِي أُخْرَى: (إِنْ شَاءَ أَشَارَ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُشِرْ).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، بَيْتَ أَبِي الْهَيْثَمِ، (فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ لَكَ خَادِمٌ؟، قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ، فَأْتِنَا. فَأُتِيَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْ مِنْهُمَا. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اخْتَرْ لِي. فَقَالَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هَذَا؛ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا). وَلِأَنَّهُ مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ شَرْعًا وَطَبْعًا.

فَصْلٌ: فِي النَّصِيحَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِي مَا رُوِيَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، ورَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ قَالَ: الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (قَالَ أَئِمَّتنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، النَّصِيحَةُ لِلَّهِ ولِرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَاجِبَةٌ). قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْبُسْتِيُّ: (النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةِ إِرَادَةِ الْخَيْرِ، لِلْمَنْصُوحِ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَحْصُرُهَا، وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ: الْإِخْلَاصُ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَصَحْتُ الْعَسَلَ: إِذَا خَلَّصْتُهُ مِنْ شَمْعِهِ).

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الخَفَّافُ: (النُّصْحُ فِعْل الشَيْءِ الَّذِي فِيهِ الصَّلَاحُ والملاءمة، مأخوذ مِنَ النّصَاحِ، وَهُوَ الخيطُ الَّذِي يُخَاطُ بِهِ الثوب).

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق الزّجَاجُ نَحْوَهُ: (فَنَصِيحةُ اللَّه تَعَالَى صِحَّةُ الاعتقاد بالوحدانية، وَوَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابّه وَالْبُعْدُ من مَسَاخِطِهِ، وَالإخْلَاصُ فِي عِبادَتِهِ، وَالنَّصِيحَة لِكِتَابِهِ: الْإِيمَانُ بِهِ والعَمَل بِمَا فِيهِ، وَتَحْسِينُ تِلَاوَتِهِ، وِالتَّخَشُّع عِنْدِهِ، وَتُعظِّمُ لَهُ وَتَفْهَمْهُ، وَالتَّفَقُّهُ فِيهِ، وَالذَّبُّ عَنْهُ، من تَأْوِيلِ الْغَالِينَ، وطَعْنُ الْمُلْحِدِينَ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ: التَّصْدِيقُ بِنُبُوّتِهِ، وَبَذْلُ الطّاعَةِ لَهُ، فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهى عَنْهُ). قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْر: (مُؤَازَرته وَنُصْرَتُهُ، وَحِمَايَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِحْيَاءُ سُنّتِهِ بالطَّلَبِ، وَالذَّبِّ عَنْهَا وَنَشْرِهَا، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِهِ الكَرِيمَةِ، وَآدَابِهِ الجَمِيلَةِ). وَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقُ التُّجِيبِيُّ: (نَصِيحَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَّصْدِيقُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالاعْتِصَامُ بِسُنّتِهِ، وَنَشْرُهَا، وَالحَضُّ عَلَيْهَا، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى كِتَابِهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْعَمَلِ).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْن مُحَمَّدٍ: (مِنْ مَفْرُوضَاتِ الْقُلُوبِ، اعْتِقَادُ النَّصِيحَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الآجُرّيُّ وَغَيْرُهُ: (النُّصْحُ لَهُ يَقْتَضِي نُصْحَيْنِ، نُصْحًا فِي حَيَاتِهِ، وَنُصْحًا بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَفِي حَيَاتِهِ نُصْحُ أَصْحَابِهِ لَهُ بِالنَّصْرِ، وَالمُحَامَاةِ عَنْهُ، وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، وَبَذْلِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَال دُونَهُ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وَأَمَّا نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَالتِزَامُ التَّوْقِيرِ وَالإِجْلالِ، وَشِدَّةُ المَحبَّة لَهُ، وَالمُثَابَرَةُ عَلَى تَعَلُّمِ سُنَّتِهِ، وَالتَّفَقُّهُ فِي شَرِيعَتِهِ، وَمَحبَّةُ آلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمُجَانَبَةُ من رَغِبَ عَنْ سُنّتِهِ، وَانْحرَفَ عَنْهَا وَبُغْضُهُ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى أُمَّتِهِ، وَالْبَحْثُ عَنْ تَعَرُّفِ أَخْلَاقِهِ وَسِيَرِهِ وَآدَابِهِ، وَالصّبْرُ عَلَى ذَلِكَ، فَعَلَى مَا ذَكَرَهُ تَكُونُ النَّصِيحَةُ، إِحْدَى ثَمْراتِ المَحبَّةِ، وَعَلَامَةً مِن عَلَامَاتِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ).

حكَى الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ: (أَنَّ عَمْرو بن اللَّيْثِ، أَحَد مُلُوكِ خُرَاسَانَ، وَمَشَاهِيرِ الثُّوَّارِ، المَعْرُوف بِالصَّفّارِ، رُؤى فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ مَا فَعَلَ اللَّه بِكَ؟، فَقَالَ: غفَرَ لِي، فَقِيل بِمَاذَا؟، قَال صَعِدْتُ ذِرْوَةَ جَبَلٍ يَوْمًا، فَأَشْرَفْتُ عَلَى جُنُودِي، فَأَعْجَبتنِي كَثْرَتُهُمْ، فَتَمَنَّيْتُ أَنِّي حَضَرْتُ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَأَعْنتُهُ وَنَصرتُهُ، فَشَكَرَ اللَّه لِي ذَلِك، وَغفَرَ لِي).

وَأَمَّا النُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَطَاعَتُهُمْ فِي الْحَقّ، وَمَعُونَتُهُمْ فِيهِ، وَأَمْرُهُمْ بِهِ، وَتَذْكِيرُهُمْ إِيّاهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَا غفَلُوا عَنْهُ، وَكُتِمَ عَنْهُمْ من أُمُور الْمُسْلِمينَ، وَتَرْكُ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَتَضْرِيب النَّاسِ، وَإِفْسَادِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ، والنُّصْحُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمينَ، إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحهِمْ، وَمَعُونَتُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، بِالْقَوْلِ وَالفِعْلِ، وَتَنْبِيهُ غَافِلهِمْ، وَتَبْصِيرُ جَاهِلِهِمْ، وَرَفْدُ مُحْتَاجِهِمْ، وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ، وَدَفْعُ المَضَار عَنْهُم، وَجلب المَنَافِعِ إِلَيْهِمْ). انْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ النَّصِيحَةِ.

فَصْلٌ: فِي الْحَثِّ عَلَى طِيبِ الْكَلَامِ وَلِينِهِ وَإِعَادَتِهِ

أَعْظَمُ آيَةٍ فِي ذَلِك، قَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣- ٤٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا، وَالنَّاسُ نِيَامٌ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ، عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ، فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَقَالَ: كُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَلَامًا فَصْلًا، يفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ). وَعَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا).

فَصْلٌ: فِي الْمُزَاحِ

وَعَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ). وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ: (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سمح الْمَقَالة، إِذَا نطَقَ لَيْسَ بِمهذَارٍ، وَكَأن كَلَامَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ، مزاح). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (كَانَ يَمْزَحُ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخذُ الْمَزَّاحَ الصَّادِقَ فِي مُزَاحِهِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَمْزَحُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَإِنْ دَاعَبْتُكُمْ، فَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ، يُكَنَّى أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟، قِيلَ لَهُ: مَاتَ نُغَرُهُ. فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ).

وَعَنْهُ أَيْضاً، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ).

وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ، (أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، فَقَالَ: إِنَّا حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ).

وَيُرْوَى (أَنَّ امْرَأَةً، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا العجز فَأَدْبَرَتْ

تَبْكِي، قَالَ: فَقُولُوا لَهَا: أَنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥- ٣٧].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْمٍ الْفِهْرِيِّ، (أَنَّ امْرَأَة قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ: إِنَّ زَوْجِي يَدْعُوك، فَقَالَ: أَهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ).

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَشْجَعَ، يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: (وَكَانَ رَجُلًا بَدَوِيًّا، لَا يَزَال يَأْتِي النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِطُرْفَةٍ، أَوْ هَدِيَّةٍ يُهْدِيهَا، فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، يَبِيعُ سِلْعَةً لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ أَتَاهُ، يَعْنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ وَرَائِهِ بِكَفَّيْهِ، فَالْتَفَتَ، وَأَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَّلَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟، قَالَ: إِذَنْ تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَاسِدًا، قَالَ: وَلَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِيحٌ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ حَاضِرَةٍ بَادِيَةً، وَإِنَّ بَادِيَةَ آلِ مُحَمَّدٍ زَاهِرُ بنُ حَرَامٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحِبُّهُ، وَكَانَ دَمِيمًا. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جَوَابِهِ: لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ).

وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الْبَابِ، وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ مُزَاحِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَانَتْ لَهُ مَهَابَةٌ، فَلِذَا كَانَ يُبْسِطُ النَّاسَ بِذَلِكَ.

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهٍ صَبِيحٍ ... وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ
فَبِهَذَا وَذَا تَتِمُّ الْمَعَالِي طُرُق ... الْجِدّ غَيْر طُرُقِ الْمُزَاحِ

وَعَنْ قُرَّةَ، قَالَ: (قُلْتُ لِابْنِ سِيرِينَ: هَلْ كَانُوا يَتَمَازَحُونَ؟، فَقَالَ: مَا كَانُوا إِلَّا كَالنَّاسِ، كَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَمْزَحُ وَيُنْشِدُ:

يُحِـبُّ الْخَمْـرَ مِـنْ كِـيسِ النَّـدَامَى   وَيَكْــرَهُ أَنْ تُفَارِقَــهُ الْفُلُــوسُ

وَذَكَرَ غَالِب، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: (أَتَيْتُهُ يَوْمًا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هِشَامٍ، فَقَالَ: تُوُفِّيَ الْبَارِحَةَ أَمَا شَعَرْتَ؟، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ. فَضَحِكَ).

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ أُخْرَى بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُزَاحِ. مِنْهَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ).

(وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، لَا يُرِيدُ بِهَا بَأْسًا، إِلَّا لِيُضْحِكَ بِهَا الْقَوْمَ، وَإِنَّهُ لَيَقَعُ مِنْهَا أَبْعَدَ مِنَ السَّمَاءِ).

وَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ ذَلِكَ، بِأَنَّ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ إِفْرَاطٌ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يُورِثُ كَثْرَةَ الضَّحِكِ وَقَسَاوَةَ الْقَلْبِ، وَيَشْغَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَيَرْجِعُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ إِلَى الْإِيذَاءِ وَالاِحْقَارِ، وَسُقُوطِ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ، فَإِنْ خَلَا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ الْمُبَاحُ، كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ إِلَّا فِي نَادِرِ الْأَحْوَالِ، لِمَصَالِحِ مِن تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ، فَهَذَا لَا مَانِعَ مِنْهُ قَطْعًا.

بَلْ يُسَنُّ وَيُسْتَحَبُّ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَلَعَلَّ إِلَى هَذَا أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (الْهَوْا وَالْعَبُوا، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُرَى فِي دِينِكُمْ غِلْظَةٌ).

فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ لِمَنْ قَالَ التَّبْشِيرَ وَالتَّهْنِئَةَ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]. ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ، لِيُسِرَّهُ، سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وَمِنَ الْأَحَادِيثِ تَبْشِيرُهُ خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ، مِنْ قَصَبٍ، لَا نَصَبَ فِيهِ وَلَا صَخَبَ). وَفِي قِصَّةِ تَوْبَةِ مَالِكٍ. وَتَبْشِيرُهُ الْعَشَرَةَ بِالْجَنَّةِ وَغَيْرِهُمْ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الطَّوِيلِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ: (اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ).

وَمِنْهَا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فِي قِصَّةِ تَوْبَةِ مَالِكٍ، قَالَ: (سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا

سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ، مَرَّ عَلَيْكَ، مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، خُلِقْتَ مِنْ طِينَتِي، وَأَبُوكَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ).

وَعَنْ أُسَامَةَ، قَالَ: (تَبِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَيْتِ حَمْزَةَ، فَلَمْ نَجِدْهُ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: جِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَكَ وَأُهَنِّئَكَ، أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَارَةَ، أَنَّكَ أُعْطِيتَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ، اسْمُهُ الْكَوْثَرَ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ.

وَعَنْ أَبِي الْيَسَرِ، (لَمَّا تَخَلَّصَ عُمَرَ إِلَى الْعَبَّاسِ، يَوْم بَدْرٍ، أَقْبَلَ يُنَادِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ؟ الْبُشْرَى، قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَمَّكَ الْعَبَّاسَ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ يَا عُمَرُ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَعِنْ عُمَرَ وَأَيِّدْهُ).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ لَقِيطٍ الْعَامِرِيّ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُبَشِّرُهُ بِإِسْلَامِ قَوْمِي وَطَاعَتِهِمْ، وَوَافِدٌ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، قَالَ: أَنْتَ الْوَافِدُ الْمَيْمُونُ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ. قَالَ: وَمَسَحَ نَاصِيَتِي، ثُمَّ صَافَحَنِي).

(فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْبَيْتَ، قَالَ: هَلْ أَطْعَمْتُمْ ضَيْفَكُمْ شَيْئًا؟، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَضَعْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا غَيْرُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشَاةٍ، فَذُبِحَتْ، فَقِيلَ، فَقَالَ: مَا لَكِ؟، ذَبَحْنَاهَا لِأَنْفُسِنَا، إِنَّ غَنَمَنَا إِذَا زَادَتْ عَلَى الْمِائَةِ شَاةٍ، ذَبَحْنَاهَا لِأَنْفُسِنَا).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُو الْمُهَنِي، لِمَا مَرَّ مِنْ حَدِيثِ، (مَنْ صَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ).

فَصْلٌ: فِي التَّعَجُّبِ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١- ٣]. أَيْ قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، حَامِدًا لَهُ، وَمُتْعَجِبًا مِنْ تَيْسِيرِ اللَّهِ لَكَ، بِمَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ أَحَدٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّهُ لَقِيهُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْسَلَّ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ: أَيْنَ كُنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَيْتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسُكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ).

عَنْ عَائِشَةَ، (أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟، قَالَ: تَطَهَّرِي بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي. فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ). وَ(الْفِرْصَةُ)، بِكَسْرِ الْفَاءِ، وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ: الْقِطْعَةُ، وَرُوِي بِالْقَافِ، أَيْ قِطْعَةً مِنَ الْفَرْصِ. وَضَعَّفَ النَّوَوِيُّ قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَصَوَّبَ الْأَوَّلَ. وَ(الْمِسْكُ) بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، طِيبٌ مَعْرُوفٌ. وَقِيلَ: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ: أَيْ الْجِلْدُ، وَقِيلَ: غَيْرُهُ.

وقَالَ النَّوَوِيُّ: والْمُخْتَارُ أَنَّهَا تَأْخُذُ قَلِيلاً مِنَ المِسْكِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قُطْنَةٍ، أَوْ صُوفَةٍ، أَوْ خِرْقَةٍ، أَوْ نَحْوِهَا، وَتَجْعَلُهُ فِي الْفَرْجِ، لِتُطَيِّبَ الْمَحَلَّ، وَتُزِيلَ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ إِسْرَاعُ عُلُوقِ الْوَلَدِ.

عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ أُخْتَ الرُّبَيِّعِ، أُمَّ حَارِثَةَ، جَرَحَتْ إِنْسَانًا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْقِصَاصَ، الْقِصَاصَ. فَقَالَتْ أُمُّ الرَّبِيعِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُقْتَصُّ مِنْ فُلَانَةَ؟، وَاللَّهِ لا يُقْتَصُّ مِنْهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أُمَّ الرَّبِيعِ، الْقِصَاصُ كِتَابُ اللَّهِ، قَالَتْ: لَا، وَاللَّهِ لَا يُقْتَصُّ مِنْهَا أَبَدًا، قَالَ: فَمَا زَالَتْ حَتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ، فِي قِصَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أُسِرَتْ، فَانْفَلَتَتْ، وَرَكِبَتْ نَاقَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى لِتَنْحَرَنَّهَا، فَجَاءَتْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، بِئْسَ ما جَزَتْهَا).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيَّ، حَدَّثَهُ (أَنَّهُ، مَرَّ وَصَاحِبٌ لَهُ، بِأَيْمَنَ، وَفِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ حَلُّوا أُزُرَهُمْ، فَجَعَلُوهَا مَخَارِيقَ، يَجْتَلِدُونَ بِهَا، وَهُمْ عُرَاةٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَمَّا مَرَرْنَا بِهِمْ، قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ قِسِّيسُونَ، فَدَعُوهُمْ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ تَبَدَّدُوا، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُغْضَبًا، حَتَّى دَخَلَ الْحُجْرَةَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا مِنَ اللَّهِ اسْتَحْيَوْا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (جَاءَ سَائِلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ، فَلَمْ يَأْخُذْهَا، وَأَتَاهُ آخَرُ، فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَمْرَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: اذْهَبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَمُرِيهَا فَلْتُعْطِهِ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، الَّتِي عِنْدَهَا).

وَعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، قَالَ: (غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (سُبْحَانَ اللَّهِ).

وَعَنْ عُمَرَ، قَالَ: (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟، قَالَ: لَا، قُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ).

وَعَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: (قُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَرَأَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ أَمْ فِي آخِرِهِ، قَالَتْ: رُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي أَوَّلِهِ، وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي آخِرِهِ. قُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَعَلَ فِي الْأُمُورِ سَعَةً).

وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ كَثِيرَةٌ.

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ عَمَلُ الْأُمَّةِ، سَلَفًا وَخَلَفًا، وَكَرِهَ سَحْنُونٌ الْمَالِكِيُّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَم يَكْرَهُهَا الْحَلِيمِيُّ. كَـ(سُبْحَانَ اللَّهِ)، وَهُوَ أَظْهَرُ، نَعَمْ يُكْرَهُ ذَلِكَ عِنْدَ فِعْلٍ مَكْرُوهٍ، وَيَحْرُمُ عِنْدَ مُحَرَّمٍ. بَلْ قِيلَ بِكُفْرِ قَائِلِهِ، وَقَبِيحِ التَّقْنِيطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَسَنٌ ضِدِّهِ.

وَعَنْ جُنْدَبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ، أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ).

فَصْلٌ: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ). فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ، قَالَ: (إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ).

فَالْحَاصِلُ أَنَّ التَّغْلِيظَ مِنَ الْكَبَائِرِ، إِذْ هُوَ تَحَكُّمٌ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَبِّبُوا اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، يُحِبَّكُمُ اللَّهُ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، بَعْدَ الْفَرَائِضِ، إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ).

وَهَذَا لَا يُنَافِي كَرَاهِيَة الْعَاصِي لِعِصْيَانِهِ، وَمَحَبَّة الطَّائِعِ لِطَاعَتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَطْلُوبٌ شَرْعًا وَطَبْعًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةْ

وَأَكْرَهُ مَنْ تِجَارَتُهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةْ

لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهِ). وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَيْحَكُمْ، أَحِبُّونَا لِلَّهِ، فَإِنْ أَطَعْنَا اللَّهَ فَأَحِبُّونَا، وَإِنْ عَصَيْنَا اللَّهَ فَأَبْغِضُونَا. قُولُوا فِينَا الْحَقَّ، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِيمَا تُرِيدُونَ، وَنَحْنُ نَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ).

فَصْلٌ: فِي الشَّفَاعَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

قَالَ الْحَسَنُ: (الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ مَا يَجُوزُ فِي الدِّينِ الشَّفَاعَة فِيهِ، وَالشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ مَا لَا يَجُوزُ فِيهِ). وَقِيلَ: (الْحَسَنَةُ الدُّعَاءُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ). وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، الشَّفَاعَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَهِيَ شَفَاعَةُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ. كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ.

وَ(الْكِفْلُ): الْحَظُّ وَالنَّصِيبُ، وَ(الْمُقِيتُ): الْمُقْتَدِرُ لُغَةٌ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبَعْضِ الْمُفَسِّرِين. وَقِيلَ: الْحَفِيظُ. وَقِيلَ: الشَّهِيدُ. وَقِيلَ: الْمُجَازِي بِالْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ. وَقِيلَ: الَّذِي عَلَيْهِ قُوتُ كُلِّ دَابَّةٍ. وَكُلُّ هَذَا رَاجِعٌ لِمَعْنَى الْحَفِيظِ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ). وَفِي لَفْظٍ: (مَا شَاءَ). وَفِي أُخْرَى: (اشْفَعُوا لِي تُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ... إلخ).

وَ فِي قِصَّةِ بريرَةَ وَزَوْجِهَا، (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟، فَقَالَ النَّبِيُّ: لَوْ رَاجَعْتِهِ؟، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: إِنَّمَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لا حَاجَةَ لِي فِيهِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللِّسَانُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ؟، قَالَ: الشَّفَاعَةُ يُفَكُّ بِهَا الْأَسِيرُ، وَيُحْقَنُ بِهَا الدَّمُ، وَتَجُرُّ بِهَا الْمَعْرُوفَ وَالْإِحْسَانَ إِلَى أَخِيكَ، وَتَدْفَعُ بِهَا الْكَرِيهَةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ وَصْلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغِ بِرٍّ، أَوْ تَيْسِيرِ عَسِيرٍ، أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصِّرَاطِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ).

وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، أَظَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِخَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَلَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، حَتَّى يَفْرُغَ، فَإِذَا فَرَغَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَجَّةً وَعُمْرَةً).

قَالَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: الشَّفَاعَةُ إِلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ، مَرْغُوبٌ فِيهَا. وَيُجُوزُ كَالشَّفَاعَةِ إِلَى نَاظِرِ يَتِيمٍ، أَوْ وَقْفٍ، أَوْ مَجْنُونٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فِي تَرْكِ بَعْضِ حُقُوقِهِمْ. بَلْ تُحْرَمُ كَقُبُولِهَا الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَصْلٌ: فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَاكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ، فَلَا يُسْتَجِيبَ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرَ لَكُمْ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا يَدْفَعُ رِزْقًا، وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلًا، وَإِنَّ الْأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى، لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ، ثُمَّ عُمُّوا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ الْجِهَادِ، كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا، وَتَرُدُّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، حَتَّى يَسْتَخِفُّوا بِهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الِاسْتِخْفَافُ بِحَقِّهَا؟، قَالَ: أَنْ يَظْهَرَ الْعَمَلُ بِمَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُنْكَرُوهُ وَلَا يُغَيِّرُوهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ، فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ: يَا ظَالِم، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ الرَّجُلَ يَتَعَلَّقُ بِالرَّجُلِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا

لَكَ إِلَيَّ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَك مَعْرِفَةٌ. فَيَقُولُ: كُنْت تَرَانِي عَلَى الْخَطَأِ، وَعَلَى الْمُنْكَرِ، وَلَا تَنْهَانِي).

وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ أَكْثَر مِنْ أَنْ تُحْصَرَ فِي ذَلِك.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ، الَّتِي تَسَاهَلَ النَّاسُ فِيهَا، لَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا، وَقَدْ أَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى افْتِرَاضِهَا كِفَايَة، إِلَّا بَعْض الرَّافِضَةِ كَمَا مَرَّ.

وَقَدْ يَكُونَانِ بِالتَّعْيِينِ، كَمَا إِذَا نَصَّبَ الْإِمَامُ شَخْصًا لِذَلِك، أَوْ لَا يَعْلَمُهَا أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا هُوَ. وَلَا يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَقَوْلُ عَائِشَةَ: (قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى لَا نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا نَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟، قَالَ: إِذَا كَانَ الْبُخْلُ فِي خِيَارِكُمْ، وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي رُذَّالِكُمْ، وَإِذَا كَانَ الِادِّهَانُ فِي كِبَارِكُمْ، وَإِذَا كَانَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ).

لِأَنَّ الْأَولَى مَعْنَاهَا: أَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، فَلَا يَضُرُّكُمْ ضَلَالَةُ مَنْ ضَلَّ. وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

وَمُلْزِمَةٌ لِوُجُوبِ ذَلِكَ، عَلَى مَا عَلَيْهِ عَامَّةُ الْمُحَقِّقِينَ، مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ. وَمِنْهُمْ صَاحِبُ [الْمَدَارِكِ]، وَالسَّعْدُ، وَالنَّوَوِيُّ. وَدَلِيلُهُمْ مَا ثَبَتَ مِنْ أَسَانِيدِ صَحِيحَةٍ

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِقَابِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُومُونَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ لِيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ).

وَلِلْآيَةِ مَعَانِي غَيْرِ ذَلِكَ، غَيْرُ مُسْقِطَةٍ لِوُجُوبِهَا، إِلَّا عِنْدَ عَدَمِ الْإِفَادَةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي، وَالْحَدِيثُ مِثْلُهَا، أَوْ آيَةُ الْإِكْرَاهِ، فَمَنْسُوخَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ إِنْ ذَلِكَ إِكْرَاهٌ.

قَالَ السَّعْدُ: وَالْمُرَادُ بِالْمَعْرُوفِ الْوَاجِبِ، وَالْمُنْكَرُ الْحَرَامِ، وَلِذَا بَتُّوا الْقَوْلَ بِأَنَّهَا وَاجِبَاتٌ مَعَ الْقَطْعِ، بِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ الْمَنْدُوبِ، لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَنَقَلَ فِيهِ قَوْلَانِ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا عِنْدَنَا فَهُوَ تَابِعٌ لِمَا يُؤْمَرُ بِهِ. فَإِنْ كَانَ فَرْضًا فَفَرْضٌ، وَوَاجِبًا فَوَاجِبٌ، أَوْ سُنَّةٌ فَسُنَّةٌ، أَوْ مُسْتَحَبًّا فَمُسْتَحَبٌّ. كَمَا فِي [شَرْحِ الْجَوَاهِرِ]. وَأُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مُحَرَّمَيْنِ، إِنْ أَدَّيَا إِلَى إِضْرَارٍ عَظِيمٍ بِغَيْرِهِ.

وَمَكْرُوهَيْنِ إِنْ كَانَ الضَّرَرُ لَطِيفًا، ثُمَّ هُمَا يُطْلُبَانِ عَلَى الْفَوْرِ إِجْمَاعًا، حَتَّى إِجْمَاعًا، حَتَّى قَالُوا إِنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْرُوفَيْنِ مَعًا وَجبَا، نَحْو قُومُوا لِلصَّلَاة، وَيَتكَرَّرُ أَنْ يُجِيبَ الدَّاعِي عَلَى الْأَظْهَرِ.

وَيطْلُبُ النَّهْي عَنِ الصَّغَائِرِ، الْغَيْر الْمُصِرّ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لَا تُزِيلُ الْوِلَايَة وَالتَّقْوَى، عَلَى الظَّاهِرِ، خِلَافًا لِمَا فِي [شَرْحِ الْجوَاهِرِ]، ثُمَّ الْكَلَامُ فِيهَا يَنْحَصِرُ فِي أَرْبعَةِ أَشْيَاءَ: آمِرٌ وَأَمْرٌ وَمَأْمُورٌ بِهِ، وَالنَّهْي كَذَلِك.

فَالْآمِرُ كُلُّ مُكَلَّفٍ مُسْلِمٍ، قَادِرٌ، عَارِفٌ بِحُكْمِ ذَلِكَ. وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ إِذْنُ الْإِمَامِ، وَلَا الْعَدَالَة عَلَى الْأَظْهَرِ، عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَرْبَعَةِ.

حَتَّى قَالُوا يَجِبُ عَلَى مُتَعَاطِي الكَأْسِ، أَنْ يُنْكِرَ عَلَى الْجُلَّاسِ. وَإِن اُسْتَقْبِحَ مِنْهُ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. وَأُنْشِدَ:

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى ... طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاس وَهُوَ عَلِيلُ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وَالْأَمْرُ شَرْطُهُ أَنْ لَا يُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَة، وَيَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ إِنْتَاجهُ، فَمَنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَفْعَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يخلقَهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ عِرَضِهِ، أَوْ مَالِهِ، وَجبَا عَلَيْهِ. وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ، إِلَّا بِالْأَذَى قَبْلَه أَذَى، أَوْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنّهِ وُقُوعِه، سَقَطَ الْوُجُوبُ، وَبَقِي الْجوَازُ وَهُوَ الْأَفْضَلُ.

وَإِنْ خَافَ الْقَتْلَ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّ الْأَذَى تَكُونُ لِغَيْرِهِ، يُحرَمُ أَوْ يُكْرَهُ الْأَذَى. ثُمَّ لَا فَرْقَ أَنْ تَكُونَ الْفِتْنَة أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْنَى. وَقِيلَ: لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَفْسَدَةُ

أَعْظَم، وَاخْتُلِفَ هَلْ تَكْفِي غَلَبَةُ الظَّنِّ، بِعَدَمِ الإِنْتَاجِ فِي السُّقُوطِ، أَمْ لَا، فَكَثِيرٌ مِنْ عِبَارَاتِ عُلَمَائِنَا، تُشِيرُ إِلَى الْأَوَّلِ.

وَمِنْهَا قَوْلُ الْمُلَّا عَلِيّ: (فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ، فَيُسْتَحْسَنُ إِظْهَارُ شِعَارِ الْإِسْلَامِ). وَفِي [جَامِعِ الفَتَاوَى]: (رَجُلٌ رَأَى عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ نَجَاسَةً، أَكْثَرَ مِنْ قَدْرِ الدِّرْهَمِ، إِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ، أَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، اشْتَغَلَ بِغَسْلٍ، لَمْ يَسَعْهُ أَنْ لَا يُخْبِرَهُ؛ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ مُفِيدٌ، وَإِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ، أَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَهُ، لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى كَلَامِهِ، كَانَ فِي سَعَةٍ مِنْ أَنْ لَا يُخْبِرَهُ؛ لِأَنَّ الْإِخْبَار لَا يُفِيدُ).

قَالُوا مَشَايِخُنَا: (الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى هَذَا، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَهُمْ، أَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ يَجِبُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَا). عَلَى هَذَا الْمَالِكِيَّةِ. كَمَا قَالَ الْقُرَافِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَالَّذِي فِي كَلَامِ السَّعْدِ وَالْآمِدِيّ. أَنَّهُمَا لَا يَسْقُطَانِ إِلَّا بِالْقَطْعِ بِعَدَمِ الْإِفَادَةِ. وَعَلَى قَوْلِ النَّوَوِيّ لَا مُطْلَقًا. وَإِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَهُ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَى كَلَامِهِ، كَانَ فِي سَعَةٍ، أَنْ لَا يُخْبِرُ، لِأَنَّ الْإِخْبَارَ لَا يُفِيدُ.

ثُمَّ مَرَاتِبُهُ ثَلَاثَةٌ: بِالْيَدِ، ثُمَّ اللِّسَانِ، ثُمَّ الْقَلْبِ، وَهُوَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ، أَيْ أَضْعَفُ ثِمَارِهِ، أَوْ زَمَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ. وَالْأَحْسَنُ كَمَا قَالَهُ اللَّقَانِيُّ. الْمُرَادُ فِي الْإِيمَانِ، الْعَمَلُ عَلَى حَدِّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أَيْ: فِي صَلَاتِكُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ. فَلَا يُرَادُ أَنَّ الْمَقْهُورَ السَّاكِتَ، قَدْ يَكُونُ أَقْوَى النَّاسِ إِيمَانًا، فَتَدَبَّرْهُ.

ثُـمَّ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرَاتِبَ، تَكُونُ فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ، وَعَلَيْهِ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ، وَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَائِنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَوَّلُ لِلْأُمَرَاء، وَالثَّانِي لِلْعُلَمَاءِ، وَالثَّالِثُ لِلْعَامَّةِ.

وَفِي [السِّرَاجِ]: بِالْيَدِ إِلَى الْأُمَرَاءِ لِقُدْرَتِهِمْ، وَبِاللِّسَانِ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَفِي [التَّجْنِيسِ]: وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَوَامِّ، أَنَّ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، بَلْ عَلَى الْقَاضِي وَالْمُفْتِي، أَوْ الْعَالِمِ الَّذِي اُشْتُهِرَ عِلْمهُ، لِأَنَّهُ أَسَاءَ أَدَبًا، أَوْ لِأَنَّهُ بِمَا يَرَى هُوَ فِي ذَلِكَ ضَرُورَة، وَالْعَامِّيّ لَا يُفْهَمُ ذَلِكَ. اهـ.

قُلْتُ: وَالْكَلَامُ فِي الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، لَا كَمَنْ يَرَى مِنَ الْمُتَخَبِّطِينَ.

وَالْمَأْمُورُ شَرْطُهُ، أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا بِحَيْثُ يَكُونُ الْمَمْنُوع مِنْهُ فِي حَقِّهِ مُنْكَرٌ، وَالْمَأْمُورُ بِهِ مُكَلَّفًا، فَيُمْنَعُ الصَّبِيّ وَالْمَجْنُون مِنَ الزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَإِتْلَافِ الْمَالِ، وَلُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

وَلَا يُؤْمَرُ أَنْ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ. إِلَّا إِذَا مَيَّزَ الصَّبِيُّ الصَّلَاةَ، فَيُؤْمَرُ بِهَا لِسَبْعٍ، وَيُضْرَبُ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، بِيَدٍ لَا بِخَشَبَةٍ.

وَفِي [تَفْسِيرِ الْجَوَاهِرِ]: وَالْمُفْتَقِرُ إِلَى الْأَمْرِ، ثَلَاث فِرَق: كُفَّارٌ، وَمُبْتَدَعَةٌ، وَفُسَّاقٌ. فَيُؤْمَرُ الَّذِي بِاللِّسَانِ، لَا بِالسَّيْفِ وَلَا الْبَنَانِ، لِأَنَّا نُهِينَا عَنْ قَتْلِهِمْ. وَيَجُوزُ وُجُوبُ الْأَمْرِ بِاللِّسَانِ دُونَ الْيَدِ.

كَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ، أَنْ يَأْمُرَهُ وَالِدُهُ بِاللِّسَانِ، لَا بِالْيَدِ، لِحُرْمَةِ إِيذَائِهَا، بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ. ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وَكَذَا يَجِبُ عَلَى الْأَمْثَلِ، ثُمَّ يَأْمُرُ السُّلْطَانُ بِاللِّسَانِ دُونَ الْيَدِ، فَكَانَ الاكْتِفَاء بِاللِّسَانِ فِي حَقِّ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَيُؤْمَرُ الْمُبْتَدِعَةَ بِاللِّسَانِ ثُمَّ بِالْيَدَيْنِ، وَكَذَا الْفُسَّاقَ.

وَالْمَأْمُورُ بِهِ فِعْلهُ أَوْ تَرْكهُ، فَأَوَّلُ الْمَعْرُوفُ. وَالثَّانِي الْمُنْكَرُ، وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَّفَقًا عَلَى طَلَبِهِ أَوْ مَنعِهِ، مَوْجُودًا فِي الْحَالِ، ظَاهِرًا بِلَا تَجَسُّسٍ. ثُمَّ هُوَ إِنْ كَانَ مِمَّا يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَةِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ. فَيَجِبُ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَإِلَّا اُخْتُصَّ بِالْعُلَمَاءِ إِنْ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ. وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَلَا، إِلَّا عَلَى مَنْ يُوَافِقُهُ فِي الْمَذْهَبِ وَالِاعْتِقَادِ، لِأَنَّ كُلًّا يُخَاطَبُ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ.

وَهَذَا لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ نَصًّا فِي كَلَامِ الْحَنَفِيَّةِ، لَكِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ مُقْتَضَى قَوَاعِدِهِمْ، وَيَعْضُدُهُ قَوْلُ الْقَرَافِيِّ الْمَالِكِيِّ، إِذَا رَأَيْنَا مِنْ فِعْلٍ شَيْئًا مُخْتَلِفًا، فِي تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَيْس عَاصِيًا، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، وَهُوَ جَيِّدٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَقْتَضِي وُجُوب الْأَمْرِ، وَالْإِنْكَار عَلَى مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْهُمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ.

وَقَالَ [شَارِح الْجَوَاهِرِ]، فِي قَوْلِهِ: مُنْكَر الْفَسَادِ، وَإِشَارَة إِلَى أَنْ مَا يُتَوَهَّمُ فَسَادُهُ، مَع أَنَّهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ عَقْلاً وَشَرْعًا. لَا يُنْهَى عَنْهُ، فَلَيْس لِلْإِمَامِ الْحَنَفِيّ أَنْ يَنْهَى عَنْ مَذَاهِبِ غَيْرِ الْحَنَفِيِّ، مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ فَسَادٌ، وَكَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ لَيْس لَهُ النَّهْي عَنْ مَذَاهِبِ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ اخْتِلَاف الْمُجْتَهِدِينَ، لَيْس مُنْكَرٌ عَقْلاً وَلَا شَرْعًا، لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ، كَثُرَ اخْتِلَافهُمْ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَى أَحَدٍ، بَلْ سَوَّقَ الاجْتِهَاد. اهـ .

وَقَدْ نَصُّوا فِي [كِتَابِ الذَّبَائِحِ] وَغَيْرِهِ، عَلَى أَنَّهُ يُحَاجِجُ الْحَنَفِيّ وَالشَّافِعِيّ. فَمُقْتَضَى ذَلِكَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى مَا قَالَ بَعْضُهُمْ، مِنْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ وَجْهُ الْخِلَافِ ضَعِيفًا جِدًّا، فَيُنْكِرُ، كَمَا قَالَ فِي [الْمُحِيطِ].

مِنْ أَنَّ لِلْحَنَفِيّ أَنْ يَحْتَسِبَ عَلَى الشَّافِعِيّ، فِي أَكْلِ الضَّبُعِ، وَمَتْرُوكِ التَّسْمِيَةِ عَمْدًا، وَلِلشَّافِعِيّ أَنَّ يَحْتَسِبَ عَلَى الْحَنَفِيّ فِي شُرْبِ الْمُثَلَّثِ، وَالنِّكَاحِ بِلَا وَلِيٍّ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ، إِذَا لَمْ يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافٍ بِشَيْءٍ، مِمَّا يَغْلِبُ فِي مَذْهَبِهِ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ كَانَ الشَّخْصُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالْحُكْمِ، يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ أَوْ يَنْهَى، وَكَذَا إِذَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْإِضْرَارِ بِالْغَيْرِ، وَإِنْ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَذُبُّ كَمَا إِذَا ظَنَّ عَدَمِ الْقَبُولِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ إِذَا أَخَذَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ

قَالَ نَحْوَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي ذَلِكَ، (قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ يَوْمُ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ، سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ، صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]).

وَلِصِفَةِ الْمَنْعِ، سَبْع مَرَاتِبَ:

الْأُولَى: التَّعْرِيفُ بِأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ مُنْكَرٌ، إِذْ كَثِيرًا مَا تَقَدَّمَ الْجَهَلَةُ عَلَى مَنَاكِيرٍ يَعْتَقِدُونَهَا جَائِزَةً، أَوْ مَأْمُورًا بِهَا.

وَالثَّانِيَةُ: النَّهْي بِالْوَعْظِ، وَالتَّخْوِيف بِاللهِ تَعَالَى.

الثَّالِثَةُ: السَّبُّ وَالتَّعَنُّف بِالْقَوْلِ، كَقَوْلِ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

وَلِهَذِه الْمَرْتَبَةِ ثَلَاثَة شُرُوطٍ: الْأَوَّلُ: الْعَجْزُ عَنِ الْمَنْعِ بِاللَّفْظِ. وَالثَّانِي: ظُهُورُ الاسْتِهْزَاءِ بِالْوَعْظِ، وَعَدَم الْقَبُولِ لِلنُّصْحِ. وَالثَّالِثُ: ظَنُّ الْمَنْفَعَةِ فِي ذَلِكَ، وَرَجَاءُ رُجُوعِه.

الرَّابِعَةُ: التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ.

الْخَامِسَةُ: التَّهْدِيدُ وَالتَّخْوِيفُ، وَشَرْطُ ذَلِكَ نَفْي تَأْثِيرِ مَا تَقَدَّمَ.

السَّادِسَةُ: الضَّرْبُ بِالْيَدِ، بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَهْرُ سِلَاحٍ، وَهُوَ جَائِزٌ لِآحَادِ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْأَظْهَرِ، سَوَاءٌ فِيهِ حَقُّ اللهِ، وَحَقُّ الْآدَمِيّ، وَشَرْطُ ذَلِك دَعْوَى الضَّرُورَةِ، وَالاقْتِصَارُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ.

السَّابِعَةُ: لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِنَفْسِه، وَيَحْتَاجُ إِلَى أَعْوَانٍ، يُشْهِرُونَ السِّلَاحَ، فَرُبَّمَا الْفَاسِقُ بِأَعْوَانِهِ أَشْهَرُوا، فَتَقَاتَلَ الْفَرِيقَانِ، وَفِي افْتِقَارِ هَذِهِ إِلَى إِذْنِ الْإِمَام قَوْلَانِ، الْأَظْهَرُ الافْتِقَارُ لِئَلَّا يُؤَدِّي إِلَى فَسَادٍ.

وَيَنْبَغِي الرِّفْقُ مَا أَمْكَنَ، إِذَا بِهِ يَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ غَالِبًا بِخِلَافِ ضِدّهِ، وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَمَرَ مُسْلِمًا بِمَعْرُوفٍ، فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذَلِك بِالمَعْرُوفِ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ وَعظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصحَهُ، وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً، فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ).

وَيَجُوزُ أَنْ يَقُول لَهُ: وَيْلَكَ، أَوْ يَا ضَعِيفَ الْحَالِ، أَوْ يَا قَلِيلَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ، أَوْ نَحْوهُ. مِمَّا لَا كَذِبَ فِيهِ، وَلَا قَذْف، وَلَا تَعْرِيضٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَتْ بِذَلِك الْأَحَادِيثُ، وَيُقْصَدُ بِهِ التَّأْدِيبَ، لِيَكُونَ أَوْقَع لِلنَّفْسِ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فَاسِقًا، فَيَقُولُ مَعَ الْحَيَاءِ مَثْلاً: تُبْ عَنِ الْقَبِيحِ، فَإِنَّهُ دِينٌ. وَإِنْ قَدْ غَلَبَتْنِي الشَّهْوَة، فَفَعَلْتُ فَلَا تُهْلِكْ مِثْلِي، وَنَحو ذَلِكَ.

ثُمَّ لَا يَجُوزُ كَسْرُ شَيْء مِنْ آلَاتِ اللَّهْوِ، أَمْكَنَ الانْتِفَاعُ بِهَا فِي غَيْرِهِ. عَلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمُخْتَار الشَّافِعِيَّةِ، وَقَالَا: (لَا تكْسِرْ). وَاخْتَارَ الْبَعْضُ لِلْفَتْوَى. وَلَيْسَ لَهُ التَّجَسُّس وَالْبَحْث وَاقْتِحَام الدُّور بِالظَّنّ. إِلَّا إِذَا أُخْبِرَ بِحُرْمَةٍ تَفُوتُ، مِثْل أَنْ يُقَالَ فُلَان خَلَا بِفُلَانٍ لِقَتْلِهِ، أَو بِفُلَانَةٍ لِيَزْنِي بِهَا، وَنَحْوه.

وَقَالَ فِي [الْوَجِيزِ]: مَنْ أَظْهَرَ الْفِسْقَ فِي دَارِهِ، يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَفَّ عَنْهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُفِّ عَنْهُ، فَإِنْ شَاءَ حَبَسَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزْعَجَهُ فِي دَارِهِ. وَإِنْ سَمِعَ مَزَامِيرَ أَوْ مَعَازِف، فَلَا بَأْس بِالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ.

وَفِي [الْغُنْيَةِ]: وَيَجُوزُ الدُّخول عَلَى أَهْلِ الْمَلَاهِي، بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، لِلْمَنْعِ، إِنَّهُ فَرْضٌ. اهـ.

قُلْتُ: وَهَذَا إِذَا لَمْ يَمْتَنِعُوا بِالنَّهْيِ مِنْ خَارِجٍ. وَتَمَامُ فُرُوعِهَا يُطْلَبُ مِنْ مَحَالِهِ، وَقَدْ صَارَ مِنْ غَلَبَةِ تَرْكِهَا اسْمًا بِلَا مُسَمًّى. فَنَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

وَرُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَنَّهُمْ قَالُوا: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا، لَا يَسْتَطِيعُ النَّكِيرِ عَلَيْهِ، فَلْيَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مُنْكَرٌ لَا أَرْضَاهُ). فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ، فَإِنْ سَكَتَ، فَكُلُّهُم عَاصٍ، هَذَا بِفِعْلِهِ وَهَذَا بِسُكُوتِهِ وَرِضَاهُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّاضِي بِمَنْزِلَةِ الْعَامِلِ، فَانْتَظَمَ فِي الْعُقُوبَةِ، لِمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُهَاجِرَ مِنَ الْبَلَدِ، الَّذِي فِيهِ الْمُنْكَرُ، لِئَلَّا يَأْتِيهَا عَذَابٌ، فَيُصِيبُهُ مَعَهُمْ.

فَصْلٌ: فِي حِفْظِ اللِّسَانِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُسْلِمِينَ؟، قَالَ: مَنْ سَلِمَ لِسَانِهِ وَيَدِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَسلمَ الْمُسْلِمُونَ إِسْلامًا، مَنْ سَلِمَ لِسَانِهِ وَيَدِهِ). وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ).

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ، فَسَكَتُوا، فَلَمْ يُجِبْ أَحَدٌ. قَالَ: هُوَ حِفْظُ اللِّسَانِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). وَفِي رِوَايَةٍ: بِحَذْفِ ذِكْرِ (الْمَغْرِبِ). وَيَتَبَيَّن مَعْنَاه يَتفكَّرَ فِي كَوْنِهَا خَيْرٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

وَفِي أُخْرَى: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ).

وَفِي أُخْرَى: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ، إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيُكْتَبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخطه إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ).

وَعَنْ سُفْيَان بْن عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْوَفُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟، قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦- ١٧]. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، -أَوْ مَنَاخِرِهِمْ-، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ، أَمَّا الْآثَارُ، فَلَا يُمْكِنُ حَصْرهَا.

فَمِنْهَا: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَأْخُذُ بِلِسَانِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ). وَقَالَ ثَوْبَان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، ووَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ).

وَاجْتَمَعَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَأَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: (كَمْ وَجَدْتَ فِي ابْنِ آدَمَ مِنَ الْعُيُوبِ؟)، فَقَالَ: (هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَالَّذِي أَحْصَيْتُهُ ثَمَانِيَةُ آلَافِ عَيْبٍ، وَوَجَدْتُ خَصْلَةً إِنْ اسْتَعْمَلَهَا سَتَرَتِ الْعُيُوبَ)، قَالَ: (مَا هِيَ؟)، قَالَ: (حِفْظُ اللِّسَانِ).

عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ).

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، لِصَاحِبِهِ الرَّبِيعِ: (يَا رَبِيعُ، لَا تَتَكَلَّمْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْكَ، وَلَمْ تَمْلِكْهَا).

وَقَالَ غَيْرُهُ: (مَثَلُ اللِّسَانِ مَثَلُ السَّبُعِ، إِنْ لَمْ تُوثِقْهُ عَدَا عَلَيْكَ).

وَفِي الْحِكْمَةِ: (لِسَانُكَ أَسَدُكَ، إِنْ أَطْلَقْتَهُ فَرَسَكَ، وَإِنْ أَمْسَكْتَهُ حَرَسَكَ).

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ   لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ   كَانَتْ تَخَافُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

وَقَالَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ:

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ   وَكُلُّ امْرِىءِ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحٍ أَبْوَابَ شَرٍّ لِنَفْسِهِ   إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

جِرَاحَاتُ السِّنَّانِ لَهَا الْتِئَامٌ   وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي [رِسَالَتِهِ] الْمَشْهُورَةِ، قَالَ: (الصَّمْتُ سَلَامَةٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَالسُّكُوتُ فِي وَقْتِهِ صِفَةُ الرِّجَالِ، كَمَا أَنَّ النُّطْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَنْ سَكَتَ عَنِ الْحَقِّ، فَهُوَ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ.

قَالَ: فَأَمَّا إِيثَارُ أَصْحَابِ الْمُجَاهَدَةِ السُّكُوتَ، فَلِمَا عَلِمُوا مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْآفَاتِ، ثُمَّ مَا فِيهِ مِنْ حَظِّ النَّفْسِ، وَإِظْهَارِ صِفَاتِ الْمَدْحِ، وَالْمَيْلِ إِلَى أَنْ يَتَمَيَّزَ مِنْ بَيْنِ أَشْكَالِهِ، بِحُسْنِ النُّطْقِ، وَغَيْرِ هَذَا مِنَ الْآفَاتِ، وَذَلِكَ نَعْتُ أَرْبَابِ الرِّيَاضَةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِهِمْ فِي حُكْمِ الْمُنَازَلَةِ، وَتَهْذِيبِ الْخُلُقِ).

فَالْحَاصِلُ يَنْبَغِي التَّقْلِيلُ مَا أَمْكَنَ، كَيْفَ وَهُوَ مِنْ عَلَامَةِ تَمَامُ الْعَقْلِ، كَمَا أَنَّ كَثْرَتَهُ مِنْ أَمَارَاتِ الْحُمْقِ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ   وَأَيْقِنْ بِحُمْقِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرَا

وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَيَنْبَغِي حِفْظُ اللِّسَانِ عَنْ جَمِيعِهِ، إِلَّا مَا فِيهِ فَائِدَةٌ دِينِيَّةٌ أَوْ دُنْيَوِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَوَى مَعَ تَرْكِهِ، فَالسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ، كَمَا هُوَ دَأْبُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ إِلَى حَرامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، بَلْ هُوَ الْأَكْثَرُ وَالْأَغْلَبُ عَادَةً، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُفكِّرَ قَبْل كَلَامِهِ، فَإِنْ ظَهَرتِ الْمَصْلَحَةُ تكلَّمَ، وَإِنْ شَكَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَظْهَرَ).

وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُهُمْ شُرُوطَ الكَلَامِ الْمُسْتَحْسَنِ، فَقَالَ:

أوصِيكَ فِي نَظْمِ الكَلَام بخَمْسَةٍ   إِنْ كُنْتَ لِلأَخِ الشَّفِيقِ مُطِيعَا
لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ الْكَلَام وَوَقْتَهُ   وَالكَيْفَ وَالكَمْ وَالمكَان جَمِيعَا

وَالْكَلَامُ يَكُونُ فَرْضًا، وَوَاجِبًا، وَسُنَّةً، وَمُسْتَحَبًّا، وَمُبَاحًا، وَمُحَرَّمًا، وَمَكْرُوهًا، وَتَحْرِيمًا، وَتَنْزِيهًا.

فَالْأَوَّلُ: كَانَ يَتَوَقَّفُ حَقّ الْغَيْرِ الْبَتَّة، كَكَلَامِ الْمُشَاهِدَيْنِ، اللَّذَيْنِ لَمْ يُخْبِرْ بِذَلِكَ غَيْرِهِمَا.

وَالثَّانِي: مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ تَعَلُّم وَاجِبٍ، أَوْ تَعْلِيمِهِ، وَنَحْوِهِ.

وَالثَّالِثَةُ: الْمُتَابَعَةُ لَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِ، فِيمَا حَثَّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ فِيهِ.

وَالرَّابِعَةُ: لِإِدْخَالِ السُّرُورِ، وَالتَّسْلِيَةُ وَغَيْرُهَا.

وَالْخَامِسَةُ: لَا لِحَاجَةٍ، كَأَكَلْتَ وَشَرِبْتَ، وَنَحْوِهِ.

وَالسَّادِسَةُ: كَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ بِلَا حَاجَةٍ، وَالْغِيبَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْمَكْرُوهُ الْمُتَكَلِّمُ: فِيمَا لَا يُعِينُ تَحْرِيمًا، إِنْ أَدَّى إِلَى مَضَرَّةٍ أَوْ فَسَادٍ. وَتَنْزِيهًا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. وَلَمَّا كَانَتْ لُغَاتُ اللَّهِ كَثِيرَةً، وَحَثَّ عَلَى حِفْظِهِ مِنْ ذَلِكَ أَحَدًا، يُبَيِّنُ مُهِمَّات آفَاتِهِ. فَقَالَ: الْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ

بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (نَمَّام). وَهُوَ مَعْنَى الْأَوَّلِ، وَالْمُرَادُ مَعَ الْفَائِزِينَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ). وَزَادَ الْبُخَارِيُّ: (بَلَى، إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ). قال العلماء: مَعْنَى (مَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)، أَيْ كَبِير فِي زَعْمِهَا.

وَفِي [الْجَامِع]: (النَّمِيمَةُ، وَالشَّتِيمَةُ، وَالحَمِيَّةُ، لَا يَجْتَمِعْنَ فِي صَدْرِ مُؤْمِنٍ).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي خُطْبَةِ يَوْمِ النَّحْرِ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَرْبَا الرِّبَا، الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ، بِغَيْرِ حَقٍّ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ، لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ لِامْرَأَةٍ مَرَّةً، وَأَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذِهِ لَطَوِيلَةُ الذَّيْلِ. فَقَالَ: الْفُظِي الْفُظِي. فَلَفَظْتُ بِضْعَةً مِنْ لَحْمٍ). رَوَاهُ ابْن أَبِي الدُّنْيَا. وبمعناه أحاديث كثيرة، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَعَنْهَا أَيْضًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، -تَعْنِي قَصِيرَةً-، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ. قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا).

قَالَ النَّوَوِيُّ: (مَزَجَتْهُ) أَيْ: خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ، أَوْ رَائِحَتُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِهَا وَقُبْحِهَا. وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْغِيبَةِ أَوْ أَعْظَمُهَا؛ وَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْأَحَادِيثِ يَبْلُغُ فِي الذَّمِّ لَهَا هَذَا الْمَبْلَغَ. ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣- ٤].

قُلْتُ: وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الْمُلَّا فِي [مِرْقَاةِ الْمَفَاتِيح]. وَقَدْ جَاءَ فِي أَحَادِيث: (إِنَّ سِتًّا وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً بِالْأُمِّ، فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، أَهْوَنُ مِنْ عِرْضِ مُسْلِمٍ). وَالْأَحَادِيثُ فِيهَا كَثِيرَةٌ.

وَقَالَ حَاتِمُ الزَّاهِد: (ثَلَاثَةٌ إِذَا كُنَّ فِي الْمَجْلِسِ، فَالرَّحْمَةُ عَنْهُمْ مَصْرُوفَةٌ: ذِكْرُ الدُّنْيَا وَالضَّحِكُ، وَالْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ).

قُلْتُ: وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُنَّ يُوْرِثْنَ قَساوَةَ الْقَلْبِ، وَالْقَلْبُ الْقَاسِي بَعِيدٌ عَنِ اللهِ، بِخِلَافِ الرَّطْبِ بِذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي). وَمِمَّا أَنْشَدُوا فِي الْغِيبَةِ:

لَا تَفْشِيَنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ... فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا
وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ... وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

فَالْحَاصِلُ أَنَّهُنَّ مَذْمُومَات بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُحَرَّمَات الْمُؤْمِنِينَ، وَكَبِيرَتَانِ، أَمَّا النَّمِيمَةُ فَبِالِاجْتِمَاعِ.

وَأَمَّا الْغِيبَةُ فَذَهَبَ جُمْهُورُ عُلَمَائِنَا، وَالْمَالِكِيَّةُ جَمِيعًا، وَكَثِيرٌ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ إِلَى ذَلِكَ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي [الزَّوَاجِرِ]، لَكِنَّهُ تَخْتَلِفُ عِظَمهَا، وَرَجَّحَهُ ابْنُ عَلَّانَ، وَالدَّلَائِلُ تُسَاعِدهُ.

وَذَهَبَ الْبَعْضُ مِنَّا وَالْغَزَالِيُّ، وَصَاحِبُ [الْعُدَّةِ] مِنْهُمْ، إِلَى أَنَّهَا مِنَ الصَّغَائِرِ، وَبِهِ قَالَ الرَّافِعِيُّ وَمَنْ وَافَقَهُ، وَاسْتَظْهَرَهُ بَعْضُهُمْ لِعُمُومِ الْبَلْوَى.

وَجَزَمَ ابْنُ حَجَرٍ فِي [شَرْحِ الشَّمَائِلِ]، بِأَنَّ غِيبَةَ حَامِلِ الْقُرْآنِ وَالْعَالِمِ كَبِيرَةٌ، وَغِيبَةَ غَيْرِهِمْ صَغِيرَةٌ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْمُعْتَمَدُ.

قَالَ اللَّقَانِيُّ: وَلَمْ يَشْهَدُ التَّفْرِقَة كِتَاب وَلَا سُنَّة، وَإِنَّمَا رُوعِيَ فِيهَا حُرْمَة الْمُغْتَابِ، وَبِنَحْوِهِ قَالَ ابْنُ عَلَّانَ.

فَصْلٌ: فِي النَّمِيمَةِ

عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ النَّمِيمَةَ، بِأَنَّهَا نَقْلُ لِكَلَامِ بَعْضِ النَّاسِ، بِطَرِيقِ الْإِفْسَادِ، إِلَى بَعْضٍ.

وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ الْإِمَامُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا تُطْلَقُ فِي الْغَالِبِ عَلَى مَنْ يَنِمَّ قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ الْمَقُول فِيهِ، كَقَوْلِهِ: فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ كَذَا. وَلَيْسَتْ النَّمِيمَة مَخْصُوصَةً بِذَلِكَ، بَلْ حَدُّهَا كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ، سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ، أَوْ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ، أَوْ ثَالِثٌ؛ وَسَوَاءٌ كَانَ الْكَشْفُ بِالْقَوْلِ، أَوْ الْكِتَابَةِ، أَوْ الرَّمْزِ، أَوْ الإِيمَاءِ، أَوْ نَحْوِهَا؛ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَنْقُولُ مِنَ الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَعْمَالِ، وَسَوَاءٌ كَانَ عَيْبًا أَوْ غَيْرَهُ، فَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ، وَهَتْكُ السَّتْرِ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ).

ثُمَّ الظَّاهِرُ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْمَكِّيِ، وَإِنْ سَلَّمَ الْغَزَالِيُّ تَسْمِيَةَ كُلّ ذَلِكَ نَمِيمَةٌ، لَا يَكُونُ جَمِيعهُ كَبِيرَة، إِذْ هُوَ نَفْسُهُ شَرْطٌ فِي الْغِيبَةِ، كَوْنَهُ عَيْبًا وَنَقْصًا، حَيْثُ قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَا يَنُمُّ بِهِ نَقْصًا وَعَيْبًا فِي الْمَحْكِيِّ عَنْهُ. فَهُوَ غِيبَةٌ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ غِيبَة إِلَّا بِذَلِكَ، فَالنَّمِيمَةُ أَوْلَى.

ثُمَّ الْأَصْلُ فِيهَا الْحُرْمَةَ.

وَقَدْ لَا تَحْرُمُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْمَلَكِ مِنَّا وَالنَّوَوِيُّ، بَلْ قَدْ تَجِبُ وَتُسْتَحَبُّ بِاخْتِلَافِ الْحَالِ. كَأَنْ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ إِنْسَانًا يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بِأَهْلِهِ أَوْ بِمَالِهِ، أَوْ أَخْبَرَ الْإِمَامَ، أَوْ مَنْ لَهُ وِلَايَةٌ، بِأَنَّ فُلَانًا يُفْسِدُ، أَوْ سَعَى بِمَا فِيهِ فَسَادٌ، يَقْبَلُ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ خَبَرَهُ، بَلْ قَدْ يَجِبُ الْكَشْف عَنْهُ، وَعَلَى هَذَا أَنْ لَا يَسْتَبْعِد أَنْ تَجْرِي عَلَيْهَا الْأَحْكَام كُلِّهَا.

وَكَمَا يَحْرُمُ فِعْلُهَا، يَحْرُمُ سَمَاعُهَا، فَفِي الْحَدِيثِ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّمِيمَةِ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى النَّمِيمَةِ).

وَإِذَا كَانَ الْأَغْلَبُ حُرْمَتَهَا، وَيَنْبَغِي لِلشَّخْصِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ كُلِّ مَا رَآهُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ، إِلَّا مَا فِي فَائِدَةٍ لِمُسْلِمٍ، أَوْ دَفْعِ مَعْصِيَةٍ، وَإِذَا رَآهُ يُخْفِي مَال نَفْسِهِ، فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمِيمَةٌ.

قَالَ: وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ، وَقِيلَ لَهُ: فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ كَذَا. فَعَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لَا يُصَدِّقَهُ، لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مُزَوِّرُ الْخَبَرِ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَيَنْصَحهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَاجِبٌ.

الرَّابِعُ: أَنْ لَا يَظُنَّ بِالْمَنْقُولِ عَنْهُ السُّوءَ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخَامِسُ: أَنْ لَا يَحْمِلَكَ مَا حُكِيَ لَكَ عَلَى التَّجَسُّسِ، وَالْبَحْثِ عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السَّادِسُ: أَنْ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ، مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ، فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ.

وَرُوِيَ (أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلاً بِشَيْءٍ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِي أَمْرِكَ، فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦]، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ:

﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ. فَقَالَ: الْعَفْوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا أَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا».

وَذُكِرَ «أَنَّ حَكِيمًا، زَارَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِخَبَرٍ عَنْ غَيْرِهِ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَبْطَأْتَ فِي الزِّيَارَةِ، وَأَتَيْتَنِي بِثَلَاثِ جِنَايَاتٍ: بَغَّضْتَ إِلَيَّ أَخِي، وَشَغَلْتَ قَلْبِيَ الْفَارِغَ، وَاتَّهَمْتَ نَفْسَكَ الأَمِينَة».

«وَرَفَعَ إِنْسَانٌ رُقْعَةً إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، يَحُثُّهُ فِيهَا عَلَى أَخْذِ مَالَ يَتِيمٍ، وَكَانَ مَالاً كَثِيرًا، فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا: النَّمِيمَةُ قَبِيحَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً، وَالْمَيِّتُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْيَتِيمُ جَبَرَهُ اللَّهُ، وَالْمَالُ ثَمَّرَهُ اللَّهُ، وَالسَّاعِي لَعَنَهُ اللَّهُ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَوْ صَحَّ مَا نَقَلَهُ النَّمَّامُ إِلَيْكَ، لَكَانَ هُوَ الْمُجْتَرِئَ بِالشَّتْمِ عَلَيْكَ، وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوْلَى بِحِلْمِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُقَابِلْكَ بِشَتْمِكَ».

وَحُكِيَ «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَاتَبَ مَنْ نَمَّ عَلَيْهِ، بِحَضْرَةِ الزُّهْرِيِّ، فَأَنْكَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَخْبَرَنِي صَادِقٌ. فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: النَّمَّامُ لَا يَكُونُ صَادِقًا، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: صَدَقْتَ، اذْهَبْ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِسَلَامٍ».

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَا يَكُونُ الشَّخْصُ نَمَّامًا، إِلَّا وَفِي نَسَبِهِ شَيْءٌ، فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَوْصَافِهِ فِي الْآيَةِ: «زَنِيمٍ»، وَهُوَ الدَّعِيُّ، الَّذِي لَا يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ».

«وَنَمَّ رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، فَقَالَ: انْصَرِفْ، حَتَّى اكْشِفَ عَنْكَ، فَكَشَفَ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ وَلَدُ زِنًا». وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ، مَا لَا يُفْسِدُهُ السَّاحِرُ فِي سَنَةٍ». وَقَالَ الْحَسَنُ: «مَنْ نَمَّ لَكَ، نَمَّ عَلَيْكَ».

وَأَنْشَدَ أَبُو الْيَمَانِ الْحِمَّص فِيهَا شِعْرًا:

رَأَيْتُ نَمَائِمِ الْوَاشِينَ تَسْرِي وَإِنْ كَانَتْ مُحقَّرَةٌ صِغَارًا
وَتطْوِي الْقَوْمُ دُونَ بَنِي أَبِيهِمْ وتَطْوِي بَيْنَهُمْ... كبَارَا
وَتَتْرُكُ ذَا النُّهى وَالْعَقْلِ مِنْهُمْ ضَئِيل الرَّأْي مُنْكَسِرًا حيَارَا

فَصْلٌ: فِي الْغِيبَةِ

الْغِيبَةُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ، مِنْ غَابَهُ أَيْ عَابَهُ، وَذَكَرَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ السُّوءِ، كَاغْتَابَهُ. كَذَا فِي [الْقَامُوسِ].

وَفِي الْحَدِيثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟، قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ).

وَقَدْ نَقَلَ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، الِاتِّفَاقَ عَلَى أَنَّ الْغِيبَةَ ذِكْرُكَ غَيْرَكَ بِمَا يَكْرَهُ. هَذَا قَالَهُ فِي الضِّيَاءِ الْمَعْنَوِيِّ، وِفْقًا لِلنَّوَوِيّ وَغَيْرِهِ.

وَالْغِيبَةُ هِيَ كُلُّ مَا فَهَّمْتَ بِهِ غَيْرَكَ، نُقْصَانَ مُسْلِمٍ بِمَا فِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ فِي بَدَنِهِ، أَوْ فِي دِينِهِ، أَوْ دُنْيَاهُ، أَو خَلْقِهِ، أَو خُلُقِهِ، أَوْ وَالِدِهِ، أَوْ زَوْجَتِهِ، أَوْ خَادِمِهِ، أَوْ لِبَاسِهِ، أَوْ دَابَّتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَو حَرَكَاتِهِ، أَوْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ، تَلَفَّظْتَ أَوْ كَنَّيْتَ، أَوْ أَشَرْتَ، أَوْ لَوَّحْتَ. اهـ.

أَمَّا الْبَدَنُ: فَكَقَوْلِكَ: أَعْمَى، أَعْرَجُ، أَعْمَشُ، أَقْرَعُ، قَصِيرٌ، طَوِيلٌ، أَسْوَدُ، وَهَكَذَا. وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ قَصِيرَةٌ، فَلَمَّا

خَرَجَتْ قُلْتُ بِيَدِي هَكَذَا: مَا أَقْصَرهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: اغْتَبْتِيهَا).

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ (أَنَّ رَجُلاً قَامَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرُئِيَ فِي قِيَامِهِ عَجْزٌ، فَقَالُوا: مَا أَعْجَز فُلَانٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكَلْتُمْ أَخَاكُمْ، وَاغْتَبْتُمُوهُ).

وَأَمَّا الدِّينُ: فَكَقَوْلِكَ: فَاسِقٌ، سَارِقٌ، خَائِنٌ، ظَالِمٌ، وَنَحْوِهِ.

وَأَمَّا الدُّنْيَا: يَتَهَاوَنُ بِالنَّاسِ، كَثِيرُ النَّوْمِ، وَنَحْوِهِ.

وَأَمَّا الْخَلْقُ: كَقَبِيحِ الصُّورَةِ، أَسْوَدٌ، أَمْهَقٌ، وَنَحْوِهِ.

وَأَمَّا الْخُلُقُ: كَسَيِّءِ الْخُلُقِ، أَحْمَقٌ، مُتَكَبِّرٌ، عَاجِزٌ، وَنَحْوِهِ.

وَأَمَّا الْوَالِدُ: كَنَحْوِ أَبُوهُ فَاسِقٌ، زَانٍ، أَوْ هِنْدِيٌّ، أَوْ مَصْرِيٌّ. وَمِثْلُهُ الزَّوْجَة وَالْوَلَد وَالْخَادِم.

وَأَمَّا اللِّبَاسُ: فَنَحْوِ وَسِخُ الثِّيَابِ، دَنِيء الْهَيْبَة، وَسِيعُ الْكُمِّ، طَوِيلُ الذَّيْلِ، لَابِسٌ كَالْأُمَرَاءِ، وَنَحْوه الدَّابَّة وَالْمَال.

وَأَمَّا الْحَرَكَاتُ: فَبَطِيئهَا، وَعَجُولهَا، غَيْر مُسْتَقِيمٍ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ ذَلِكَ.

وَقَدْ (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ). وَمِنْ ذَلِكَ الْمُحَاكَاة، بِأَنْ تَمْشِي مُتَعَرِجًا، أَوْ مُطَأْطِئًا، وَغَيْر ذَلِكَ، قَاصِدًا حِكَايَة هَيْئَةٍ بِالتَّنْقِيصِ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: (هُوَ أَعْظَمُ الْغِيبَةِ، لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّصْوِيرِ، وَأَنْكَى لِلْقَلْبِ).

وَمِنْهَا أَنْ يَذْكُرَ الْمُؤَلِّف، فِي كِتَابِهِ، شَخْصًا مُعَيَّنًا، بِقَصْدِ تَنْقِيصِهِ، لَا لِإِظْهَارِ غَلَطِهِ لِلْغَيْرِ، وَبَيَان صِفَتِهِ، كَيْلَا يُقَلِّد، كَمَا إِذْ قَالَ جَمَاعَةٌ كَذَا، وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ خَطَأٌ أَوْ جَهَالَة، وَمِنْ هَذَا خَرَّجَ الرُّوَاةُ وَالشُّهُودُ.

وَمِنْهَا أَنَّ يَقُولَ: (فَعَلَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ وَالزُّهَّادِ)، أَوْ قَالَ: (بَعْضُ مَرَّ بِنَا الْيَوْمَ)، أَوْ (بَعْضُ مَنْ رَأَيْنَاهُ)، إِذَا كَانَ يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُ. كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ، وَهُوَ يُشْكِلُ مَعَ قَوْلِهِمْ: تَحْرُمُ الْغِيبَةُ بِالْغِيبَةِ وَالْخَلْوَةِ. كَمَا قَالَ اللَّقَانِيُّ.

وَمِنْ ذَلِكَ غِيبَةُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَزَهِّدِينَ، إِذْ قِيلَ لَهُمْ: (كَيْفَ حَالُ فُلَانٍ؟)، فَيَقُولُونَ: (اللَّهُ يُصْلِحُنَا)، (اللَّهُ يَغْفِرُ لَنَا)، (اللَّهُ يُصْلِحُهُ)، (نَسْأَلُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ)، (نَحْمَدُ اللَّهَ لَم يَبْتَلِينَا بِالدُّخُولِ عَلَى الظَّلَمَةِ)، (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرَهِ)، (اللَّهُ يُعَافِينَا مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ)، (اللَّهُ يَتُوبُ عَلَينَا)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مِمَّا يُفْهَمُ نَقْصُهُ. وَكَنَحْوِ (مَا لَهُ حِيلَةٌ كُلُّنَا نَفْعَلُهُ)، وَنَحْوِهِ.

فَكُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ، يَجِبُ اجْتِنَابُهُ، نَعَمْ إِنْ كَانَ لَكَ لِأَجْلِ الِاهْتِمَام بِشَأْنِهِ، فَلَا يَكُونُ غِيبَةً، كَمَا ذَكَرَهُ عُلَمَاؤُنَا، شُرُوحًا وَفَتَاوَى، وَعِبَارَاتُهُمْ فِي ذَلِكَ: (رَجُلٌ ذَكَرَ مَسَاوِئَ أَخِيهِ، عَلَى وَجْهِ الِاهْتِمَامِ، لَا بَأْسَ بِهِ، لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِغِيبَةٍ، إِنَّمَا الْغِيبَةُ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِكَ مُرِيدًا بِهِ السَّبَّ وَالْبُغْضَ). كَذَا فِي [الظَّهِرِيَّةِ].

قُلْتُ: وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ عَلَى وَجْهِ الاهْتِمَامِ، أَيْ عَلَى قَصْدِ الاهْتِمَامِ بِشَأْنِهِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَهَذَا بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ.

كَمَا (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). فَهُوَ حَقٌّ، وَعَلَيْهِ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَغَالِبُ مَا يَجْرِي مِنْهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ، مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ، وَيَعْرِفُهُ أَفْضَل مِنْ طَاعَاتِ غَيْرِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتُوبُ عَلَى فَاعِلِهِ، بِسَبَبِ اهْتِمَامِ الْوَلِيِّ لَهُ، وَهَذَا أَبْلَغُ الدُّعَاءِ لَهُ، وَلَكِنْ لَا تَظْهَرُ حَقِيقَتُهُ إِلَّا لِأَرْبَابِهِ.

وَبِمَا مَرَّ مِنَ التَّعَارِيفِ، يَشْمَلُ الْغِيبَة الْحُضُورَ، وَفِي [الْخَادِمِ] للزَّرْكَشِيِّ مِنَ الْمُهِمِّ، ضَابِطًا لِلْغِيبَةِ، هَلْ هِيَ ذِكْرُ الْمَسَاوِئِ فِي الْغِيبَةِ، كَمَا يَقْتَضِيهِ اسْمُهَا، أَوْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْغِيبَةِ وَالْحُضُورِ؟.

وَقَدْ دَارَ السُّؤَالُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ ابْنَ فُورَكٍ: ذَكَرَ فِي مُشْكِلِ الْقُرْآنِ، فِي تَفْسِيرِهِ سُورَةَ الْحُجُرَاتِ، ضَابِطًا حَسَنًا.

فَقَالَ: (الْغِيبَةُ ذِكْرُ الْعَيْبِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ). وَكَذَا قَالَ سَلِيمُ الرَّازِيُّ فِي [تَفْسِيرِهِ]: (الْغِيبَةُ أَنْ يُذْكَرَ الإِنْسَان، مِنْ خَلْفِهِ بِسُوءٍ). اهـ. وَفِي الْمُحْكَمِ لَا يُكُونُ إِلَّا مِنْ وَرَائِهِ. اهـ.

وَبِفَرْضِ اخْتِصَاصِ مَفْهُوم الْغِيبَة، بِذِكْرِ الْعَيْبِ فِي الْغَيْبَةِ، فَذِكْرُهُ فِي الْحُضُورِ حَرَامٌ، بَل شَدِيدُ الْحُرْمَةِ، لِمَا مَرَّ فِيهِ الْإِيذَاءُ، مَعَ مَزِيدِ النِّكَايَةِ، إِذَا وَاجَهَهُ بِمَا ذَكَرَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كَذَا فِي [شَرْحِ الْأَذْكَارِ]. وَنَحْوُهُ لِبَعْضِ الْمَالِكِيَّةِ. وَظَاهِرُ كَثِيرٍ مِنْ عِبَارَاتِ عُلَمَائِنَا، فِي تَعْرِيفِهَا أَنَّهَا تَشْمَلُ الْحُضُورَ.

ثُمَّ هِيَ تَكُونُ بِالْقَلْبِ، كَمَا تَكُونُ بِمَا مَرَّ، فَكَمَا يَحْرُمُ تَحْدِيثُ غَيْرِهِ بِمَسَاوِي الْغَيْرِ، كَذَلِكَ يَحْرُمُ تَحْدِيثُ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَإِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ، دَمَهُ وَمَالَهُ، وَأَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ). وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ.

وَإِنَّمَا قَالَ فِي الْآيَةِ: ﴿بَعْضَ الظَّنِّ﴾، أَنَّهُ مِنْ أَنْوَاع حَرَامٌ، كَسُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]. وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ.

وَسُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِم الْمَسْتُورِ فِي الظَّاهِرِ، وَوَاجِب كَظَنِّ الْمُجْتَهِدِينَ وَمَنْدُوبٌ. وَمِنْهُ (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ظُنُّوا بِالْمُؤْمِنِ خَيْرًا). عِنْدَ عَلَامَةِ السُّوءِ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ الْحَزْمُ وَالرَّأْيُ.

كَمَا (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ). وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ، فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ، أَي بِسُوءِ الظَّنِّ بِأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ جَيِّدٌ. وَفِي الْخَبَرِ: (إِنَّ مِنَ الْحَزْمِ سُوءَ الظَّنِّ).

وَقَدْ نَظَمْ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ:

لَا يَكُــنْ ظَنُّــكَ إِلَّا سَــيِّئًا   إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنْ
مَا رَمَى الإِنْسَان فِي مَهْلَكَةٍ أَبَدًا   شَــيْء سَــوِى الظَّــن الْحَسَــنْ

وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدَّرَ الْمُتَوَهَّمُ وَاقِعًا. كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ.

قُلْتُ: وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْبَيْتَيْنِ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِين. وَحَدُّ الظَّنِّ السُّوءِ أَنْ لَا يَحْمِلَ فِعْل غَيْرِهِ، عَلَى وَجْهٍ حَسَنٍ مَعَ إِمْكَانِهِ.

وَلَا يَحْرُمُ إِلَّا بِعَقْدِ الْقَلْبِ عَلَيْهِ مَعَ الْعَزْمِ. أَمَّا مُجَرَّدُ خَاطِرِ النَّفْسِ وَحَدِيثِهَا، فَلَا مُؤَاخَذَةَ بِهِ دُونَ عَزْمٍ، وَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، لِعَدَمِ إِمْكَانِ الِاحْتِرَاز مِنْهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي، عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَكَلَّمْ بِهِ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ». وَفِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ أُخَرُ، فَمِنْهَا خَطْر خَاطِرِ السُّوءِ، وَجَبَ رَدُّهُ لَا لِحَاجَةٍ، كَجَرْحِ الشُّهُودِ وَالرُّوَاةِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، فِي [الإِحْيَاءِ]: «إِذَا وَقَعَ فِي قَلْبِكَ ظَنُّ السُّوءِ، فَهُوَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، يُلْقِيهِ إِلَيْكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُكَذِّبَهُ، فَإِنَّهُ أَفْسَقُ الفُسَّاقِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. فَلَا يَجُوزُ تَصْدِيقُ إِبْلِيسَ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى فَسَادٍ، وَاحْتَمَلَ خِلَافُهُ، لَمْ تَجُزْ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِ.

وَمِنْ عَلَامَةِ إِسَاءَةِ الظَّنِّ: أَنْ يَتَغَيَّرَ قَلْبُكَ مَعَهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، فَتَنْفِرَ مِنْهُ وَتَسْتَثْقِلَهُ، وَتَفْتُرَ عَنْ مُرَاعَاتِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَكَ اغْتِمَامُ بِسَيِّئَتِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُقَرِّبُ إِلَى الْقَلْبِ، بِأَدْنَى خَيَالٍ مَسَاوِئَ النَّاسِ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ، أَنَّ هَذَا مِنْ فِطْنَتِكَ وَذَكَائِكَ وَسُرْعَةِ تَنَبُّهِكَ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ، نَاظِرٌ بِغُرُورِ الشَّيْطَانِ وَظُلْمَتِهِ.

وَإِنْ أَخْبَرَكَ عَدْلٌ بِذَلِكَ، فَلَا تُصَدِّقْهُ وَلَا تُكَذِّبْهُ، لِئَلَّا تُسِيءَ الظَّنَّ بِأَحَدِهِمَا؛ وَمَهْمَا خَطَرَ لَكَ سُوءٌ فِي مُسْلِمٍ، فَزِدْ فِي مُرَاعَاتِهِ وَإِكْرَامِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُغِيظُ الشَّيْطَانَ، وَيَدْفَعُهُ عَنْكَ، فَلَا يُلْقِي إِلَيْكَ مِثْلَهُ خِيفَةً مِنِ اشْتِغَالِكَ بِالدُّعَاءِ لَهُ، وَمَهْمَا عَرَفْتَ هَفْوَةَ مُسْلِمٍ، بِحُجَّةٍ لَا شَكَّ فِيهَا، فَانْصَحْهُ فِي السِّرِّ، وَلَا يَخْدَعَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَيَدْعُوكَ إِلَى اغْتِيَابِهِ.

وَإِذَا وَعَظْتَهُ فَلَا تَعِظْهُ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ بِاطِّلَاعِكَ عَلَى نَقْصِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْكَ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ بِالِاسْتِصْغَارِ، وَلَكِنِ اقْصِدْ تَخْلِيصَهُ مِنَ الإِثْمِ، وَأَنْتَ حَزِينٌ

كَمَا تَحْزَنُ عَلَى نَفْسِكَ، إِذَا دَخلَكَ نَقْصٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَرْكُهُ لِذَلِكَ النَّقْصِ، بِغَيْرِ وَعْظِكَ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ تَرْكِهِ بِوَعْظِكَ). انْتَهَى كَلَامُهُ.

وَكَمَا يَحْرُمُ ذِكْرُهَا، يَحْرُمُ سَمَاعُهَا، وَإِقْرَارُهَا، وَنَقْلُهَا وَاعْتِقَادُهَا. فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْغِيبَةِ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيبَةِ).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنَّ فُلَانًا لَنَؤُومٌ، ثُمَّ طَلَبَا أُدْمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ ائْتَدَمْتُمَا، فَقَالَا: مَا نَعْلَمُهُ؟، فَقَالَ: بَلَى، مَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحْمِ صَاحِبِكُمَا). وَفِي خَبَرٍ: (الْمُسْتَمِعُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ).

وَعَنْ الْعَاصِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: (خَرَجَتْ أُمُّ الغَادِيَةِ، مُهَاجِرَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمْتُ، فَقَالَتْ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِيَّاكِ وَمَا يَسُوءُ الأُذُنَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (حَدِّثْنِي حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ... إلَخ).

قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الْقَائِلُ لِلْفَاحِشَةِ، وَالَّذِي يَسْمَعُ لَهَا، فِي الْإِثْمِ سَوَاءٌ). وَلَقَدَ أَحْسَنَ مَحْمُودٌ، فِي قَوْلِهِ:

تَحَرَّ مِنْ الطُّرُقِ أَوْسَطَهَا ... وَعُدْ عَنْ الْمَوْضِعِ الْمُشْتَبَهْ
وَسَمْعُكَ صُنْ عَنْ كَلَامِ الْقَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ

وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، يَجِبُ النَّهْيُ بِمَرَاتِبِهِ، إِنْ قَدَرَ، أَوْ بِقَطْعِ كَلَامِهِمَا، أَوْ بِقَلْبِهِ، وَمُفَارَقَتِهِ، إِنْ لَمْ يَقْدِرْ، وَإِنْ لَمْ تُمْكِنْهُ الْمُفَارَقَةُ،...، الْعَجْزِ أَوْ عَدَمِ قَبُولِ نَهْيِهِ، لَا

يُصْغِي إِلَيْهَا، بَل يَشْغَلُ بِغَيْرِهَا، مِنْ ذِكْرٍ وَنَحْوِهِ، كَيْ لَا يَسْمَعُ، فَإِنْ سَمِعَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ، وَمَتَى مَا تَمَكَّنَ مِنَ الْمُفَارَقَةِ فَارَقَهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ كَرَاهَتِهَا وَبَاطِنِهِ، فَيَشْتَهِيهَا فَهُوَ نِفَاقٌ، كَمَا قَالَهُ الْغَزَالِيُّ.

وَيَنْبَغِي رَدُّ الْغِيبَةِ عَلَى قَائِلِهَا، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمُغْتَابُ شَيْخهُ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ، أَوْ مِمَّنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الاِعْتِنَاءَ بِذَلِكَ أَكْثَر.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ). وَفِي أُخْرَى: (مَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ، فَاسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ، نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ، أَذَلَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ، فَلَمْ يَنْصُرْهُ، أَذَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا، فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا، فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، -أَرَاهُ قَالَ-، بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا، يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْنٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَقَدْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابُهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ.

فَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثِ عِتْبَانَ. قَالَ: (قَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي، فَقَالُوا: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ؟، فَقَالَ رَجُلٌ: ذَلِكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ؟).

وَفِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ، فِي قِصَّةِ تَوْبَتِهِ، قَالَ: (فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ، بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟، قَالَ رَجُلٌ، مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(ذُكِرَ رَجُلٌ، فِي مَجْلِسِ سَالِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ، فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: يَا هَذَا، أَوْحَشْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ، وَآنَسْتَنَا مِنْ مَوَدَّتِكَ، وَدَلَّلْتَنَا عَلَى عَوْرَتِكَ). وَالنَّقْلُ كَثِيرٌ فِي هَذَا.

فَصْلٌ: فِي شَرْطِ الْغِيبَةِ الْمُحَرَّمَةِ

أَنْ تَكُونَ بِمَكْرُوهٍ، وَأَنْ لَا يُهْتَمّ بِشَأْنِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ الْمُغْتَابُ مَجْهُولاً، وَأَنْ لَا يَكُونَ هُنالِكَ غَرَضٌ شَرْعِيٌّ، لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ أَحَدُ سِتَّةِ أَسْبَابٍ، نَظَمَهَا الجوهري، فَقَالَ:

لِسِتٍّ غِيبَةً كَرِّرْ وَخُذْهَا مُنَظَّمَةً كَأَمْثَالِ الْجَوَاهِرِ
تَظَلَّمْ وَاسْتَغِثْ وَاسْتَفْتِ حَذِّرْ وَعَرِّفْ وَاذْكُرَنْ فِسْقَ مُجَاهِرِ

وَنَظَمَهَا أَيْضًا ظَهِيرُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّد بْن ظَهِير، خَطِيبُ حَمَاةَ، فَقَالَ:

لَمْ تَسْتَبِحْ غِيبَةً فِي حَالَةٍ أَبَدًا إِلَاَّ فِي سِتَّةِ أَحْوَالٍ كَمَا سَتَرَى
اسْتَفْتِ عَرِّفْ تَظَلَّمْ حَذِّرْ اسْتَعِنْ عَلَى إِزَالَةِ ظُلْمٍ وَاحْكِ مَا ظَهَرَا

وَدَلَائِلُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَكْثَرُهَا مُجمَعٌ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَذْكُرْهَا عُلَمَاؤُنَا كَذَلِكَ، وَلَكِنْ تُؤْخَذُ مِنْ كَلَامٍ لَهُمْ مُتَفَرِّقٌ. فَأُبَيِّنُ ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ، فَأَقُولُ:

الْأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ إِظْهَار ظُلْم مَنْ ظَلَمَهُ، لِمَنْ يَقْدِر عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْهُ، سُلْطَانًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. لَكِنْ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ. فَيَقُولُ: أَنَّ فُلَانًا ظَلَمَنِي، وَفَعَل بِي كَيْتَ وَكَيْتَ، وَأَخَذَ مِنِّي كَذَا، وَنَحْوِهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مُتَّفَق عَلَيْهِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا بِهِ، كَيْفَ وَالضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمَحْظُورَاتِ.

الثَّانِي: الِاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ لِمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ: (فُلَانٌ يَعْمَلُ كَذَا، فَأَعِنِّي زَجْرَهُ). أَنْ يَؤُمَّ عَلَى ذَلِكَ فَقَطْ، إِذَا مَا أُبِيحَ لِلضَّرُورَةِ يَتَقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَهَذَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ [الظَّهِيرِيَّةِ]، وَ[الْخَانِيَّةِ]، وَغَيْرِهِمَا، وَإِنْ أَعْلَمَ

السُّلْطَان لِيَزْجُرَهُ فَلَا بَأْس، وَأَيْضًا مِنْ قَوْلِهِمْ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ، يَكُونُ وَاجِبًا، وَإِزَالَة الْمُنْكَرِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

الثَّالِثُ: الِاسْتِفْتَاءُ، بِأَن يَقُولَ لِلْمُفْتِي: (ظَلَمَنِي أَبِي، أَوْ أَخِي، أَوْ فُلَانٌ، أَوْ زَوْجَتِي تَفْعَلُ كَذَا)، أَوْ نَحْوِه. فَمَا طَرِيقُ الْخَلَاصِ، وَهَلْ لَهُ ذَلِك، وَنَحْوِهِ. وَأَيْضًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، بِحَسَبِ الظَّاهِرِ.

وَدَلِيلهُ حَدِيثِ هِنْدٍ، وَقَوْلُهَا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ). وَلَمْ يَنْهَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَلَيْهِ أَيْضًا عَمَلُ النَّاسِ سَلَفًا وَخَلَفًا، وَالْأَحْوَطُ عَدَم تَعْيِينِه، فَيَقُولُ: (مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ، أَوْ زَوْجٍ، أَوْ زَوْجَةٍ)، وَنَحْوِهِ. وَإِنْ كَانَ الْأَوَّل جَائِز.

الرَّابِعُ: التَّحْذِيرُ مِنْ شَرِّهِ، وَنُصْحُ الْمُسْلِمِ مِنْ دُعَائِهِ. وَهَذَا صَرَّحَ بِهِ مَشَايِخُنَا كَثِيرًا فِي الشُّرُوحِ وَالْفَتَاوَى، وَتَفَارِيعُهُ كَثِيرَةٌ.

فَمِنْهَا: جَرْحُ الْمَجْرُوحِ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ، وَهُوَ جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ. وَلَكِنْ بِشَرْطِ خُلُوصِ النِّيَّةِ، فَالْمُحدِّث يَذْكُرُ ذَلِك، وَلَوْ لَمْ يَسَلْ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّاقِلُ بِعَيْنِهِ، لَكِنْ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ، وَمِثْلهُ الْمُزَكِّي لِلشُّهُودِ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِك عِنْدَ غَيْرِ الْحَاكِمِ أَوْ رَسُولِهِ.

وَمِنْهَا: اسْتَشَارَكَ شَخْصٌ فِي أَنَّ يُعَامِلَ غَيْره، فَيَجِبُ عَلَيْك أَنْ تُعَلِّمَهُ بِمَا تَعْلَمُهُ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ يَكْفِي قَوْلك لَهُ لَا تَصْلُحُ مُعَامَلَته، أَوْ لَا تَفْعَلْ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، لَمْ تَجُزِ الزِّيَادَةُ، وَالْإِجَازَة بِقَدْرِ الْحَاجَةِ.

وَمِنْهَا: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي مُعِيبًا أَوْ غَيْرهُ، فَعَلَيْك أَنْ تُبَيِّنَ ذَلِك لِلْمُشْتَرِي، إِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ.

وَمِنْهَا: إِذَا رَأَيْتَ مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى فَاسِقٍ أَوْ مُبْتَدِعٍ، لِأَخْذِ عِلْمٍ وَنَحْوِهِ، وَخِفْتَ ضَرَرَهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْصَحَهُ بِبَيَانِ حَالِهِ، قَاصِدًا ذَلِكَ فَقَطْ، مَعَ الْحَذَرِ مِنْ تَلَبُّسِ الشَّيْطَانِ.

وَمِنْهَا: اشْتِهَارُ فَاسِدٍ، كَكُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَتَآلِيفِهِمْ الْمُضِلَّةِ، وَإِظْهَارُ عَيْبِهَا، وَبَيَانُ حَالِ أَهْلِهَا، بِطَرِيقِ الْوَاقِعِ لَا الزِّيَادَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ تُبَيِّنَ حَالَ مَنْ عِنْدِهِ وَظِيفَةٌ، مُخِلًّا بِهَا، لِعَدَمِ صَلَاحِهِ لَهَا، أَوْ فِسْقِهِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، لِمَنْ لَهُ وِلَايَةٌ عَلَيْهِ، لِيُزِيلَهُ أَوْ لِيُرْشِدَهُ، أَوْ يُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، بِشَرْطِ الْإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى، لَا أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي جَذْبِ ذَلِكَ، كَمَا عَلَيْهِ عَمَلُ غَالِبِ مَنْ يَقْصِدُ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الْخَامِسُ: التَّعْرِيفُ، فَتَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ بِلَقَبٍ، وَلَوْ دِينٍ، كَالْأَعْمَى، وَالْأَصَمِّ، وَالْأَفْطَسِ، وَالْأَحْوَلِ، وَنَحْوِهِ، لَكِنْ بِطَرِيقِ التَّنْقِيصِ، وَإِنْ أَمْكَنَ بِغَيْرِهِ، فَهُوَ أَوْلَى.

وَقَالَ اللَّقَانِيُّ الْمَالِكِيُّ: وَقِيلَ بَلْ يَجِبُ، كَمَا فَصَّلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ مَا يَكْرَهُهُ الْمُلَقَّبُ وَمَا لَا يَكْرَهُهُ. اهـ. وَهُوَ حَدٌّ أَحْسَنَ.

السَّادِسُ: أَنْ يُجَاهِرَ بِفِسْقِهِ، أَوْ بِدْعَتِهِ، كَالْمَكَّاسِ، وَجَابِي الْأَمْوَالِ ظُلْمًا، أَوْ مُتَوَلِّي الْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ، وَالْمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمُصَادَرَةِ النَّاسِ، وَالْمُفَاخِرِ بِالزِّنَا وَاللُّوَاطَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ وَمَا يُجَاهِرُ بِهِ. وَهَذَا ذَكَرَهُ عُلَمَاؤُنَا شُرُوحًا وَفَتَاوَى كَالَّذِي قَبْلَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي [الْحَاوِي الْقُدْسِيِّ]، وَمَنْ أَعْلَنَ بِفِسْقِهِ أَوْ ظُلْمِهِ، لَا بَأْسَ بِغِيبَتِهِ، تَحْذِيرًا وَتَنْبِيهًا لِلْغَافِلِ عَنْهُ.

وَفِي [الْبَحْرِ الْعَمِيقَ]: وَإِنْ اغْتَابَ فَاسِقًا، مُعْلِنًا بِفِسْقِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، فَإِنَّه مَأْجُورٌ، لِأَنَّهُمْ يُحَذِرُونَ مِنْهُمْ إِذَا عَرَفُوا حَالِهِ. وَمِنْ هَذَا، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أَنَّ رَجُلاً، اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ايذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا، يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا). قَالَ اللَّيْثُ، -أَحَدُ الرُّوَاةِ-: كَانَا رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (ثَلَاثَةٌ لَا غِيبَةَ لَهُمُ: الْفَاسِقُ الْمُعْلِنُ، وَالْمُبْتَدِعُ وَالسُّلْطَانُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرْغَبُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟، اُذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ، كَيْ يَحْذَرُوهُ النَّاسُ). (وَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ لِفَاجِرٍ حُرْمَةٌ). وَأَرَادَ الْمُجَاهِرَ.

قَالَ اللَّقَانِيُّ: (لَا يُقَالُ اشْتِرَاطُ الْإِعْلَانِ وَالْمُجَاهَرَةِ، يُخَالِفُهُ إِطْلَاقُ حَدِيثِ: (لَا غِيبَةَ فِي فَاسِقٍ).

لِأَنَّا نَقُولُ: الْحَدِيثُ غَيْرُ ثَابِتِ الصِّحَّةِ، عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَوْ سَلِمَتْ صِحَّتُهُ، يَجِبُ تَقْيِيدُهُ بِمَا إِذَا اُغْتِيبَ، بِجِنْسِ مَا بِهِ فِسْقٌ، بَعْدَ ثُبُوتِهِ عَلَيْهِ، وَمُجَاهَرَتِهِ بِهِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهِ، أَمَّا بَعْدَ التَّوْبَةِ، فَلَا يَجُوزُ حَمْلُه عَلَى الْإِطْلَاقِ اتِّفَاقًا). وَهَذَا إِنْ لَمْ يَذْكُرْ غَيْرُ الْعَيْبِ، التَّجَاهُرِ بِهِ، فَإِنْ ذَكَرَهُ غَيْرُهُ غِيبَة.

وَقَالَ عَوْفٌ: (دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ، فَتَنَاوَلْتُ الْحَجَّاجَ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: إِنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ، يَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ اغْتَابَهُ، وَإِنَّكَ إِذَا لَقِيتَ اللهَ غَدًا، كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ جَنَيْتَهُ، أَشَدّ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ أَصَابَهُ الْحَجَّاجُ).

فَصْلٌ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا؟، قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَزْنِي، فَيَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ. -وَفِي رِوَايَةٍ حَمْزَةَ: فَيَتُوبُ فَيَغْفِرُ لَهُ-. وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ).

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا اغْتَابَ، وَقَالَ: لَسْتُ اغْتَابُ، لِأَنِّي أَذْكُرُهُ بِمَا فِيهِ، كُفْرٌ. كَمَا قَالَ اللَّيْثُ، فِي [التَّنْبِيهِ]، لِأَنَّهُ اسْتِحْلَالٌ لِلْحَرَامِ الْقَطْعِيِّ. أَقُولُ: وَفِيهِ نَظَرٌ لَا يُشْفَى.

فَصْلٌ: فِي كَفَّارَةِ الْغِيبَةِ

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَوْبَةِ مَنْ اغْتَابَ، وَالْأَحْسَنُ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَبِي اللَّيْثِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي تَوْبَةِ الْمُغْتَابِينَ: هَلْ تَجُوزُ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَالٍ مِنْ صَاحِبِهِ؟. قَالَ بَعْضُهُمْ: (تَجُوزُ)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (لَا تَجُوزُ). وَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: (إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ قَدْ بَلَغَ إِلَى الَّذِي اغْتَابَهُ، فَتَوْبَتُهُ أَنْ يَسْتَحِلَّ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَيُضْمِرُ أَنْ لَا يَعُودَ لِمِثْلِهِ). اهـ.

وَهَلْ يَكْفِيهِ أَنْ يَقُولَ: اغْتَبْتُكَ، فَاجْعَلْنِي فِي حِلٍّ، أَمْ لَابُدَّ مِنْ بَيَانِ ذَلِكَ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَابُدَّ مِنَ الْبَيَانِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا، إِنْ عَلِمَ إِعْلَامَهُ بِشَيْءٍ، يُثِيرُ فِتْنَةً، بَلْ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهُ ذَلِكَ. إِنَّ الْإِبْرَاءَ عَنِ الْمَجْهُولِ جَائِزٌ عِنْدَنَا.

وَفِي [الْغُنْيَةِ]: تَصَافُحُ الْخَصْمَيْنِ، لِأَجْلِ الْعُذْرِ اسْتِحْلَالٌ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: رَأَيْتُ فِي [فَتَاوَى الطَّحَاوِيِّ]، أَنَّهُ يَكْفِي النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ فِي الْغِيبَةِ، وَإِنْ بَلَغَتْ، فَالطَّرِيقُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُغْتَابَ وَيَسْتَحِلَّ مِنْهُ، فَإِنْ تَعَذَّرَ لِمَوْتِهِ أَوْ لِغَيْبَتِهِ الْبَعِيدَةِ، اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا اعْتِبَارَ بِتَحْلِيلِ الْوَرَثَةِ.

وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ: لَهَا وَجْهَانِ، فَمِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، تَنْفَعُ التَّوْبَةُ بِمُجَرَّدِهَا فِيهَا. وَمِنْ جِهَةِ الْآدَمِيِّ لَابُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ اسْتِحْلَالِهِ، وَلَوْ بِالْبَرَاءَةِ الْمَجْهُولَةِ.

وَلِلشَّافِعِيَّةِ تَفْصِيلٌ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِنَا، وَمُخْتَارُ النَّوَوِيِّ مِنْهُ التَّعْيِينُ فِي الِاسْتِحْلَالِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: يَكْفِيهِ الِاسْتِغْفَارُ عَنِ الِاسْتِحْلَالِ، مُحْتَجًّا بِحَدِيثِ (كَفَّارَةُ مَنِ اُغْتِيبَ أَنْ يُسْتَغْفَرَ لَهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَّ كَفَّارَةَ الْغِيبَةِ، أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ. تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ). وَهُوَ ضَعِيفٌ كَمَا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ. لَكِنْ قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ إِسْنَادٌ، مَعْنَاهُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ). وَحَدِيثُ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (لَمَّا اشْتَكَى ذَرَبَ اللِّسَانِ، عَلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ). اهـ.

وَهُوَ إِنْ اعْتَرَضَ فَفِيهِ سَعَةٌ، إِذْ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ، بِنَصِّ سَيِّدِ الْأُمَّةِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (كَفَّارَةُ أَكْلِ لَحْمِ أَخِيكَ، أَنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِ، وَتَدْعُوَ لَهُ). وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبِيدِهِ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَا جَعَلَ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ. كَيْفَ وَنَحْنُ فِي زَمَنٍ، سَهَلَ فِيهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْهَرَجَ وَالْمَرَجَ، فَضْلاً عَنْ غِيبَةِ الْعَرَجِ.

وَيُسْتَحَبُّ مُؤَكَّدًا لِصَاحِبِ الْغِيبَةِ، أَنْ يُبْرِئَهُ مِنْهَا، لِيُخَلِّصَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، وَيَفُوزُ هُوَ بِثَوَابِهِ مَعَ الْمُؤَاخَاةِ. وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ. بَلْ مَنْ أَرَادَ الْكَمَالَ فَلْيَعُمَّ بِعَفْوِهِ سَائِرَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ.

(لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟، قَالُوا: وَمَنْ هُوَ أَبُو ضَمْضَمٍ، يَا رَسُول اللَّهِ؟، قَالَ: كَانَ إِذَا أَصْبَحَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي وَعِرْضِي لَكَ، فَلَا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ، وَلَا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلَا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ). وَمِمَّا يُعْزَى لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ نَالَ مِنِّي أَوْ عَلِقتُ بِذِمَّتِهِ ... أَبْرَأْتُهُ لِلَّهِ شَاكِرُ مِنَّتِهِ
أَرَى مُعَوِّق مُؤْمِن يَوْمَ الْجَزَا ... أَوْ أَنْ أَسُوءَ مُحَمَّدًا فِي أُمَّتِهِ

وَمِمَّا ذُكِرَ مِنَ الْبَحْثِ عَلَى الْإِبْرَاءِ مِنَ الْغِيبَةِ، هُوَ الصَّوَابُ. فَمَا جَاءَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ قَالَ: (لَا أُحَلِّلُ مَنْ ظَلَمَنِي).

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ: (لَمْ أُحَرِّمهَا عَلَيْهِ فَأُحَلِّلُهَا لَهُ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْغِيبَةَ عَلَيْهِ، وَمَا كُنْتُ لِأُحِلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ). ضَعِيفٌ وَغلطٌ. فَإِنَّ الْمُبَرِّئَ لَا يُحَلِّلُ مُحَرَّمًا، وَإِنَّمَا يُسْقِطُ حَقًّا ثَبَتَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ.

أَوْ يُحْمَلُ كَلَامُ ابْنِ سِيرِينَ عَلَى أَنِّي لَا أُبيح غِيبَتِي أَبَدًا. وَهُوَ صَحِيحٌ. فَإِنَّ الشَّخْصَ، إِذَا قَالَ: أَبَحْتُ عِرْضِي، لَمْ يَصِرْ مُبَاحًا.

فَصْلٌ: مِمَّا يَحْمِي مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْغِيبَةِ

التَّفَكُّرُ فِيمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ النُّصُوصِ، مِمَّا تَقَدَّمَ بَعْضهُ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ مُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُتَرْجِمُ لَهَا، سَهْلُ بْنُ عَبْد اللَّهِ التُّسْتَرِيّ: (اللَّهُ مَعِي، اللَّهُ شَاهِدِي، اللَّهُ نَاظِرٌ إِلَيَّ).

وَذَكَرَ صَاحِبُ [الْقَامُوسِ]، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ وَالْبِشْرِ، حَدِيثٌ مُسْنَدٌ لِلْخَضِرِ وَالْيَأْسِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالاَ: (سَمِعْنَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِذَا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا، فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ. فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَغْتَابُونَكُمْ، يُوَكِّلُ اللَّهُ بِكُمْ مَلَكًا، يَمْنَعُكُمْ عَنِ الْغِيبَةِ، حَتَّى لَا تَغْتَابُوا أَحَدًا). كَذَا فِي [فَوَائِدِ الشُّرْجِيّ].

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: (أَنَّكَ تَغْتَابُنِي، فَقَالَ: لَمْ يَبْلُغْ قَدْرُكَ عِنْدِي، أَنْ أُحَكِّمَكَ فِي حَسَنَاتِي). وَعَنْهُ أَيْضًا، (إِنَّ فُلَانًا اغْتَابَكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ طَبَقَ حَلْوَى). وَفِي رِوَايَةٍ: (طَبَقًا مِنْ رُطَبٍ).

(وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّك أَهْدَيْت إِلَيْنَا حَسَنَاتِك، فَأَرَدْتُ أَنْ أُكَافِئَك عَلَيْهَا، فَاعْذُرْنِي، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُكَافِئَك عَلَى التَّمَامِ).

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنْ نَقْلِ الْحَدِيثِ

أَنَّ النَّهْيَ عَنْ نَقْلِ الْحَدِيثِ، وَالسِّعَايَةِ إِلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ بِلَا ضَرُورَةٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]. فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي، عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ، وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِنًا، لَمْ يُؤَمِّنِ اللَّهُ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَعَى بِمُؤْمِنٍ، أَقَامَهُ اللَّهُ مَقَامَ خِزْيٍ وَذُلٍّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ.

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنِ الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ وَالِافْتِخَارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَتَادَةُ: (أَيْ لَا يَطْعَنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ). وَيَقُولُ لَهُ مَا يَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى ذِمِّهِ، وَذَمِّ نَسَبِهِ، وَلَا يَعِيبُهُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا غِيبَتُهُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ، هُمَا بِهِمَا كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ: شَقُّ الْجَيْبِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (هِيَ الْكُفْرُ). وَفِي أُخْرَى: (مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُهُنَّ أَهْلُ الإِسْلامِ).

وَالْمُرَادُ: كُفْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ، أَوْ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَآدَمُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ).

عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ، الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ، الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ، قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، رَفَعَهُ اللَّهُ).

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ﴾. وَفِي لَفْظٍ: ﴿عَذَّبْتُهُ﴾. وَفِي أُخْرَى: ﴿قَصَمْتُهُ﴾.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِيَّاكُمْ والْفَخْرَ، وما فَخَرَ مَنْ خُلِقَ مِنْ التُّرَابِ، ثُمَّ إِلَيْهِ يَعُودُ، ثُمَّ يَأْكُلُهُ الدُّودُ﴾.

وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْر، أَوَّلهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرهُ جِيفَةٌ، لَا يَرْزِقُ نَفْسهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفهُ﴾. وَأَنْشَدَ:

النَّاسُ فِي جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ　　أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ　　يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ　　عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَوَزْنُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ　　وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

﴿وَلَمَّا دَخَلَ أُوَيْسُ الْقَرَنِيُّ مَزْبَلَةً، لِيَتَقَوَّتَ بِمَا يَجِدُ فِيهَا، فَنَبَحَهُ كَلْبٌ، فَقَالَ لَهُ: كُلْ مِمَّا يَلِيكَ، وَأَنَا آكُلُ مِمَّا يَلِينِي، إِنْ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ، فَأَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، وَإِنْ دَخَلْتَ النَّارَ، كُنْتَ أَفْضَلَ مِنِّي﴾.

وَقَالَ سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ، أَبُو يَزِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿مَا دَامَ الْعَبْدُ يَظُنُّ فِي الْمُسْلِمِينَ، مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ﴾.

وَقَالَ آخَرُ: ﴿مَنْ رَأَى نَفْسَهُ خَيْرٌ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَهُوَ تَكَبُّرٌ﴾.

فَصْلٌ: عَنْ النَّهْيِ عَنْ شَمَاتَةِ الْمُسْلِمِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ). قَالَ أَحْمَدُ: (قَالُوا: مِنْ ذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ).

وَقَدْ نَصَّ بَعْضُ عُلَمَائِنَا، عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ، وَالنَّهْيِ عَنْ احْتِقَارِهِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا، يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا). وَعَنِ النَّبِيِّ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ، مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ).

(قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ). وَمَعْنَى (بَطَرُ الْحَقِّ): بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ. أَيْ: دَفْعُهُ وَإِبْطَالُهُ، وَعَدَمُ قَبُولِهِ. وَ(غَمْطُ): بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَسُكُونِ الْمِيمِ، وَطَاءٌ مُهْمَلَةٌ. وَرُوِي (غَمْصُ): بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، وَهُوَ بِمَعْنَى: الِاحْتِقَارُ وَالِانْتِقَاصُ.

فَصْلٌ: فِي غِلَظِ تَحْرِيمِ شَهَادَةِ الزُّورِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج:٣٠: ٣١].
وَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟، ثَلَاثًا. قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا. فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ. قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ).

وَعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ، قَالَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ، إِشْرَاكًا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَاجْتَنِبُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الطَّيْرَ لَتَضْرِبُ بِمَنَاقِيرِهَا، وَتُحَرِّكُ أَذْنَابَهَا، مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا تُكَلِّمُ شَاهِدَ الزُّورِ، وَلا تُعَادُ قَدَمَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى يُقْذَفَ فِي النَّارِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَاهِدُ الزُّورِ، وَالْعَشَّار فِي النَّارِ).).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ). وَفِي الْحَدِيثِ: (الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ، تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ).

وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ، بِأَنَّ الْغَمُوسَ مِنْهَا كَبِيرَةٌ. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِيهَا كَثِيرَةٌ. وَفِي [الْجَامِعِ]: (الْيَمِينُ عَلَى نِيَةِ الْمُسْتَحْلِفِ). وَقَيَّدَهُ الْعُلَمَاءُ بِمَا كَانَ مَظْلُومًا، وَإِلَّا فَعَلَى نِيَّةِ الْحَالِفِ.

فَصْلٌ: عَنْ النَّهْيِ عَنِ الْمَنِّ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ).

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَئِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ سَلَامَكَ، يُثْقِلُ عَلَى مَنْ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ، فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ). وَقَالَ ابْنُ أَرسلَان: (الْمَنُّ ذِكْرُ النِّعْمَةِ، عَلَى مَعْنَى التَّعْدِيدِ لَهَا، وَالتَّقْرِيعِ بِهَا، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ).

وَقَالَ الْمَعْرُوفُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ الْأُولَى، أَيْ لَا تُبْطِلُوا ثَوَابُهَا. فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ مَذْمُومٌ مُطْلَقًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، لِعَدَمِ تَحَقُّقِهِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْخَالِقُ فَهُوَ الْمَنَّانُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لِكَوْنِهِ الْكُلُّ لَهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ. فَإِنَّمَا هُوَ وَاسِطَةٌ، فَلِذَا سُمِّيَ مَنَّانٌ، وَامْتِنَانُهُ مَشْحُونٌ بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. وَقَالَ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦- ٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعْنَى.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلَا بِالْفَاحِشِ، وَلَا بِالْبَذِيءِ).

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (مَرَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟، كَلَّا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا أَعُودُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا وُجِّهَتْ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ أَصَابَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، أَوْ وَجَدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا، وَإِلَّا قَالَتْ: يَا رَبِّ، وُجِّهْتُ إِلَى فُلَانٍ، فَلَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ).

(وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ، فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ. قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ، تَمْشِي فِي النَّاسِ، وَمَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ).

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: (بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَضَايَقَ بِهِمِ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (سَارَ رَجُلٌ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَعَنَ بَعِيرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ).

وَعَنْهُ أَيْضًا (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلُدِغَتْ رَجُلًا بَرْغُوثٌ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا نَبَّهَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِلصَّلَاةِ).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، (أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ، عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا تَلْعَنْهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا، لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ إِلَيْهِ).

فَصْلٌ: عَنْ النَّهْيِ عَنِ اللَّعْنِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَمِّ اللَّعْنِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، غَيْر هَذِهِ، وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَثِيرًا. وَجَاءَ فِي إِخْبَارِهِ كَثِيرَة عَنْهُ.

(فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الرِّبَا، وَآكِلَهُ، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ، وَالرَّائِشَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُصَوِّرِينَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ يُشَقِّقُونَ الْخُطَبَ، تَشْقِيقَ الشِّعْرِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَّلُوهَا فَبَاعُوهَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُتشبَّهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ الْمُخْتَفِي وَالْمُخْتَفِيَةَ). (وَقَالَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُسَوِّفَاتِ، الَّتِي يَدْعُوهَا زَوْجها إِلَى فِرَاشِهِ، فَتَقُولُ: سَوْفَ، حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنُهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُفْلِسَةَ، الَّتِي إِذَا أَرَادَ زَوْجُهَا أَنْ يَأْتِيَهَا، قالَتْ: أَنَا حَائِضٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا، وَبَيْنَ الْأَخِ وَأَخِيهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ زَائِرَات الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَعَدَ وَسَطَ الحَلْقَةِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسِمُ فِي الْوَجْهِ). (وَرَأَى حِمَارًا قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ). (ولَعَنَ اللَّهُ مَنْ ضَرب الْبَهِيمَة على وَجْهِهَا).

(مَرَّ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ عَبْدَ الدِّينَارِ، وَلَعَنَ عَبْدَ الدِّرْهَمِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْقَدَرِيَّة، عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا).(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ، مَا تَرَكَ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ، إِلَّا لَدَغَتْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا تَدَعُ الْمُصَلِّيَ، وَلَا غَيْرَهُ، اقْتُلُوهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ). وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: اعْلَمْ أَنَّ لَعْنَ الْمُؤْمِنِ الْمَصُونِ، حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ. وَغَيْرِ الْمَصُونِ مَنْ هُوَ مَوْصُوفٌ بِوَصْفٍ مَذْمُومٍ، إِنْ كَانَ مَجْهُولاً، جَازَ اتِّفَاقًا. كَلَعْنِ الْكَافِرِينَ

الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ، وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَشَرَبَةِ الْخَمْرِ، وَالْمُصَوِّرِينَ، وَهَكَذَا، لِمَا مَرَّ مِنْ لَعْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُعَيَّنًا، فَنَقَلَ الْمُلَّا عَلِيّ، اتِّفَاقَ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَحْرِيمِ لَعْنِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَوْتَهُ عَلَى الْكُفْرِ يَقِينًا، كَأَبِي جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ، بَلْ وَلَوْ كَانَ حَيْوانًا أَوْ جَمَادًا، لِأَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا نَدْرِي مَا يَتِمُّ بِهِ لِهَذَا الْفَاسِقِ أَوْ الْكَافِرِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ لَعَنَهُمْ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَعْيَانِهِمِ، فَيُمْكِنُ أَنَّهُ عَلِمَ مَوْتَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ. وَأَمَّا قَوْلُ النَّوَوِيّ، فَظَوَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَيْس بِحَرَامٍ، فَبَعِيدٌ.

وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ، عَنْ بَعْضِهِمْ، جَوَازَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ مَا لَمْ يُحَدّ، لِأَنَّ الْحَدَّ كَفَّارَةٌ. قَالَ: وَهَذَا لَيْس بِسَدِيدٍ لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنِ اللَّعْنِ، فَحَمْلُهُ عَلَى الْمُعَيَّنِ أَوْلَى.

وَفِي [شَرْحِ الْعَقَائِدِ]: وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حَتَّى ذَكَرَهُ فِي [الْخُلَاصَةِ] وَغَيْرِهَا: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي اللَّعْنُ عَلَيْهِ، وَلَا عَلَى الْحَجَّاجِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ لَعْنِ الْمُصَلِّينَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ. وَمَا نُقِلَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبَعْضِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ، مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ.

وَقَالَ نُوحٌ أَفَنْدِي، فِي [شَرْحِهِ عَلَى الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ) تَعْزِيرًا لَهُ، (أَوْ لَعَنْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً) أَيْ رَحْمَةً، وَإِكْرَامًا

وَتعطُّفًا، (وَزَكَاةً) أَيْ طَهَارَةً مِنَ الذُّنوبِ، (وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا) إِلَيْكَ، (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وَلَا تُعَاقِبُهُ بِهَا فِي الْعُقْبى.

وَاسْتَشْكَلَ هَذَا، بِأَنَّهُ لَعَنَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، مِنْهُمْ الْمُصَوِّرُ، وَالعَشَّارُ، وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَالْمُحَلِّلِ، وَالسَّارِق، وَشَارِب الْخَمْرِ، وَأَكْل الرِّبَا، وَغَيْرهم. فَيَلْزَم لَهُمْ رَحْمَةً وَطهُورًا.

وَأُجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا مِنْ لَعْنِهِ فِي حَالِ غَضَبِهِ، بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ: (فَأَيُّمَا رَجُلٍ لَعَنْتُهُ فِي غَضَبِي).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا، لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

أَمَّا مَنْ لَعَنَهُ، فَمَنْ فَعَلَ مَنْهِيًّا عَنْهُ، فَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا. اهـ.

أَقُولُ: بَلْ الظَّاهِرُ دُخُولُهُ، إِذَا كَانَ هَذَا أَهْلاً لَهُ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَةُ الْأَخِيرَةُ، وَلِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ، فِي ذَلِكَ، إِذَا مَاتُوا مُؤْمِنِينَ.

بَلْ الْمُرَادُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شِدَّة الرُّوحِ وَالزَّجْرِ، لِكَيْ يَرْتَدِعُوا، كَيْفَ وَقَدْ جَاءَ فِي أَحَادِيثٍ، أَنَّهُ دَعَا بِالْمَغْفِرَةِ لِأُمَّتِهِ، فَأُسْتُجِيبَ لَهُ، وَحَاشَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَطْلُبَ إِبْعَاد أُمَّتِهِ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهَذَا الْبَحْر مِنْ بَابِ اللِّعَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يُشْرَعُ الدُّعَاءُ بِاللَّعْنِ عَلَى الْكَاذِبِ الْمُعَيَّنِ؟. قُلْتُ: قَالَ فِي [غَايَةِ الْبَيَانِ مِنْ الْعِدَّةِ]، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ شَاءَ

بَاهَلْتُهُ أَنَّ سُورَةَ النِّساءِ الْقُصْرَى، نَزَلَتْ بَعْدَ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ)، أَيْ: مَنْ شَاءَ الْمُبَاهَلَةَ، أَيْ: الْمُلَاعَنَةَ بَاهَلْتُهُ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ: بَهْلَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِ مِنَّا، قَالُوا: هِيَ مَشْرُوعَةٌ فِي زَمَانِنَا أَيْضًا. اهـ.

وَفِي [تَمْهِيدِ السَّالِمِيّ]: وَيَجُوزُ اللَّعْنَةُ وَالْوَقِيعَةُ فِي الْمُبْتَدِعِ. وَاسْتَدَلَّ لِذَلِكَ لِيُخْفِي مَا فِيهِ.

قَالَ الْمُلَّا عَلِيّ، فِي [الْمِرْقَاةِ]، شَرْحُ (قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ).

وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّقْيِيدِ بِالْإِكْثَارِ، أَنَّ اللَّعْنَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِنَّ، لِاعْتِيَادِهِنَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ؛ لِمَعْنَاهُ السَّابِقِ، فَخَفَّفَ الشَّارِعُ عَنْهُنَّ وَلَمْ يَتَوَعَّدْهُنَّ بِذَلِكَ، إِلَّا عِنْدَ إِكْثَارِهِ.

وَنَظِيرُهُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: إِنَّ الْغِيبَةَ صَغِيرَةٌ، وَوَجَّهُوهُ بِأَنَّ النَّاسَ ابْتُلُوا بِهَا، فَلَوْ كَانَتْ كَبِيرَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا جَرَى عَلَيْهِ كَثِيرُونَ، بَلْ حُكِيَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ، لَلَزِمَ تَفْسِيقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ، أَوْ غَالِبِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ حَرَجٌ أَيُّ حَرَجٍ، وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ فِي الشَّتْمِ وَالْكَلَامِ الْقَبِيحِ، يَعْنِي عَادَةً، لَكِنْ إِكْثَارُ اللَّعْنِ وَالشَّتْمِ وَالْإِيذَاءِ بِاللِّسَانِ). اهـ.

أَقُولُ: وَفِيهِ أَنَّ مَا يَجْرِي مِنْ ذَلِكَ، عَلَى أَلْسِنَةِ بَعْضِ النَّاسِ كَثِيرٌ، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، مَعْنَاهُ لَا مُؤَاخَذَةَ فِيهِ، أَوْ فِيهِ فُسْحَةٌ، وَهُوَ حَسَنٌ جِدًّا.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا لَعَنَ الْإِنْسَانُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ، فَلْيُبَادِرْ بِقَوْلِهِ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ. وَأَرَادَ بِذَلِكَ لِئَلَّا يَرْجِعَ عَلَى قَائِلِهَا، لِمَا مَرَّ فِي الْأَخْبَارِ.

فَصْلٌ: وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَيَقْرُبُ مِنَ اللَّعْنِ الدُّعَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ، حَتَّى الدُّعَاءُ عَلَى الظَّالِمِ، كَقَوْلِ الْإِنْسَانِ: (لَا صَحَّ اللَّهُ جِسْمَهُ)، (وَلَا سَلَّمَهُ اللَّهُ)، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ (الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا عَلَى الْأَوَّلِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى الْبَادِئِ حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ).

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَشْتُمُنِي وَهُوَ دُونِي؟، هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ).

وَمِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَذْمُومَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي الْعَادَةِ، قَوْلُهُ لِمَنْ يُخَاصِمَهُ: يَا حِمَارُ!، يَا تَيْسُ!، يَا كَلْبُ!. وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَذِبٌ، بِخِلَافِ: يَا ظَالِمُ، فَإِنَّهُ يُسَامَحُ فِيهِ، مَعَ كَوْنِهِ صِدْقًا، إِذْ لَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ ظُلْمِ نَفْسِهِ.

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنِ الْقَذْفِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣- ٢٥].

عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: مَا هُنَّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَاجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ، نُودِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِيَدْخُلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ). وَذَكَرَ مِنْهَا قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ زَارَ عَمَّةً لَهُ، فَدَعَتْ لَهُ بِطَعَامٍ، فَأَبْطَأَتِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَتْ: أَلَا تَسْتَعْجِلِي يَا زَانِيَةُ، فَقَالَ عَمْرٌو: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَقَدْ قُلْتِ أَمْرًا عَظِيمًا، هَلِ اطَّلَعْتِ عَنْهَا عَلَى زِنًى؟، قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، فَقَالَ عَمْرٌو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: أَيُّمَا عَبْدٍ أَوِ امْرَأَةٍ، قَالَ أَوْ قَالَتْ، لِوَلِيدَتِهَا: يَا زَانِيَةُ، وَلَمْ تَطَّلِعْ مِنْهَا عَلَى زِنَاءٍ، جَلَدَتْهَا وَلِيدَتُهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ لَا حَدَّ لَهُنَّ فِي الدُّنْيَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ، جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَدّاً، إِلاّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قالَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِمَا لَيْسَ فِيهِ، لِيُعِيبَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ).

فَصْــلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا شَتَمَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلَا يَشْتُمْ عَشِيرَتَهُ، وَلَا أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: إِنَّكَ لَبَخِيلٌ، وَإِنَّكَ لَجَبَانٌ، إِنَّكَ لَكَذُوبٌ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ).

وَيَجُوزُ لِلآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكُلِّ مُؤَدِّبٍ، أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ فِي ذَلِكَ: (وَيْلَكَ)، أَوْ (قَلِيلُ العَقْلِ)، أَو (عَدِيمُ الرَّأْيِ)، أَوْ (يَا ظَالِمًا لِنَفْسِهِ)، أَوْ (يَا قَلِيلَ الحَيَاءِ)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا قَذْفَ.

عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ: ارْكَبْهَا. فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ. قَالَ: ارْكَبْهَا. قَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ. قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: ارْكَبْهَا وَيْلَكَ).

وَمِنْ كَلَامِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي هَذَا: (وَيْحَكَ)، (تَرِبَتْ يَدَاكَ)، (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ)، (وَبِئْسَ الْخَطِيبِ أَنْتَ).

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ).

وَعَنْ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ، فَتَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْحَدِيث.

وَفِي [الصَّحِيحَيْنِ]: (أَنَّ جَابِرًا صَلَّى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عِنْدَهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ هذا؟، فَقَالَ: فَعَلْتُهُ لِيَرَانِي الجُهَّالُ مِثْلُكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلُكَ). إِلَى غيْرِ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمَسْبُوبُ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنَكُمَا، يَذُبُّ عَنْكَ، كُلَّمَا شَتَمَكَ، قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ، وَإِذَا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا بَلْ لَكَ أَنْتَ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ).

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنْ انْتِهَارِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩- ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ، بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ، يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ، بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ، يُسَاءُ إِلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ، كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ).

وَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، (أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ، مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ. فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟، قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي).

فَصْلٌ: فِي الأَلْفَاظِ الَّتِي يُكْرَهُ اسْتِعْمَالُهَا

عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ جَاشَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي). وَمَعْنَى الْكُلِّ وَاحِد، أَيْ غَشَشْت، وَإِنَّمَا كُرِهَ ذَلِكَ لِقَبِيحِ لَفْظِهِ وَشَنَاعَتِهِ. كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا الْكَرْمُ، وَلَكِنْ قُولُوا الْعِنَبُ وَالْحَبْلَةُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ، إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ).

وَفِي أُخْرَى: (لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، وَلَا تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ). وَفِي غَيْرِهِ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ).

عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَنَا: إِنَّكُمْ تَدْعُونَ الْعِنَبَ الْكَرَمُ، وَإِنَّمَا اسْمُهُ الْجَوْهَرُ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَشْفَقَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدعُوهُمْ حُسْنُ اسْمِهَا، إِلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، الْمُتَّخَذَةُ مِنْهَا، فَسَلَبَهَا هَذَا الِاسْمُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ). رُوِيَ بِرَفْعِ كَافِ (أَهْلَكَهُمْ)، وَبِنَصْبِهَا. وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ.

وَذُكِرَ فِي [مَعَالِمِ السُّنَنِ]. ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ: (إِذَا قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي النَّاسِ، يَعْنِي فِي أَمْرِ دِينِهِمْ فَلَا أَرَى بِهِ بَأْسًا، وَإِذَا قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وَتَصَاغُرًا لِلنَّاسِ فَهُوَ الْمَكْرُوهُ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ).

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ وَأَوْجَزُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَمَا لَا يُقَالُ ذَلِكَ: لَا يُقَالُ فَسَدَ النَّاسُ، تَلِفَ الزَّمَانُ، فَسَدَ الدَّهْرُ، وَنَحْوِهِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشِّرْكُ أَنْ تَقُولَ: أَعْطَانِي اللَّهُ، وَفُلَانٌ).

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ : (أَعُوذُ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ).

وَكُلُّ هَذَا لِلْإِرْشَادِ وَإِلَى الْأَدَبِ، بِأَنْ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ اللهِ وَعَبْدِهِ، بِوَاوِ الْجَمْعِ الْمُقْتَضِيَة لِلتَّشْرِيكِ، بَلْ يُرَتِّبُ وَيُرَاخِي بِثُمَّ، وَنَحْوُ هَذَا (مَا خَلَصْنَا مِنْ كَذَا إِلَّا اللَّهُ وَفُلَانٌ)، (وَمَا سَلِمْتُ مِنْ كَذَا إِلَّا بِاللَّهِ وَفُلَانٍ)، (وَأَنَا عَلَى اللهِ وَفُلَان)، وَنَحْوِهِ.

فَصْلٌ: فِي حُكْمِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِه

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ، أَوْ لِيَذَرْ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، فَلَيْسَ مِنَّا). قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَئِنْ أَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِالْمَخْلُوقِ صَادِقًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ). وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: (بِشَيْءٍ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ مَكْرُوهٌ، وَلَوْ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْكَعْبَةِ، وَالرُّوحِ، وَنَحْوِهِ.

وَفِي [الْبَحْرِ]: الْحَلِفُ بِحَيَاةِ رَأْسِكَ، وَحَيَاةِ رَأْسِ السُّلْطَانِ، فَذَلِكَ إِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْبِرَّ فِيهِ وَاجِبٌ يَكْفُرُ.

وَفِي تَتِمَّةِ الْفَتَاوَى: قَالَ عَلِيٌّ الرَّازِيّ: أَخَافُ عَلَى مَنْ قَالَ: (بِحَيَاتِي وَحَيَاتِك)، أَنَّهُ كُفْرٌ، وَلَوْلَا الْعَامَّة، يَقُولُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَهُ، لَقُلْتُ: إِنَّهُ شِرْكٌ. يَنْبَغِي تَرْكُهُ أَصْلًا. وَقَدْ عَمَّ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الظَّلَمَةِ لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِهِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ، وَمِنْ أَفْعَالِهِم، وَيُكْرَه كَثْرَةُ الْحَلِفِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ). وَفِي أُخْرَى: (لِلْبَرَكَةِ).

وَمِنْ [مَنَاقِبِ الشَّافِعِيّ]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (مَا حَلَفَ بِاللَّهِ قَطّ، لَا صَادِقًا وَلَا كَاذِبًا). وَقَد افْتَدَى عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَمِينَهُ، بِثَمَانِينَ أَلْفًا، أَوْ نَحوهَا، وَكَانَ صَادِقًا.

فَصْلٌ: وَيَحْرُمُ أَنْ يَقُولَ: إِنْ فَعَلْتَ كَذَا، فَأَنَا يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، أَوْ بَرِئٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، أَوْ هُوَ بَرِئٌ مِنَ الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ نَحو ذَلِكَ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا فِي حُكْمِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ الشَّرْطُ، يَكْفُر كُفْرًا حَالًا. وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ، فَهُوَ يَمِينٌ تَلْزَمُهُ بِهِ الْكَفَّارَة.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: لِكِنِ ارْتَكَبَ مُحَرَّمًا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَة، وَهِيَ أَنَّ يُقْلِعَ فِي الْحَالِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَيَعْزِمَ عَلَى أَنَّ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ جِدًّا، وَإِنْ لَمْ أَرَهُ لِعُلَمَائِنَا.

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ الْمُسْلِمِ لِمُسْلِمٍ: يَا كَافِرُ

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا بَاءَ بِالْكُفْرِ). وَفِي غَيْرِهَا: (إِنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، وَجَبَ الْكُفْرُ لِأَحَدِهِمَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا بَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ لِصَاحِبِهِ، هُجْرًا، هَتَكَ سُتْرَةَ اللَّهِ، وَإِذَا قَالَ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ). أَيْ رَجَعَ إِلَيْهِ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَهُوَ كَقَتْلِهِ).

وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا وَغَيْرُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَالْحَقُّ عَدَمُ التَّكْفِيرِ، كَمَا عَلَيْهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَلَوْ دَعَا عَلَى مُسْلِمٍ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، أَوْ سَلْبِ الْإِيمَانِ، اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا وَغَيْرُهُمْ فِي كُفْرِهِ، وَالْحَقُّ لَا يَكْفُرُ، إِلَّا إِذَا رَضِيَ بِكُفْرِهِ، وَنَحْوِهِ.

وَقَدْ قَالَ الْمُلَّا عَلِيٌّ فِي [الْمِرْقَاةِ]: وَاخْتَلَفُوا فِي الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَنَحْوِهِ. فَقِيلَ: يُبَاحُ، كَمَا قَالَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]. وَقَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

[يونس: ٨٨].

وَدَعَا نَبِيُّنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ أُحُدٍ، عَلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حِينَ كَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ، وَدمِي وَجْهَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُحِلْ عَلَيْهِ الْحَوْلَ، حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا، فَمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْل، حَتَّى مَاتَ كَافِرًا، فَكَانَ كَذَلِكَ. وَقِيلَ يُمْنَعُ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بِحَمْلِ الْأَوَّلِ، عَلَى مُتَمَرِّدٍ عَمَّ ظُلْمَهُ، وَالثَّانِي عَلَى غَيْرِهِ، وَلَوْ أُكْرِهَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْكُفْرِ، بِقَتْلٍ أَوْ قَطْعٍ، وَسِعَهُ أَنْ يَجْرِي كَلِمَةَ الْكُفْرِ عَلَى لِسَانِهِ، مَع اطْمِئْنَانِ قَلْبِهِ بِالْإِيمَانِ. وَلَكِنْ يُورِي، وَإِنْ صَبَرَ فَهُوَ أَفْضَلُ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

لِحَدِيثِ عَمَّار بْنِ يَاسِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (حِينَ ابْتُلِيَ، وَقَالَ لَهُ النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ؟، قَالَ: كَانَ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ عَادُوا فَعُدْ). وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وقِصَّتُهُ مَعْرُوفَةٌ.

فَصْلٌ: فِي إِكْرَاهِ الْمُسْلِمِ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ

فَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، وَفِعْلُ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَنِ الْحَسَنِ، (أَنَّ عُيُونًا لِمُسَيْلِمَةَ، أَخَذُوا رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَوْهُ بِهِمَا، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَمُّ، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

هَلَكْتُ، قَالَ: وَمَا شَأْنُكَ؟، فَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّتِهِ وَقِصَّةِ صَاحِبِهِ، فَقَالَ: أَمَّا صَاحِبُكَ فَمَضَى عَلَى إِيمَانِهِ، وَأَمَّا أَنْتَ فَأَخَذْتَ بِالرُّخْصَةِ).

وَفِي رِوَايَةِ [الْكَشَّافِ]: (فَقَالَ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللهِ، وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ، فَهَنِيئًا لَهُ).

وَقَدْ أَطْلَقَ عُلَمَاؤُنَا أَفْضَلِيَّةَ الصَّبْرِ، وَذَكَرَ الشَّافِعِيَّةُ خَمْسَةَ أَقْوَالٍ، أَصَحهَا ذِكْر الثَّانِي لِلْمُتَكَلِّمِ لِيَصُونَ نَفْسَهُ. الثَّالِثُ: كَانَ فِي بَقَائِهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَذَلِكَ وَإِلَّا فَالصَّبْرُ. الرَّابِعُ: إِنْ كَانَ مِمَّن يُقْتَدَى بِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَنَحْوِهِمْ، فَالصَّبْرُ أَفْضَلُ. الْخَامِسُ: وُجُوبُ التَّكَلُّمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وَهَذَا ضَعِيفٌ جِدًّا.

وَلَوْ أَكْرَهَ مُسْلِمٌ كَافِرًا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ الْكَافِرُ حَرْبِيًّا صَحَّ إِسْلَامُهُ، لِأَنَّهُ إِكْرَاهٌ بِحَقٍّ. وَإِنْ كَانَ ذِمِّيًّا لَمْ يَصِرْ مُسْلِمًا، لِأَنَّا الْتَزَمْنَا الْكَفَّ عَنْهُمْ. وَقِيلَ: يَصِيرُ مُسْلِمًا، لِأَمْرِهِ إِيَّاهُ بِالْحَقِّ. كَذَا ذَكَرَ الشَّافِعِيَّةُ. وَلَمْ أَقِفْ الآنَ عَلَى نَصٍّ لِعُلَمَائِنَا.

ثُمَّ لَا شَكَّ إِنَّ هَذَا بِالْنِسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا، أَمَّا الآخِرَةُ فَلَابُدَّ مِنْ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ، وَإِنْ نَطَقَ الْكَافِرُ بِالشَّهَادَتين بِدُونِ إِكْرَاهٍ، فَإِنْ بِطَرِيقِ الْحِكَايَةِ، بِأَنْ قَالَ: (سَمِعْتُ فُلَانًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، لَمْ يُحْكَمْ بِإِسْلَامِهِ.

وَإِنْ نَطَقَ بِهِمَا بَعْدَ طَلَبِ مُسْلِمٍ مِنْهُ ذَلِكَ، فَهُوَ مُسْلِمٌ. وَكَذَلِكَ إِنْ ابْتَدَأَ بِهِمَا مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ، إِلَّا أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيّ الْعَرَبِ، أَوْ نَبِيًّا يَأْتِي، أَوْ نَحْوِهِ.

فَلَابُدَّ مِنْ ذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ نَبِيَّنَا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يَتَبَرَّأ مِنْ كُلِّ دِينٍ، يُخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ حَمَلَ حَرْبِيًّا كِتَابِيًّا، فَقَالَ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كَانَ مُؤْمِنًا.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الأَجْرُ، وَعَلَيْكُمْ الشُّكْرُ، وَإِن أَسَاءَ فَعَلَيْهِ الْوِزْرُ، وَعَلَيْكُمْ الصَّبْرُ).

(السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، يَأْوِي إِلَيْهِ الضَّعِيفُ، وَبِهِ يَنْتَصِرُ المَظْلُومُ، وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّه فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللَّه يوْمَ الْقِيَامَةِ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ يَقُومُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (خَلِيفَةُ اللَّهُ)، بَلْ يُقَالُ: (الْخَلِيفَةُ)، وَ(خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَ(أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ)، وَ(السُّلْطَانُ)، وَ(الْمَلِكُ)، وَنَحو ذَلِكَ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلاً لَا يُسَمَّى خَلِيفَةً، لِأَنَّهُ خَلَفَ مَنْ مَضَى. وَيُجَوِّزُ الْأَوَّلَ بَعْضُهُمْ.

وَاحْتَجَّ الْجُمْهُورُ بِمَا عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: (أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: يَا خَلِيفَةَ اللَّه، فَقَالَ: أَنَا خَلِيفَةُ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا رَاضٍ بِذَلِكَ).

(وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ، فَقَالَ: وَيْلَك، لَقَدْ تَنَاوَلْتَ مُتَنَاوَلا بَعِيدًا، إِنَّ أُمِّي سَمَّتْنِي عُمَرَ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهَذَا الاسْمِ قَبِلْتُ،

ثُمَّ كَبُرْتُ، فَتَكَنَّيْتُ أَبَا حَفْصٍ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهِ، قَبِلْتُ، ثُمَّ وَلَّيْتُمُونِي أُمُورَكُمْ، فَسَمَّيْتُمُونِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِذَاكَ، كَفَاكَ).

وَفِي [الْأَوَائِلِ] لِلسُّيُوطِيّ: (أَوَّل مَنْ سُمِّيَ خَلِيفَةً، أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

وقَالَ النَّوَوِيُّ: أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَمَّا مَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ فِي مُسَيْلَمَةَ، فَخَطَأٌ صَرِيحٌ، وَجَهْلٌ قَبِيحٌ، مُخَالَفَةٌ لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ.

ثُمَّ الْمُخْتَارُ كَرَاهَةُ إِطْلَاقِ (الْملِكِ)، بِالْمِيمِ، عَلَى مَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ اسْتِحْقَاقِ التَّصرُّفِ الْعَامِ. وَكَذَا عَلَى مَا لِلْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ. كَمَا يُكْرَهُ إِطْلَاقُهُ بِفَتْحِ الْمِيمِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، لَا مَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى، فِي حَقِّ دَاوُد، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وَفِي حَقِّ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وقَالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَحْرُمُ تَغْلِيظًا، أَنْ يَقُولَ لِلسُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ: (شَاهَانْ شَاهْ)، لِأَنَّ مَعْنَاهُ (مَلِكُ الْأَمْلَاكِ)، وَلَا يُوصَفُ بِذَلِكَ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى.

وَرَوْينَا فِي صَحِيحَيْ [الْبُخَارِيّ] وَ[مُسْلِمٍ]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، رَجُلٌ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ). وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا فِي [كِتَابِ الْأَسْمَاءِ]. وَأَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، قَالَ: (مَلِكُ الْأَمْلَاكِ، مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ).

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدْ وَقَعَتْ بِبَغْدَادَ، لَمَّا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الْمُلَقَّبُ بِجلَالِ الدَّوْلَةِ، سَنَة ٧٢٩، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعُمِائَةٍ، فَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ شَاهَانْ شَاهْ الْأَعْظَم، مِلِك الْمُلُوكِ، وَخُطِبَ لَهُ بِذَلِك عَلَى الْمِنْبَرِ.

فَاسْتَفْتَى عُلَمَاءَ بَغْدَادَ، فَأَفْتَى بِالجَوَازِ مِنْهُمْ القَاضِي أَبُو الطِّيّب، وَابْنُ الْبَيْضَاوِيّ، الشَّافِعِيَّانِ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، وَخالَفَهُمْ الْمَاوَرْدِيُّ، وَأَفْتَى بِالتَّحْرِيمِ. وَقَالَ الْإِسْنَوِيُّ: يُنْظَرُ، إِنْ أَرَادَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَنَحْوه، وَقَامَتْ قَرِينَةٌ لِلسَّامِعِينَ بِذَلِك، جَازَ كَمَا وُضِعَتْ أَلْفَاظٌ لِلْمُبَالَغَةِ، وَإِنْ أَرَادَ الْعُمُومَ فَلَا إِشْكَالَ فِي التَّحْرِيمِ. يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَهُوَ أَحْسَنُ، وَلَكِنْ الْأَدَبُ تَرْكهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ: فِي لَفْظِ السَّيِّدِ

وَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ السَّيِّد، يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ، لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، فَهُوَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ بِإِطْلَاقِه عَلَى أَفْضَلِ الْفَضْلِ، كَمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ لِضِدّهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَعِدَ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجِدُ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ؟، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، قَالَ سَعْدٌ: بَلَى، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِالْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنِ السَّيِّدُ؟، قَالَ: ذَاكَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. قَالُوا: فَمَا فِي أُمَّتِكَ سَيِّدٌ؟، قَالَ: بَلَى، رَجُلٌ أُعْطِيَ مَالًا حَلَالًا، وَرُزِقَ سَمَاحَةً، فَأَدْنَى الْفَقِيرَ، وَقَلَّتْ شِكَايَتُهُ فِي النَّاسِ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلْمُنَافِقِ يَا سَيِّدُ، فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَنْتَ سَيِّدُنا. قَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ. قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، قَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُم، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَان).

وَقَدْ جَمَعَ الْخَطَّابِيُّ وَالنَّوَوِيُّ، وَغَيْرُهُمَا، بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، بِأَنَّهُ يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ، لَا الْفُسَّاق وَالْمُبْتَدِعِينَ.

وَذكَرَ الْحَمَوِيُّ فِي [حَاشِيَةِ الْأَشْبَاهِ]، أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ فِي ذلِكَ، وَأَصَحُّهَا جَوَازُ إِطْلَاقِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَعَلَى غَيْرِهِ. الثَّانِي: لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَعُزِيَ لِمَالِكٍ. الثَّالِثُ: لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَيْهِ تَعَالَى. الرَّابِعُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِ مُعَرَّفًا. فَالْأَوْلَى فِي الْجَوَازِ عَلَى الْأَظْهَرِ، وَهُوَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، بِمَعْنَى الْعَظِيمِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ بِمَعْنَى الشَّرِيفِ الْفَاضِلِ الرَّئِيسِ.

وَمَا يُقَالُ وَمَا إِنْ لَا تُسَوِّد، وَمَنْ فِي الصَّلَاةِ فَكَذِبٌ، وَقَوْلُهُمْ: (سَيِّدُونِي)، بِالْيَاءِ لَحْنٌ أَيْضًا. فَتُنْدَبُ السِّيَادَةُ فِي الصَّلَاةِ، كَمَا مَرَّ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي [الرَّوْضِ الْأُنُفِ]: كَرِهَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولَ فِي الدُّعَاءِ: يَا سَيِّدِي، وَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ، وَاحْتَجَّ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ، (أَنَّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا سَيِّدِي، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ).

فَصْلٌ: وَيُكْرَهُ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَقُولَ لِسَيِّدِهِ أَوْ سَيِّدَتِهِ: (رَبِّي) أَوْ (رَبَّتِي). كَمَا يُكْرَهُ لِلْمَالِكِ أَنْ يَقُولَ: (عَبْدِي وَأَمَتِي)؛ بَلْ يَقُولَانِ: (سَيِّدِي)، أَوْ (مَوْلَايِ)، (أَوْ فَتَايَ) أَوْ (غُلَامِي).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ).

وَفِي أُخْرَى: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلِيَقُلْ: سَيِّدِي). وَفِي غَيْرِهَا: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي، وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ، وَفَتَاتِي).

وَفِي لَفْظٍ: (وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ: رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ: سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمُ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ تَعَالَى). وَفِي أُخْرَى: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، فَإِنَّ كُلَّكُمْ عَبْدٌ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: فَتَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: مَوْلَايَ، فَإِنَّ مَوْلَاكُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: سَيِّدِي).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: النَّهْيُ فِي هَذَا، لِلتَّنْزِيهِ، وَقِيلَ لِلتَّحْرِيمِ. وَإِنَّ لَفْظَ (الرَّبُّ) مُعَرَّفًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا إِذَا أُضِيفَ، كَـ(رِبِّ الدَّارِ) وَ(رَبِّ النَّاقَةِ).

وَقَدْ وَرَدَ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، مِنْهَا فِي ضَالَّةِ الإِبْلِ، (مَا لَكَ وَلَهَا؟، مَعَهَا سِقَاؤُهَا، وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ، وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ، حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا). وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: (حَتَّى يُهِمَّ رَبُّ الْمَالِ، مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَةً).

وَكَرَاهَةُ ذَلِكَ لِمَا يُوهِمُهُ ظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَ الافْتِخَارِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ طَرِيق السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ الْأَخْيَارِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ، مُحيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ، قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ: (الصُّوفِيُّ مَنْ أَسْقَطَ الْيَاءَات الثَّلَاثِ، فَلَا يَقُولُ: لِي، وَلَا عِنْدِي، وَلَا مَعِي).

وَأَمَّا قَوْلُ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. فَأَجَابُوا عَنْهُ بِوَجْهَيْنِ: أَنَّهُ خَاطَبَ بِمَا يَعْرِفُهُ، وَهُوَ جَائِزٌ، كَمَا قَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلسَّامِرِيِّ: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه: ٩٧]. وَأَنَّهُ شَرْعٌ لِمَنْ قَبْلَنَا، وَقَدْ وَرَدَ شَرْعُنَا بِخِلَافِه.

وَقَالَ النَّحَّاسُ الشَّافِعِيُّ: أَمَّا «الْمَوْلى فَلا نَعْلَمُ اخْتِلافًا فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ: يَا مَوْلَايَ». قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ، وَهِيَ رِوَايَةٌ عَنِ الأَعْمَشِ، وَلَمْ يَقُلْ بِهَا الْأَكْثَرُونَ، لِمَا مَرَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِإِبَاحَةِ إِطْلَاقِهِ.

فَصْلٌ: يُكْرَهُ سَبُّ الْحُمَّى

فَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ، فَقَالَ: مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ، تُزَفْزِفِينَ؟. قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

«تُزَفْزِفِينَ»: بِضَمِّ التَّاءِ وَالزَّايِ الْمُكَرَّرَةِ، وَحُكِيَ بِالرَّاءِ مَعَ الْقَافِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: الْمَشْهُورُ أَنَّهُ بِالْفَاءِ، سَوَاءٌ كَانَ بِالزَّايِ أَوْ بِالرَّاءِ. وَمَعْنَاهُ: تَرْتَعِدِينَ.

وَعَنْ فَاطِمَةَ الْخُزَاعِيَّةِ، قَالَتْ: «عَادَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهِيَ وَجِعَةٌ، فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟، قَالَتْ: بِخَيْرٍ، إِلَّا أَنَّ أُمَّ مِلْدَمٍ قَدْ بَرِحَتْ بِي، -يَعْنِي الْحُمَّى-، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اصْبِرِي فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَبَثَ ابْنِ آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

وَتَقَدَّمَ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدِّيكِ وَالْبُرْغُوثِ وَالرِّيحِ. وَيُكْرَهُ الدُّعَاءُ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتِعْمَالُ أَلْفَاظِهِمْ. «قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدُعَاءِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «بَاء» بَدَلَ «الْوَاو».

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُوهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ).

فَصْلٌ: وَيُكْرَهُ أَنْ يُسَمَّى الْمُحَرَّمُ صفرًا، لِأَنَّهُ مِنْ عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَصْلٌ: عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ، قَالَ: (كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا، وَأَنْعِمْ صَبَاحًا، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ نُهِينَا عَنْ ذَلِكَ).

وَعَنْ مَعْمَر: (يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُل: أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَقُولَ: أَنْعَمَ اللَّهُ عَيْنَكَ).

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي الْحَدِيثِ، وَاجْتِنَابُ ذَلِكَ أَوْلَى.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ، (أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ، لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ، خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ، يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ عَهْدٍ بِهَا، ثُمَّ أَسْلَمَ).

فَصْلٌ: وَكَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُقَالَ: (مَا كَانَ مَعِي خَلْقٌ إِلَّا اللَّهُ)، لِمَا إِنَّ الْأَصْلَ فِي الِاسْتِثْنَاءِ الِاتِّصَال. وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْمُنْقَطِعُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ بَدَلَهُ: (مَا كَانَ مَعِي إِلَّا اللَّهُ).

وَكَرِهَ أَنْ يُقَالَ: (اجْلِسْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ). وَلْيَقُلْ: (اجْلِسْ بِاسْمِ اللَّهِ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا، يَقُولُ: ارْفَعُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ. فَقَالَ: لَا تَقُولُوا ارْفَعُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقُولُوا: ارْفَعُوا بِسْمِ اللَّهِ).

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: لَوْ قَالَ السَّائِلُ: (شَيْءٌ لِلَّهِ)، يَكْفُرُ، لِأَنَّ اللهَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَرَدَّهُ غَيْرُهُ بِأَنَّ الْمُرَادَ طَلَبُ شَيْءٍ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لَا شَيْءَ فِيهِ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ الصَّحِيحُ.

وَيُكْرَه مَنْعُ مِنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، وَاسْتَعَاذَ بِهِ، كَمَا يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللَّهِ، ثُمَّ يَمْنَع سَائِلَهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْهُ هُجْرًا).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْخَضِرِ؟، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ، يَمْشِي فِي سُوقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مُكَاتَبٌ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لما تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ. فَقَالَ الْخَضِرُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ، إِلَّا أَنْ تَأْخُذَنِي فَتَبِيعَنِي، فَقَالَ الْمُكَاتَبُ: وَهَلْ يَسْتَقِيمُ هَذَا؟، قَالَ: نَعَمِ، فَقَدَّمَهُ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَمَكَثَ عِنْدَ الْمُشْتَرِي، فَقَالَ: فَقُمْ، فَانْقِلْ هَذِهِ الْحِجَارَةَ، وَكَانَ لَا يَنْقُلُهَا دُونَ سِتَّةِ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدْ نَقَلَ الْحِجَارَةَ فِي سَاعَةٍ) الْحَدِيث.

وَفِيهِ: (فَقَالَ الْخَضِرُ: مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللَّهِ، فَرَدَّ سَائِلَهُ، وَهُوَ يَقْدِرُ، وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جِلْدُهُ وَلَا لَحْمَ لَهُ، وَلَا عَظْمَ يَتَقَعْقَعُ).

وَكَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ، أَنْ يَقُولَ الصَّائِمُ: (وَحَقِّ الْخَاتَمِ الَّذِي عَلَى فَمِي). وَحُجَّتهُ أَنَّهُ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِ الْكُفَّارِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ صَوْمِهِ.

وَيُكْرَهُ أَنْ يَتَنَاجَى اثْنَانِ، وَمَعَهُمَا ثَالِثٌ وَحْدَهُ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةٌ، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ). قَالَ الرَّاوِي، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فَأَرْبَعَةٌ، قَالَ: لَا يَضُرُّكَ).

وَعَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، قَالَ: (جَلَسْتُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، وَمَعَهُ رَجُلٌ يُحَدِّثُهُ، فَدَخَلْتُ مَعَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي. وَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا تَنَاجَى اثْنَانِ، فَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِمَا، حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا).

وَيُكْرَهُ لِلشَّخْصِ، أَنْ يُخْبِرَ رَجُلاً بِمَحَاسِنِ امْرَأَةٍ، بِلَا حَاجَةٍ، كَقَصْدِ الزَّوَاجِ.

فَفِي الْحَدِيثِ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، كَأَنَّهَا تَصِفُهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا).

وَفِي حَدِيثِ الْمُخَنَّثِ: (أَنَّ مُخَنَّثًا كَانَ يَوْمًا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْمَعُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ، غَدًا، فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى ابْنَةِ غَيْلَانَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُمْ).

وَهَذَا لِأَنَّ الْوَصْفَ يُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَةِ، بَلْ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

فَصْلٌ: رَوَى النَّحَّاسُ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ، مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَحْيَى، -وَكَانَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْأُدَبَاءِ-، أَنَّهُ قَالَ: (يُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ عِنْدَ الْغَضَبِ: اذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ الْغَضَبُ عَلَى الْكُفْرِ، قَالَ: وَكَذَا لَا يُقَالُ لَهُ: صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَوْفًا مِنْ هَذَا).

وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلِهَذَا لَمَّا غَضِبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ). وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِذَلِكَ، وَلِذَا قَالُوا: يُلَقَّنُ الْمُحْتَضَرُ مَنْ أُمِرَ بِذَلِكَ.

وَمِنْ أَقْبَحِ الْأَلْفَاظِ مَا يَعْتَادُهُ مَنْ يَتَوَرَّعُ عَنِ الْحَلِفِ، أَوْ يَكْرَهُ الْحِنْثَ، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُ يَعْلَمُ، أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ)، أَوْ (مَا كَانَ كَذَلِكَ)، أَوْ نَحْوه، لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَا بَأْسَ بِهِ.

وَإِنْ كَانَ شَكًّا فَالْخَطَرُ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ تَعَرَّضَ لِلْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، لِكَوْنِهِ أَجَازَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ شَيْئًا، لَمْ يَتَيَقَّنْ كَيْفَ هُوَ، مَعَ كَوْنِهِ وَصَفَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْأَمْرَ، عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَهَذَا إِنْ تَعَمَّدَهُ، كَفَرَ.

وَحَكَى الْغَزَالِيُّ، (أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، عِنْدَ اللَّهِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لِمَا لَا يَعْلَمُ).

وَأَمَّا إِذَا قَالَ: (اللَّهُ يَعْلَمُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ). أَوْ (اللَّهُ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ)، وَنَحْوه، فَلَا بَأْس. بَلْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وَفِي حَدِيثِ الْمُتَلَاعِنَيْنِ، (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟).

فَصْــــلٌ: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَكْرَهُ أَنْ يُسَمَّى مَنْ لَمْ يَحُجَّ صَرُورَةً، وَلَكِنْ يُقَالُ: لَمْ يَحُجَّ). لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ).

وَلَمْ أَرَ فِيهِ نَقْلاً لِعُلَمَائِنَا، إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي الْمَنَاسِكِ كَثِيرًا، مِنْ غَيْرِ تَنْبِيهٍ عَلَى ذَلِكَ.

فَصْــــلٌ: وَعَنِ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَرَاهَةُ أَنْ يُقَالَ: أَهْرَقْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَهُوَ بَعِيدٌ، لِوُرُودِ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ، وَعَمَلُ الْأُمَّةِ. وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثٌ وَآثَارٌ، فِي كَرَاهَةِ أَنْ يُقَالَ: (أَهْرَقْتُ الْمَاءُ)، وَ(أَرَقْتُ الْمَاءُ)، وَالْآخَرُ بِإِبَاحَتِهِ ذَلِكَ. وَالْأَوْلَى أَنْ يُكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَنَحْوه.

فَصْلٌ: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (لَا تَقُلْ انْصَرَفْنَا مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ قَوْمًا انْصَرَفُوا، فَصَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَلَكِنْ: قَضَيْنَا الصَّلَاةَ). وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِنَحْوِهِ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ لَا يَرَى بِهِ بَأْسًا.

وَكَرِهَ ابْنُ سِيرِينَ، أَنْ يُقَالَ: (فَاتَتْنَا الصَّلَاةُ). وَلَكِنْ يُقَالُ: (لَمْ نُدْرِكْ الصَّلَاةَ). وَاخْتَارَ الْبُخَارِيُّ جَوَازَهُ، مُحْتَجًّا. (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كِدْتُ أُصَلِّي الْعَصْرَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا، فَقُمْنَا إِلَى بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ، وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ).

وَكَرِهَ أَبُو ظَبْيَانَ قَوْلَهُمْ: (حَانَتْ الصَّلَاةُ)، لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَحِينُ، وَلَكِنْ قُولُوا: (حَضَرَتِ الصَّلَاةُ).

فَصْلٌ: وقَالَ النَّوَوِيُّ: يُكْرَهُ أَنْ تُسَمَّى الْعِشَاءُ الْأَخِيرَةُ الْعَتَمَةَ، لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي ذَلِكَ. وَيُكْرَهُ أَيْضًا أَنْ تُسَمَّى الْمَغْرِبُ عِشَاءً. أَوْرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا.

وَأَجَابَ عَنْ مَا فِي الْأَحَادِيثِ، مِنْ تَسْمِيَةِ الْعِشَاءِ عَتَمَةً. كَحَدِيثِ: (لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصُّبْحِ وَالْعَتَمَةِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا). بِوَجْهَيْنِ: أَنَّ ذَلِكَ لِبَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ تَنْزِيهًا. وَأَنَّهُ خَاطَبَ بِهَا مِنْ يَخَافُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا تَسْمِيَةُ الصُّبْحِ غَدَاةً، فَلَا كَرَاهَةَ فِيهِ، عَلَى الصَّحِيحِ، لِمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ. وَلَا بَأْسَ بِتَسْمِيَةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِشَاءَيْنِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُقَالَ: الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ.

لِوُرُودِ ذَلِكَ، (أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا، فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ). وَمَا نُقِلَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ بِخِلَافِهِ فَغَلَطٌ.

فَصْلٌ: وَيُكْرَهُ لِلشَّخْصِ إِذَا فَعَلَ مَعْصِيَةً، أَنْ يَفْرَحَ بِهَا، أَوْ يَسِيرَ وَيَذْكُرَهَا لِغَيْرِهِ، فَيَقُولُ: (أَمَّا رَأَيْتَ كَيْفَ فَعَلْتَ كَذَا)، وَ(هَتَكْتَ عِرْضَ فُلَانٍ، وَفَضَحْتَهُ)، وَنَحْوه. بَلْ تَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ، الَّتِي رُكْنُهَا النَّدَمُ، الْمُنْتِجُ لِتَرْكِهَا حَالًا، وَالْعَزْمُ عَلَيْهِ، حَيَاءً مِنَ اللهِ لَا غَيْرِهِ، فَمَنْ اخْتَلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِك، لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرِينَ، أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَلَيْهِ).

عَنْ مَرْيَمَ بِنْتِ طَارِقٍ، (أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إِنَّ كَرِيًّا أَخَذَ بِسَاقِي، وَأَنَا مُحْرِمَةٌ، فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حِجْرِي حِجْرِي حِجْرِي، وَأَعْرَضَتْ بِوَجْهِهَا، وَقَالَتْ بِكَفِّهَا، وَقَالَتْ: يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا أَذْنَبَتْ إِحْدَاكُنَّ ذَنْبًا، فَلَا تُخْبِرَنَّ بِهِ النَّاسَ، وَلْتَسْتَغْفِرِ اللَّه، وَلْتَتُبْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَ يُعَيِّرُونَ، وَلَا يُغَيِّرُونَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُغَيِّرُ، وَلَا يُعَيِّرُ).

وَهَذَا إِنْ أَخْبَرَهَا مَنْ لَا نَفْعَ لَهُ بِإِخْبَارِه بِهَا، وَأَمَّا مَا يَنْتَفِعُ بِهِ بِذَلِك، كَشَيْخِهِ، أَوْ شِبْهِهِ، مِمَّنْ يَرْجُو أَنْ يُعْلِمَهُ مَخْرَجًا مِنْهَا، أَوْ سَلَامَةً مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِهَا، أَوْ يُعَرِّفَهُ سَبَبهَا الَّذِي أَوْقَعَهُ فِيهَا، أَوْ نَحْوه، فَلَا بَأْس بِذَلِك، بَلْ يُسْتَحْسَنُ.

وَرُبَّمَا يَتَأَكَّدُ، إِذَا كَانَ الْمُخْبِرُ بِهَا، مِنْ أُولِي اللَّحظَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، لِكَيْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْعَفْوِ عَنْهَا وَمَحْوِهَا، وَعَلَى سَائِرِ مَشَايِخ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مُرِيدِهِمْ. وَكَمَا وَقَعَ ذَلِك مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَيَجِئ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: (هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، وَنَحْوه. وَهَذَا ظَاهِرٌ، لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى إِلْمَامٍ بِالسُّنَّةِ.

فَصْلٌ: وَيَحْرُمُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُعَلِّمَ عَبْدَ غَيْرِهِ، أَوْ زَوْجَتَهُ، أَوْ تِلْمِيذَهُ، أَوْ خَادِمَهُ، مَا يُفْسِدُهُمْ. وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْهِي مَنْ رَآهُ يَفْعَلُ ذَلِك. وَيَنْبَغِي أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمَعْرُوفٍ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مُنْكَرٍ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخْذُلُهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا). (وَخَبَّبَ): بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ، ثُمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مُكَرَّرَةٍ: أَفْسَدَ وَخَدَعَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَمِلَ فِي فُرْقَةٍ بَيْنَ امْرَأَةٍ وَزَوْجِهَا، كَانَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَلَعْنَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَضْرِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِصَخْرَةٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، إِلَّا أَن يَتُوب).

فَيَنْبَغِي لِمَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ وَزَوْجُهَا، أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى الْفِرَاقِ، إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، أَوْ كَانَتْ الْمَصْلَحَة فِي ذَلِك.

فَصْلٌ: وَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ (أَنْفَقْتُ) أَوْ (أَخْرَجْتُ وَتَصَدَّقْتُ)، وَنَحْوه، يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّاعَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، وَ(غَرِمْتُ) وَ(خَسِرْتُ) فِي الْمَعَاصِي. فَلَا يُقَالُ: (خَسِرْتُ فِي حَجِّي، أَوْ زِيَارَتِي، أَوْ غَزْوِيِّ، أَلْفًا أَوْ أَلْفَيْنِ). بَلْ يُقَالُ: (أَنْفَقْتُ) وَ(أَخْرَجْتُ) وَنَحْوه. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ

لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].

فَصْلٌ: وَيَنْبَغِي نَهْيِ مَنْ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ الْإِمَامِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. مِثْل قَوْلِهِ، لِأَنَّهُ مَكْرُوهًا تَحْرِيمًا عِنْدَنَا. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ، بِفَسَادِ صَلَاتِهِ، إِلَّا إِذَا قَصدَ التِّلَاوَةَ، فَيَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْهُ.

فَصْلٌ: وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ النَّهْيُ عَنْهُ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ، قَوْلُ بَعْضِ أَرْبَابِ الظَّلَمَةِ، وَنَحْوِهِمْ فِي الْمُكُوسِ: (هَذَا حَقُّ الْقَاضِي)، وَ(السُّلْطَانِ)، أَوْ (هَذَا لَازِمٌ عَلَيْكَ لَهُمْ)، وَنَحْو ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ، لِأَنَّهُ أَنْكَر الْمُنْكَرَاتِ، وَأَعْظَم الْمُصِيبَاتِ الْمُسْتَحْدَثَاتِ. حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ سَمَّى هَذَا كُفْرٌ، وَخَرجَ مِنَ الْمِلَّةِ. وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، إِذَا اعْتَقَدَ حَقِيقَتَهُ وَحِلَّهُ، فَيُقَالُ فِيهِ: (الضَّرِيبَةُ) وَ(الْمَكْسُ)، وَنَحْوه.

فَصْلٌ: وَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ: (أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ). لَا يُكْرَهُ عِنْدَنَا، وَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ قَاضِي خَانْ وَغَيْرِه.

وَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ لِلذِّمِّيِ: (أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ)، وَلَوْ نَوى بِقَلْبِهِ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ، لَعَلَّ أَنْ يُسْلِمَ، أَوْ يُؤَدِّيَ الْجِزْيَةَ، عَنْ ذُلٍّ وَصَغَارٍ، قَالَ: أَنَّهُ لَا بَأْس بِهِ، لِأَنَّ هَذَا دُعَاءٌ لَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ لِمَنْفَعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْأَشْهَرُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ كَرَاهَة ذَلِكَ. لِمَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ: أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ (أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ) الزَّنَادِقَةُ. وَعَنْ حَمَّادٍ بْنِ سَلَمَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ

مُكَاتَبَةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ: مِنْ فَلَانٍ إِلَى فُلَانٍ، أَمَّا بَعْدُ، سَلَامٌ عَلَيْك، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ أَحْدَثَتِ الزَّنَادِقَةُ الْمُكَاتَبَاتِ الَّتِي أَوَّلُهَا: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ).

وَاسْتَدَلَّ لِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بِمَا فِي [مُسْلِمٍ]: (قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكِ).

وَهُوَ ظَاهِرٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَانِعَ، مِنْ أَنْ يَكُونَ قَضَاءً مُعَلَّقًا عَلَى دُعَائِهِ، يَقْتَضِي الْإِطَالَةَ، وَإِنَّمَا مَنَعَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِقِصَرِ عُقُولِهِنَّ عَنْ إِدْرَاكِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: وَفِي [الْخَانِيَّةِ]: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: لَا أُحِبُّ الْقَرْعَ. قَالُوا: إِنْ أَرَادَ بِهِ: إِنِّي لَا أُحِبُّهُ، لِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحِبُّهُ، فَهُوَ كَافِرٌ. وَإِذَا قَالَ لِمُؤْمِنٍ أَصَابَهُ مِنَ الْقَرْعِ، لَا يَكْفُرُ. وَلَوْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْمَلُ بِفَتْوَى الْفُقَهَاءِ، أَوْ لَيْسَ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ، فَإِنَّهُ يُعَزَّرُ.

فَصْلٌ: فِي الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

(وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ، حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ، وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ لَا تُفْهَمُ حِكْمَتُهُ). وَرُوِيَ مَرْفُوعاً عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلَا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَى بِكَ إِثْمًا، أَنْ لَا تَزَالَ مُخَاصِمًا). عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنْ مَا عَهِدَ إِلَيَّ فِيهِ رَبِّي، ونَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ: مُلَاحَاةُ الرِّجَالِ).

وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ الْخُصُومَ قُمَحًا).

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَيْسَ هَذَا الْجِدَالُ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: (الْمِرَآءُ يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُوَرِّثُ الضَّغَائِنَ).

وَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ: (أَشَدُّ الْأَسْبَابِ لِإِثَارَةِ الْحِقْدِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْمُمَارَاةُ، فَإِنَّهَا عَيْنُ التَّدَابُرِ وَالِاحْتِقَارِ).

وَالنَّقْلُ فِي ذَمِّ ذَلِكَ كَثِيرٌ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: كُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ، إِلَّا لِضَرُورَةٍ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَالْمِرَاءُ طَعَنٌ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ، بِإِظْهَارِ خَلَلٍ فِي لَفْظِهِ أَوْ مَعْنَاهُ، أَوْ قَصْدُ الْمُتَكَلِّمِ بِأَنَّ يَقُولَ: هَذَا الْكَلَامُ حَقًّا، وَلَكِنْ لَيْسَ قَصَدَ مِنْهُ الْحَقّ، مِنْ غَيْرِ غَرَضٍ سِوَى تَحْقِيرِهِ، وَإِظْهَارِ الكِيَاسَةِ. وَهُوَ حَرَامٌ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِنْ سَمِعَ حَقًّا، أَنْ يُصَدِّقَهُ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلاً، وَلَيْسَ يُنَاطُ بِالدِّينِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ، وَإِنْ نِيطَ بِهِ، يَجِبُ إِظْهَارُ بُطْلَانِهِ وَإِنْكَارِهِ، عَنْ رَجَاءِ الْقَبُولِ.

وَالْجِدَالُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِظْهَار الْمَذَاهِبِ وَتَقْرِيرِهَا، فَإِنْ قَصَدَ تَخْجِيل الْخَصْمِ وَإِظْهَار فَضْلِهِ، فَحَرَامٌ، بَلْ كُفْرٌ عَنْ بَعْضٍ، كَمَا فِي [الْخُلَاصَةِ]. فَالْوَاجِبُ السُّكُوتُ أَوْ السُّؤَالُ فِي مَعْرِضِ الاسْتِعَادَةِ. وَإِنْ كَانَ لِإِظْهَار الْحَقِّ، تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشَّرْعِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ ظُهُورَ الْحَقِّ، أَيًّا كَانَ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، بَلْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَتَمَنَّى أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ.

رُوِيَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ، قَالَ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لِمَ آثَرْتَ الْأَثَرَ وَالِانْفِرَادَ، قَالَ: لِأُجَاهِدَ نَفْسِي بِتَرْكِ الْجِدَالِ. فَقَالَ: احْضُرْ الْمَجَالِسَ، وَاسْتَمِعْ مَا يُقَالُ وَلَا تَتَكَلَّمْ. قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ. فَمَا رَأَيْتُ مُجَاهَدَةً أَشَدّ عَلَيَّ مِنْهَا.

ثُمَّ أَشَدُّ الْجِدَالِ كَوْنه فِي الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ شَدَّدَ السَّلَفُ النَّكِيرَ عَلَى فَاعِلِهِ، حَتَّى قَالَ أَبُو يُوسُفَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ). وَقَالَ: (لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفَ الْمُتَكَلِّمِ).

وَحُكِيَ (أَنَّ حَمَّادًا بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ، كَانَ يَتَكَلَّم فِي الْكَلَامِ، فَنَهَاهُ الأَبُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ حَمَّادٌ: قَدْ رَأَيْتُكَ وَأَنْتَ تَتَكَلَّمُ، فَمَا بَالَكَ تَنْهَانِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، كُنَّا نَتَكَلَّمُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا كَأَنَّ الطَّيْرَ عَلَى رَأْسِهِ، مَخَافَةَ أَنْ نَزِلَّ صَاحِبُهُ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَتَكَلَّمُونَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُم، يُرِيدُ أَنْ يَزِلَّ صَاحِبُهُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِلَّ صَاحِبُهُ بِكُفْرٍ، فَقَدْ كَفَرَ، قَبْلَ أَنْ يَكْفُرَ صَاحِبُهُ).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، أَنَّ الْمِرَاءَ تَزْيِيفٌ لِلْمَقُولِ، وَتَصْغِيرٌ لِلْقَائِلِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا اِعْتِرَاضًا، بِخِلَافِ الْجِدَالِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ ابْتِدَاءً وَاعْتِرَاضًا.

وَالْخُصُومَةُ لَجَاجٌ فِي الْكَلَامِ، لِيَسْتَوْفِيَ بِهِ مَقْصُودَهُ أَيًّا كَانَ، أَوْ غَيْرَهُ. فَإِنْ خَاصَمَ مُبْطِلاً، أَوْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَو مَزَجَ بِذَلِكَ مَا يُؤْذِي، أَوْ زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ، أَوْ قَصَدَ قَهْرَ الْخَصْمِ وَإِذْلَالَهِ، أَوْ خَالَطَ ذَلِكَ كَذِبٌ، فَهِيَ حَرَامٌ.

وَإِنْ خَلَا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَنَحْوِ، وَهُوَ نَادِرٌ، فَجَائِزَةٌ، وَلَكِنْ التَّرْكُ أَوْلَى، لِأَنَّهُ إِذَا هَاجَ الْغَضَبُ، حَصَلَ الْحِقْدُ، فَيَفْرَحُ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَضَرَّةِ صَاحِبِهِ، وَيَحْزَنُ بِمَسَرَّتِهِ، مَعَ مَا يُقَارِنُ ذَلِكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي عِرْضِهِ، وَتَمَنِّي مَسَاءَتِهِ، وَأَقَلُّ مَا فِيهَا اشْتِغَالُ الْقَلْبِ، حَتَّى مَا تَتِمَّ لَهُ عِبَادَة.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَذْهَبَ لِلدِّينِ، وَلَا أَنْقَصَ لِلْمُرُوءَةِ، وَلَا أَشْغَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الْخُصُومَةِ.

فَصْلٌ: فِي الْمُدَاهَنَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. أَيْ: هُمْ يَوَدُّون لَوْ أَثْنَيْت عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، وَيقُولُونَ لَك مِثْلَ ذَلِك، وَهِيَ أَنْواع حَرَامٌ كَهَذَا، وَلِمَنْ يَشْكُرُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ أَوْ مُبْتَدِعًا عَلَى بِدْعَتِهِ أَوْ مُبْطِلًا عَلَى إِبْطَالِهِ، وَنَحْوِهِ، لِأَنَّ ذَلِك وَسِيلَةٌ لِتَكْثِيرِ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، مَكْرُوهٌ، إِنْ جَرَى نَحْو ذَلِكَ عَلَى مَكْرُوهٍ، وَفَرْضٌ إِنْ كَانَ يَتَوَصَّلَ بِهَا لِإِقَامَةِ فَرْضٍ، أَوْ تَرْكِ مُحَرَّمٍ. وَوَاجِبٌ إِنْ كَانَ كَذَلِك. وَسُنَّةٌ، وَمَنْدُوبٌ، وَفِي نَحْوِ ذَلِك.

وَفِي الْحَدِيثِ: (إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ، وَقُلُوبنَا لَتَلْعَنُهُمْ).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: (إِنَّهُ كَانَ يُقُولُ: إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهٍ، وَإِنِّي مُرِيدًا بِذَلِك الظَّلَمَةَ وَالْفَسَقَةَ، الَّذِينَ يُتَّقَى شَرُّهُمْ، يَتَبَسَّمُ فِي وُجُوهِهِمْ، وَيُشْكَرُونَ بِكَلِمَاتٍ مُحِقَّةٍ، إِذْ مَا مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَفِيهِ نَعْتٌ لِلشُّكْرِ، وَلَوْ كَانَ أَخْبَثَ النَّاسِ).

ثُمَّ الْفَرْق بَيْنَ الْمُدَاهَنَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وُالمُدَارَاة الْمَشْرُوعَةِ الثَّابِتَة: (بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرتْ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أُمِرتْ بِالْفَرَائِضِ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأْسُ الْعَقْلِ الْمُدَارَاةُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْعَقْلُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، مُدَارَاةُ النَّاسِ).

أَمَّا الْمُدَاهَنَةُ مَا عُلِمَتْ بَذْلُ الدِّينِ لِحفْظِ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُدَارَاةُ فَبَذْلُ الدُّنْيَا لِحفْظِ الدِّينِ، أَوْ الْعِرْضِ أَوْ الْجَاهِ.

فَصْـــلٌ: يُكْرَهُ التَّشَدُّقُ فِي الْكَلَامِ، وَتَكَلُّف السَّجْعِ وَالْفَصَاحَةِ، وَالتَّصَنُّعِ بِالْمُقَدِّمَاتِ الْأَنِيقَةِ، وَزَخَارِفِ الْقَوْلِ، وَالتَّحَرِّي فِي دَقَائِقِ الْإِعْرَابِ، وَغَوَامِضِ اللُّغَةِ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ، كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْبَقَرَة بِلِسَانِهَا). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا). أَيْ الْمُبَالِغُونَ فِي الْأُمُورِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْقِهُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُتَفَيْقِهُونَ؟. قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟. قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، وَخِيَار أُمَّتِي أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا). (الثَّرْثَارُونَ): كَثِيرُو الْكَلَامِ، وَ(الْمُتَشَدِّقُونَ): الْمُتَطَاوِلُونَ فِيهِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: (لَعَنْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ يُشَقِّقُونَ الْكَلَامَ تَشْقِيقَ الشِّعْرِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْبَيَانَ كُلَّ الْبَيَانِ، شُعْبَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْكَلَامِ، لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ، أَوِ النَّاسِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صَرْفًا وَلَا عَدْلًا).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيُّ، قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ الرَّبَّانِيُّ:

لِسَانِي لِسَانٌ مُعْرَبٌ فِي حَيَاتِهِ   فَيَا لَيْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْلَمُ
وَمَا يَنْفَعُ الْأَعْرَاب إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقِيّ   وَمَا ضَرَّ ذُو التَّقْوَى لِسَانٌ مُعْجَمُ

فَالْحَاصِلُ أَنَّ التَّكَلُّفَ فِي ذَلِكَ مَذْمُومٌ، فَلَو صَلَحَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ، نَطَقَ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَحِينَئِذٍ لَوْ تَصَدَّى لِذَلِكَ، لَا تَحْرُمُ، وَلَو تَسَاهَلَ فِيهِ

لَاسْتَوَى وَاسْتَتَمَّ. كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا أَعْرَبْنَا لَحنَّا، وَإِذَا لَحنَا أَعْرَبْنَا).

أَمَّا إِذَا كَانَتْ طَبِيعَةَ الْبَلَاغَةِ وَالسَّجْعِ، بِلَا تَكَلُّفٍ، أَوْ يَتَكَلَّفُ يَسِيرًا فِي الْمُوَاعَظَةِ وَالْخُطَبِ، لِقَصْدِ إِهَاجَة الْقُلُوب، لِحُبِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَحُسْن اللَّفْظِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، بَلْ يُنْدَبُ ذَلِكَ وَيُمْدَحُ، كَمَا قِيلَ:

أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا فَقُلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وَذَلِكَ كَمَا حَكَى أَبُو الْعَبَّاسِ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ، أَنَّهُ قَالَ: (ازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى عِيسَى بْنِ عُمَرَ النَّحْوِيّ، وَقَدْ سَقَطَ عَنْ حِمَارِهِ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ، وَأَخَذَ فِي الِاسْتِوَاءِ لِلجُلُوسِ، قَالَ: مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ، كَتَكَأْكُئِكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عَنِّي. أَيْ تَنَحُوا عَنِّي).

فَصْلٌ: فِي الشِّعْرِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وَعَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا).

وَلَمَّا قِيلَ لِلشَّافِعِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ، ظَهَرُوا بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، فَقَالَ:

فَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ
ولولا خشيةُ الرَّحْمَن ربّي حَسِبْتُ النّاسَ كُلَّهُمُ عَبِيدِي

(قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةٌ). (وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ).

(وَأَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَسَّانَ بِهِجَاءِ الْكُفَّارِ. وَقَالَ لَهُ: يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ). وَكَانَ يُوضَعُ لَهُ مِنْبَرٌ فِي الْمَسْجِدِ، يُنَافِحُ عَلَيْهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: (شَهِدْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ، فِي الْمَسْجِدِ، وَأَصْحَابُهُ يَتَذَاكَرُونَ الشِّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ مَعَهُمْ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَلَمَّا تَلَّى بَعْضُهُم عِنْدَهُ الْقُرْآنَ، بِإِنْشَادٍ، فَقَالَ: مِنْ هَذِهِ مَرَّةً، وَمِنْ هَذِهِ مَرَّةً.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، (سُئِلَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الشِّعْرِ. فَقَالَ: هُوَ كَلامٌ، حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ). أَيْ هُوَ كَالنَّثْرِ، فِي حُسْنِهِ وَقَبِيحِهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الشِّعْرُ جَائِزٌ، إِنْ خَلَا عَنِ الْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ، وَهَجْوِ مَا لَا يَجُوزُ هَجْوُهُ، وَذِكْرِ الْفِسْقِ وَالتَّغَنِّي، وَآفَاتِ الْمَدْحِ، وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَالتَّحَرِّي لَهُ، يُشْغَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْمَشْرُوعَاتِ، وَقَلَّ مَا يَخْلُو عَنْ هَذِهِ الْآفَاتِ، وَقَدْ فَصَّلَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ أَنْوَاعَهُ.

وَيَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللهُ لَهُ: وَأُفَضِّلُهُ أَنَا، بِحَسَبِ حَقْرِي، فَأَقُولُ: هُوَ فَرْضٌ إِذَا كَانَ عَنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبَهُ وَقَالِبَهُ إِلَّا بِهِ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ

كَالْغِذَاءِ لِلْبَدَنِ، فَمَتَى مَا انْعَدَمَ هَلَك، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَفْرَادٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ.

وَسُنَّةٌ أَحْيَانًا، بِشَرْطِهِ، لِأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَأْمُرُ بِإِنْشَادِهِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُنْشِدُونَ أَحْيَانًا، فَالِاتِّبَاعُ سُنَّةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُؤَكَّدَةٌ.

وَمَنْدُوبٌ فِي الْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ، وَمَا يَهِجُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْقُرْبُ مِنْهُمَا. وَمُبَاحٌ كَمَدْحِ الصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا لَا إِفْرَاطَ فِيهِ. وَمَكْرُوهٌ إِذَا كَانَ يَذْكُرُ فِيهِ الْمَنَازِلَ وَالْمَوَاطِنَ وَالْأَزْمَانَ، وَنَحْوَهُ.

وَحَرَامٌ كَهَجْوِ الْمُسْلِمِ، وَلَوْ بِمَا فِيه. وَمَكْرُوهٌ كَأَنْ يَذْكُرَ فِيهِ وَصْفَ الْقُدُودِ وَالْخُدُودِ، وَالشُّعُورِ، مَا لَمْ يَحْمِلْ إِلَى الْفِتْنَةِ. وَهَذَا فِي حَقِّ عَامَّةِ النَّاسِ.

وَأَمَّا خَوَاصُّهُمْ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ اللَّهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مِنْ آفَاتِ نُفُوسِهِم، فَلَا يَجْرِي ذَلِكَ فِي حَقِّهِمْ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ بِاللَّهِ مَشْغُولَةٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ، فَلا يَسْمَعُونَ شَيْئًا، أَو يَنْطِقُونَ بِهِ، إِلَّا وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى مَظَاهِرِهِ، أَوْ مَعَاهِدِهِ أَوْ مَآثِرِه.

بَلْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شُهُودُ رَبِّهِ، لَا يَرَى وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَجِدُ إِلَّا هُوَ، وَلَكِنَّ هَذَا مَقَامٌ عَزِيزٌ، فَلَيْسَ هُوَ إِلَّا لِآحَادِ النَّاسِ، وَلَا لِخَوَاصِّهِمْ، بَلْ لِأَفْرَادِ الْخَوَاصِّ. وَلَا يُقَالُ هُم الْآن مَعْدُومُونَ، بَلْ مَوْجُودُونَ مَسْتُورُونَ بِسَتْرِ اللَّهِ، رَحْمَةً عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَدْ لَا، وَلَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرُهُمْ حَقِيقَةً، إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَصِلَهُ إِلَيْهِ، وَجَمِيعُ الْآلَاتِ وَالْمَلَاهِي وَنَحْوهَا، حُكْمُهَا وَاحِدٌ فِي حَقِّهِمْ.

فَصْلٌ: فِي السَّمَرِ

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نَهَى عَنِ النَّوْمِ قَبْلَهَا، وَالْحَدِيثِ بَعْدَهَا). يَعْنِي الْعِشَاءُ.

(وَكَانَ عُمَر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى الْحَدِيثِ، بَعْدَ الْعِشَاءِ. وَيَقُولُ: أَسْمَرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَنُوَّمًا آخِرَهُ، أَرِيحُوا كُتَّابَكُمْ).

وَالْآثَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا الْعُلَمَاءُ فِيهِ، فَمَذْهَبُنَا وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَنُقِلَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِهِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، كَرَاهَتُهُ.

وَنُقِلَ عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَبَعْضِ الْكُوفِيِّين، أَنَّهُ رُخْصَةٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَيَّدَهَا بِرَمَضَانَ، وَمِنْهُمْ بِالَّذِي لَهُ مَنْ يُوقِظُهُ، أَوْ اسْتَيْقَظَ عَادَةً وَقْت الصَّلَاةِ الْمُسْتَحَبِّ، وَهَذَا فِيمَا هُوَ مُبَاحٌ.

أَمَّا الْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ فِيهِمَا، فِيهِ أَشَدُّ. وَأَمَّا مَا كَانَ لِعَارِضٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ، فَلَا كَرَاهَةَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لِمُذَاكَرَةِ الْعِلْم وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، بَلْ يُسْتَحَبُّ.

وَقَدْ وَرَدَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. فَمِنْهَا مَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْتَمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ صَلَاتَهُ، قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: عَلَى رِسْلِكُمْ، أُعْلِمُكُمْ، وَأَبْشِرُوا أَنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ، أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ. أَوْ قَالَ: مَا صَلَّى هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (أَنَّهم انْتَظَرُوا النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فَجاءَهُمْ قَرِيباً مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى بِهِمْ، يَعْنِي العِشَاءَ. قَالَ: ثُمَّ خَطَبَنَا، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاةٍ، مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاةَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، (أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاة رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِاللَّيْلِ، فَتَحَدَّثَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، - يَعْنِي النَّبِيّ، - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مَيْمُونَةُ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَتَاكِ ابْنُ أُخْتِكِ؟، قَالَتْ: بَلَى، هُوَ هَذَا. قَالَ: أَفَلَا عَشَّيْتِيهِ إِنْ كَانَ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟، قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ. قَالَ: فَوَطِئْتِ لَهُ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَالَ إِلَى فِرَاشِهِ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَرُ.

فَصْلٌ: فِي إِفْشَاءِ السِّرِّ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ، إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ). وَفِي لَفْظٍ: (الْمَجَالس بِالْأَمَانَة، فَلَا يَحِلُّ لمُؤْمِن أَنْ يَرْفَعَ عَلَى مُؤْمِنٍ قَبِيحًا).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَعَدْتُمْ فَاقْعُدُوا بِالْأَمَانَةِ، وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ حَدِيث بَعْضٍ). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ جَالِسًا، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ، لَمْ يُحِبَّ أَنْ يَسْمَعَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ حَدَّثَ حَدِيثًا، لَا يَشْتَهِي أَنْ يُفْشَى عَلَيْهِ، فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَكْتِمْهُ صَاحِبُهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَنَسُ، اكْتُمْ سِرِّي، تَكُنْ مُؤْمِنًا. وَقَالَ أَنَسُ: وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي عَنْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ).

وَعَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ فِي حَاجَتِهِ. فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا. فَقَالَ أَنَسُ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا، لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَعْظَمَ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (أَلَا عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ بِأَهْلِهِ، يُغْلِقُ بَابًا، ثُمَّ يُرْخِي سِتْرًا، ثُمَّ يَقْضِي حَاجَتَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، أَلَا تَخْشَى إِحْدَاكُنَّ أَنْ تُغْلِقَ بَابَهَا، وَتُرْخِي سِتْرَهَا، فَإِذَا قَضَتْ حَاجَتَهَا، حَدَّثَتْ صَوَاحِبَهَا. فَقَالَتِ امْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ. قَالَ: فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً، عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَرَكَهَا).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَا وَقَعَ فِي مَجْلِسٍ مِمَّا يَكْرَهُ إِفْشَاؤُهُ، إِنْ لَمْ يُخَالِفِ الشَّرْعَ، يَلْزَمُ كِتْمَانُهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ، فَإِنْ كَانَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، كَالْحَدِّ وَالتَّعْزِيرِ فَكَذَلِكَ. وَإِلَّا فَالْخِيَارُ، وَالسَّتْرُ أَفْضَلُ، كَالزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَقِّ الْعِبَادِ، فَإِنْ تَعَلَّقَ بِهِ ضَرَرٌ لِأَحَدٍ أَوْ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ كَالْقِصَاصِ وَالتَّضْمِينِ، فَعَلَيْكَ الْإِعْلَامُ إِنْ جَهِلَ، وَإِلَّا شَهَادَةٌ إِنْ طَلَبَ، وَإِلَّا فَالْكَتْمُ.

وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْأَغْلَبَ الْكِتْمَانُ، وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ صَاحِبِهِ، وَحُرِّيَّتِهِ. كَمَا قِيلَ: (قُلُوبُ الْأَحْرَارِ قُبُورُ الْأَسْرَارِ). وَأَنْشَدَ:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ   فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وَكَمَا يُكْرَهُ إِفْشَاءُ السِّرِّ، يُكْرَهُ مَا يَكُونُ سَبَبًا إِلَيْهِ، كَأَنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ: فِيمَا ضَرَبَ امْرَأَتَهُ، أَوْ عَبْدَهُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ، فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ وَلَا أَمَتَهُ).

مِمَّا لَا يَعْنِي، وَتَرْكُ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ.

فَصْلٌ: فِي الْفُحْشِ وَبَذَاءَةِ اللِّسَانِ

وَمَعْنَاهُ التَّعْبِيرُ بِصَرِيحِ أَسْمَاءِ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَحَةِ، وَغَالِبُ مَا يَقَعُ فِي أَلْفَاظِ الْوِقَاعِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَدَبُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ، إِلَّا لِضَرُورَةِ فَهْمِ الْمُخَاطَبِ ذَلِكَ، وَلَابُدَّ مِنْ ذِكْرِ الصَّرِيحِ لِتَعْلِيمٍ، وَنَحْوِهِ.

رَوَى ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيّ، بِسَنَدِهِ إِلَى مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. قَالَ: (إِذَا ذُكِرَ النِّكَاحُ كَنَّوْا عَنْهُ).

وَقَدْ جَاءَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَعَلَيْهِ جَرَى عَمَلُ خِيَارِ الْأُمَّةِ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ بَعْضهَا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا بِالْفَاحِشِ، وَلَا بِالْبَذِيءِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ). وَفِي لَفْظٍ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ فَاحِشٍ مُتَفَحِّشٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هَجْراً، خَرَقَ سِتْرَ اللَّهِ).

(وَكَانَ يَقُولُ لِحَادِيهِ: يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ، سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ). يُكْنِي عَنِ النِّسَاءِ بِذَلِكَ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ). فَكَنَّى عَنِ الْبَرَصِ بِشَيْءٍ.

فَإِذًا يَنْبَغِي أَنْ يُكَنَّى عَنِ الْجِمَاعِ بِالرَّفَثِ، وَالْإِفْضَاءِ وَاللَّمْسِ وَالْوِقَاعِ، وَلَا يُصَرَّحُ بِجِمَاعٍ وَنَيْكٍ وَنَحْوِهِمَا، وَعَنِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَالذَّهَابِ إِلَى الخَلاَءِ، وَنَحْوِهِ. وَكَذَلِكَ إِذَا ذَكَرَ الْعُيُوبَ، كَالْجُزَامِ وَالْبَرَصِ وَالْبَخَرِ، وَنَحْوِهِ، إِلَّا لِضَرُورَةٍ.

فَصْلٌ: فِي تَحْرِيمِ انْتِهَارِ الْوَالِدَيْنِ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤]. تَضَمَّنَتْ الْآيَةُ مِنْ حُقُوقِهِمَا أَشْيَاء عَظِيمَة.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ. قِيلَ وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ). الْحَدِيثُ بِنَحْوِ مَا مَرَّ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قالَ: (كَانَ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْت أُحِبُّهَا، فَقَالَ لِي عُمَر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طَلِّقْهَا. فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ لِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طَلِّقْهَا).

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُطِيعَ أَبَاهُ، فِي طَلَاقِ زَوْجَتِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الطَّلَاقِ قَطِيعَة رَحِمٍ، أَوْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا. وَقَالَ آخَرُ: هَذَا إِنْ كَانَ الْأَبُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، يُحِبُّ فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَا هَوَى.

وَأَقُولُ: هَذَا أَحْسَنُ جِدًّا، لِأَنَّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ صَعْبٌ جِدًّا، إِذَا كَانَ الْوَالِدُ بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ، كَانَ الْخَيْرُ فِي الطَّلَاقِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُ بِذَلِك إِلَّا شَفَقَةً عَلَى دِينِهِ، وَهَذَا هُوَ الظَّنُّ، بَلْ الْيَقِينُ بِسَيِّدِنَا عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِذَلِك وَافَقَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ حَاشَاهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى، يَأْمُرَا بِالطَّلَاقِ لِمُجَرَّدِ هَوًى، إِذْ لَمْ يَقْدِمْ عَلَى ذَلِك، مِنْ هَوًى أَدَّى بِهِمَا.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى زَوَّجَنِي، وَإِنَّهُ الْآنَ يَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا. قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تَعُقَّ وَالِدَيْكَ، وَلَا بِالَّذِي آمُرُك أَنْ تُطَلِّقَ امْرَأَتَك، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ مَا سَمِعْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْته يَقُولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَحَافِظْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْت، أَوْ دَعْ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَرْضٌ، إِذَا لَمْ يُؤَدِّي إِلَى مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ، وَعُقُوقُهُمَا مِنَ الْكَبَائِرِ. فَيَنْبَغِي بِالْقِيَامِ بِالْأَوَّلِ مَا أَمْكَنَ، وَالِاجْتِنَابُ لِلثَّانِي بِالْمَرَّةِ، كَمَا فِي الْآيِ وَالْأَحَادِيثِ.

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنِ الْكَذِبِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّث كَذَب، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ، حَتَّى يَدَعهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّث كَذِب، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ).

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: (قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟، فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟. فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟. فَقَالَ: لَا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ، تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ قَبَائِحِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، إِلَّا مَا اسْتَثْنَى كَمَا وَرَدَ.

فَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا).

زَادَ مُسْلِمٌ: (قَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ، مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ، إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يَعْنِي الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةِ زَوْجِهَا).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ، إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ، وَرَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ الْمُسْلِمَيْنِ، لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا).

وَفِي رِوَايَةٍ: (كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ، إِلَّا ثَلَاثُ خِصَالٍ: رَجُلٌ كَذَبَ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَرَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ، لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَرَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ).

وَعَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، أَحْسَبُهُ رَفَعَهُ، قَالَ: (الْكَذِبُ مَكْتُوبٌ، إِلَاَّ مَا نُفِعَ بِهِ مُسْلِمٌ، أَوْ دَفَعَ بِهِ عَنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْكَذِبُ كُلُّهُ إِثْمٌ، إِلَّا مَا نُفِعَ بِهِ مُسْلِمٌ، أَوْ دُفِعَ بِهِ عَنْ دِينٍ).

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ضَبْطِ ذَلِكَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَطْلُوبٍ مَحْمُودٍ، إِنْ أَمْكَنَ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، فَالْكَذِبُ حَرَامٌ فِيهِ، لِعَدَمِ الضَّرُورَةِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ، فَإِنْ كَانَ الْمَطْلُوبُ فَرْضًا فَفَرْضٌ، أَوْ وَاجِبًا فَوَاجِبٌ، أَوْ سُنَّةً فَسُنَّةٌ، أَوْ نَدْبًا فَنَدْبٌ.

وَعَنْ هَذَا قَالَ الْغَزَالِيُّ: إِذَا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ، وَسَأَلَ عَنْهُ، وَجَبَ الْكَذِبُ بِإِخْفَائِهِ. وَكَذَا لَوْ كَانَ عِنْدَهُ أَوْ عِنْدَ غَيْرِهِ وَدِيعَةٌ، وَسَأَلَ عَنْهَا ظَالِمٌ يُرِيدُ أَخْذَهَا، بَلْ لَهُ أَنْ يَحْلِفَ إِذَا اسْتَحْلَفَهُ، وَيُورِّي، وَإِنْ لَمْ يُوَرِّ يَحْنَثُ. وَإِنْ كَانَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، أَوْ لِتَرْغِيبِ الْوَلَدِ فِي الْكُتُبِ، فَيُبَاحُ.

وَكَذَا كُلَّمَا ارْتَبَطَ بِهِ غَرَضٌ صَحِيحٌ مَقْصُودٌ، لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، فَالَّذِي لَهُ مِثْلُ: أَنْ يَأْخُذَهُ ظَالِمٌ، وَيَسْأَلَهُ عَنْ مَالِهِ أَوْ مَالِ غَيْرِهِ، لِيَأْخُذَهُ، أَوْ سِرِّهِ، أَوْ يَسْأَلُهُ عَنْ مَعْصِيَةٍ فَعَلَهَا، لِيَحُدَّهُ.

وَقَدْ اشْتَهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِتَلْقِينِ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالْحُدُودِ، الرُّجُوعَ عَنِ الْإِقْرَارِ. وَإِنَّمَا يُبَاحُ إِذَا كَانَ مَفْسَدَتَهُ أَوْلَى مِنَ الْغَرَضِ، ثُمَّ لَمْ تَجُزِ الْمُسَامَحَةَ، إِذَا كَانَ الْحَقُّ لِلْغَيْرِ لَا لَهُ. وَالْحَزْمُ تَرْكُهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُبِيحَ، إِلَّا إِذَا كَانَ وَاجِبًا.

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ: أَنَّهُ يُبَاحُ الْكَذِبُ نَفْسُهُ فِي الْمَوَاضِعِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا يُبَاحُ التَّعْرِيضُ وَالتَّوْرِيَةُ. أَمَّا هُوَ فَحَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، ثُمَّ أَشَدُّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَالْكَذِبُ عَلَى اللهِ وَالرَّسُولِ.

وَقَدْ تَوَاتَرَ (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

ثُمَّ أَنَّهُ حَقِيقَةُ الْإِخْبَارِ عَنِ الشَّيْءِ، عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، لَكِنْ لَا إِثْمَ فِي الثَّانِي، بِدَلِيلِ يَمِينِ اللَّغْوِ وَالْأَحَادِيثِ. وَمِنَ الْكَذِبِ: خُلْفُ الْوَعْدِ، وَالْاِنْتِسَابُ إِلَى غَيْرِ الْأَبِ، أَوْ الْمَوَالِي، وَالتَّحْدِيثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَجِدُّهُ وَهَزْلُهُ سَوَاءٌ.

فَصْلٌ: فِي التَّثَبُّتِ فِي الْكَلَامِ

وَالنَّهْيِ عَنْ التَّحْدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، مَا لَمْ يَظُنَّ صِحَّتَهُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا تَقَدَّم فِي حِفْظِ اللِّسَانِ.

عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ التَّابِعِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا، أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ). رَوَاهُ الْأَكْثَرُونَ عَنْهُ أَيْضًا مُرْسَلاً، وَلَمْ يَذْكُرُوا أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْعَمَلُ لَا عَلَى الاتِّصَالِ، إِذَا اجْتَمَعَا، فَإِنَّ زِيَادَةَ الثِّقَةِ مَقْبُولَةٌ عَلَى الْمَذْهَبِ، الْمُخْتَارُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ، وَمُحَقِّقُو الْمُحَدِّثِينَ.

عَنْ عُمَر بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: (بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ، أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ).

وَعَنَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: (اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجلٌ، حَدَّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا، وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ). وَجَاءَ نَحوهُ كَثِيرٌ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا).

وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ السَّيْرَ إِلَى بَلَدٍ، رَكِبَ مَطِيَّةً، وَسَارَ يَبْلُغ حَاجَتَهُ. وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ الْحَدِيثَ، بِمَا لَا يُعْلَمُ صِدْقَهُ، لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، فَبِئْسَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّةُ قَوْل الرَّجُلِ: زَعَمُوا، تَوَصَّلُوا إِلَى مَا لَا خَيْرَ فِيهِ.

فَصْلٌ: فِي التَّعْرِيضِ وَالتَّوْرِيَةِ

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْمَقْصِدَ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ، لِيُتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْإِخْلَاصِ عَنِ الْكَذِبِ بِالْمَحْظُورِ. وَقَدْ اعْتَنَى النَّاسُ بِهِ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ اعْتَنَى بِذَلِكَ، أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي هَذَا الْبَابِ، لِيُوَافِقَ عِلْمُهُ الصَّوَابَ، وَهَذَانِ اللَّفْظَانِ مَعْنَاهُمَا أَنْ يُطْلِقَ اللَّفْظَ، وَيُرَادُ بِهِ غَيْر ظَاهِرِهِ، مَعَ كَوْنِهِ لُغَةً شَامِلاً لَهُ.

وَحُكْمُهَا: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَوَصَّلْ بِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ الْمَحْمُودِ، إِلَّا بِالْكَذِبِ، قَبِيحَانِ، أَوْ يحْسَبَانِ التَّخَلُّص مِنْهُ، وَإِلَّا فَلَا حُرْمَةَ فِيهَا، بَلْ الْكَرَاهَة، إِلَّا أَنْ جَعْلَهُمَا ذَرِيعَةً لِأَخٍ، بَاطِل، أَوْ دَفْع حَقٍّ، فَيَحْرُمَانَ.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثٌ بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ، وَأُخْرَى بِعَدَمِهَا، وَمَحَلُّهَا مَا ذَكَرْتُهُ.

فَمَا جَاءَ فِي الْمَنْعِ، (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّث أَخَاكَ حَدِيثًا، هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ). وَمِمَّا جَاءَ فِي مُقَابِلِهِ، (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً، وَرَّى بِغَيْرِهَا). وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ).

وَفِي [التَّتَارْخَانِيَّة]: عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (الْمَخْرَجُ مِنَ الْكَذِبِ أَرْبَعٌ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَعَلَّ، وَعَسَى).

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: (الْكَلَامُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ ظَرِيفٌ). مَثَلُ التَّعْرِيضِ الْمُبَاحِ. وَقَدْ وَرَدَ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ. فَقَالَ سَلْمَانُ مَرَّةً: (أَصْبَحْتُ صَائِمًا)، وَكَانَ مُفْطِرًا، وَأَرَادَ فِيمَا مَضَى.

وَقَالَ النَّخعِيُّ: (إِذَا بَلَغَ الرَّجُلَ عَنْكَ شَيْءٌ قُلْتَهُ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ تَعْلَمُ مَا قُلْتُ مَنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ. فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ النَّفْيَ وَمَقْصُودُكَ: اللَّهُ يَعْلَمُ الَّذِي قُلْتُهُ).

وَقالَ أَيْضًا: (لَا تَقُلْ لِابْنِكَ: أَشْتَرِي لَكَ سُكَّرًا، بَلْ قُلْ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اشْتَرَيْتُ لَكَ سُكَّرًا؟)، (وَكَانَ إِذَا طَلَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ لِلْجَارِيَةِ: اطْلُبْهُ فِي الْمَسْجِدِ).

وَقالَ غَيْرُهُ: (خَرَجَ أَبِي، فِي وَقتٍ قَبْلَ هَذَا).

وَكَانَ الشّعْبِيُّ يَخُطُّ دَائِرَةً، وَيَقُولُ لِلْجَارِيَةِ: (ضَعِي إِصْبَعَكِ فِيهَا، وَقُوْلِي: لَيْسَ هُوَ هُنَا). وَمِثْلُ هَذَا قَولُ الشَّخْصِ: (أَنِّي عَلَى نِيَّةٍ)، لِمَنْ دَعَاهُ لِلطَّعَامِ. أَيْ نِيَّة تَرْكِ الْأَكْلِ. وَمِثْلُهُ أَنْ يَقُولَ: أَشْتَرَيْتُهُ بِخَمْسٍ)، وَقَدْ اشْتَرَاهُ بِسِتَّةٍ، لِأَنَّ الْخَمْسَةَ مِنَ السِّتَّةِ، وَنَحْوِهِ. وَإِذَا قِيلَ لَكَ: (أَبْصَرْتَ فُلَانًا)، فَيَقُولُ: (مَا رَأَيْتُهُ). أَيْ مَا ضَرَبْتُ رِئَتَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِنِّي رَأَيْتُ عَجِيبًا فِي مَحَلِّكُمْ   شَيْخًا وَجَارِيَةً فِي بَطْنِ عُصْفُورِ

أَيْ قَطَعَ رِئَتَهُ. وَنَظَائِرُهُ لَا تُحْصَرُ.

وَلَوْ حَلَفَ وَوَرَّى، لَمْ يَحْنَثْ يَمِينًا كَانَ أَوْ طَلَاقًا أَوْ عِتَاقًا. قَالَ: لَو حَلَّفَهُ الْقَاضِي، فَالِاعْتِبَارُ لِنِيَّةٍ فِي الطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ. لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْقَاضِي تَحْلِيفُهُ بِذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ الْعِبْرَة لِنِيَّةِ الْمَظْلُومِ.

وَمِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ، كِنَايَةً عَنْ كَثْرَتِهِ، كَقَوْلِهِ: (قُلْتُ لَكَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ)، وَ(جِئْتُكَ مِائَةَ مَرَّةٍ)، وَنَحْو، لَا يَكُونُ كَذِبًا إِذَا أَكْثَرَهُ، وَلَمْ يُوَفِّ الْعَدَدَ الْمَذْكُورَ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.

مِنْ هَذَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَلَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَلَا مَالَ لَهُ). وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كَانَ لَهُ ثَوْبٌ يَلْبَسُهُ، وَأَنَّهُ يَضَعُ الْعَصَا وَقْتَ النَّوْمِ وَغَيْرَهُ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَهَذَا فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ، فَأَمَّا غَيْرُ مَوْضِعِ الْحَاجَةِ، فَلَا، لِأَنَّ هَذَا تَفْهِيمٌ لِلْكَذِبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ كَذِبًا، فَهُوَ مَكْرُوهٌ فِي الْجُمْلَةِ.

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَال: (دَخَلْتُ مَعَ أَبِي، عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَخَرَجْتُ وَعَلَيَّ ثَوْبٌ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا كَسَاكَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟، فَكُنْتُ أَقُول: جَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا، فَقَال لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ اتَّقِ الْكَذِبَ، إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ). فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِيهِ لَهُمْ عَلَى ظَنٍّ كَاذِبٍ، لِأَجْلِ غَرَضِ الْمُفَاخَرَةِ، وَهُوَ غَرَضٌ بَاطِلٌ، لَا فَائِدَةَ فِيهِ. اهـ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا (قَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ).

فَصْلٌ: فِيمَا يَقُولُهُ مَنْ تَكَلَّمَ بِقَبِيحٍ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(قَالَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ).

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الْأَمْرِ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَحَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَ. —وَفِي رِوَايَةٍ: قُلْتَ هُجْرًا—. فَأَتَيْتُ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ، ثَلَاثًا، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ لَا تَعُدْ).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: (شَهِدْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ بَيْنَهُمَا نَزْغٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا يُبْقِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ شَيْئًا، فَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا لَفَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحَا، حَتَّى اسْتَغْفَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ).

وَيَجِبُ عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِحَرَامٍ، أَنْ يَتُوبَ عَنْ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: فِي بَقِيَّةِ أَلْفَاظٍ يُذَمُّ اسْتِعْمَالُهَا

فَمِنْ ذَلِكَ الْكَذِبِ، الَّذِي يَتَسَاهَلَ النَّاسُ فِيهِ عَادَةً، كَأَنْ يَقُولُ لَهُ: (كُلْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ)، فَيَقُولُ: (لَا أَشْتَهِيهِ)، أَوْ (مَا لِي بِهِ غَرَضٌ)، وَنَحْوه، حَرَامٌ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ، بِأَنْ يَكُونَ صَائِمًا، وَيَخَافُ مِنْ ذِكْرِهِ بِالرِّيَاءِ، أَوْ يَكُونُ طَعَامًا حَرَامًا، أَوْ شُبْهَةً.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: (كُنْتُ صَاحِبَةَ عَائِشَةَ، الَّتِي هَيَّأْتُهَا وَأَدْخَلْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي نِسْوَةٍ مَعِي، فَمَا وَجَدْنَا إِلَّا قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ عَائِشَةَ، فَاسْتَحْيَتِ

الْجَارِيَةُ فَقُلْتُ: لَا تَرُدِّي يَدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَرِبَتْ الْجَارِيَة، ثُمَّ قَالَ: نَاوِلِي صَوَاحِبَكِ. فَقُلْنَ: لَا نَشْتَهِيهِ. فَقَالَ: لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لِشَيْءٍ تَشْتَهِيهِ لَا أَشْتَهِيهِ، أَيُعَدُّ ذَلِكَ كَذِبًا؟، قَالَ: إِنَّ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا، حَتَّى إِنَّ الْكَذْبَةَ تُكْتَبُ كَذْبَةً).

وَمِنْهُ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ مَرَّ عَلَى دَارِهِ، أَوْ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَأْكُلُ، أَوْ جَاءَ بَيْتَهُ لِحَاجَةٍ: (اجْلِسْ لِآتِيَكَ بِطَعَامٍ)، أَوْ (ادْنُ لِتَأْكُلَ)، وَنَحْوه، وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ. فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وَمِنْهُ: تَسْمِيَةُ الْمَدِينَةِ يَثْرِبَ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: يَثْرِبُ، إِلَخ).

قَالَ الْهَرَوِيُّ: (وَنَهَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تُسَمَّى الْمَدِينَةُ يَثْرِبَ، وَأَمَرَ أَنْ تُسَمَّى طَابَة، لِأَنَّ الثَّرْبَ فَسَادٌ، وَهُوَ مُسْتَقْبَحٌ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَكْرَهُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ، وَيُحِبُّ الْحَسَنَ).

وَلِهَذَا قَالَ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ، مِنَ الْمَالِكِيَّةِ: (مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ، كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ).

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ بِدُعَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ: عَنْ عُجْرِ بْنِ مِدْرَاعٍ التَّمِيمِيِّ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: (يَا آلَ تَمِيمٍ، وَهُوَ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ أُبَيٌّ: أَعَضَّكَ اللَّهُ بِهَنِ أَبِيكَ. فَقَالُوا: مَا عَهِدْنَاكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ فَحَّاشًا. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَنَا مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعْضُوهُ بِهَنَّ أَبِيهِ وَلَا تُكَنُّوا).

وَمِنْهُ: تَسْمِيَةُ الشَّاةِ الْمَذْبُوحَةِ، عَنِ الْوَلَدِ، عَقِيقَةً: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أُرَاهُ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ العَقِيقَةِ؟. فَقَالَ: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْعُقُوقَ. قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ الِاسْمَ).

وَمِنْهُ: التَّعْبِيرُ يَكْفُرِ أَبِيهِ أَوْ أَمَةً أَوْ جَدِّهِ ، أفسقهم ، أَوْ فَسَقَةٌ هُو ، وَقَدْ تَابَ عَنْهُ .. قَالَ الْوَاحِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]: (هُوَ أَنْ يَقُولَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا فَاسِقُ، أَوْ يَقُولَ لِمَنْ أَسْلَمَ: يَا يَهُودِيُّ، يَا نَصْرَانِيُّ).

وَيَدْعُوهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الشِّرْكِ، أَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُ أَوْ أُمُّهُ. بِئْسَ الِاسْمُ أَنْ يَقُولَ: (يَا نَصْرَانِيُّ)، وَقَدْ أَسْلَمَ. أَوْ يَقُولُ: (يَا فَاسِقُ)، وَقَدْ تَابَ. وَدَلِيلُ هَذَا (قَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي ذَرٍّ: عَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ).

وَمِنْهُ: أَنْ يَقُولَ لِمَنْ عَزَمَ عَلَى الْمُسَارَعَةِ، عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ: (اصْبِرْ حَتَّى أَفْعَلَهُ أَنَا وَأَنْتَ)، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَة. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]. وَلِأَنَّهُ مِنَ التَّسْوِيفِ، شِعَارُ الشَّيْطَانِ، يُلْقِيهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْهُ: رَفْعُ الصَّوْتِ عَلَى الْوَالِدِ وَالْمُعَلِّمِ وَالشَّيْخِ، أَوْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَعْلَمِيَّتَهُ عَلَيْهِ. وَنَحْو. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

وَمِنْهُ: مَا (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: صُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَا قُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ). قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: (فَلَا أَدْرِي أَكَرِهَ التَّزْكِيَةَ أَمْ لَا؟، قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ غَفْلَةٍ). وَفُرُوعُ هَذَا كَثِيرَةٌ، وَتَقَدَّمَ فِي الْكِتَابِ كَثِيرٌ مِنْهَا.

فَصْلٌ: فِي الْكَلَامُ عَلَى أَلْفَاظٍ كَرِهَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَتْ مَكْرُوهَةً لَدَى الْجُمْهُورِ

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِنْ أَهَمِّ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، لِئَلَّا يَفْتَرِيهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ الْفَرْق بَيْنَ الْبَاطِلِ وَغَيْرِهِ.

وَبَيَانُهُ أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ: الْفَرْضُ، وَالْوَاجِبُ، وَالسُّنَّةُ، وَالنَّدْبُ، وَالْإِبَاحَةُ، وَالْحَرَامُ، وَالْمَكْرُوهُ، وَالْمُفْسِدُ، لَا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَهِيَ مَحْصُورَةٌ فِي أَرْبَعَةٍ: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ، وَالْقِيَاسُ.

فَمَا لَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ مِنْهَا، فَبَاطِلٌ لَا يَحْتَاجُ فِي بُطْلَانِهِ إِلَى دَلِيلٍ، فَإِنْ ذَكَرَ وَجْهَ بُطْلَانِهِ فَلْيَدْعِ، لَكِنْ إِذَا نُسِبَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ، فَتَرْكُهُ أَوْلَى. (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ). مَعَ إِمْكَانِ مَا يُوَافِقُهُ غَيْرُهُ فَيُعَضِّدُهُ، وَمَتَى مَا ذُكِرَ قَوْلٌ مُنْكَرٌ، يَنْبَغِي أَنْ لَا يَذْكُرَ قَائِلَهُ، كَيْ لَا يَحْتَقِرَ، إِلَّا عِنْدَ قَصْدِ عَدَمِ الِاغْتِرَارِ بِهِ.

وَقَدْ أَوْقَعَ الْكَثِيرُ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ، كَرَاهَةَ بَعْضِ أَلْفَاظٍ، يَعْرِفُ مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ بِنُورِ الْعِلْمِ، أَنَّهَا مُسْتَنْكَرَةٌ، وَهِيَ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ.

فَمِنْهَا: مَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، مِنْ كَرَاهَةِ قَوْلِهِ: (تَصَدَّقَ اللَّهُ عَلَيْكَ)، قَالَ: لِأَنَّ (الْمُتَصَدِّقَ يَرْجُو الثَّوَابَ). وَهَذَا خَطَأٌ ظَاهِرٌ، فَفِي حَدِيثِ قَصْرِ الصَّلَاةِ: (صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ).

وَمِنْهَا: مَا حُكِيَ عَنْهُ أَيْضًا، أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ أَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ)، قَالَ: (لِأَنَّهُ لَا يُعْتَقُ إِلَّا مَنْ يَطْلُبُ الثَّوَابَ). وَهَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ أَيْضًا، وَلَوْ أَتَتَبَّعُ الْأَحَادِيثَ الْمُصَرِّحَةَ بِذَلِكَ، لَمَّا كَانَ أَمْكَنَ حَصْرُهَا.

وَمِنْ جُمْلَتِهَا: (وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا، عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ). وَكَحَدِيثِ: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبِيدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ). وَفِي [مَرَاسِيلِ الزُّهْرِيِّ]: (مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ، عَشَرَةَ آلَافِ مَرَّةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ).

وَمِنْهَا: قَوْلُ بَعْضِهِمْ: يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: (افْعَلْ كَذَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ)، لِأَنَّهُ اسْمَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ، وَغَيْرُهُ: وَهَذَا الْقَوْلُ غَلَطٌ.

فَقَدْ ثَبَتَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ، فِي الْأُضْحِيَةِ: اذْبَحُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ). وَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ). أَيْ قَائِلِينَ بِاسْمِ اللَّهِ. وَالْأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: (افْعَلْ بِاسْمِ اللَّهِ).

أَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ، كَرَاهَةَ قَوْلِ: (جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ)، إِذْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ مِنْ أَنَّ يَكُونَ لَهَا قَرَارٌ. وَقَوْلُهُ: (لَا تَقُلْ: ارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ).

فَكِلَاهُمَا لاَ حُجَّةَ فِيهِمَا، وَلَا دَلِيل، وَمُرَادُ الْقَائِلِ: (اجْمَعْنَا فِي الْجَنَّةِ، دَارُ الْقَرَارِ، وَمَحَلُّ الِاسْتِقْرَارِ)، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِرَحْمَةِ الْكَرِيمِ السَّتَّارِ.

وَمِنْهَا: مَا حُكِيَ عَنْهُ أَيْضًا، مِنْ نَهْيِهِ عَنْ قَوْلِ: (اللَّهُمَّ اجِرْنَا مِنَ النَّارِ)، (اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَفَاعَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّمَا يَشْفَعُ لِمَنِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ. فَهَذَا خَطَأٌ وَاضِحٌ، وَجَهَالَةٌ بَيِّنَةٌ.

لِمَا جَاءَ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ، الصَّحَابِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِذَا انْصَرَفْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، ثُمَّ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ، كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا، وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، فَقُلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي يَوْمِكَ، كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا).

وَكَمْ مِنْ أَحَادِيثٍ فِي التَّرْغِيبِ بِوَعْدِ الشَّفَاعَةِ. كَحَدِيثِ: (مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَعَلَى هَذَا عَمَلُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، كَيْفَ وَكُلُّ مُفْتَقِرٍ وَحَقِيرٍ وَمُقَصِّرٍ، مَعَ أَنَّهَا تَكُونُ لِإِدْخَالِ الْبَعْضِ الْجَنَّةَ، بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْآخَرِينَ لِزِيَادَةِ دَرَجَاتِ الثَّوَابِ.

وَمِنْهَا: مَا نُقِلَ أَيْضًا، مِنْ نَهْيِهِ عَنْ قَوْلِ: (تَوَكَّلْتُ عَلَى رَبِّي الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَقُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى رَبِّي الْكَرِيمِ). وَهَذَا لَا أَصْلَ لَهُ.

وَمِنْهَا: مَا حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ، أَنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يُسَمَّى الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ شَوْطًا. وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَرَوَاهُ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالُوا: لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ طَوْفَةٌ، وَلِلْمَرَّتَيْنِ طَوْفَتَانِ، وَهَكَذَا.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ لَا نَعْلَمُ لَهُ أَصْلاً، وَلَعَلَّهُمْ كَرِهُوهُ لِكَوْنِهِ مِنْ أَلْفَاظِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالصَّوابُ الْمُخْتَارُ: أَنَّهُ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ.

فَقَدْ رَوَيْنَا فِي صَحِيحَيْ [الْبُخَارِي]، وَ[مُسْلِمٍ]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا، إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ).

وَاللُّغَةُ أَيْضًا جَاءَتْ بِذَلِكَ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: (طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، مِنَ الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ شَوْطًا).

وَمِنْهَا: مَا اخْتُلِفَ فِي كَرَاهَةِ قَوْلِ: (جَاءَ رَمَضَانُ)، وَ(دَخَلَ رَمضَانُ)، وَنَحْو ذَلِكَ. إِذَا أُرِيدَ الشَّهْرُ، يُكْرَهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِضَافَةِ الشَّهْرِ، كَمَا فِي الْقُرْآنِ. وَفِي الْخَبَرِ: (لَا تَقُولُوا رَمَضَانُ، بَلِ انْسُبُوهُ كَمَا نَسَبَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ). وَغَيْرُ هَذَا لِلْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَالشَّافِعِيَّةِ، لَكِنْ شَرَطُوا أَنْ تَدُلَّ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الشَّهْرِ، كَنَحْوِ: (صُمْتُ رَمَضَانَ) ، وَ(يَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ).

وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثٍ فِي [سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا رَمَضَانُ، فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ). وَهَذَا ضَعِيفٌ، وَضُعْفُهُ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ. وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ: عَدَمُ الْكَرَاهَةِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي مِئِينَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، إِطْلَاق ذَلِكَ، فَمِنْهَا: (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النِّيرَانِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ). وَفِي أُخْرَى: (إِذَا كَانَ رَمَضَانُ). وَفِي غَيْرِهَا: (لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ).

وَمِنْهَا: مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: (سُورَةُ الْبَقَرَةِ)، وَ(سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ)، وَ(سُورَةُ النِّسَاءِ)، وَنَحْوه. وَإِنَّمَا يُقالُ: (السُّورَةُ الَّتِي يُذكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ)، وَ(الْمَائِدَةُ)، وَ(الْأَنْعَامُ).

أَوْرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا مَرَّ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا خَطَأٌ، بَلْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِاسْتِعْمَالِ ذَلِك. (كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ). أَيْ: السَّحَرَةُ.

وَمَنَعَ أَنَسٌ، وَابْنُ سِيرِينَ، أَنْ تُسَمَّى الْفَاتِحَة: أُمّ الْكِتَابِ، وَأُمّ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ ذَلِكَ اسْمُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَيَرُدُّ هَذَا (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي).

وَنَهَى النَّخَعِيُّ أَنْ يُقَالَ: (قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو)، وَ(قِرَاءَةِ نَافِعٍ)، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ.

وَكَرِهَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَنْ يُقَالَ: سُورَةٌ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ وَقَالَ لِمَنْ سَمِعَهُ قَالَهَا: أَنْتَ أَصْغَرُ مِنْهَا. وَالْحَقُّ الْجَوَازُ. لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ: (مَا مِنَ الْمُفَصَّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَؤُمُّ بِهَا).

كَمَا يَكْرَهُ بَعْضُهُمْ، أَنْ يُقَالَ: (اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ)، وَقَالَ لَمَّا سُئِلَ: (أَخْبِرْنِي عَنْ اسْمِ اللَّهِ الْأَصْغَرِ، حَتَّى أُخْبِرَكَ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ).

وَمِنْهَا: كَرَاهَةُ بَعْضِهِمْ: أَنْ يُقَالَ: (مُسَيْجِدٌ)، وَ(مُصَيْحِفٌ)، بِالتَّصْغِيرِ، مُسْتَدِلًّا بِحَدِيثِ: (لَا تَقُولُوا مُسَيْجِدٌ، ولَا مُصَيْحِفٌ). وَنَهَى عَنْ تَصْغِيرِ الْأَسْمَاءِ، وَأَنْ

يُسَمَّى الصَّبِيُّ عُلْوَانَ، أَوْ حَمْدُونَ، أَوْ يَغْمُوشَ، وَكُلُّ اسْمٍ فِيهِ أَوْهِ أَوْ وَيْ. وَهُوَ مَوْضُوعٌ.

وَمِنْهَا: كَرَاهَةُ بَعْضِهِمْ: السُّؤَالُ قَبْلَ النَّازِلَةِ، حَتَّى تُقِعَ تَعَلُّقهَا، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. وَلَيْسَ بِصَوَابٍ، لِأَنَّهُ الْمَنْهِيُّ الْمُوصِلُ إِلَى الْمُسَاءَلَةِ.

وَقَالَ مَالِكٌ: (أَدْرَكْتُ أَهْلَ هَذَا الْبَلَدِ، وَمَا عِنْدَهُمْ غَيْرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِذَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ، جَمَعَ الْأَمِيرُ لَهَا مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ أَنْفَذَهُ، وَأَنْتُمْ تُكْثِرُونَ الْمَسَائِلَ، وَقَدْ كَرِهَهَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: (مَنْ سَأَلَ مُسْتَفْهِمًا، رَاغِبًا فِي الْعِلْمِ، بَاحِثًا عَنْ مَعْنَى، يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ فِي الدِّيَانَةِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، فَشِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ. وَمَنْ سَأَلَ مُعَنِّتًا غَيْرَ مُتَفَقِّهٍ وَلَا مُتَعَلِّمٍ، فَهُوَ الَّذِي لَا يَحِلُّ قَلِيلُ سُؤَالِهِ وَلَا كَثِيرُهُ).

وَمِنْهَا: مَنْعُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، مِنْ تَسْمِيَةِ اللَّهِ جَمِيلاً، إِذْ هُوَ غَلَطٌ. فَفِي الْحَدِيثِ: (إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الْجَمَالَ).

وَمِنْهَا: مَا جَاءَ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّابِعِيِّ، أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ)، (وَإِنَّمَا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ). وَوَجَّهَ لِكَرَاهَتِهِ ذَلِكَ، بِأَنَّ الْمُضَارِعَ يَدُلُّ عَلَى الْحَالِ أَوْ الِاسْتِقْبَالِ، وَهُمَا عَلَى كَلَامِهِ تَعَالَى مُحَالٌ. وَهَذَا خَطَأٌ.

فَفِي الْكِتَابِ: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وَفِي السُّنَّةِ، (قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. (وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي).

وَفِي [التَّفْسِيرِ فِي الْبُخَارِيِّ]: (قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ).

وَمِنْهَا: مَا كَرِهَ مَالِكٌ، أَنْ يُقَالَ: (زُرْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِشْبِيلِيِّ: (لِأَنَّ شَأْنَ الزَّائِرِ الْفَضْلُ عَلَى الْمَزُورِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الزِّيَارَةَ تُشْعِرُ بِالْإِبَاحَةِ، وَزِيَارَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، مِنَ السُّنَنِ الْمُتَأَكِّدَةِ).

وَقَالَ عِيَاضٌ: الْأَوْلَى عِنْدِي كَرَاهَةَ مَالِكٍ، إِنَّمَا هِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ: (زُرْت النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)، لَمْ يَكْرَهْهُ، (لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ). فَحَمَى إِضَافَةَ هَذَا اللَّفْظِ إِلَى الْقَبْرِ، وَالتَّشْبِيه بِفِعْلِ أُولَئِكَ، لِسَدِّ الذَّرِيعَةِ، وَحَسْمًا لِلْبَابِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْأَظْهَرُ الْجَوَازُ، لِمَا مِنَ الْأَحَادِيثِ، (كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَارَ قَبْرِي، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي). (وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدِهِمَا، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَكُتِبَ بَرًّا). (وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَعَلَى هَذَا جَرَى الْعَمَلُ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

فَصْلٌ: فِي التَّوْبَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ، مِائَةَ مَرَّةٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا تَابَ الْعَبْدُ، أَنْسَى اللَّهُ الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ، وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَابَ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ،

قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ، وَأَوَّلُ الْمَقَامَاتِ لِلسَّالِكِينَ، وَالْبَابُ الَّذِي يُوصَلُ إِلَى اللَّهِ بِهِ، وَالْمِفْتَاحُ الَّذِي يَفْتَحُ بَابُ قُرْبِهِ، التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا فَوْرًا، لِمَا مَرَّ لِلإِجْمَاعِ، وَلَمْ يَجُزْ تَأْخِيرُهَا، وَلَوْ أُخِّرَتْ لَا تُفِيدُ.

وَالْمَعْصِيَةُ مَا لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، حَتَّى أَوْجَبُوا مُضَاعَفَتَهَا بِتَأْخِيرِ سَاعَةٍ، وَتَضْعِيفَ الْمُضَاعَفَةِ بِسَاعَتَيْنِ، وَهَلُمَّ جَرًّا. وَتَجُوزُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَمْ تُنْقَضْ بِالْعَوْدِ، إِلَّا إِذَا كَرَّرَ تَلَاعُبًا. كَمَا قَالَ اللَّقَانِيُّ.

فَصْلٌ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ). وَفِي [الْجَامِعِ الصَّغِيرِ]: (التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ، أَنْ لَا تَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا).

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: (سُئِلَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ التَّوْبَةِ. فَقَالَ: يَجْمَعُهَا سِتَّةُ أَشْيَاءَ: النَّدَامَةُ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الذُّنُوبِ. وَعَلَى الْفَرَائِضِ الْإِعَادَةُ، وَرَدُّ الْمَظَالِمِ، وَاسْتِحْلَالُ الْخُصُومِ، وَأَنْ تَعْزِمَ عَلَى أَلَّا تَعُودَ، وَأَنْ تُرَبِّيَ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، كَمَا رَبَّيْتَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ مَعْنَاهَا: الرُّجُوعُ عَنِ الذَّنْبِ إِلَى الطَّاعَةِ. وَحَقِيقَتُهَا: النَّدَمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، حَيَاءً مِنَ اللَّهِ لِكَوْنِهَا مَعْصِيَةً.

وَشَرْطُهَا: الْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَلَّا تَعُودَ فِي الْمَآلِ لِلْقَادِرِ، فَإِنْ تَرَكَهَا فِي الْآتِي بِلَا نَدَمٍ، أَوْ نَدَمَ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ اضْفِرارِها بِالْمَالِ وَالنَّدَمِ أَوْ الْعِرْضِ، فَلَيْسَتْ بِتَوْبَةٍ.

وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنْ نَارٍ، أَوْ الطَّمَعُ فِي جَنَّةٍ، فَتَرَدَّدَ فِيهِ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِكَوْنِهَا مَعْصِيَة، فَلَوْ اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ، قَدَّمَ الْأَقْوَى، كَمَا إِذَا كَانَ الْغَرَضُ مَجْمُوعَهَا، ثُمَّ التَّحْقِيقُ أَنْ ذِكَرَ الْإِقْلَاعَ وَالْعَزْمَ، إِنَّمَا هُوَ لِلْبَيَانِ وَالتَّقْرِيرِ لَا لِلتَّعَبُّدِ وَالِاحْتِرَازِ، إِذْ النَّادِمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِقُبْحِهَا، لَا يَخْلُو عَنْهَا الْبَتَّة، عَلَى تَقْدِيرِ الْخُطُورِ وَالِاقْتِدَارِ.

وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهَا الْإِقْلَاع مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ، وَلَا الثَّبَات عَلَيْهَا، وَلَا دَوَامَ آلَة الْعِصْيَانِ، وَلَا تَفْصِيلَ مَا يَتُوبُ وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُهُ، وَلَا أَنْ تَكُونَ قَبْلَ الْغَرْغَرَة، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فِي غَيْرِ الْكَافِرِ عِنْدَنَا. وَبَعْضِ مُحَقِّقِي الْأَشَاعِرَةِ، خِلَافًا لَهُمْ، لِإِطْلَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]. وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أَمَّا مَا وَرَدَ بِخِلَافِ هَذَا، مِمَّا مَرَّ، مَحْمُول الْكَافِرِ، لِمُوَافَقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧].

وَلَا يُشْتَرَطُ لَهَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، خِلَافًا لِابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيّ.

وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ الْعَوَامِّ إِطْلَاقُهَا عَلَى الِاسْتِئْنَاف، وَإِظْهَارُ الْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ فِيمَا يَأْتِي، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، مَا لَمْ يُوجَدْ النَّدَمُ وَالْأَسَفُ عَلَى مَا فَاتَهُ. وَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحَسْرَةِ، وَانْسِكَابُ الْعَبَرَاتِ. وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ فِيهَا بِاخْتِلَافِ الِاخْتِلَاف وَالذَّوَاتِ، وَهَذَا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ.

وَأَمَّا مَظَالِمُ الْعِبَادِ فَلَابُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَيْهِم، وَاسْتِبْرَائِهِمْ إِنْ قَدَرَ، وَهَذَا فِي الْمَالِ. وَأَمَّا النَّفْسُ فَلَابُدَّ مِنْ تَمْكِينِهِمْ مِنَ الْعَوْدِ.

وَأَمَّا فِي الْعِرْضِ فَإِنْ اغْتَابَهُ، فَقَدَّمَ بَيَان تَوْبَتِهِ مِنْ ذَلِكَ، فِي حَيْثُ الْغِيبَةِ، وَمِثْلُهَا إِذَا خَانَهُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ. وَيَكْفِي الِاسْتِغْفَار مِنَ الْحَسَدِ، وَإِنْ شَتَمَهُ أَوْ خَاصَمَهُ، أَوْ نَحوه، اسْتَعْفَاهُ.

ثُمَّ هِيَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فِي هَذِهِ الْأُمُورِ صَحِيحَةٌ، إِلَّا إِذَا لَمْ تَتَحَقَّقْ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنْهَا، كَرَدِّ الْمَغْصُوبِ وَنَحْوِهِ. وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُنَاطُ بِالْحُدُودِ، الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَالسَّتْرُ أَفْضَلُ، قَبْل إِذَا أَعْلَنَ. ثُمَّ الْحَدُّ وَالْقِصَاصُ لَا يَكْفِيَانِ عَنِ التَّوْبَةِ، عَلَى الصَّحِيحِ، الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ، مِنَّا وَالشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ هِيَ جَائِزَةٌ عَنِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ، عِنْدَ الْجُمْهُورِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَعْظَم مِنَ الْكُفْرِ، مَعَ كَوْنِهَا عَنْهُ صَحِيحَةٌ بِالْإِجْمَاعِ. وَإِذَا تَابَ ثُمَّ ذَكَرَ ذَنْبِهِ، لَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُجَدِّدَ تَوْبَتَهُ عَلَى الصَّحِيحِ، مَا لَمْ يَفْرَحْ بِهِ، أَوْ يَلْتَذَّ بِذِكْرِهِ أَوْ سَمَاعِهِ، فَيَجِبُ اتِّفَاقًا.

فَصْلٌ: فِيمَنْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُ

إِذَا تَابَ الْعَبْدُ، وَصَحَّتْ تَوْبَتُهُ بِشُرُوطِهَا، قُبِلَتْ عَلَى الصَّوَابِ، الَّذِي عَلَيْهِ الْمَاتُرِيدِيَّة وَالْأَشْعَرِيّ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ. لِأَنَّ دَلِيلَهَا قَطْعِيٌّ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]. فَلَا يَجُوزُ خُلْفُ وَعْدِهِ.

قَالَ الْقَاضِي، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: تُقْبَلُ ظَنًّا، لِأَنَّ دَلِيلَهُ ظَنِّيٌّ. وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْأَشَاعِرَةِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ لِمَنْ تَتَبَّعَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، يَقْطَعُ بِأَنَّ تَوْبَةَ الصَّادِق قَطْعِيَّةٌ.

وَقَالَ صَاحِبُ [الْبَحْرِ الْعَمِيقِ]: فَإِذَا تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا، عَلَى مَا ذَكَرْنَا، صَارَتِ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ، قَطْعًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ. وَشَبَّهَهُ بِحُكْمِ الْوَعْدِ بِالنَّصِّ.

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ، يَخَافُ عَلَى قَائِلِهِ الْكُفْر. لِأَنَّهُ وَعَدَ قَبُولَ تَوْبَتِهِ، إِذَا كَانَتْ نَصُوحًا، فَإِنَّهُ بِتِلْكَ التَّوْبَةِ وَالِاعْتِقَادِ بِهِ، يَكُونُ مُذْنِبًا بِذَنْبٍ أَعْظَم مِنَ الذَّنْبِ الْأَوَّلِ.

وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، فَوَرَدَ مَرْفُوعًا، هِيَ: (أَنْ يَتُوبَ، ثُمَّ لَا يَعُودُ إِلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ). وَبِهِ قَالَ عُمَرُ، وَأُبَيٌّ، وَمُعَاذٌ. قَالَ الْحَسَنُ: (هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا، عَلَى مَا مَضَى؛ مُجْمِعًا عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِيهِ). وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: (تَوْبَةً تَنْصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ). وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: (أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ).

وَقَالَ الْقُرَظِيُّ: (يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجِنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيْءِ الْإِخْوَانِ).

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا يُسْقِطُ الْعُقُوبَةَ، فَذَهَبَ أَهْلُ الْحَقِّ، إِلَى أَنَّهُ مَحْضُ عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا عُبَادَةٌ، يُثَابُ عَلَيْهَا بِمَحْضِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَخَالَفَ غَيْرُهُ.

ثُمَّ هِيَ عَلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: تَوْبَةٌ إِنْ لِخَوْفِ عُقُوبَةٍ، وَإِنَابَةٌ وَإِنْ لِرَجَاءِ مَثُوبَةٍ، وَأَوْبَةٌ إِنْ قِيَامًا لِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ، لَا رَغْبَةً فِي ثَوَابٍ، وَلَا رَهْبَةً مِنْ عِقَابٍ. فَالْأُولَى: صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالثَّانِيَةُ: نَعْتُ الْأَوْلِيَاءِ، وَالثَّالِثَةُ: وَصْفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

ثُمَّ تَوْبَةُ الْعَوَامِّ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَوْبَةُ الْخَوَاصِّ مِنْ غَفْلَةِ الْقُلُوبِ، وَتَوْبَةُ خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى الْمَحْبُوبِ. فَشَتَّانَ بَيْنَ تَائِبٍ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَتَائِبٍ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَسَنَاتِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: (حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ، سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ).

وَمَنْ تَفَهَّمَ قَوْلَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ، سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (التَّوْبَةُ فَرْضٌ عَلَى الْعَبْدِ فِي كُلِّ نَفَسٍ). فَهُوَ حَقٌّ بِالنِّسْبَةِ لِعُلُوِّ شَأْنِهِ وَمَقَامِهِ. وَيُفْهَمُ أَيْضًا قَوْلَ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ: (اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ). وَقَوْلَ ابْنِ عَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِمْ:

قَدْ تَابَ أَقْوَامٌ كَثِيرٌ وَمَا تَابَ عَنِ التَّوْبَةِ إِلَّا أَنَا

بَلْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، مَا لَا يَنْحَصِرُ مِنْ كَلَامِ الْعَارِفِينَ، فَتَيَقَّظْ لِهَذَا الْأَصْلِ، وَتَفَطَّنْ لِمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهُ، وَارْفَعْ هِمَّتَكَ إِلَى الْعُلَا، وَكُنْ مِمَّنْ يَتُوبُ مِنْ سِوَى الْمَوْلَى، فَهُمُ الْقَوْمُ، الَّذِينَ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُم.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ، أَنْ يَرْزُقَنِي ذَلِكَ، فِي الْأَنْفَاسِ، وَيُمَتِّعَنِي بِهِ مَعَ أَخَصِّ خَوَاصِّ النَّاسِ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مُجَرَّدَ الِاسْتِغْفَارِ، لَيْسَ بِتَوْبَةٍ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَوْزَارِ، بَلْ هُوَ يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا قَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ.

فَصْلٌ: فِي الاِسْتِغْفَارِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥- ١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، الْكَافِي بَعْضِهَا.

(وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ، أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، مِائَةَ مَرَّةٍ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ، مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي، لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً).

وَ(الْعَنَانُ): بِفَتْحِ أَوَّلِهِ: السَّحَابُ. وَقِيلَ: مَا عَنَّ لَكَ، أَيْ اعْتَرَضَ وَظَهَرَ لَكَ إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ. وَ(قُرَابُ)، بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ، أَوْ بِالْكَسْرِ: مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ إِبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ، لا أَبْرَحُ أَغْوِي عِبادَكَ، مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِم، فَقَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي، لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ، مَا اسْتَغْفَرُونِي). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الذُّنُوبُ، وَدَوَاؤُكُمُ الِاسْتِغْفَارُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْبًا، إِلَّا وَقَفَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِإِحْصَاءِ ذُنُوبِهِ، ثَلَاثَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ، فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ السَّاعَاتِ، لَمْ يُوقِفْهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعَذِّبْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ). وَعَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالِاسْتِغْفَارِ، فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، فَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَمَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي لَيْلَةٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً). وَفِي لَفْظٍ: (كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَيُرْزَقُ بِهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ).

فَصْلٌ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا، وَيَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ، مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ، مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ). وَمَعْنَى (أَبُوءُ): بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وَبَعْدَ الْوَاوِ هَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ: أَيْ أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي،

فَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). وَذُكِرَ أَنَّهُ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ شَكٌّ فِيهِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنِ خُثَيْمٍ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ ذَنْبًا وَكَذِبًا، إِذَا لَمْ يَفْعَلْ، بَلْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ). وَرَدَّ عَلَيْهِ النَّوَوِيُّ ذَلِكَ: بِأَنَّ مَعْنَى (أَسْتَغْفِرُ اللهَ): أَطْلُبُ اللهَ مَغْفِرَتَهُ، وَلَيْسَ هَذَا كَذِبٌ.

قَالَ مِيْرَك: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ، يُفِيدُ فِي دَفْعِ كَرَاهَةِ لَفْظِ (أَسْتَغْفِرُ اللهَ). أَمَّا (أَتُوبُ إِلَيْهِ)، فَهُوَ الَّذِي عَنِ الرَّبِيعِ، أَنَّهُ كَذِبٌ وَذَنْبٌ فَهُوَ كَذَلِكَ، إِذَا قَالَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ التَّوْبَةَ، كَمَا قَالَ. ثُمّ لَابُدَّ فِي تَوَجُّهِ كَلَامِ النَّوَوِيّ أَيْضًا، مِنْ قَيْدِ قَصْدِ سُؤَالِ الْمَغْفِرَةِ بِاللَّفْظِ الْمَذْكُورِ.

عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (اسْتِغْفَارٌ بِلَا إِقْلَاعٍ، تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ). وَعَنْ هَذَا قَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ كَثِيرٍ). كَذَا أَوَّلَ قَوْلَهَا أَهْلُ الظَّاهِرِ، وَأَوَّلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْبَاطِنِ، بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ، وَإِنْ كَانَ طَاعَةً مِنْ بَابِ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ، سَيِّئَاتِ الْمُقَرَّبِينَ.

وَيَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ: وَقَدْ أَوَّلْتُهُ أَيْضًا، بِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَصْدُ الْعَارِفِينَ شُهُود رَبّ الْعَالَمِينَ، فِي سَائِرِ الْأَنْفَاسِ، كَانَ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ، مَعْصِيَةً، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ شُهُودِ الْأَغْيَارِ، وَذَاكَ مِنْ مَعَاصِي الْعَارِفِينَ الْأَخْيَارِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى إِشْهَارٍ، مُصَاحِبٍ شُهُود الْغَفَّارِ، يَكُونَ الْقَصْدُ فِيهِ أَوَّلاً شُهُود الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، ثُمَّ طَلَبُ نَحو مَا تَقَدَّمَ، مِنْ شُهُودِ رُؤْيَةِ الْأَغْيَارِ، وَهَذَا لِكَوْنِهَا أَضَافَتْ الِاسْتِغْفَارَ إِلَى نَفْسِهَا، لِكَوْنِهَا مِنَ العَارِفِينَ.

إِمَّا أَنْ أَنْزَلَتْ نَفْسَهَا مَنْزِلَةَ الْعَوَّامِ، لِلانْكِسَارِ وَإِظْهَارِ الافْتِقَارِ، فَذَلِكَ أَمْرٌ جَلِيٌّ، ظَاهِرٌ بَدِيهَة لِذَوِي الأَبْصَارِ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا قَوْل بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ: (الِاسْتِغْفَارُ مِنَ الذَّنْبِ ذَنْبٌ آخَر)، لِتَضَمُّنِهِ دَعْوَى الْوُجُودِ وَالْقُدْرَةِ، وَالْفِعْلِ لَمَا سِوَاهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه.

وَعَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ، (أَنَّهُ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتِغْفَارِي مَعَ إِصْرَارِي لُؤْمٌ، وَإِنَّ تَرْكِي الِاسْتِغْفَارَ مَع عِلْمِي بِسَعَةِ عَفْوِكَ لَعَجْزٌ، فَكَمْ تَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بِالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ عَنِّي، وأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي مَعَ فَقْرِي إِلَيْكَ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وَعَفَا، أَدْخِلْ عَظِيمَ جُرْمِي فِي عَظِيمِ عَفْوِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَاعْلَم الِاسْتِغْفَار عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: اِسْتِغْفَار عَنْ الذُّنُوبِ، وَهُو لِلْعَوَامّ، وَاسْتِغْفَار عَنْ الطَّاعَاتِ وَرُؤْيَتُهَا، وَهُو لِلْخَوَاصّ، وَاسْتِغْفَار عَنْ شُهُودٍ رُؤْيَة سِوَى اللَّه تَعَالَى، وَهُو لِأَخَصّ الْخَوَاصّ.

فَصْلٌ: فِي طَلَبِ الِاسْتِغْفَارِ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ

طَلَبُ الِاسْتِغْفَارِ مِمَّنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَوْ أَكْبَرُ، أَوْ أَخٌ فِي اللَّهِ، أَو مُعَلِّمٌ، أَوْ نَحْوه، لَا سِيَّمَا إِنْ جَنَى عَلَيْهِ، أَوْ مَا يَقُولُهُ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ ذَلِكَ. وقَالَ تَعَالَى، مُخَبِّرًا عَنْ إِخْوَة يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا أَصَابَهُمْ الضَّرَرُ مِنْ جِهَتِهِ: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي حَدِيثِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (لَمَّا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَجْلِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ، أَنْ يُوَسِّعَ

عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَهُ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ: أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَقَالَ عُمَرُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، (أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، يَسْتَشْفِعُونَ بِهِ. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟. قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وَقَالَ تَعَالَى، حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]. يَعْنِي لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، وَقْتَ السَّحَرِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟، فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى. فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحِي، أَلَا تَثْبُتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَقْرِئِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا، وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ. وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ

إِبْطَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ. فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا).

فَصْلٌ: فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذُوا جُنَّتَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟. قَالَ: بَلْ مِنَ النَّارِ. قُلْنَا: مَا جُنَّتُنَا مِنَ النَّارِ؟. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُقَدِّمَاتٍ، وَمُعَقِّبَاتٍ، وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ).

وَ(مُجَنِّبَاتٍ): بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالنُّونِ الْمُشَدَّدَةِ، أَيْ: مُقَدَّمَاتٍ أَمَامَكُمْ. وَفِي رِوَايَةٍ: (وَمُنَجَّبَاتٍ) بِتَقْدِيمِ النُّونِ. وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: (وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ).

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ. قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: الْمِلَّةُ. قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ،، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ. قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: الْمِلَّةُ. قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ،، وَالتَّسْبِيحُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ). (قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهَا يَعْنِي يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِلْءُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَيْسَ دُونَهَا سِتْرٌ وَلَا حِجَابٌ، حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْبَعٌ أَفْضَلُ الْكَلامِ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولَا إِلَهَ إلاّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أكبر). وَفِي رِوَايَةٍ: (خَيْرُ أَفْضَلُ الْكَلامِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلَا إلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فِى ذنْبِ الْمُسْلِمِ مِثْلَ الآكِلَةِ، فِي جَنْبِ ابْنِ آدَمَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَلِمَاتٌ مَنْ ذَكَرَهُنَّ، مِائَةَ مَرَّةٍ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،، لَوْ كَانَتْ خَطَايَاهُ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، لَمَحَتْهُنَّ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ، يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فَيَحْتَسِبُهُ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ، هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟. تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ، أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ

لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ، قَبَضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ، فَضَمَّهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ، فَصَعِدَ بِهِنَّ، لَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ، حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ، إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ، فَمَنْ ضَمِنَ بِالْمَالِ، أَنْ يُنْفِقَهُ، وَهَابَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَاللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ).

وَمَا ذَكَرْتُهُ فَوْقَ الْكِفَايَةِ، وَكَوْنُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ، هِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَمُجَاهِدٍ. وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَإِبْرَاهِيمُ: هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: الذِّكْرُ الْقَلِيلُ الْمُفِيدُ فَائِدَةَ الْكَثِيرِ: عَنْ صَفِيَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ نَوَاةٍ، تُسَبِّحُ بِهِنَّ، فَقَالَ: يَا بِنْتَ حُيَيٍّ مَا هَذَا؟. قُلْتُ: أُسَبِّحُ بِهِنَّ. قَالَ: قَدْ سَبَّحْتُ مُنْذُ قُمْتُ عَلَى رَأْسِكِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا. قُلْتُ: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: قُولِي سُبْحَانَ اللَّهِ، عَدَدَ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ).

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً، بَعْدَ مَا صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ، الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ، لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وَزَادَ النَّسَائِيُّ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَذَلِكَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَآنِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أُحَرِّكُ شَفَتَيَّ. فَقَالَ لِي: بِأَيِّ شَيْءٍ تُحَرِّكُ شَفَتَكَ؟، يَا أَبَا أُمَامَةَ. فَقُلْتُ: أَذْكُرُ اللَّهَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ، إِذَا قُلْتَهُ ثُمَّ دَأَبْتَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، لَمْ تَبْلُغْهُ؟. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: تَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ، عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، عَدَدَ مَا فِي كِتَابِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، عَدَدَ مَا أَحْصَى خَلْقُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مِلْءَ مَا فِي خَلْقِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مِلْءَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَتُكَبِّرُ مِثْلَ ذَلِكَ».

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

فَصْلٌ: مَا يُقَالُ لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ عَدَدِ الذَّرِّ ذُنُوبًا، لَغُفِرَتْ لَكَ، مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَكَ؟. قُلِ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَكَ تَبَارَكْتَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَاذُنُوبَاهُ وَاذُنُوبَاهُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلِ اللَّهُمَّ مَغْفِرَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتَكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي. فَقَالَهَا، ثُمَّ قَالَ: عُدْ فَعَادَ. ثُمَّ قَالَ: عُدْ فَعَادَ. فَقَالَ: قُمْ، فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَلْبُ الْقُرْآنِ يس، لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، واقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ). وَتَقَدَّمَ كَثِيرٌ مِنَ الأَحَادِيثِ الْمُوجِبَةِ لِلْغُفْرَانِ.

الْبَابُ الثَّامِنُ
فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُنَاطُ بِهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]). وَفِي رِوَايَةٍ أَنَسٍ: (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، وَالوُضُوءُ مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ، والصَّلَاةُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَالْبَلَاءَ). وَفِي أُخْرَى: (لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ). وَفِي غَيْرِهَا: (لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ).

وَفِي أُخْرَى: (الدُّعَاءُ جُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِ اللَّهِ، مُجَنَّدٌ، يَرُدُّ القَضَاءَ، بَعْدَ أَنْ يُبْرَمَ).

وَفِي لَفْظٍ: (الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ).

وَفِي أُخْرَى: (لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ).

وَفِي أُخْرَى: (لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ، فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَلْتَقِيَانِ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). أَيْ يَتَصَارَعَانِ.

وَفِي أُخْرَى: (لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ، يَغْضَبْ عَلَيْهِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ، وَأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَيَدِرُّ لَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ؟، تَدْعُونَ اللَّهَ فِي لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ، عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْتِي زَمَانٌ عَلَيْكُمْ، لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْغَرِيقِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ، إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صفرًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (خَائِبَتَيْنِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَسْتَحِي مِنْ ذِي الشَّيْبَةِ، إِذَا كَانَ مُسَدَّداً، لَزُوماً لِلسُّنَّةِ، أَنْ يَسْأَلَهُ فَلَا يُعْطِيهِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا ابْنَ آدَمَ، ثَلَاثٌ: وَاحِدَةٌ لِي، وَوَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَمَّا الَّتِي لِي تَعْبُدُنِي، لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ، فَمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ، جَزَيْتُكَ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَغْفِرْ فَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَالْمَسْأَلَةُ، وَعَلَيَّ الِاسْتِجَابَةُ وَالْعَطَاءُ).

وَعَنْ أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَاسْمُهُ عُوَيْمِرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جِدُّوا بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُكْثِرُ قَرْعَ الْبَابِ، يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ). وَأَنْشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ:

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ فِي أَمْرٍ ضِيقٍ ... عَلَيَّ مَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَرُبَّ فَتًى سُدَّتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أَصَابَ لَهُ فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجَا

وَأَنْشَدَ آخَرُ:

مَا ضَاقَ حَال بَعَبْدٍ فَاسْتَعَدَّ لَهُ ... عِبَادَة اللَّهِ إِلاَّ جَاءَهُ الْفَرَجُ
وَلَا أَنَاخَ بِبَابِ اللَّهِ رَاحِلَة ... إِلاَّ تَزَحْزَحَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْحَرَجُ

وَالْكَلَامُ فِي فَضْلِهِ كَثِيرٌ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ، فِي أَنَّ الْأَفْضَلَ الدُّعَاءُ، أَمِ السُّكُوتُ وَالرِّضَا؟. فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الدُّعَاءُ فِي نَفْسِهِ عِبَادَةٌ، لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ. وَكَانَ الدُّعَاءُ إِظْهَار الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: وَالسُّكُوتُ وَالْخمُولُ، تَحْتَ جَرَيَانِ الْحُكْمِ أَتَمُّ، وَالرِّضَا بِمَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ

أَوْلَى. وَقَال قَوْمٌ: يَكُونُ صَاحِبَ دُعَاءٍ بِلِسَانِهِ، وَرِضًا بِقَلْبِهِ، لِيَأْتِي بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا.

قَالَ: وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْأَوْقَاتَ مُخْتَلِفَةٌ، فَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، الدُّعَاءُ أَفْضَلُ مِنَ السُّكُوتِ، وَهُوَ الْأَدَبُ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، السُّكُوتُ أَفْضَلُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَهُوَ الْأَدَبُ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ ذَلِكَ بِالْوَقْتِ، فَإِذَا وَجَدَ إِشَارَةً إِلَى الدُّعَاءِ، فَدَعَا أَوْلَى بِهِ؛ وَإِذَا وَجَدَ إِشَارَةً إِلَى السُّكُوتِ، فَالسُّكُوتُ أَتَمُّ.

ثُمَّ قَالَ: وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ مَا كَانَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ، أَوْ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ حَقٌّ، فَالدُّعَاءُ أَوْلَى لِكَوْنِهِ عِبَادَة، وَإِنْ كَانَ لِنَفْسِكَ فِيهِ حظٌّ، فَالسُّكُوتُ أَتَمُّ. اهـ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ، كَانَ اللهُ لَه: وَهَذَا الْكَلَامُ حَسَنٌ جِدًّا، وَأَخْصَرُ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ كَانَ الْقَلْبُ مُنْطَلِقًا بِالدُّعَاءِ، وَمُنْشَرِحًا، وَمُسْتَتِرًا بِه لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَالْأَفْضَلُ الدُّعَاءُ، وَإِلَّا فَالسُّكُوتُ.

كَيْفَ وَقَدْ وَرَدَ: (مَنْ فُتِحَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ مِنْكُمْ؛ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْإِجَابَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ). وَفِي أُخْرَى: (الْجَنَّةُ).

ثُمَّ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ، إِنَّمَا هُوَ فِي النَّقْلِ مِنْهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا.

وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فَرْضًا كَالنَّذْرِ، وَدُعَاءِ صَلَاةِ الْجِنَازَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَوَاجِبًا فِي الْوِتْرِ عِنْدَنَا، وَسُنَّةً فِي الْقُعُودِ الْأَخِيرِ، وَنَحْوِه، وَمُسْتَحَبًّا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ. وَمُحَرَّمًا عَلَى غَيْرِ ظَالِمٍ، وَمَكْرُوهًا مَعَ الْغَفْلَةِ، وَنَحْوِهَا.

ثُمَّ بَيَانُ فَضْلِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَهُ أَيْضًا: سَبَبٌ، وَرُكْنٌ، وَشَرْطٌ، وَسُنَنٌ، وَآدَابٌ، وَمُحَرَّمٌ، وَمَكْرُوهٌ، وَحِكَمٌ، وَفَوَائِدُ.

فَالسَّبَبُ: كَمَالُ الِافْتِقَارِ إِلَى الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَالرُّكْنُ: التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ. وَالشَّرْطُ: النِّيَّةُ وَالتَّمْيِيزُ، وَقَصْدُ الْإِنْشَاءِ، لَا لِلْحِكَايَةِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ مُحَرَّمًا، وَلَا مَكْرُوهًا، وَلَا مُمْتَنِعًا، وَلَا مَفْرُوغًا عَنْهُ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ فَرْضٍ، وَلَا يَسْتَعْظِمُ حَاجَتَهُ.

وَشَرْطُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، مَا نَظَمَهُ ابْنُ جَمَاعَةَ، قَائِلاً:

شُرُوطُ الدُّعاءِ الْمُسْتَجَابِ لَنَا ... عَشْرٌ بِهَا بَشِّرِ الدَّاعِي بِإِفْلَاحِ
طَهَارَةٌ وَصَلَاةٌ مَعْهُمَا نَدَمٌ ... وَقْتٌ خُشُوعٌ وَحُسْنُ الظَّنِ يا صَاحِ
وَحِلُّ قُوتٍ وَلا يَدْعِي بِمَعْصِيَةٍ ... وَاسْمٌ يُنَاسِبُ مَقْرُونٌ بِإِلْحَاحِ

وَمِنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ الْخَشْيَةُ، وَالدَّعْوَةُ، وَالْبُكَاءُ، وَرُبَّمَا غَابَ عَنِ الْوُجُودِ.

فَصْلٌ: فِي سُنَنِ الدُّعَاءِ

وَهِيَ كَثِيرَةٌ. مِنْهَا: رَفْعُ الْيَدَيْنِ حِذَاءَ الصَّدْرِ، وَبَسْطُ الْيَدَيْنِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَيُفَرِّجُ بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ: يُضَمُّ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ، وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ) الْحَدِيث.

وَاخْتَلَفَتِ الْأَحَادِيثُ فِي كَيْفِيَّةِ رَفْعِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْحَالِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَسْأَلَةُ أَنْ تَرْفَعَ يَدَيْكَ، حَذْوَ مَنْكِبَيْكَ، أَوْ نَحْوَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ أَنْ تُشِيرَ بِأُصْبُعٍ وَاحِدَةٍ، وَالِابْتِهَالُ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْكَ جَمِيعًا).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَفْعُ الْأَيْدِي مِنَ الِاسْتِكَانَةِ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وَفِي [الْبَحْرِ]: الدُّعَاءُ أَرْبَعَةٌ: دُعَاءُ رَغْبَةٍ، يُفْعَلُ كَمَا مَرَّ. وَدُعَاءُ رَهْبَةٍ، يَجْعَلُ كَفَّيْهِ لِوَجْهِهِ، كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الشَّيْءِ. وَدُعَاءُ تَضَرُّعٍ، يَعْقِدُ الْخِنْصَرَ مَعَ الْبِنْصِرَ، وَيُحَلِّقُ وَيُشِيرُ بِمُسَبِّحَتِهِ. وَدُعَاءُ الْخُفْيَةِ مَا يَفْعَلُهُ فِي نَفْسِهِ.

وَمِنْهَا: الْبُدَاءَةُ بِالْحَمْدِ، وَالثَّنَاءِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَخَتْمُهُ بِذَلِكَ، لِمَا مَرَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: (مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَفْتِحُ دُعَاءَهُ، إِلَّا بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ حَاجَةً، فَابْدَءُوا بِالصَّلاةِ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَرُدَّ الْأُخْرَى).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، فَإِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلَأُ قَدَحَهُ، فَإِذَا فَرَغَ وَعَلَّقَ مَعَالِيقَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِي الشَّرَابِ حَاجَةٌ، أَوْ الْوُضُوءِ، وَإِلَّا أَهْرَقَ الْقَدَحَ. -أَحْسَبُهُ قَالَ:- فَاذْكُرُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ، وَفِي وَسَطِهِ، وَفِي آخِرِ الدُّعَاءِ).

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ حَاجَةً، فَابْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ادْعُ بِمَا شِئْتَ، ثُمَّ اخْتِمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِكَرَمِهِ يَقْبَلُ الصَّلَاتَيْنِ، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَدَعَ مَا بَيْنَهُمَا).

وَمِنْهَا: مَسْحُ الْوَجْهِ بِهِمَا، بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ. عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا دَعَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ، مَسَحَ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ).

وَفِي رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَحُطَّهُمَا،حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْأَلُوهُ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ، وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا، وَامْسَحُوا بِهَا وُجُوهَكُمْ).

وَأَمَّا الصَّدْرُ، فَلَا يُسْتَحَبُّ مَسْحُهُ، بَلْ يُكْرَهُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَأْتِيَ بِالْمَأْثُورِ، فِيمَا أُثِرَ فِيهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ).

وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَخُصَّ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ: لَا يَؤُمُّ رَجُلٌ قَوْمًا، فَيَخُصُّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ فِي قَعْرِ بَيْتٍ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ، وَلَا يُصَلِّي، وَهُوَ حَقِنٌ حَتَّى يَتَخَفَّفَ).

فَصْلٌ: فِي آدَابِ الدُّعَاءِ

وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا. مِنْهَا: التَّوْبَةُ، وَالِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ وَالتَّقْصِيرِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَفِيهِ: (قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ، -تَعْنِي النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِالذَّنْبِ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ، فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟. غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ؟. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟. غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ، أَوْ أَذْنَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟. غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ).

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَلْبَسُهُ، وَنَحْو ذَلِكَ، حَلَالاً. لِمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟).

(وَلَمَّا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ، يُسْتَجَاب لَكَ). وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: (الدُّعَاءُ مِفْتَاحٌ، وَالْحَلَالُ أَسْنَانُهُ).

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَرَصَّدَ الْأَزْمَانَ الشَّرِيفَةَ، كَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِهَا، وَالثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ السَّحَرِ، وَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، وَنَحْو ذَلِكَ.

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حِينَ اشْتَكَى تَفَلُّتَ الْقُرْآنِ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي [الْأُمِّ]: (بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: الدُّعَاءُ يُسْتَجَابُ فِي خَمْسِ لَيَالٍ: فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةِ الْأَضْحَى، وَلَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ).

وَمِنْهَا: أَنْ يُرَاقِبَ الْأَحْوَالَ الشَّرِيفَةَ، كَحَالَةِ السُّجُودِ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ). هَذَا فِي النَّفْلِ ظَاهِرٌ عِنْدَنَا. أَمَّا فِي الْفَرَائِضِ فَبِالْقَلْبِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَقَلَّ دَاعٍ تُرَدُّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ، حَضْرَةُ النِّدَاءِ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّفُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَحَرَّى الْأَمَاكِنَ الْمُعَظَّمَةَ. فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ، دَعَا فِي نَوَاحِيهِ كُلِّهَا).

وَمِنْهَا: تَقْدِيمُ عَمَلٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ، كَصَلَاةٍ، وَصَدَقَةٍ، وَغَيْرِهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا فَقَعَدَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنْ وُضُوءَهُ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يُثْنِي عَلَى اللَّهِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ، الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ). وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ وَفِي الْوُضُوءِ كَثِيرَةٌ.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَثَلُ الَّذِي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ، كَمَثَلِ الَّذِي يَرْمِي بِغَيْرِ وَتَرٍ).

وَمِنْهَا: اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ، وَالْحُنُوُّ عَلَى الرُّكَبِ، وَالتَّأَدُّبُ، وَالْخُشُوعُ، وَالتَّمَسْكُنُ، وَالْخُضُوعُ. (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ).

وَمِنْهَا: الْإِخْلَاصُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. كَذَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ.

وَلِذَا يَظْهَرُ لِلْفَقِيرِ، أَنَّهُ رُكْنُ الدُّعَاءِ كَمَا قَدَّمْتُهُ، ثُمَّ هُوَ مُخْتَلِفٌ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِ النَّاسِ، فَإِخْلَاصُ الْعَوَّامِ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُ لَا يَقْضِي مُرَادَهُمْ إِلَّا الْمَلِكُ الْعَلَّامُ، وَإِخْلَاصُ الْخَوَاصِّ ذَلِكَ، مَعَ الْأُخْرَوِيَّةِ كَالْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ، وَالْمَآرِبِ الْأُخْرَوِيَّةِ. وَإِخْلَاصُ خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ ذَلِكَ، مَعَ عَدَمِ طَلَبِهِمْ لِشَيْءٍ، سِوَى مَحْبُوبِهِمْ سُبْحَانَهُ.

وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَرْفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ، عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ، إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ).

وَمِنْهَا: كَشْفُ الْيَدَيْنِ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ، وَخَفْضُ الصَّوْتِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(الْمُعْتَدِينَ): أَيْ الْمُتَجَاوِزُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ، أَوْ غَيْرِهِ. وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ: الرَّافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ. وَعَنْهُ: الصِّيَاحُ فِي الدُّعَاءِ مَكْرُوهٌ وَبِدْعَةٌ. وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْهَابُ فِي الدُّعَاءِ.

وَقِيلَ: فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ): وَهُوَ الْجَهْرُ الْكَثِيرُ وَالصِّيَاحُ.

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،- لِمَنْ سَمِعَهُ يَجْهَرُ بِالدُّعَاءِ-: إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]. إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي الدُّعَاءِ).

(وَسَمِعَ مُجَاهِدٌ رَجُلًا، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ، فَرَمَاهُ بِالْحَصَى).

قَالَ الْحَسَنُ: (لَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ عَمَلٌ، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَكُونَ سِرًّا، فَيَكُونُ جَهْرًا أَبَدًا). وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، فَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ هُوَ إِلَّا الْهَمْسُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ.

وَقَالَ: (بَيْنَ دَعْوَةِ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، سَبْعُونَ ضِعْفًا). وَقَالَ عُقْبَةَ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ: (دَعْوَةٌ سِرًّا أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ عَلَانِيَةً).

وَمِنْهَا : أَلاَّ يَتَكَلَّفَ السَّجعَ فِيهِ. عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ، وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ، فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ، وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ،

فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابَهُ، لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ).
وَقَدْ فُسّرَ فِيهِ الِاعْتِدَاء فِي الدُّعَاءِ.

وَأَيْضًا قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّجْعِ، هُوَ الْمُتَكَلَّفُ مِنَ الْكَلَامِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُلَائِمُ الضَّرَاعَةَ وَالذِّلَّةَ، وَإِلَّا فَفِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَلِمَاتٌ مُتَوَازِنَةٌ، لَكِنَّهَا غَيْرُ مُتَكَلَّفَةٍ، (كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ مِنْ يَوْمِ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ).

وَالْأَوْلَى الِاقْتِصَارُ عَلَى الدَّعَوَاتِ الْمَأْثُورَةِ، فَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُحْسِنُ الدُّعَاءَ، فَيُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الِاعْتِدَاءِ.

وَلِذَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ وَالْأَثَرِ (أَنَّ الْعُلَمَاءَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: تَمَنَّوْا. فَلَا يَدْرُونَ كَيْفَ يَتَمَنَّوْنَ، حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ).

وَمِنْهَا: عَدَمُ التَّغَنِّي بِهِ، وَاللَّحْنِ فِيهِ، خُصُوصًا الْمَأْثُور، إِذْ الْأَوَّلُ يُنَافِي الْخُشُوعَ، وَبِالثَّانِي يُخْشَى عَلَيْهِ الدُّخول تَحْتَ (قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

فَيَنْبَغِي تَعَلُّمُ شَيْءٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، أَو تَصْحِيحهُ عَلَى عَارِفٍ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ إِلاَّ بِهِ فَيُعْذَرُ. وَمِمَّا قِيلَ عَلَى اشْتِرَاطِ عَدَمِ اللَّحْنِ:

يُنَادِي رَبَّهُ بِاللَّحْنِ لَيْثٌ   لِذَاكَ إِذَا دَعَاهُ لا يُجِيبُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (ادْعُ بِلِسَانِ الذِّلَّةِ وَالِافْتِقَارِ، لَا بِلِسَانِ الْفَصَاحَةِ وَالِانْطِلَاقِ).

وَيُقَالُ: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَالْأَبْدَالَ، لَا يَزِيدُونَ فِي الدُّعَاءِ عَلَى سَبْعِ كَلِمَاتٍ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَيَشْهَدُ لَهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِي آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. لَمْ يُخْبِرْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوْضِعٍ عَنْ أَدْعِيَةِ عِبَادِهِ، بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥- ٤١].

قَالَ: وَالْمُخْتَارُ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ لَا حَجْرَ فِي ذَلِكَ، وَلَا تُكْرَهُ الزِّيَادَةُ عَلَى السَّبْعِ. بَلْ يُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ مُطْلَقًا.

وَمِنْهَا: حُضُورُ الْقَلْبِ، وَالْجَزْمُ بِالدُّعَاءِ، وَرَجَاءُ الْقَبُولِ، وَتَيَقُّنُ الْإِجَابَةِ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ، دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ، إِلَّا أَعْطَاهُ ظَنَّهُ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ بِيَدِهِ).

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: (لَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّعَاءِ، مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَجَابَ أَشَّرَ الْخَلْقِ إِبْلِيسَ، إِذْ قَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [ص: ٧٩- ٨٠].

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: (إِنَّ لِلدُّعَاءِ أَرْكَانًا وَأَجْنِحَةً، وَأَسْبَابًا وَأَوْقَاتًا، فَإِنْ وَافَقَ أَرْكَانَهُ قَوِيَ، وَإِنْ وَافَقَ أَجْنِحَتَهُ، طَارَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنْ وَافَقَ مَوَاقِيتَهُ فَازَ، وَإِنْ وَافَقَ أَسْبَابَهُ أَنْجَحَ. فَأَرْكَانُهُ: حُضُورُ الْقَلْبِ، وَالرَّأْفَةُ، وَالِاسْتِكَانَةُ، وَالْخُشُوعُ. وَأَجْنِحَتُهُ: الصِّدْقُ. وَأَسْبَابُهُ: الصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَوَاقِيتُهُ الْأَسْحَارُ).

وَمِنْهَا: الْإِلْحَاحُ فِيهِ، وَتَكْرَارُهُ ثَلَاثًا، مَعَ رَجَاءِ الْإِجَابَةِ، وَعَدَمِ الْقُنُوطِ.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ).

(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ ثَلَاثًا).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (كَانَ أَحَبُّ الدُّعَاءِ إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا). وَعَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا، وَيَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. ثَلَاثاً). (وَلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى سَعْدٍ، يَعُودُهُ بِمَكَّةَ: اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا. ثَلَاث مَرَّاتٍ).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (اسْتَغْفَر لِي رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْبَعِيرِ، خَمْسَة وَعِشْرِينَ مَرَّة).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ضَرَبَ صَدْرَ عُمَرَ بِيَدِهِ، حِينَ أَسْلَمَ، ثَلَاث مَرَّاتٍ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَخْرِجْ مَا فِي صَدْرِهِ مِنْ غِلٍّ، وَأَبْدِلْهُ إِيمَانًا. يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الِاسْتِعْجَالُ؟، قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ).

وَذَكَرَ مَكِّي، (أَنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ دُعَاءِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِطَلَبِ الْوَلَدِ وَالْبِشَارَةِ، أَرْبَعِينَ سَنَةً). وَمِثْلُهُ ابْن عَطِيَّةَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالضَّحَّاكِ، (أَنَّ دَعْوَةَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى فِرْعَوْنَ، لَمْ تَظْهَرْ إِجَابَتُهَا، إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً).

وَحَكَى فِي [الْإِحْيَاءِ]: عَنْ بَعْضِهِمْ، «إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً حَاجَةً، وَمَا أَجَابَنِي، وَأَنَا أَرْجُو الْإِجَابَةَ، سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنِي لِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِينِي».

مَعَ أَنَّ الْإِجَابَةَ لَا تَكُونُ بِعَيْنِ الْمَطْلُوبِ الْبَتَّة، كَمَا سَيَأْتِي. وَقَدْ يَكُونُ تَأْخِيرُهَا لِيُدَاوِمَ عَلَى الدُّعَاءِ، وَمَحَبَّتُهُ تَعَالَى لِصَوْتِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ. رُوِيَ «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، يَقُولُ- فِي بَعْضِ الدَّاعِينَ-: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي قَضَيْتُ حَاجَتَهُ، وَأَجَبْتُ دَعْوَتَهُ، وَلَكِنْ احْبِسْهَا، فَإِنِّي أُحِبُّ صَوْتَهُ».

وَمِنْهَا: يَخْتَارُ الدُّعَاءَ الْجَامِعَ. عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: عَلَيْكِ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ. قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهُ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ، وَرَسُوْلُكَ، مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ، عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ، أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رُشْدًا».

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

وَمِنْهَا: السُّؤَالُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّوَسُّلُ بِأَنْبِيَائِهِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُصْلِحِ عَمَلَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَعَنْ ابْنِ، عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الدُّعَاءِ الَّذِي عَلَّمهُ إِيَّاهُ، لِحفْظِ الْقُرْآن: اللَّهُمَّ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، أَسْأَلُك يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ، بِجَلَالِكَ، وَنُورِ وَجْهِك، أَنْ تُلْزِمَ قَلْبِي حِفْظَ كِتَابِكَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْت بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فرَحًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟. قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا، وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟، قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ، مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ).

وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا، أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ

ذَلِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ. قَالَ: فَادْعُهُ. قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيُحْسِنَ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ، فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتَقْضِيهَا لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَشَفِّعْنِي فِيهِ).

فَصْلٌ: فِي التَّوَسُّلِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ

فَفِيهِ حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ، الَّذِينَ أَوَوْا إِلَى الْغَارِ، فَانْحَدَرَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا. قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا

بِحقِّهِ، فَتحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ، حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّي إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَن فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ).

وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُثِيبًا عَلَيْهِمْ بِهِ، فَيُطْلَبُ لِغَيْرِهِم ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْعَارِفُونَ، يَقُولُونَ: (بِافْتِقَارِي وَانْكِسَارِي، وَبِذِلَّتِي)، وَنَحوه. وَإِنْ كَانَ الْأَكْمَلُ التَّوَسُّلُ بِهِ إِلَيْهِ، لَكِنْ رُبَّمَا جَعَلَ غَيْرَهُ سَبَبًا لِمَا لَدَيْهِ.

وَمِنْهَا: الْبُدَاءَةُ بِنَفْسِهِ، ثُمّ أَبَوَيْهِ، وَمَشَايِخِهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَعَا بَدَأَ بِنَفْسِهِ. وَقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْ صَبَرَ لَرَأَى مِنْ صَاحِبِهِ الْعَجَبَ،

وَلَكِنَّهُ قَالَ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا ذَكَرَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَخِي صَالِحٍ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَخِي عَادٍ). يَعْنِي هُود.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: (جَلَسْتُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَذَكَرْتُ رَجُلًا، فَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ، فَضَرَبَ صَدْرِي، وَقَالَ: ابْدَأْ بِنَفْسِكَ).

وَفِي [حَاشِيَةِ الرِّسَالَةِ] الْمَالِكِيَّةِ: وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ فِي الدُّعَاءِ، مَا نَصُّهُ: (هَذَا فِي الدُّعَاءِ فِي الْكِتَابِ، وَأَمَّا إِنْ كَتَبَ كِتَابًا، فَأَرَادَ أَنْ يَدْعُ فِيهِ، يَبْدَأُ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ. وَقِيلَ: مُخَيَّرٌ. وَجَاءَ عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ أَكْبَر مِنَ الْكَاتِبِ، بَدَأَ بِهِ تَوَاضُعًا، وَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ أَكْبَر، بَدَأَ بِنَفْسِهِ).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ عَلِيًّا حِينَ اشْتَكَى إِلَيْهِ تَفَلُّتَ الْقُرْآنِ، أَنْ يُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَيَسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ).

وَمِنْهَا: خَتْمُهُ بِآمِينَ، وَ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].

وَتَأْمِينُ الدَّاعِي وَالْمُسْتَمِعِ. (فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ أُمِّ الْقُرْآنِ، رَفَعَ صَوْتَهُ، وَقَالَ: آمِينَ). (مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ).

وَعَنْ أَبِي مُصَبِّحٍ الْمَقْرَائِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: (كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ النُّمَيْرِيِّ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَيَتَحَدَّثُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، فَإِذَا دَعَا الرَّجُلُ مِنَّا بِدُعَاءٍ. قَالَ: اخْتِمْهُ بِآمِينَ، فَإِنَّ آمِينَ مِثْلُ الطَّابَعِ عَلَى الصَّحِيفَةِ. قَالَ أَبُو زُهَيْرٍ: أُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ؟. خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ، قَدْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، يَسْتَمِعُ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ؟. قَالَ: بِآمِينَ، فَإِنَّهُ إِنْ خَتَمَ بِآمِينَ، فَقَدْ أَوْجَبَ. فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى الرَّجُلَ، فَقَالَ: اخْتِمْ يَا فُلَانُ، بِآمِينَ، وَأَبْشِرْ).

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيِّ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ، وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ، إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (يُسْتَحَبُّ لِلدَّاعِي أَنْ يَقُولَ، فِي آخِرِ دُعَائِهِ، كَمَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وَحَسُنَ أَنْ يَقْرَأَ آخِرَ الصَّافَّاتِ، فَإِنَّهَا جَمَعَتْ تَنْزِيهَ الْبَارِئِ تَعَالَى، عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَالتَّسْلِيمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْخَتْمَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ). وَتَقَدَّمَ الْحَدِيثُ وَالْأَثَرُ، فِي فَضْلِ الْخَتْمِ بِذَلِكَ، أَوَّلَ الْكِتَابِ.

وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَسْتَعْظِمَ حَاجَتهُ، وَلَا يَسْتَحْقِرهَا ، فَيَطْلُبُ الْكَبِيرَ وَالْحَقِيرَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ، حَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلَهُ إِذَا انْقَطَعَ، وَحَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْح).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: (سَلُوا اللَّهَ التَّيْسِيرَ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الشَّسْعَ فِي النَّعْلِ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ اللَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ).

فَصْلٌ: فِي مُحَرَّمَاتِ الدُّعَاءِ

وَهُوَ كَثِيرٌ. مِنْهُ: الدُّعَاءُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ.

وَالسُّؤَالَاتُ الْمُسْتَحِيلَات الْعَقْلِيَّة وَالْعَادِيَّة، كَإِنْزَالِ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا، وَالشَّرْعِيَّة كَتَحْلِيلِ الْخَمْرِ، وَتَحْرِيمِ اللَّحْمِ.

وَبِأَمْرٍ فُرِغَ مِنْهُ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ عَلَى ثُبُوتِهِ أَوْ نَفْيِهِ، كَـ(اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ، بِالْخَسْفِ وَلَا بِالرِّيحِ). أَوْ (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). أَوْ (أَوَّلَ الشَّافِعِينَ)، وَنَحْو ذَلِكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ). لِمَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مِنْ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ تَعْذِيبِ الْبَعْضِ، بِخِلَافِ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ)، إِذْ الْمُرَادُ فِي الْجُمْلَةِ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ.

وَقَالَ فِي [الدُّرِّ الْمُخْتَارِ]: وَالْحَقُّ حُرْمَةُ الدُّعَاءِ بِالْمَغْفِرَةِ لِلْكَافِرِ، لَا لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ.

وَمِنْهُ: سُؤَالُ الْعَافِيَةِ مَدَى الدَّارَيْنِ، وَخَيْرُ الدَّارَيْنِ، وَدَفْعُ شَرِّهِمَا. وَأَنْ يَسْأَلَ مَالاً، أَوْ جَاهًا، أَوْ طُول عُمُرٍ لِأَمْرٍ فَاسِدٍ، كَالتَّفَاخُرِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى قَضَاءِ الشَّهَوَاتِ، وَإِيذَاءِ النَّاسِ.

وَمِنْهُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِيَارِ، لَا مَحْضَ السُّؤَالِ، وَاسْتِعْظَامُ مَطْلُوبِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ يَظْلِمُهُ مُطْلَقًا، أَوْ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، بِأَنْ أَيَّدَ مِمَّا ظَلَمَهُ.

وَلَا يُنَافِي قِصَّة أُحَد الْعَشَرَةِ، سَعِيد بْن زَيْدٍ، حِينَ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ بِأَزْيَد، لِأَنَّهُ مَذْهَبُ صَحَابِيٍّ. وَمَعَ جُلِّهِ يَذْهَبُ أَجْرُهُ، لِحَدِيثِ: (مَنْ دَعَا عَلَى ظَالِمِهِ، فَقَدِ انْتَصَرَ). وَتَقَدَّمَ الِاخْتِلَافُ فِي الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ، بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ مَاتَ كَافِرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِذَلِكَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

وَمِنْهُ: (أَخْفِ زَلَلَنَا عَنِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ)، نَعَمْ، إِنْ قَصَدَ التَّوْفِيقَ لِلتَّوْبَةِ، عَقِبَ الزَّلَّةِ، حَتَّى لَا يَكْتُبَهَا الْمَلَكُ جَازَ. لِحَدِيثِ ابْنِ عَسَاكِرَ: (إِذَا تَابَ الْعَبْدُ، أَنْسَى اللَّهُ الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ، وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ).

وَمِنْهُ: (اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الأَبْصَارِ)، لِمَا صَحَّ أَنَّ الْخَلْقَ يُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً، وَتَعَقُّبُهُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِعُمُومِهِ، فَإِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُبْعَثُ فِي أَكْفَانِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثٍ، فَلَا يُمْتَنَعُ الدُّعَاءُ بِذَلِكَ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، (أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حُفَاةً عُرَاةً. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتِي. قَالَ: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَهَا).

وَمِنْهُ: طَلَبُ وُقُوعِ الْحَرَامِ، كَنَحْوِ: (اسْقِ فُلَانًا خَمْرًا، وَأَعِنْهُ عَلَى السُّكْرِ، وَاجْعَلْهُ زَانِيًا)، أَوْ (يَسِّرْ لَهُ الْوِلَايَةُ الْفُلَانِيَّةُ)، الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ دَعَا لِفَاسِقٍ بِالْبَقَاءِ، فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ، وَمَحَبَّةُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُحَرَّمَةٌ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ.

فَصْلٌ: فِي مَكْرُوهَاتِ الدُّعَاءِ

وَهُوَ تَرْكُ سُنَنِهِ، وَفِعْلُ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَفِعْلُهُ فِي حَمَّامٍ أَوْ كَنِيسَةٍ، أَوْ مَحَلِّ نَجَاسَةٍ، أَوْ قَذَرٍ، أَوْ لَعِبٍ، وَمَعْصِيَةٍ، كَالْأَسْوَاقِ الَّتِي يَغْلِبُ فِيهَا الْعُقُودُ وَالْأَيْمَانُ الْفَاسِدَةُ، أَوْ مَعَ نُفَاسٍ، أَوْ فَرْطِ شَبعٍ، أَو مُدَافَعَة الْأَخْبَثَيْنِ، أَوْ مُلَابَسَة النَّجَاسَةِ. أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْحَالَاتِ، الَّتِي لَا تُنَاسِبُ التَّقَرُّبُ، كَمَا صَرّحَ بِذَلِكَ الزَّرْكَشِيُّ.

وَمِنْهُ: أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِفَسَادِ الْقَلْبِ، وَحُصُولِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْخُيَلَاءِ. كَمَا كَرِهَ مَالِكٌ لِأَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ، الدُّعَاءَ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، جَهْرًا لِلْحَاضِرِينَ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ فِي الصَّلَوَاتِ، وَمِمَّا غَيْر ذَلِكَ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَعْظِيمِ النَّفْسِ وَفَسَادِ الْقَلْبِ.

(وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ عُمَرَ بْن الْخَطَّاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الدُّعَاءِ لِقَوْمِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْتَفِخَ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى الثُّرَيَّا).

وَمِنْهُ: أَنْ يَكُونَ مُتَعَلَّقُهُ مَكْرُوهًا، كَطَلَبِ الْإِعَانَةِ عَلَى اكْتِسَابِ الرِّزْقِ بِالْحِجَامَةِ، وَنَحْوِهَا، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى غَيْرِهَا.

وَمِنْهُ: إِجْرَاؤُهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ، بِغَيْرِ قَصْدٍ، وَأَمَّا مَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ، (كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَرِبَتْ يَمِينُكِ)، وَنَحْوهُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ كَوْنِهِ دُعَاءً، لِمَا اسْتُعْمِلَ لَهُ عُرْفًا.

وَمِنْهُ: كَثْرَةُ السَّجعِ، وَلَوْ بِلَا كُلْفَةٍ، وَقِيلَ: لَا.

وَمِنْهُ: الِاعْتِدَاءُ فِيهِ، وَهُوَ بِتَكَلُّفِ السَّجْعِ أَوْ غَيْرِهِ. كَمَا فِي حَدِيث عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، (سَمِعَ ابْنَهُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ).

وَمِنْهُ: تَخْصِيصُ نَفْسِهِ بِهِ، إِذَا كَانَ إِمَامًا، أَوْ فِي مَعْنَاهُ.

وَمِنْهُ: لِلتَّحْجِيرِ. فَفِي [الْبُخَارِيِّ]: (أَنَّ أَعْرَابِياً، قَالَ فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا. يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ). كَذَا قَالَهُ الْبَعْضُ. وَاسْتَصْوَبَ غَيْرُهُ الْحُرْمَةَ لِلْعَالِمِ بِذَلِكَ.

قِيلَ: وَمِنْهُ: أَنْ يَدعُو عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ خَادِمِهِ. وَفِيهِ نَظَرٌ، إِنْ كَانَ بِلَا ضَرُورَةٍ.

وَمِنْهُ: أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)، أَوْ (إِنْ أَرَدْتَ). (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ). وَفِي أُخْرَى: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ). وَجعَلَ الْبَعْضُ هَذَا أَيْضاً حَرَامًا.

وَمِنْهُ: الِاخْتِصَارُ عَلَى دُعَاءِ أَلَفَهُ مَعَ الْجَهْلِ بِمَعْنَاهُ، وَانْصِرَافُ الْهِمَّةِ إِلَى لَفْظِهِ، لِأَنَّهُ يُذْهِبُ بِرِقَّةِ الْقَلْبِ، مَعَ كَوْنِهِ حَاكِيًا كَلَام غَيْرِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ دُعَاءً حَسَنًا أَوْ مَأْثُورًا، أَوْ كَانَ صَاحِبُهُ مِمَّنْ يُتَبَرَّكُ بِكَلَامِهِ مَا اخْتَارَهُ لِذَلِكَ، وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ بِإِخْلَاصٍ، فَيَكُونُ كَإِنْشَائِهِ ذَلِكَ.

وَمِنْهُ: أَنْ يَقُولَ: (إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَقْعَدٍ، أَوْ مَقْعَدًا، أَوْ مَقَاعِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ)، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ. وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ: أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ. وَبِهِ أَخَذَ اللَّيْثُ، لِمَا فِي

الْحَدِيثِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ، وَجَدِّكَ الْأَعْلَى، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ). وَرِدَّ بِأَنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ، فَالْأَحْوَطُ الْمَنْعُ، قِيلَ: لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعِزَّ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ.

وَمِنْهُ: أَنْ يَقُولَ: (بِحَقِّ رُسُلِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ)، أَوْ (بِحَقِّ آلِ الْبَيْتِ)، أَوْ (بِحَقِّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ)، إِذْ لَا حَقَّ لِلْخَلْقِ عَلَى الْخَالِقِ، كَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا، وَفِيهِ نَظَرٌ. إِذْ عَمَلُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، بَلْ وَفِي الْحَدِيثِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ مَعَ إِمْكَانِ جَعْلِ الْحَقِّ بِمَعْنَى الْحُرْمَةِ، وَشَرِيفِ الْمَنْزِلَةِ، وَهَذَا نَحْوِهَا.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. بِرَفْعِ الْجَلَالَةِ وَنَصْبِ الْعُلَمَاءِ، عَلَى خِلَافِ قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ. وَأَوْرَدَ سَائِلٌ عَلَى الشَّيْخِ ابْنُ الْهُمَامِ، فِي مَجْلِسِ تَدْرِيسِهِ، قِرَاءَةَ أَبِي حَنِيفَةَ، فَأَجَابَهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَابِكَ قُدْرَةُ   عَلَيَّ، وَلَكِنْ مِلْءُ عِنٍ حَبِيبُهَا

فَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا يَجْعَلُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي الْأَوَّلِ بِعَظِيمِ قَدْرِ أَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ.

وَمِنْهُ، قَوْلُ: (اللَّهُمَّ أَرْحَمْ مُحَمَّدًا)، عَلَى مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ.

فَصْلٌ: فِي حُكْمِ وَفَوَائِدِ الدُّعَاءِ

أَمَّا حُكْمُهُ: فَكَوْنُهُ شُرِعَ سَبَبًا، يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّجَاةِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَلْيُكْمِلَ بِهِ الِافْتِقَار، وَيَتَحَقَّقُ الِانْكِسَار.

أَمَّا فَوَائِدُهُ: فَقَدْ قَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ: فَإِنْ قِيلَ: مَا فَائِدَةُ الدُّعَاءِ، مَعَ أَنَّ الْقَضَاءَ لَا مَرَدَّ لَهُ؟.

فَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْقَضَاءِ رَدَّ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ، فَالدُّعَاءُ سَبَبٌ لِرَدِّ الْبَلَاءِ، وَوُجُودِ الرَّحْمَةِ، كَمَا أَنَّ التُّرْسَ سَبَبٌ لِدَفْعِ السِّلَاحِ، وَالْمَاءَ سَبَبٌ لِخُرُوجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَمَا أَنَّ التُّرْسَ يَدْفَعُ السَّهْمَ فَيَتَدَافَعَانِ.

فَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ وَالْبَلَاءُ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الِاعْتِرَافِ بِالْقَضَاءِ، أَلَّا يُحْمَلَ السِّلَاحُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]. فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْرَ، وَقَدَّرَ سَبَبَهُ. وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ وَالِافْتِقَارِ، وَهُمَا نِهَايَةُ الْعِبَادَةِ وَالْمَعْرِفَةِ. اهـ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَضَاءَ إِمَّا مُبْرَمٌ، وَإِمَّا مُعَلَّقٌ، فَالْأَوَّلُ لَا يَتَغَيَّرُ، وَالثَّانِي يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرُدُّهُ الدُّعَاءُ.

قَالَ سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ، السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ، قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ الرَّبَّانِيَّ، مَا مَعْنَاهُ: (مَا الرَّجُلُ كَذَا وَكَذَا، إِنَّمَا الرَّجُلُ مَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْقَضَاءِ، فَيَرُدُّهُ).

وَمِنْ جُمْلَةِ فَوَائِدِهِ: نَفْعُهُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا يَنْزِلُ، وَتَفْرِيجُهُ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ، وَإِمْحَاؤُهُ لِلذُّنُوبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ:

إِذَا كَثُرَتْ مِنْكَ الذُّنُوبُ فَدَاوِهَا ... بِرَفْعِ يَدٍ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ

وَلا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا ... قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أَعْظَمُ

فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِيْنَ كَرَامَةٌ وَرَحْمَتُهُ لِلْمُسْرِفِيْنَ تَكَرُّمُ

وَمِمَّا يُعْزَى لِلشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَتهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ تَأَمَّلْ فِيكَ ما صَنَعَ الدُّعَاءُ

سِهَامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلآمَادِ انْتِقَضَاءُ

فَيُمْسِكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءُ

وَمِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِهِ: الْإِجَابَةُ.

فَصْلٌ: فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٤١].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا عَلى وَجْهِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ، يَدْعُو اللَّهَ تَعَالى بِدَعْوَةٍ، إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ بِمِثْلِهَا. قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ).

وفِي حَدِيثِ مُناجاةِ السَّيّدِ مُوسَى، صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيّنَا وَعَلَيْهِ، وَعَلَيْهِمَا السَّلَامُ، (وَإِنْ دَعَوْنِي اسْتَجَبْتُ لَهُمْ، فَإِمَّا أَنْ يَرُدَّهُ عَاجِلاً، وَإِمَّا أَنْ اصْرِفَ عَنْهُمْ سُوءً، وَإِمَّا أَنْ أَدَّخِرُهُ لَهُمْ).

وَعَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَارٍ، (بَلَغَنِي أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا دَعَا اللَّهَ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةً).

وَقَالَ صَاحِبُ [الْمَدَارِكِ]: ثُمَّ أَحَادِيثُ الدُّعَاءِ وَعْدٌ صَادِقٌ، مِنَ اللهِ تَعَالَى، لَا خِلَافَ فِيهِ، غَيْر أَنَّ إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ تُخَالِفُ قَضَاء الْحَاجَةِ. فَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: (يَا رَبِّ)، فَيَقُولُ اللَّهُ: (لَبَّيْكَ عَبْدِي)، وَهَذَا مَوْعُودٌ مَوْجُودٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ. وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ إِعْطَاءُ الْمُرَادِ، وَذَا قَدْ يَكُونُ نَاجِزٌ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْدَ مُدَّةٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ تَكُونُ الْخِيَرَة لَهُ فِي غَيْرِهِ. اهـ.

فَحَاصِلُهُ أَنَّهُ عَلَى أَنْوَاعٍ.

وَإِذَا تَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ، يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً، فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ).

فَصْلٌ: وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ فِي الدُّعَاءِ. عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (خَرَجَ النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ، فَقَامَ فِيهِمْ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرُ مَنْ حَضَرَ، أَلَسْتُمْ مُقِرِّينَ بِالإِسَاءَةِ؟، قَالُوا: بَلَى. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

وَقَدْ أَقْرَرْنَا بِالإِسَاءَةِ، فَهَلْ تَكُونُ مَغْفِرَتُكَ إِلَّا لِمِثْلِنَا؟. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَاسْقِنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ. فَسُقُوا). وَفِي الْمَعْنَى، قِيلَ:

أَنَا المُذْنِبُ الخَطَّاءُ وَالعَفْوُ وَاسِعٌ   وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لِمَا عُرِفَ العَفْوُ

وَعَنْ يَحْيَى الْغَسَّانِيِّ، (أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ، عَلَى عَهْدِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاخْتَارُوا ثَلَاثَةً مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَخَرَجُوا حَتَّى يَسْتَسْقُوا بِهِم. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي تَوْرَاتِكَ: أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، فَاعْفُ عَنَّا. وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي تَوْرَاتِكَ: أَنْ نَعْتِقَ أَرِقَّائَنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا أَرِقَّاؤُكَ، فَاعْتِقْنَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي تَوْرَاتِكَ: أَنْ لَا نَرُدَّ الْمَسَاكِينَ، إِذَا وَقَفُوا بِأَبْوَابِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا مَسَاكِينُكَ وَقَفْنَا بِبَابِكَ، فَلَا تَرُدَّ دُعَاءَنَا، فَسُقُوا).

فَصْلٌ: فِي الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

قَالَ تَعَالَى، حِكَايَةً عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧- ٩].

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ، بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ).

وَفِي أُخْرَى: (دَعْوَتَانِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ). وَفِي غَيْرِهَا: (أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ). وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ.

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، (كُنَّا نَدْعُو لِأَصْحَابِنَا بِالْغَيْبِ، فَنَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْكَ عَلَى فُلَانٍ، صَلَوَاتِ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، الَّذِينَ يَقُومُونَ بِاللَّيْلِ، وَيَصُومُونَ بِالنَّهَارِ).

فَصْلٌ: فِي الدُّعَاءِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ

تَقَدَّمَ فِي هَذَا أَحَادِيثُ جَمَّةٌ، وَمِنْ أَحْسَنِ ذَلِكَ، (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ).

وَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ، (قَالَتِ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ. فَقَالَ: أَلَيْسَ تُثْنُونَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَذَاكَ بِذَاكَ).

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ). وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيَّ، فَرَأَى لَحْمًا، فَقَالَ: مَنْ بَعَثَ هَذَا؟ز قُلْتُ: عُثْمَانُ. قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو لِعُثْمَانَ).

فَصْلٌ: فِي طَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الْغَيْرِ

وَإِنْ كَانَ أَدْنَى مِنْهُ، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ أَكْثَر مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، مَعَ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا، وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ. فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ، حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسَلَّمَ: أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟. فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لأُمَّتِي، فِي كُلِّ صَلَاةٍ).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وَقَالَ: لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ. فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَسِيرٍ لَهُ، إِذْ أَتَى عَلَى رَجُلٍ يَتَقَلَّبُ فِي الرَّمْضَاءِ، ظَهْرًا لِبَطْنٍ. وَيَقُولُ: يَا نَفْسُ نَوْمٌ بِاللَّيْلِ، وَبَاطِلٌ بِالنَّهَارِ، وتُرَجِّينَ أَنْ تَدْخُلِي الْجَنَّةَ؟. فَلَمَّا قَضَى ذَاتَ نَفْسِهِ، أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: دُونَكُمْ أَخُوكُمْ. قُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ لَنَا يَرْحَمْكَ اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ اجْمَعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرَهُمْ. قُلْنَا: زِدْنَا. قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ التَّقْوَى زَادَهُمْ. قُلْنَا: زِدْنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زِدْهُمْ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْجَنَّةَ مَآبَهُمْ).

وَمِنْهُ حَدِيثُ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ فَقِيرٌ، وَلَوْ هُوَ ذُو شَأْنٍ كَبِيرٍ، كَمَا قَالَ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. بَلْ كُلَّمَا اِرْتَقَى الشَّخْصُ، ازْدَادَ افْتِقَارُهُ، وَظَهَرَ اِنْكِسَارُهُ وَاحْتِقَارُهُ، فَيَطْلُبُ الْجَبْرَ بِالدُّعَاءِ، مِمَّنْ رَأَى وَدعَى.

فَصْلٌ: عَن أَنس؛ (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ. فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ). (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرِّزْقَ لَا تُنْقِصُهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَزِيدُهُ الْحَسَنَةُ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ مَعْصِيَةٌ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّاهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ).

فَصْلٌ: فِيمَنْ نُهِيَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَادِمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ، سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيُسْتَجَاب لَكُمْ).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا، قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ الْمَنْتُوفِ، فَقَالَ: فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ؟. قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِذًا لَا تَطِيقُ ذَلِكَ وَلَا تَسْتَطِيعهُ، أَلَا قُلْتَ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذابَ النَّارِ. فَدَعَا، فَشَفَاهُ اللَّهُ).

وَفِي حَدِيثِ خَبَّابٍ، (لَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ، لَدَعَوْتُ بِهِ). وَعَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يَسْتَجِيبَ دُعَاءَ حَبِيبٍ عَلَى حَبِيبٍ).

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: (قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْعَبْدِ: لَا تَكْتُبُوا عَلَى حَالِ ضَجرِهِ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ).

وَمِمَّا نُهِيَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ: الرِّيح، وَالدِّيك، وَالْبُرْغُوث.

(قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي). وَ(لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ). (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

وَعَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (نِعْمَتِ الدَّارُ الدُّنْيَا، لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ، حَتَّى يُرْضِيَ رَبَّهُ، وَبِئْسَتِ الدَّارُ، لِمَنْ صَدَّتْهُ عَنْ آخِرَتِهِ، وَقَصَّرَتْ بِهِ عَنْ رِضَاءِ رَبِّهِ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا. قَالَتِ الدُّنْيَا: قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُقَبِّحُوا الْوُجُوهَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ).

فَصْلٌ: فِي جَوَامِعِ الدُّعَاءِ

اعْلَمْ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَذْكَارِ، مَخْصُوصٌ بِأَوْقَاتٍ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبَقِيَ الْكَلَامُ عَلَى غَيْرِ الْمُوَقَّتِ. فَهَذَا فَصْلٌ، وَتَقَدَّمَ أَنْ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ: أَنْ يَكُونَ بِالْأَلْفَاظِ الْجَامِعَةِ.

لِقَوْلِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ). وَهَذَا الْبَابُ وَاسِعٌ جِدًّا، فَمِنْ أَعْظَمِهِ الْأَدْعِيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ.

وَمِنْهُ: مَا صَحَّ وُرُودُهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ. وَلْنَذْكُرَ مِنْهُ مَا يَشْفِي الْعَلِيلَ، وَيُبَرِّدُ الْقَلِيلَ. فَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

وَزَادَ مُسْلِمٌ: (وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ، دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ، دَعَا بِهَا فِيهِ).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ الْأَشْجَعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي).

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟. قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي. وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى). (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ).

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: (قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟. قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَالَ: (ثَلَاثٌ، وَزِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أَدْرِي أَيَّتَهُنَّ). وَفِي أُخْرَى: (أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ وَاحِدَةً).

(كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ).

(وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ). (وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ).

(وَكَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ

وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا).

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ).

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي، الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ، الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي، الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ).

(كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ).

(وَكَانَ يَدْعُو بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الْغِنَى وَالْفَقْرِ). (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، فَقَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ، وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. قَالَ: هَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي). شَكَّ الرَّاوِي فِي (وَعَافِنِي).

وَعَنْهُ أَيْضًا، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَاّ أَنْتَ، سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَاّ اسْتَجَابَ لَهُ).

عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ).

وَعَنْهُ، (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، دَعَا اللَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْاِسْمِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ). أَيْ الْزَمُوا ذَلِكَ، وَأَكْثِرُوا مِنْهُ.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا، مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ، فَسَلْ).

وَعَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي دُعَاءاً. قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي).

(أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا). وَفِي رِوَايَةٍ: (وَالْغَمِّ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ). (وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ، وَالنِّفَاقِ، وَمِنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وَعَافِنِي فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ، رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ لِلَّهِ، رَبِّ العَالَمِينَ).

(وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو: رَبِّ أَعِنِّي، وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي، وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي، وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُجِيبًا أَوْ مُنِيبًا، تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَوَّاهًا مُنِيبًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، عَلَّمَ أَبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ، يَدْعُو بِهِمَا: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي).

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟. قَالَ: سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ، وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟. فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَأُعْطِيتَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ).

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ. فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ تَعَالَى. فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ أَوَّلَ، عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ، خَيْراً مِنَ الْعَافِيَةِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ دَعْوَةٍ، يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ، أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ، لَمْ نَحفَظْ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟. تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

وَعَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصًا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ قُمْنَا. فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ فَارِسَ بِعُظَمَائِهَا. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ لَنَا. قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَارْضَ عَنَّا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ. قَالَ: فَكَأَنَّمَا أَحْبَبْنَا أَنْ يَزِيدَنَا. فَقَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَمَعْتُ لَكُمُ الْأَمْرَ؟).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ،

وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ، مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ، مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ، فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ لِي رَشَدًا).

وَفِي رِوَايَةٍ، بِزِيَادَةٍ فِي أَوَّلِهِ: (عَلَيْكِ بِجمَلِ الدُّعَاءِ، وَجَوَامِعِهِ. قُولِي). وَفِي لَفْظٍ: (وَأَسْأَلُكَ مِمَّا سَأَلَكَ بِهِ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَعَوَّذَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا قَضَيْتَ). وَ(خَيْراً) بَدَل (رَشَدًا).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ: اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (احْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ. فَقَالَ لَنَا: عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ. ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ، مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي، حَتَّى اسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا

بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟. قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟. قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ. قَالَ: مَا هُنَّ؟، قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْكَرِيهَاتِ. قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟، قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا).

(وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ، فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ، فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ).

(وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ).

وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: (اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا قَضَيْتَهَا بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

(وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا كَائِنًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ، وَالْمُكَوِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْكَائِنُ بَعْدَمَا لَا يَكُونُ شَيْءٌ، أَسْأَلُكَ بِلَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِكَ، الْحَافِظَاتِ الْغَافِرَاتِ الْوَاجِبَاتِ الْمُنْجِيَاتِ).

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَاسْمُهُ عَامِرٌ، قَالَ: (سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ، مَا الدُّعَاءُ الَّذِي دَعَوْتَ بِهِ لَيْلَةَ، قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْ تُعْطَهْ. فَقَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَعَلَى دَرَجَةِ الْجَنَّةِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُجَيْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعَا سَلْمَانَ الْخَيْرِ. فَقَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ، تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَنَ، وَتَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُو بِهِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي خُلُقٍ حَسَنٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ، وَرَحْمَةٌ مِنْكَ، وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ، وَرِضْوَانًا).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي).

وَفِي لَفْظٍ: (اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ).

(وَكَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا، وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ

بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ). وَفِي لَفْظٍ: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ، الَّذِي هُوَ بِيَدِكَ كُلِّهِ).

(وَكَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً نَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ، وَلَا فَاضِحٍ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فِي رِضَاكَ، فَقَوِّ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رِضَايَ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي، وَذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَقِيرٌ فَارْزُقْنِي).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (هَذَا مَا سَأَلَ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنِي، وَثَقِّلْ مَوَازِينِي، وَأَحِقَّ إِيمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَاتِي، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ، وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ لِي قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ. اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لِي فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خُلُقِي، وَفِي خَلِيقَتِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: (نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، لَمْ يَنْزِلْ فِي مِثْلِهَا قَطُّ، ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا جِبْرِيلُ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ بِهَدِيَّةٍ. قَالَ: وَمَا تِلْكَ الْهَدِيَّةُ يَا جِبْرِيلُ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: كَلِمَاتٌ مِنْ كُنُوزِ الْعَرْشِ، أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِهِنَّ، قُلْ: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ، وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، يَا مَنْ لَا يُؤَاخِذُ بِالْجَرِيرَةِ، وَلَا يَهْتِكُ السِّتْرَ، يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى، يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ، يَا عَظِيمَ الْمَنِّ، يَا مُبْتَدِئَ النِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبَّنَا، وَيَا سَيِّدَنَا، وَيَا مَوْلَانَا، وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهَ، أَنْ لَا تَشْوِي خَلْقِي بِالنَّارِ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْءٌ لَا يُرَدُّ؟. قَالَ: نَعَمْ، تَقُولُ: أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْلَى الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ، كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ، عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي، وَانْقِطَاعِ عُمُرِي). (وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَخَطَايَايَ، وَعَمْدِي).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (دَعَوَاتٌ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا أَتْرُكُهَا مَا عِشْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أُعَظِّمُ شُكْرَكَ، وَأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وَأَتَّبِعُ نَصِيحَتَكَ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ).

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: (أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً، عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ تَنَافَسُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلائِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي، تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ، وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْهُ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُوَفِّيهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. إِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَلَائِكَتِهِ: إِنَّ عَبْدِي عَهِدَ عِنْدِي عَهْدًا، فَأَوْفُوهُ إِيَّاهُ؛ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ. قَالَ سُهَيْلٌ: فَأَخْبَرْتُ الْقَاسِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ عَوْنًا أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: مَا فِي أَهْلِنَا جَارِيَةٌ، إِلَّا وَهِيَ تَقُولُ هَذَا فِي خِدْرِهَا).

(وَكَانَ يَدْعُو، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ: (مَنْ كَانَ ذَلِكَ دُعَاءَهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الْبَلَاءُ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ، وَالْعِفَّةَ، وَالْأَمَانَةَ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْعِصْمَةَ) بَدَلَ (الصِّحَّةِ).

(وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُورًا وَاجْعَلْنِي صَبُورًا، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنَيَّ صَغِيرًا، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا).

(وَكَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ، حَتَّى كَأَنِّي أَرَاكَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ، وَلَا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ، وَخِرْ لِي فِي قَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَاجْعَلْ غِنَائِي فِي نَفْسِي، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَأَرِنِي فِيهِ ثَأْرِي، وَأَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: (جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا بُعِثْتُ إِلَى نَبِيٍّ قَطُّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، أَلَا أُعَلِّمُكَ أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، هُنَّ مِنْ أَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، أَنْ يُدْعَى بِهِنَّ؟، قُلْ: يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا زَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا عِمَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا قَيُّومَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَيَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَمُنْتَهَى الْعَابِدِينَ، الْمُفَرِّجَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، الْمُرَوِّحَ عَنِ

الْمَغْمُومِينَ، ومُجِيبَ دُعَاءِ الْمُضْطَرِّينَ، وكاشِفَ الْكَرْبِ، وَيَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. تَزُولُ بِكَ كُلُّ حَاجَةٍ).

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاهُ، وَلَا بِرَبٍّ ابْتَدَعْنَاهُ، وَلَا كَانَ لَنَا قَبْلَكَ إِلَهٌ، نَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَنَذَرُكَ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ، فَنُشْرِكَهُ فِيكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. قَالَ كَعْبٌ: وَهَكَذَا كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَدْعُو).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: (عَلَّمَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلاً، قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْساً مُطَمْئِنَةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ).

وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، بَعْدَ الْعِشَاءِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةِ؟. قُلْتُ: إِنِّي أُحِبُّكَ. قَالَ: آللَّهِ إِنَّكَ تُحِبُّنِي؟. قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ. فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً، عَلَّمَنِيهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ، وَارْزُقْنِي طَاعَتَكَ، وَطَاعَةَ رَسُولِكَ، وَعَمَلًا بِكِتَابِكَ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ لَقِّنِّي حُجَّتِي، فَإِنَّ الْكَافِرَ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَقِّنِّي حُجَّةَ الْإِيمَانِ، عِنْدَ الْمَمَاتِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ دُعَاءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ قَوْلِ الْعَبْدِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، رَحْمَةً عَامَّةً).

وَالْوَارِدُ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي هَذَا الْبَابِ، لَا يُمْكِنُ اسْتِقْصَاؤُهُ وَلَا عَدُّهُ، وَلَا إِحْصَاؤُهُ، وَيَكْفِي عَنْ ذَلِكَ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ وَنَحْوُهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا بِدُعَاءٍ، لَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِثْلَهُ، وَاسْتَعَاذَ اسْتِعَاذَةً، لَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِثْلَهَا. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: كَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ نَدْعُوَ بِمِثْلِ مَا دَعَوْتَ، وَأَنْ نَسْتَعِيذَ كَمَا اسْتَعَذْتَ؟. فَقَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ، بِمَا سَأَلَكَ مُحَمَّدٌ، عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَنَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ، عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ).

فَصْلٌ: فِي النَّهْيِ عَنْ صَمْتِ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ).

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: (دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ، يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَكَلَّمُ. فَقَالَ: مَا لَهَا لَا تَكَلَّمُ؟، قَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً. قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ).

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: (كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ نُسُكِهِمُ الصُّمَاتُ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَعْتَكِفُ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ، فَيَصْمُتُ لَا يَنْطِقُ. فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ، وَأُمِرُوا بِالذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ بِالْخَيْرِ وَالْوَصَايَا).

فَصْلٌ: فِي الْوَصَايَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وَقَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،

فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي، فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا. فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ، عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ، لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، -وَفِي آخِرِهِ-: وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يَسْرًا).

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ، إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ، عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسْهُمْ، انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ، صِلْ قَرَابَتَكَ، وَإِنْ قَطَعُوكَ، قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، لَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، لِيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ، مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَجِدْ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا، أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَنْ يَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا يَجْهَلُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَحْيِي لَهُمْ، مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَيُؤْذِي جَلِيسَهُ. يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ).

(وَقَالَ لَهُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا، وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ).

وَقَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ اللَّهَ، عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَأَحْدِثْ عِنْدَهَا تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ).

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ). (وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا).

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُوصِيهِ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ يُعَظِّمَ كَبِيرَهُمْ، وَيَرْحَمَ صَغِيرَهُمْ، وَيُوَقِّرَ

عَالِمَهُمْ، وَأَنْ لَا يَضْرِبَهُمْ فَيُذِلَّهُمْ، وَلَا يُوحِشَهُمْ فَيُكَفِّرَهُمْ، وَأَنْ لَا يُغْلِقَ بَابَهُ دُونَهُمْ، فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُوصِيكُمْ بِالْجَارِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصَانِي اللَّهُ بِذِي الْقُرْبَى، وَأَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَ بِالْعَبَّاسِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُوصِيكَ، أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، مِنْ قَوْمِكَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ).

(وَقَالَ لِابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتًا، وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمُ الرِّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، وَلَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ، تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمُلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، أَحْسَنُهُمْ دِينًا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْخُلُقُ، وَطُولُ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا عَمِلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهِمَا).

فَصْلٌ: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ وَالمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ، خَيْراً مِنَ المُعَافَاةِ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً، كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ).

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصِّدْقِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ رَأْسُ الْأُمُورِ، وَسَاسُهَا الَّذِي لَا يَتِمُّ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ، وَمَا عَدَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَحَتَّى الْإِخْلَاصَ، وَهُوَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَّا إِلَى غَيْرِهِ، فَكُلُّ صَادِقٍ مُخْلِصٍ، وَلَا عَكَسَ.

فَالصِّدْقُ إِرَادَةُ اللَّهِ بِكُلِّ طَاعَةٍ، مَعَ الْحُضُورِ بِخِلَافِهِ، وَكَمَالُهُ بِصَرْفِ جَمِيعِ الْأَنْفَاسِ لِبَارِئِ النَّاسِ. وَضِدُّهُمَا الْكَذِبُ وَالرِّيَاءُ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْفُجُورِ.

وَعَنْ هَذَا، (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا، وَلَا يَطْلُبُهَا، لُعِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ، وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ، إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟. فَقَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ).

عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟. قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ، وَأَفْتَوْكَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ).

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَاتَّخِذُوهُ إِمَاماً وَقَائِداً، فَإِنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي هُوَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ، وَالْحِلْمَ وَزِيرُهُ، وَالْعَقْلَ دَلِيلُهُ، وَالْعَمَلَ قَيِّمُهُ، والرِّفْقَ أَبُوهُ، وَاللِّينَ أَخُوهُ، وَالصَّبْرَ أَمِيرُ جُنُودِهِ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ، إِنَّ الرِّفْقَ لَايَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ).

(وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي).

فَصْلٌ: فِي الْوَصَايَا النَّبَوِيَّةِ: أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا ذُو الْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ، فَضْلاً عَنْ ذِي الْهِمَمِ الدَّنِيَّةِ، وَالنَّفْسِ الْأَبِيَّةِ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ حَبِيبٍ الْعَطَّارُ، قَالَ: (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُلَمَاءِ، قَالَ: كَتَبْتُ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، مَا انْتَفَعْتُ مِنْهَا، إِلَّا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: الْكَلِمَةُ الْأُولَى: اعْمَلْ لِلَّهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ. الْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ: وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ عَلَى قَدْرِ إِقَامَتِكَ فِيهَا. الْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ: اعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ الْقُوتِ. الْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ: وَاعْصِ رَبَّكَ، عَلَى قَدْرِ جَلَدِكَ عَلَى النَّارِ).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: (أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ، أَنْتَجَتْ أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ لَا تَثِقَنّ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ، وَلَا تُحَمِّلْ مَعِدَتَكَ مَا لَا تُطِيقُ، وَتَعَلَّمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَنْفَعُكَ).

وَلِبَعْضِ الْعَارِفِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَهُمَا:

اعْطِ الْمَعِيَّةَ حَقَّهَا وَاحْفَظْ لَهُ حُسْنَ الْأَدَبِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَبْدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَهُوَ رَبّ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَقَدْ جَمَعَا مَا فِي [الْإِحْيَاءِ].

قُلْتُ: بَلْ مَا فِي الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي شَرْحَيْ لَهُمَا الْمُسَمَّى [النَّفْحَةُ الْعَنْبَرِيَّةُ].

وَأَقُولُ: وَكُلُّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. وَأَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وَبَيَانُ الْجَمِيعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

فَالْمَقْصُودُ إِذًا الِاسْتِقَامَةُ، الَّتِي ذَرَّةٌ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ كَرَامَةٍ. كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَلِهَذَا كَانَ مَطْلُوبُهُمْ فِي سَائِرِ أَنْفَاسِهِمْ، وَوَصِيَّتِهِمْ لِسَائِرِ خَوَاصِّهِمْ.

وَإِنَّ وَصِيَّةَ هَذَا الْحَقِيرِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ، هِيَ: تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالصِّدْقُ لَهُ كَذَلِكَ، وَالْخَشْيَةُ مَعَ الْمُرَاقَبَةِ مِثْلَ ذَلِكَ. اللَّهُمَّ حَقِّقْنَا بِذَلِكَ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الْخَوَاتِيمِ فِي أَسْبَابِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ، وَأَنْ يَجْعَلَ خِتَامَنَا مِسْكٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اعْلَمْ أَنَّ أَسْبَابَهَا ضَرْبَانِ عَمِلٍ: (كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ). وَكَزِيَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ، آخِذًا مِنْ (قَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عّلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي).

وَكَدُخُولِ الْبَيْتِ، آخِذًا مِنْ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: (يَخْرُجُ مَعْصُومًا فِيمَا بَقِيَ). لِاحْتِمَالِ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ الْعِصْمَةُ مِنَ الْكُفْرِ. فَيَكُونُ بِشَارَةٌ لِلدَّاخِلِ، بِالْمَوْتِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَنَحو ذَلِكَ.

وَأَقُولُ: وَلَوْ أَحْفَظ فِيهِ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا، صَرِيحًا فِي خُصُوصِهِ، إِلَّا مَا تَقَدَّمَ، مِمَّا يُفِيدُ ذَلِكَ ضِمْنًا، كَالْأَذْكَارِ الْمُوجِبَةِ لِلشَّهَادَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَحْو ذَلِكَ.

نَعَمْ، فِي [تَأْلِيفِ السَّنُوسِيِّ]، رُوِيَ عَنْهُ، صَلَّى اللّٰهُ عّلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، وَيُنْصَرَ عَلَى عَدُوِّهِ، وَيُوسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَيُوقى مِيتَةَ السُّوءِ؛ فَلْيَقُلْ حِينَ يُمْسِى، وَحِينَ يُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللّٰهِ، مِلْءَ المِيزَانِ، وَمُنْتَهَى العِلْمِ، وَمَبْلَغَ الرِّضَا، وَزِنَةَ الْعَرْشِ).

وَلِكَنْ ذُكِرَ عَنِ الْعَارِفِينَ شَيْءٌ كَثِيرٌ فِي ذَلِكَ.

فَمِنْهُ: مَا ذَكَرَ الْعَارِفُ الأَجْهُورِيُّ، فِي [مَوَاهِبِهِ]، عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: (سَأَلْتُ أَرْبَعَمِائَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، عَنْ اسْتِعْمَالِ شَيْءٍ، يَأْمَنُ الْعَبْدُ بِهِ مِنْ سَلْبِ الْإِيمَانِ، فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، حَتَّى اجْتَمَعْت بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْته عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْأَلَ رَبَّ الْعِزَّةِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ وَاظَبَ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَ﴿شَهِدَ اللّٰهُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْإِسْلَامُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ

الْمُلْـكِ﴾، إِلَـى قَوْلِـهِ: ﴿بِغَيْـرِ حِسَـابٍ﴾، وَسُـورَةَ الْإِخْـلَاصِ، وَالْمُعَـوِّذَتَيْنِ، وَالْفَاتِحَةَ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَمِنَ سَلْبَ الْإِيمَانِ). اهـ.

وَعَنْ سِيِّدي عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيِّ أَيْضاً، عَنْ سَيِّدِي عَلِيِّ الْخَوَّاصِ، عَنْ سَيِّدِنَا دَاوُدَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، صَبَاحًا وَمَسَاءًا: سُبْحَانَ الدَّائِمِ الْقَائِمِ، سُبْحَانَ الْقَائِمِ الدَّائِمِ، سُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّومِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ. فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا تَرَدُّدٍ وَلَا تَوَقُّفٍ).

قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: (رَأَيْتُ اللَّهَ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّي، إِنِّي أَخَافُ زَوَالَ الْإِيمَانِ، فَأَمَرَنِي بِهَذَا الدُّعَاءِ، بَيْنَ سُنَّةِ الصُّبْحِ وَالْفَرِيضَةِ، إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُحْيِيَ قَلْبِي، بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ، يَا اللَّهُ، يَا اللَّهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

وَمِمَّا نُقِلَ عَنِ الْعَارِفِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ الْعَلَوِيِّ: (مَا يُوجِبُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي).

وَعَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: (مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ جَرَى بِهِ الْقَلَمُ. عَشْرَ مَرَّاتٍ. مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ).

وَعَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقَاضِي: (يُقَالُ فِي الْمَسَاءِ وِالصَّبَاحِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَكْرِ، وَالِاسْتِدْرَاجِ. فَإِنَّهَا تَحْرُسُ قَائِلَهَا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ).

وَمِمَّا يَقْتَضِي ذَلِكَ ضِمْنًا، مَا ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ: (أَنَّ مَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الصَّلَاةَ، لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، وَلَوْ مَرَّةً، وَلَازَمَ عَلَيْهَا، لَمْ يُلْحِدَهُ فِي قَبْرِه إِلَّا الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، الْحَبِيبِ، الْعَالِي الْقَدْرِ، الْعَظِيمِ الْجَاهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ).

وَنُقِلَ عَنِ الْعَارِفِ الْبَكْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الصَّلَاةَ، فِي عُمْرِهِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَدَخَلَ النَّارَ، يَقْبِضُنِي بَيْنَ يَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ: اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالنَّاصِرِ الْحَقِّ بِالحَقِّ، وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، حَقَّ قَدْرِهِ، وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْكِنَانِيِّ، قَالَ: (رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ: قُلْ كُلَّ يَوْمٍ، أَرْبَعِينَ مَرَّةً: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. وَوَقْتُهَا مَا بَيْنَ فَرْضِ الصُّبْحِ وَسُنَّتِهِ).

وَقَالَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ، تِسْعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ رَأَيْتَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَمَامَ الْمِائَةِ، لَأَسْأَلَنَّهُ: بِمَ يَنْجُو الْخَلَائِقُ مِنْ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: فَرَأَيْتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، بِمَ يَنْجُو عِبَادُكَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِكَ؟.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مَنْ قَالَ بَعْدَ الْغَدَاةِ وَالْعَشِيَّةِ: سُبْحَانَ الْأَبَدِيِّ الْأَبَدِ، سُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، سُبْحَانَ الْفَرْدِ الصَّمَدِ، سُبْحَانَ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِلَا عَمَدْ، سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ الْأَرْضَ عَلَى مَاءٍ جَمَدْ، سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلَائِقَ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدْ، سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ، وَلَمْ يَنْسَ أَحَدْ، سُبْحَانَ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدْ، سُبْحَانَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدْ، نَجَا مِنْ عَذَابِي).

وَالنَّقْلُ مِنْ نَحْوِ هَذَا كَثِيرٌ، وَمَا ذُكِرَ فِيهِ غَيْرُ كَبِيرٍ. وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ كَانَ سَبَبًا لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ. وَإِنْ كَانَ بِضِدِّهِ، كَانَتْ سَبَبًا لِسُوئِهَا، كَإِيذَاءِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَالْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَيَنْبَغِي الْأَخْذُ فِي أَسْبَابِ حُسْنِهَا، وَالِاجْتِنَابُ لِأَسْبَابِ سُوئِهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، أَنْ يُوَفِّقَنَا لِذَلِكَ، وَيَسْلُكَ بِنَا أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ، وَيُرْشِدُنَا إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ، وَيَأْخُذُ بِنَوَاصِينَا، عَمَّا يُبْعِدُنَا عَنْهُ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ فَازُوا، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وَهَذَا آخِرُ الْكَلَامِ، فِي [جَوَاذِبِ الْقُلُوبِ]، وَمُؤَلِّفُهُ الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ السَّيِّدُ حَسَن، أَمِيرُ غَنِيِّ، الْحُسَيْنِيُّ الْحَنَفِيُّ، كَانَ اللَّهُ لِلْجَمِيعِ. يَطْلُبُ مِنَ الْإِخْوَانِ الدُّعَاءَ، وَالصَّفْحَ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْخَلَلِ وَالزَّلَلِ، فَإِنَّهُ شَأْنُ هَذَا الْحَقِيرَ، وَلَيْسَ الْعَفْوّ عَنْ ذَلِكَ بِكَبِيرٍ.

وَإِنِّي لَسْتُ أَلْتَزِمُ فِي أَحَادِيثِهِ الصِّحَّةَ وَالْحَسَنِ، بَلْ مِنَ الضَّعِيفِ كَثِيرٌ فِيهِ.

وَهُوَ كَافٍ فِيمَا قَصَدْتُهُ، وَشَافٍ فِيمَا أَوْرَدْتُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَبِعْتُ غَيْرِي مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ. فَجَاءَ بِحَمْدِ اللهِ فَائِقًا مَا صُنِّفَ فِي فَنِّهِ، يَعْرِفُ ذَلِكَ، مَنْ لَهُ إِطِّلَاعٌ عَلَى مَا هُنَالِكَ، وَلَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا، إِنَّمَا الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، ذُو الْجَلَالِ الْمَجِيدِ، فَلَهُ الْحَمْدُ، أَنْ أَجْرَى يَدِي، وَصَرَّفَ فِكْرِي فِيمَا أَفَادَ، أَسْأَلُهُ الِاسْتِقَامَةَ، وَالْخَلَاصَ مَعَ السَّلَامَةِ.

وَكَانَ تَمَامُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُبَارَكَةِ، رَابِعَ مُحَرَّمٍ، سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ هِجْرِيَّة، ١١٥٣هـ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فَهْرَس جَوَاذِبُ الْقُلُوبِ لِذِكْرِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ